



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 02 (أبو القاسم سعد الله)



كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الإسهامات الإقتصادية والإجتماعية للسلاجقة في عصر الخلافة العباسية

447هـ - 656هـ / 1055م - 1258م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثالث تخصّص: دراسات تاريخية في العصور الوسطى.

إشراف الأستاذ الدكتور:

بن شوش مروان

إعداد الطالب:

هرباجي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. / غرداوي نور الدين	أستاذ	رئيسا	جامعة الجزائر 02
أ.د. / بن شوش مروان	أستاذ	مقررا	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
د.ة/ عيساني شفيقة	أستاذة محاضرة	عضوا	جامعة الجزائر 02
د.ة/ لوزري سعيدة	أستاذة محاضرة	عضوا	جامعة الجزائر 02
د. / خنوف شعيب	أستاذ محاضر	عضوا	المركز الجامعي سي الحواس بريقة
أ.د. ة/ وسيلة فراج	أستاذة	عضوا	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

السنة الجامعية: 1445هـ - 1446هـ / 2024م - 2025م.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

" لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " إبراهيم-7-

الحمد لله أولا وآخرا أن وفقني وأعاني على إتمام هذا البحث، وأسأله أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وإيماننا بأهمية ردّ الجميل، أتقدم بخالص وعميق الامتنان لأستاذي الفاضل مروان بن شوش لما أبداه من حرص ومتابعة، وما قدّمه لي من توجيهات علمية دقيقة كان لها أثر بالغ في إتمام مسار هذا البحث.

والشكر موصول لكل من قدّم لي يد العون، أو أسدى إلي نصيحة، أو شاركني معرفة، فلكم مني جميعا أصدق الإمتنان والعرفان.

محمد هرباجي .

الإهداء

إلى اللّذين قال فيهما الله عزّ وجلّ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء -24-

إلى والدي العزيز رحمه الله "محمود "

إلى أمّي الغالية حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها " عيدة "

اللذان كانا لي سندًا وقت العسر.

إلى زوجتي العزيزة رفيقة الدّرب، التي كانت دوما مصدر دعم وإلهام وسندا في أوقات التعب، لها

الفضل بعد الله في أن أكمل طريقي بثبات، فقد منحني من وقتها وتشجيعها ما كان كفيلا بأن

أواصل هذا العمل حتى نهايته.

إلى عائلتي الرائعة إخوتي وزوجاتهم وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم فردا.

إلى عائلتي الثانية "الحاج موسى رحمه الله" وزوجته عبلة وأبنائهما وبناتهم وأختي "ريم" التي

ساعدتني كثيرا.

أهدي عملي هذا.

محمد هرباجي.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور السلاجقة في التاريخ الإسلامي، حيث ظهوروا كقوة سياسية وعسكرية أسهمت في استقرار الخلافة العباسية بعد تراجع نفوذها، فالسلاجقة نشؤوا كقبائل تركمانية بدوية، ثم توسعوا في خراسان قبل دخول بغداد عام 447هـ/1055م بقيادة طغرل بك، الذي أنهى سيطرة البويهيين وأعلن ولاءه للخليفة، مما عزز نفوذهم السياسي على الدولة العباسية، مع الإبقاء على الخليفة كرمز ديني. ولقد امتد نفوذ السلاجقة ليشمل الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، ففي المجال الاقتصادي طوّروا الزراعة من خلال إنشاء أنظمة ريّ متقدمة، وشجّعوا التجارة بتأمين الطرق التجارية وتسهيل حركة البضائع، كما دعموا الصناعة عبر توفير بيئة مناسبة للحرفيين لصنع مختلف التحف المعدنية وابتكار تقنيات جديدة في الصنع، كما اعتمدوا على نظام الإقطاع لتمويل الجيش والإدارة، ونظموا الضرائب، وعملوا على ضبط النفقات العامة من خلال تحسين إدارة الخراج والأوقاف، وسكّوا النقود التي حملت أسماء سلاطينهم لإظهار سيطرتهم.

وعلى الصعيد الاجتماعي عمل السلاجقة على تعزيز بنية المجتمع من خلال دعم المؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والبيمارستانات، وعززوا الأمن الداخلي، كما اتّسم المجتمع السلجوقي بتعدد طبقاته، وامتزجت تقاليدهم بالعادات الإسلامية والفارسية، مما أثر في نمط حياتهم.

الكلمات المفتاحية:

السلاجقة؛ الخلافة العباسية؛ إسهامات اقتصادية؛ الإقطاع العسكري؛ النقود؛ الحياة الاجتماعية.

Abstract

This study seeks to emphasize the significance of the Seljuks in Islamic history, as they rose as a political and military entity that played a crucial role in stabilizing the Abbasid Caliphate following its decline. They managed to restore its prestige in name, while maintaining real authority. The Seljuks originated as nomadic Turkmen tribes, subsequently expanding into Khorasan before moving into Iraq in **447 AH/1055 AD** under the leadership of Toghruller Bek, who pledged allegiance to the Abbasid Caliphate, thereby ending the Buyid's control.

The Seljuks played a role that extended beyond military and political aspects; they implemented economic and social reforms that contributed to the stability of the territories under their governance.

Economically, they enhanced agriculture by creating sophisticated irrigation systems and promoted trade by protecting trade routes and simplifying the transport of goods. They also fostered industrial growth by creating a favorable environment for artisans to produce various metal goods.

In terms of finance, they depended on the feudal system to supply the essential resources for both the army and administration. They also established a taxation system and aimed to regulate public spending by enhancing tax and endowment management, while producing coins that featured the names of their sultans to signify the degree of their authority and influence.

The Seljuks were also focused on implementing social reforms and aimed to bolster societal structure by backing religious and educational institutions like mosques and hospitals (Bimaristans), as well as enhancing internal security. Seljuk society was marked by its various social classes, and its customs were a blend of Islamic and Persian traditions.

Keywords: Seljuks, Abbasid Caliphate, economic impact, military feudal system, currency, societal life.

المقدمة

المقدمة:

شهدت الخلافة العباسية تحولات عميقة نقلتها من مرحلة القوة والازدهار، خاصة خلال العصر العباسي الأول، إلى مرحلة اتسمت بالضعف والتفكك، نتيجة تعاظم نفوذ القوى العسكرية والسياسية داخل بنيتها. وقد تجلّى ذلك في بروز قوى مهيمنة على مركز القرار، كما حدث في فترتي النفوذ التركي ثم البويهى، حيث تقلّصت سلطة الخلفاء العباسيين وأصبحت الخلافة ذات طابع رمزي في كثير من الأحيان.

وقد أدت التحولات السياسية والعسكرية في المشرق الإسلامي إلى صعود السلاجقة وتحوّلهم إلى قوة مؤثرة في توازنات المنطقة. وتمكنوا في هذا السياق من دخول بغداد سنة 447هـ/1055م بقيادة السلطان طغرل بك، مُنهيين بذلك الهيمنة البويهية ومؤسّسين لمرحلة جديدة عُرفت بعصر النفوذ السلجوقي. وقد مثّل هذا التحول منعطفًا مهمًا في تاريخ الدولة العباسية، إذ لم يقتصر أثره على الجانب السياسي، بل امتد ليشمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

وتتبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى تحليل طبيعة هذا التحول، من خلال إبراز دور السلاجقة في إعادة تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية للدولة العباسية، وفهم أبعاده ضمن سياق التحولات التي شهدتها المشرق الإسلامي خلال هذه الفترة.

وتمحور إشكالية بحثي حول تحديد طبيعة الدور الذي اضطلع به السلاجقة في الدولة العباسية، ومدى تأثير تدخلهم في إعادة تشكيل بنيتها الاقتصادية والاجتماعية، وما إذا كان هذا التدخل قد مثّل إنقاذًا فعليًا للخلافة من حالة التراجع، أم أنه أسّس لنمط جديد من الهيمنة السياسية.

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، من أبرزها: ما طبيعة الأوضاع التي كانت عليها الدولة العباسية قبيل التدخل السلجوقي؟ وما دوافع هذا التدخل؟ وكيف انعكس النفوذ السلجوقي على الأوضاع الاقتصادية من حيث الزراعة والتجارة والصناعة؟ وما أبرز ملامح الحياة الاجتماعية في ظل هذا التحول؟

وأفترض في هذه الدراسة أنّ التدخل السلجوقي أسهم في إعادة قدر من الاستقرار السياسي، مع إعادة توزيع السلطة لصالح السلاجقة، كما يُرجّح أن سياساتهم الاقتصادية نشّطت بعض القطاعات رغم استمرار بعض الاختلالات، في حين شهدت البنية الاجتماعية تحولات واضحة.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، القائم على تتبع الأحداث في سياقها الزمني، وتحليلها بالاستناد إلى معطيات المصادر الأصلية والدراسات الحديثة، بهدف الوصول إلى تفسير علمي متكامل لموضوع البحث.

وتندرج هذه الدراسة ضمن إطار زمني يمتد من سنة 447هـ/1055م إلى سنة 656هـ/1258م، وهي فترة شهدت صعود السلاجقة وتدخلهم في شؤون الدولة العباسية. أما من حيث المجال المكاني فقد ركزت على منطقتي العراق وخراسان باعتبارهما المحورين الرئيسيين للنفوذ السلجوقي نظراً لأهميتهما الإستراتيجية وثنائهما الاقتصادي وتنوعهما السكاني.

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت العصر السلجوقي، فإن أغلبها انصبّ على الجوانب السياسية والعسكرية أو العلمية، مع اهتمام محدود بالبعد الاقتصادي والاجتماعي. ومن بين هذه الدراسات: دراسة قمعون عاشوري حول "العلاقات العسكرية بين الدولتين السلجوقية والبيزنطية"، ودراسة درويش أحسن حول "العلاقات السلجوقية الخارجية مع القوى السياسية في المشرق الإسلامي"، حيث انصبت هذه الأعمال على تحليل البنية السياسية والعسكرية للدولة أكثر من تحليل آثارها الداخلية، كما اهتمت دراسات أخرى بالجوانب العلمية والحضارية مثل دراسة بن شوش مروان حول "الحركة العلمية في عصر السلاجقة"، ودراسة بوعبدلي المسعود عبد الوهاب حول "الوزارة والحياة العلمية في الدولة السلجوقية في عهد الوزير نظام الملك". وهي دراسات أبرزت البعد الثقافي والإداري، لكنها لم تتوسع في تحليل البنية الاقتصادية والاجتماعية بشكل معمق. وعليه، يمكن القول إن هذه الدراسات، رغم قيمتها العلمية، لم تُولَ عناية كافية لدراسة أثر النفوذ السلجوقي في إعادة تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية داخل الدولة العباسية، وهو ما يبرز وجود فراغ بحثي سعت إلى معالجته.

وانطلاقاً من ذلك، اخترت هذا الموضوع لاعتبارات ذاتية وعلمية متكاملة؛ إذ ينبع الدافع الذاتي من الاهتمام بالتاريخ الإسلامي عمومًا، والتاريخ العباسي والسلجوقي على وجه الخصوص، والرغبة في إبراز الدور الذي قام به السلاجقة في مرحلة دقيقة من تاريخ الخلافة. بينما يتمثل الدافع العلمي في التوجه نحو دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للنفوذ السلجوقي، في ظل محدودية تناولها في الدراسات السابقة.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة قمت بتقسيم دراستي إلى أربعة فصول مترابطة؛ **الفصل الأول** يتناول بالدراسة أصل السلاجقة وقيام دولتهم ودخولهم للعراق"، احتوى على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول أصل

السّلاجقة"، أمّا المبحث الثّاني فتطرّقت فيه إلى "قيام الدّولة السّلاجقية" واستعرضت في المبحث الثّالث "دخول السّلاجقة للعراق واعتراف الخليفة العباسي بهم".

أمّا **الفصل الثّاني** فكان بعنوان "السياسة الاقتصادية للسّلاجقة" والذي تضمن ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول "الزراعة وأهم الطّرق الزراعيّة وأنواع المحاصيل الزراعيّة"، أمّا المبحث الثّاني فتحدّثت فيه عن "إسهامات السّلاجقة في المجال الصّناعي وأهم الصناعات التي اشتهرت في تلك الفترة" والتي ساهمت في رقيّ الدّولة السّلاجقية، بينما استعرضت في المبحث الثالث "إسهاماتهم في المجال التّجاري وأهم المراكز التّجارية والسّلع والبضائع المتداولة والطّرق التّجارية الدّاخلية والخارجية واهتمام السّلاطين السّلاجقة بتوفير سبل الأمن والراحة فيها، وكذا دور الأسواق في تنشيط حركة التجارة، وأهم الصادرات والواردات السّلاجقية.

كما تناولت في **الفصل الثّالث** "السياسة الماليّة للدّولة السّلاجقية" حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث، حمل المبحث الأول عنوان "أهم الموارد في الدّولة السّلاجقية" والتي اعتمد عليها السّلاجقة في معرفة مصادر دخل الدّولة السّلاجقية وإسهاماتهم في إعمار الخزينة، وتحدّثت في المبحث الثّاني عن "التّفقات في الدّولة السّلاجقية" من خلال معرفة بيان أوجه صرف الأموال، وخاصّة نظام الإقطاع العسكري، ودوره في ترسيخ الحكم السّلاجقي، أمّا المبحث الثّالث فتطرقت فيه إلى بيان دور السّلاجقة في إنشاء دور الضرب، سكّ العملات، وأثر ذلك على بسط نفوذهم عبر العملات التي حملت ألقابهم في مختلف المدن.

وأوضح في **الفصل الرابع** "أثر السّلاجقة في الحياة الاجتماعيّة" حيث تطرّقت في المبحث الأول إلى "تركيبة المجتمع السّلاجقي" من خلال بيان طبقاته وفئاته السّكانية وطوائفه الدّينية في تلك الفترة، وتناولت في المبحث الثّاني "أهم النّظم والعادات الاجتماعيّة للسّلاجقة وإسهاماتهم وتأثيرهم في مظاهر الحياة الاجتماعيّة" من حيث المسكن والملبس والأطعمة والأعياد، أمّا المبحث الثّالث فقد درست فيه "أهم المنشآت التي شيّدها السّلاجقة" وإسهامهم في إرساء دعائم الحضارة الإسلاميّة وتأثير هذه المنشآت البالغ على الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخيّة الأصيلة، من أبرزها كتاب "سياسة نامة" للوزير نظام الملك الطوسي (ت 485هـ)، والذي يُعد من أهم المؤلّفات التي تناولت إدارة الدّولة السّلاجقية؛ إذ قدّم رؤية متكاملة لأسس الإدارة الماليّة، وتنظيم الضرائب، ونظام الإقطاع، فضلاً عن تنظيم الأوقاف ودورها في دعم المؤسسات الدّينية والتعليميّة. وقد كان لهذا المؤلّف دور محوري في توجيه الاقتصاد السّلاجقي، لذلك

اعتمدتُ عليه في مختلف فصول الدراسة، ولا سيما في الفصل الرابع المتعلق بالسياسة المالية، كما اعتمدتُ على كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لأبي الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ)، وهو مصدر موسوعي يقدم تفاصيل دقيقة عن الأحداث السياسية. وقد أفادني هذا المصدر في معظم الفصول، خاصة في تحليل السياسات المالية والإدارية والاقتصادية التي انتهجها السلاجقة في العراق، وكذلك في فهم طبيعة علاقتهم بالخلافة العباسية في الفصل الأول.

ومن المصادر المهمة أيضاً كتاب "راحة الصدور وآية السرور" للراوندي (ت 599هـ)، الذي يُعد مصدراً أساسياً لفهم العلاقات الاجتماعية والتنظيمات الطبقية في المجتمع السلجوقي، إلى جانب ما يتضمنه من معلومات عن السياسات الاقتصادية والإدارية، والتجارة، والضرائب، والإنفاق على الجيش والعلماء، مما جعله مرجعاً معتمداً في مختلف فصول الدراسة. إضافة إلى ذلك، اعتمدتُ على كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ)، وهو من أهم المصادر في تاريخ السلاجقة، وقد أفادني في جلّ الفصول، خاصة في الفصل الثاني لتوضيح الأحوال الاقتصادية والتجارية والصناعية، فضلاً عما يقدمه من مادة غنية حول الحياة الاجتماعية في العراق وخراسان خلال الحكم السلجوقي. كما استندتُ إليه في الفصل الرابع لبيان الموارد المالية للدولة ونفقاتها. كما رجعتُ إلى كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان (ت 681هـ)، الذي يركّز على تراجم الشخصيات البارزة، خاصة الوزراء والقادة العسكريين الذين أسهموا في تنظيم الشؤون المالية وتطوير نظام الإقطاع. وكذلك كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت 748هـ)، وهو من كتب التراجم المهمة التي توفر معلومات عن العلماء والفقهاء في العصر السلجوقي، وقد أفاد في تحليل دورهم في الحياة الاجتماعية والمالية، من خلال علاقتهم بالسلطين ونظام الأوقاف.

وأخيراً، اعتمدتُ على كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (ت 774هـ)، باعتباره مصدراً مهماً في توثيق تاريخ السلاجقة، حيث قدّم عرضاً شاملاً لأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبيّن أثر سياساتهم في دعم التجارة، وتأمين الطرق، وتطوير الزراعة، فضلاً عن دور الأوقاف في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، إلى جانب ما يقدمه من معطيات حول الحياة اليومية للسكان.

كما اعتمدتُ على عدد من المصادر الجغرافية المهمة وعلى رأسها كتاب "تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت 779هـ)، والذي قدّم معلومات قيمة عن الأوضاع العمرانية والاجتماعية والاقتصادية في عدد من مناطق العالم الإسلامي، خاصة ما يتعلق بالحياة الحضرية وشبكات الطرق والتجارة. إضافة إلى كتاب "رحلة ابن جبير" لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكِناني (ت 614هـ)، لما تضمنه من أوصاف دقيقة للمدن الإسلامية

ومظاهر التنظيم العمراني والحياة الاقتصادية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. واستفدت كذلك من كتاب "معجم البلدان" للشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، الذي يُعد مرجعاً جغرافياً موسوعياً، إذ ساعد في تحديد مواقع المدن والبلدان وخصائصها التاريخية والاقتصادية، وفهم الامتدادات الجغرافية لمجال الدراسة.

كما وظّفت عددًا من الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ السلاجقة من زوايا متعددة، وأسهمت في دعم التحليل وتوسيع المقاربة. ومن أبرزها كتاب "دولة السلاجقة" لعبد النعيم محمد حسنين، الذي قدّم عرضاً شاملاً لنشأة الدولة السلجوقية وتطورها السياسي والإداري، إلى جانب كتابه "إيران والعراق في العصر السلجوقي" الذي ركّز على التحولات السياسية والاقتصادية في هاتين المنطقتين خلال الحكم السلجوقي. كما اعتمدت على كتاب "تاريخ السلاجقة في بلاد الشام" لمحمد سهيل طقوش، والذي أفاد في تتبع الامتداد الجغرافي للدولة السلجوقية وتحليل سياستها في بلاد الشام. واستفدت أيضًا من كتاب "السلاجقة في التاريخ والحضارة" لأحمد كمال الدين حلمي، لما يقدمه من معالجة حضارية شاملة لمختلف جوانب الحياة في العصر السلجوقي.

إضافة إلى ذلك، رجعتُ إلى كتاب "مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر" لليحيى بن حمزة لوزنة، والذي يُعد مرجعاً مهماً في دراسة إحدى الحواضر الكبرى ودورها في التاريخ السلجوقي، فضلاً عن كتاب "تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول" لإدريس محمد، الذي أسهم في توضيح الأوضاع السياسية والاقتصادية في المشرق الإسلامي خلال تلك الفترة. كما أفادني كتاب "العامة في بغداد" لفهمي سعد في فهم البنية الاجتماعية ودور العامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب عدد من الرسائل الجامعية والمقالات العلمية التي عالجت موضوع الدراسة من جوانب متخصصة، وأسهمت في إثراء البحث وتعميق نتائجه.

وقد واجهتني خلال بحثي جملة من الصعوبات، تمثلت أساساً في ندرة المعطيات المباشرة المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وهيمنة الطابع السياسي والعسكري على أغلب المصادر، إضافة إلى غياب الإحصائيات الدقيقة، مما استدعى اعتماد التحليل والاستقراء في معالجة المادة التاريخية.

ورغم هذه التحديات، سعت إلى تقديم معالجة علمية موضوعية تُسهم في إبراز الدور الحقيقي للسلاجقة في الدولة العباسية، خاصة في أبعاده الاقتصادية والاجتماعية، بما يتيح تقديم صورة متكاملة قدر الإمكان عن طبيعة التحولات التي شهدتها العالم الإسلامي خلال هذه المرحلة.

الفصل الأول: أصل السّلاجقة وقيام دولتهم

المبحث الأول: أصل السّلاجقة.

المبحث الثاني: قيام الدّولة السّلاجقية.

المبحث الثالث: دخول السّلاجقة للعراق واعتراف الخليفة العباسي بهم

الفصل الأول: أصل السلاجقة وقيام دولتهم:

شكّل السلاجقة إحدى أبرز القوى السياسية في العالم الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، إذ انحدروا من قبائل تركية في أواسط آسيا، وتوحدوا بقيادة سلجوق بن دقاق قبل أن يبرزوا قوةً عسكرية صاعدة. وقد مثل انتصارهم على الغزنويين في معركة داندقان سنة 431هـ - 1040م نقطة تحول مفصلية، مهدت لتوسعهم نحو العراق⁽¹⁾ في ظل ضعف البويهيين. وبقية السلطان طغرل بك دخلوا بغداد سنة 447هـ - 1055م، حيث حظوا بدعم الخليفة العباسي القائم بأمر الله⁽²⁾، فبدأت مرحلة جديدة أعادوا فيها للعباسيين مكانتهم الدينية، وأرسوا دعائم نفوذهم في العراق وخراسان، ليغدوا قوة مؤثرة في مسار التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول: أصل السلاجقة:

يعود أصل السلاجقة إلى قبائل الغز التركية⁽³⁾ وينتسبون إلى قبيلة قنق⁽⁴⁾ أو "قنيق" Qiniq ويذكر الكاشغري عن الترك "أغز قبيلة من الترك وهم التركمانية" ويقول "تركمان هم الغزية" ويقسمهم إلى اثنين وعشرين بطناً لكل بطن

(1) - ذكر الخليل أن تسمية العراق تعود إلى لغة شاطئ البحر، نظراً لموقعه على ضفاف دجلة والفرات. ويمتد العراق من هيت إلى السند والصين، مروراً بالري وخراسان وصولاً إلى الديلم، وقيل إن الاسم مستوحى من "عراقي الدلو"، أما حدوده فتشمل مناطق واسعة، منها سواد الكوفة والبصرة، كسكر، الزاب، عمل حلوان، القادسية، الأهواز، فارس، ودهستان، ويُعد العراق مركزاً جغرافياً للعالم، ومقرّاً لحضارات ما قبل الإسلام وبعده، انظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 410.

(2) - القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد العباسي البغدادي، ولد سنة 391هـ، ببيع عام 422هـ كان عالماً مهيباً، دامت خلافته 45 سنة، عاش 76 سنة، انظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج18، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص 307-308.

(3) - ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج15، دار الرشيد، بغداد، (د.ط)، 1992م، ص348؛ ابن الأثير علي بن أحمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1987م، ص5؛ أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1991م، ص60.

(4) - الحسيني صدر الدين علي بن ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، 1984م، ص3.

منها علامة وسمّة على دواجم يعرف بعضهم بعضها بها⁽⁵⁾، وقيل أنّها تقسم إلى 24 بطناً⁽⁶⁾ وكان بطن القنق المتقدم على البطون كافة ومن هذا البطن خرج السلاجقة الذين يبدو أن أسرتهم لم تكن أكبر أسر القنق أو أكثرها شهرة وقوة وعدداً، ولكنها أصبحت كذلك بفضل الشخصيات التي ظهرت في صفوفها، وتعتبر قبيلة قنيق هي العمود الفقري لقبائل الكوكتورك الذين أطلقوا على أنفسهم اسم التركمان⁽⁷⁾ بعد دخولهم الإسلام⁽⁸⁾، لأنهم من فروع القبائل التركمانية⁽⁹⁾.

⁽⁵⁾ - الكاشغري محمود بن الحسين بن محمد، ديوان لغات الترك، ج1، دار الخلافة العليا، مطبعة عامرة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1333هـ، ص 56-58.

⁽⁶⁾ - تامارا تالبوت رايس، السلاجقة تاريخهم وحضاراتهم، ترجمة لطفي الحوري وإبراهيم الداوقوي، مراجعة عبد الحميد العلوجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، 1968م، ص 17.

⁽⁷⁾ - التركمان: من الأتراك الذين ينتمي إليهم الغز، وقد استعمل اسم التركمان هذا منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لمزيد من التفاصيل انظر: بارتولد، تاريخ آسيا الوسطى، تر: أحمد السعيد سليمان، إبراهيم صبري، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1958م، ص 104-105.

⁽⁸⁾ - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر المقرئ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج5، دار الكتاب اللبناني، (د.م.ن)، (د.ط)، 1983م، ص 3-4.

⁽⁹⁾ - ابن العمراني محمد بن علي بن محمد، الأنبا في تاريخ الخلفاء، اهتمام: تقي بينش، المكتبة الجامعية بريستون، (د.م.ن)، (د.ط)، 1984م، ص 188؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص 84.

ولقد عاشت هذه الشعوب في الصحراء الواسعة والسهوب التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر⁽¹⁾، واستوطنوا في أقصى بلاد تركستان⁽²⁾ إذ سكن الغز أو قبائل الأوغوز⁽³⁾ في الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم⁽⁴⁾ * (بحيرة آرال)⁽⁵⁾ وبالضبط هضبة أرست أورت ثم نزحوا إلى السواحل الشرقية لبحر قزوين⁽⁶⁾ وفي

(1) - بحر الخزر هو بحر قزوين، والخزر شعب تركي سكن الأراضي الواقعة بين مجرى نهر الفولغا الأدنى وجبال القوقاز، وامتدت حتى نهر جيحون، وكانت لهم حروب طويلة مع المسلمين. انظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق 429هـ - 590هـ - 1038م - 1194م، ط2، دار النفائس، (د.م.ن)، 2016م، ص38.

(2) - تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك، لمزيد من التفاصيل راجع: ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مج2، نشر دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1986م، ص23.

(3) - الأوغوز في اللغة العربية الغز هي جميع القبائل في إمبراطورية واحدة، امتدت من الصين إلى البحر الأسود ودامت حتى القرن الثامن الميلادي، وورد ذكرهم باسم التغزغز، أي القبائل العشر، كما تردد ذكر الأوغوز، طوقوز أي القبائل التسع، استنادا إلى عدد قبائلهم، انظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص38.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص22

* - خوارزم من بلاد خراسان، وخوارزم اسم للكورة وتسمى مدينتها الكبرى قنلا، فقيل مدينة خوارزم، الحميري، المصدر السابق، 224.

(5) - الشيزري عبد الرحمان بن عبد الله بن نصرت، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، (د.د.ن)، الأردن، (د.ط)، 1987م، ص679.

- ويقصد ببحيرة آرال أو الآرال: هو البحر الذي سماه العرب باسم بحيرة خوارزم حيث تمتد منه كثير من أنهار الري إلى خوارزم، راجع: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص485-487.

(6) - بارتولد، المرجع السابق، ص3-6.

* - قزوين: مدينة مشهورة تقع في شمال غرب طهران، فتحت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، راجع: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص342؛ لسترنج، المرجع السابق، ص253-254

الهضاب المحيطة بنهري سيحون وجيحون. وفي حوالي سنة 345هـ - 956م انسابوا من سهول تركستان وسكنوا أول أمرهم في بادية القرغيز ببلاد ما وراء النهر⁽¹⁾ في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخا.

أما اسم السلاجقة فقد أطلق عليهم نسبة إلى زعيمهم سلجوق⁽²⁾ بن تقاق⁽³⁾ وتعني تقاق القوس من الحديد⁽⁴⁾، وورد اسمه أيضا بنفاق⁽⁵⁾ وكذلك دقاق⁽⁶⁾ أو دقماق وجدهم دقاق كان مقدم الأتراك الغز ومرجعهم إليه⁽⁷⁾، وكان وكان ملك الترك أوبيغو⁽⁸⁾ يرجع إليه في الكثير من الأمور لصحة رأيه وصوابه فعينه وزيرا عنده وكان لدقاق ابن وهو وهو الأمير سلجوق، حيث ولد في صحراء الخزر ونشأ نشأة عسكرية، فلما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة

(1) - ابن فضالان أحمد بن فضالان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضالان، تحقيق: سامي الدهان، ط2، نشر مكتبة الثقافة العالمية، بيروت، 1987م، ص91.

(2) - ابن الطقطقا محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ج1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص281؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص60.

(3) - بنيامين بن يونه التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تقديم: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، ج1، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ص151.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص5؛ الحسيني، زبدة التواريخ "أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" تحقيق محمد نور الدين، الكويت، (د.ط)، 1985م، ص23.

(5) - الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص118.

(6) - أبو الفدا عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج2، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص163؛ القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص348.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص236؛ ابن دحلان السيد أحمد بن زيني، تاريخ الدولة الإسلامية بالجدول المرضية، القاهرة، (د.ط)، 1888م، ص44.

(8) - بيغو: لقب السلطان الأعلى عند الترك، وقيل أنه يعني رئيس القبيلة أو كبيرها لدى الأتراك الغز، كما يعني في اللغة التركية لفظ بيغو: طير جارج أشبه بالعقاب، يجب قراءتها بيغو لأنه لا يوجد في اللغة المغولية الاسم يهيو الذي يرتفع عادة إلى بيغو أو بايو، وبخلاف ذلك يوجد في اللغة التركية اللفظ بيغو، انظر: ابن فضالان، المصدر السابق، ص101، الحسيني، المصدر السابق، ص23، بارتولد فاسيلي فلاديمير وفتش، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1981م، ص408.

واشتهر بالفروسية والشجاعة⁽¹⁾، فكان شهما صاحب رأي وتدير⁽²⁾، لذا فوّض إليه ملك الترك بيغو إمارة الجيش الجيش ومنحه لقب "سوباشي" ومعناه "قائد الجيش"، فصار من أشد المقربين لهذا الملك، ورد في تاريخ أبي الفداء عن ابتداء الدولة السلجوقية ما يأتي "... وكان جدهم دقاق رجلا شهما من مقدمي الأتراك وولد له سلجوق فانتشأ وظهرت عليه سمات الشهامة فقدّمه بيغو ملك الترك إذ ذاك وقوي أمره وصار له جماعة كثيرة⁽³⁾."

الواقع أن بيغو كان عقيما فخشيت زوجته أن يستغل سلجوق مركزه المتقدم ويسعى إلى قتل زوجها والجلوس مكانه⁽⁴⁾، فتحدثت مع زوجها وحذرت من سلجوق وخطره فتغير بيغو على سلجوق ولما أحس الأخير بهذا التغير التغير هاجر من منطقته تركستان إلى سهوب القرغيز خوفا على حياته من ملك الترك بيغو على رأس جماعته إلى بلاد آسيا⁽⁵⁾ وكان معه ألف فارس وألف بغير وخمسة آلاف رأس من الماشية وأقام بنواحي جند⁽⁶⁾ والتي اتخذها قاعدة له ولأتباعه، وبدأ السلاجقة ينتشرون في تلك المنطقة بعد أن اكتملت هجرتهم من تركستان كما كان سلجوق محترم الجانب بين فرسانه⁽⁷⁾ بفضل همته العالية وطموحه وحسن أخلاقه وقوة شخصيته كوّن لقبيلته كيانا، كيانا، فعلا شأنها وتمكن من جعل الرعية ينفادون له فجمع شملهم ووحّدتهم تحت زعامته ثم قادهم ونزل بهم أرض الإسلام وأقاموا علاقات مع السكان المسلمين في جند⁽⁸⁾ فتأثروا بهم فأسلموا معه واتبعوا المذهب الحنفي⁽⁹⁾ حوالي

(1) - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 42.

(2) - الحسيني، المصدر السابق، ص 1؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 163.

(3) - حسن خليفة، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، ط 1، المطبعة الحديثة، القاهرة، (د.ت.ن)، ص 223.

(4) - الحسيني، المصدر السابق، ص 2؛ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 42.

(5) - جميل بيضون، أحمد عودات، شحادة الناطور، تاريخ المشرق الإسلامي - من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري -، ط 1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، عمان، الأردن، 1989م، ص 59.

(6) - جند بالفتح والسكون ثم الدال المهملة هي مدينة عظيمة في بلاد تركستان، في منطقة ما وراء النهر، قريب من نهر سيحون، سيحون، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 168.

(7) - الراوندي محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، عبد النعيم محمد حسنين، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: إبراهيم أمين الشواربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2005م، ص 147.

(8) - طقوش، المرجع السابق، ص 43.

الحنفي⁽¹⁾ حوالي سنة 382هـ - 992م⁽²⁾ ويعتبر دقاق وأسرته أول من دخلوا الإسلام من القبائل الغزية⁽³⁾، فسعدوا جميعاً بالدين الجديد وأمنوا بمجاورتهم للسامانيين والختانيين⁽⁴⁾، ومن جند راح سلجوق يُجاهد في سبيل دينه دينه فصار يَشُن الغارة على بلاد التُّرك⁽⁵⁾ الذين كانوا لا يزالون على الكفر، وقد استطاع أن يطرد عمال ملك التُّرك من مناطق السامانيين ليردها إلى الديار الإسلامية، وبدت غيرته الدينية فيما بذله من جهود لحماية سكان المناطق المجاورة من غاراتهم، ونسبت إليه الدولة⁽⁶⁾، وبعد رحلته الطويلة توفي سلجوق بجند ودُفن بها وكان عمره مائة وسبع سنين⁽⁷⁾ وقيل أنه تزوج من ابنة علي تكين⁽⁸⁾ وخلف أربعة أولاد: إسرائيل "بيغو أرسلان" وموسى بيغو بيغو ويونس وميكائيل⁽⁹⁾، وخلف إسرائيل ولداً اسمه قتلмыш والذي هو رأس سلاجقة الروم، وخلف ميكائيل ولدين هما طغرلبيك وجغري، وقاد إسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق، ثم خضعت بعد ذلك الدولة لحكم أبنائه وأحفاده⁽¹⁰⁾، إذ قاد طغرلبيك وأخيه داود جماعتهم إلى بخارى إلا أن أميرها خاف منهم وأساء جوارهم، وعادوا

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 6؛ الحسيني، المصدر السابق، ص 2.

(2) - ابن خرداذبة أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، طبعة ليدن، (د.ط)، (د.م.ن)، 1309هـ، ص 31.

(3) - الحسيني، المصدر السابق، ص 1-2.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 6.

(5) - حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

(6) - خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، (د.ط)، 2009م، ص 227.

(7) - حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

(8) - ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 5، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م، ص 29.

(9) - الحسيني، المصدر السابق، ص 2؛ اليزدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية، تر وتح: عبد النعيم محمد حسنين، حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، (د.ط)، 1979م، ص 17.

(10) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 167.

بعد ذلك إلى جند ولكن يبدو أنهم لم يستطيعوا العيش مع المسلمين الذين حرّروهم، فغادروا المنطقة متوجهين نحو الجنوب إلى خراسان.

لقد كانت الضغوطات والظروف القاهرة الباعث على هجرة السلاجقة من موطنهم⁽¹⁾، فقد اضطروا بسبب ازدحام ديارهم وقلة المراعي وضيق الأراضي العشبية، وكذا تعرضهم لغزو قبائل أكثر قوة وسيطرتها على أراضيهم، والتنافس في المصالح، بالإضافة إلى تزايد عدد السكان بشكل كبير وعجز موارد الرزق عن كفايتهم⁽²⁾، وحصول قحط جعل مقومات الحياة لا تصلح للاستمرار⁽³⁾ إلى الانتقال إلى مواضع أكثر رحابة وغذاء، فكان السلاجقة عنصرا غريبا على البلاد التي دخلوها، فهم شعب بدوي بالمقارنة بالفرس المتحضرين الذين مارسوا حياة الاستقرار زمنا طويلا وألفوا الحضارة، أما القبائل الغزية فقد اتّصفت بالرّعيّة، وكانت حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تابعة لإمبراطورية الخزر⁽⁴⁾ وعُرفت بشدّة مراسها في الحروب، بل عاشوا حياة قبلية مطبوعة بطابع البداوة من ميل إلى التّنقل والارتحال طلبا للرزق والتوجه إلى مواطن الكلاء⁽⁵⁾ وهم بهذا يختلفون عن السّامانيين⁽⁶⁾، الذين كانوا يمتازون بالاستقرار وتعرفهم على الحياة الحضارية، ولقد عاشوا جميعا في الخيام، ثمّ طوّروا عاداتهم وحياتهم في التّمرکز داخل وحوالي سمرقند أثناء فصول الصّيف، أمّا في الشّتاء فقد كانوا يرحلون إلى نور بخارى*⁽⁷⁾، وهكذا أفسح السّامانيون المجال للسّلاجقة فنزلوا بنواحي نور بخارى، فلما هاجروا إلى العالم الإسلامي المتحضّر كانت جذور الحياة القبلية راسخة في أعماق نفوسهم الأمر الذي صبغ دولتهم بهذه الصبغة وكان له أثر كبير في

(1) - خالد عزام، المرجع السابق، ص228.

(2) - طقوش، المرجع السابق، ص40.

(3) - الرواندي، المصدر السابق، ص145.

(4) - طقوش، المرجع السابق، ص38.

(5) - حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي من قيام الدولة الصفارية إلى قيام الدولة الصفوية، مج2، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2008م، ص138.

(6) - الرواندي، المصدر السابق، ص147.

(7) - المصدر نفسه، ص145؛ راييس، المرجع السابق، ص19.

* - نور بخارى: من قرى بخارى عند جبل بها مزارات ومشاهد للصالحين، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص310.

حاضرهم ومستقبلهم فقد اعتمد سلاطين السلاجقة على القبائل التركية اعتماداً كبيراً وكوّنوا من رجالها جيوشهم ولذلك شجّعوا هذه القبائل على الوفود إلى خراسان وغيرها من الأقطار الإسلامية.

المبحث الثاني: قيام الدولة السلجوقية:

تعتبر رحلة السلاجقة نحو تأسيس دولتهم واحدة من أهم الفصول في التاريخ الإسلامي، ولقد بدأت هذه الرحلة في القرن الحادي عشر عندما قاد سلجوق بن دُقَاق قبائل تركمانية نحو الاتحاد، متمكنين من توسيع نفوذهم في آسيا الوسطى، فالتصمت رحلتهم بالتحديات والصراعات العسكرية التي ساهمت في تعزيز قوتهم، مما أدى إلى السيطرة على أراضٍ شاسعة، بما في ذلك خراسان⁽¹⁾ والعراق كانت الدولة السلجوقية نموذجاً للابتكار السياسي والاقتصادي، حيث أسست نظاماً قوياً ساعد على استقرار المنطقة ونشر الثقافة الإسلامية.

ولقد كانت العلاقة بين السامانيين والسلاجقة وطيدة وقائمة على التعاون الوثيق؛ حيث سمح السامانيون للسلاجقة بالاستقرار في أراضيهم بالقرب من نور بخارى عام 375هـ - 985م، وتعزز هذا التقارب بتحالفهم معاً ضدّ الغزنويين⁽²⁾ وقد سعى علي تگين إلى الاستعانة بأرسلان بن سلجوق، المعروف بـ"إسرائيل"، لدعمه في مواجهته ضدّ أيلك خان⁽³⁾.

(1) - خراسان هو إقليم كبير وذو أهمية كبيرة، وقد فسر الجرجاني اسم "خراسان" بأنه يعني "كل بلا تعب" من خلال تقسيم معاني كلمتي "خر" و"اسان"، بينما يرى آخرون أن معناه بالفارسية هو "مطلع الشمس"، كانت خراسان قديماً جزءاً من فارس، وهي تضم مناطق واسعة تشمل كوراً وأعمالاً هامة، في العصور القديمة كانت تعرف باسم "أشرونيه" نسبة إلى آشورين بن سام بن نوح. يحدها من الشرق سجستان والهند، ومن الغرب مفازة الغزوة وجرجان، ومن الشمال ما وراء النهر وبعض أراضي الترك، ومن الجنوب مفازة فارس وقومس وصولاً إلى جبال الديلم، جرجان، طبرستان، والري، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 214-215.

(2) - الدولة الغزنوية: قامت في غزنة عام 366هـ - 976م، ومؤسسها الأمير سبكتكين ثم خلفه بعض أبنائه، انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 353.

(3) - حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

وفي عام 389هـ - 999م انهارت الدولة السامانية تحت ضربات الغزنويين الذين اجتازوا النهر واستولوا على بخارى، ممّا أتاح للسلاجقة السيطرة الكاملة عليها⁽¹⁾، في تلك الأثناء أدرك الغزنويون الخطر الذي يمثله السلاجقة، الذين ظهروا كقوة صاعدة ومؤثرة في المشهد السياسي آنذاك⁽²⁾.

ولتصفية السلاجقة وإضعافهم لجأ محمود الغزنوي إلى مكيدة ماهرة⁽³⁾ حيث أرسل إليهم رسالة ذات نبرة دبلوماسي قائلاً "أعجب من حكمتكم وذكائكم، ولكن رغم قرب المسافة بيننا، لم تطلبوا منا شيئاً أو تستعينوا بنا، وإنني أتطلع بصدق إلى صداقتكم، وأرغب في الاستفادة من دعمكم..."⁽⁴⁾، وليجعل اللقاء سهلاً أعلن محمود أنّه يقيم قرب النهر لتسهيل الوصول، ودعى السلاجقة لإرسال ممثل عنهم لعقد عهد رسمي، فوقع السلاجقة في الفخ، إذ بعثوا قائدهم⁽⁵⁾ إسرائيل بن سلجوق الذي كان زعيماً محترماً بينهم⁽⁶⁾، لكن محمود قبض عليه فور وصوله وسجنه في قلعة كالنجر بالهند، حيث بقي سبع سنوات⁽⁷⁾ حتى وافته المنية عام 422هـ - 1031م⁽⁸⁾، وبعد وفاة إسرائيل، تشتت أتباعه بين خراسان وأصفهان، فيما استولى السلطان محمود على أموال السلاجقة وأثقل كاهلهم بالخراج، ناشراً الفساد ومُستبيحاً ممتلكاتهم وأبناءهم⁽⁹⁾.

(1) - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 44.

(2) - حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

(3) - الجاف، المرجع السابق، ص 137.

(4) - الراوندي، المصدر السابق، ص 147-148؛ اليزدي، المصدر السابق، ص 21-22.

(5) - حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية في بغداد، مطبعة الإرشاد، (د.م.ن)، (د.ط)، 1965م، ص 46.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص 148.

(7) - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 137.

(8) - الراوندي، المصدر السابق، ص 151، حسن كريم الجاف، المرجع نفسه، ص 137.

(9) - حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

بعد سجن إسرائيل تولّى ميكائيل قيادة السلاجقة وعزم على الانتقام من الغزنويين لاستعادة كرامة قومه، فاعتمد سايسة حذرة في التعامل مع جيرانه مرتقبا الفرصة لإنهاء نفوذهم في خراسان، طلب ميكائيل من محمود الغزنوي الإذن بالعودة إلى خراسان، ورغم تحذيرات والي طوس، تجاهل محمود الأمر، ظناً أنّ السلاجقة فقدوا قوتهم وتفرقوا، وفي حدود عام 416هـ - 1025م⁽¹⁾ نجح ميكائيل في إعادة السلاجقة إلى خراسان⁽²⁾ وتوحيد صفوفهم صفوفهم فيها، ومع الوقت بدأ الأهالي في باورد ونسا يشكون من وجودهم، فاستنجدوا بمحمود الغزنوي الذي أمر والي خراسان بإبعادهم، ولقد اندلعت مواجهات بين الطرفين انتهت بتفوق السلاجقة، لكن تدخل محمود لاحقاً قلب المعركة لصالحه في عام 418هـ - 1027م⁽³⁾.

بعد وفاة ميكائيل، تولى ابنه جغري بك (أبو سليمان داود) وطغربك (أبو طالب محمد) قيادة السلاجقة فأصبح طغربك الزعيم العام للسلاجقة، وبه بدأت نهضتهم الكبرى⁽⁴⁾، حيث قادهم بحنكة لتحقيق طموحاتهم السياسية والعسكرية، ممهداً الطريق لتحوّل السلاجقة إلى قوة إقليمية مؤثرة.

وفي عام 421هـ - 1030م توفي السلطان محمود الغزنوي، ليخلفه ابنه مسعود فاستغل السلاجقة هذه الفرصة للثأر وتوسيع أراضيه⁽⁵⁾، فواجهوا الغزنويين في معارك مباشرة كبدتهم خسائر جسيمة، وغنموا غنائم تقدر بعشرة ملايين دينار من الملابس والأمتعة والدواب⁽⁶⁾، وبعد هذه الانتصارات توصّل الطرفان إلى هدنة، اعترف فيها مسعود بسيطرة السلاجقة على ولايات نسا وفراوة ودهستان.

(1) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 48.

(2) - عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، مطبعة دار الكتب العربية، مصر، (د.ط)، 1900م، ص 5.

(3) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 48.

(4) - حسن كريم الجفاف، المرجع السابق، ص 137.

(5) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 47.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص 156.

تم تنظيم الاتفاقية وتجهيز ثلاث خلع لكل منهم وفقاً للتقاليد المتبعة في تكريم الولاة، تضمنت كل خلعة قلنسوة ذات ركنين، وراية وحلة مطرزة وجوادم بسرج وحزاماً من ذهب مخصّصاً للترکمان، بالإضافة إلى ثلاثين ثوباً غير مخيط لكل فرد⁽¹⁾.

ولقد طلب السلطان مسعود من أمير خراسان أن يقود حملة لطرد السلاجقة من الإقليم⁽²⁾، لكن الأمير رفض في البداية، حيث أدرك مدى قوّة السلاجقة التي باتت عصية على أي مواجهة، ومع إصرار السلطان على شن الحرب، رضخ الأمير للأمر وبدأ التحضيرات للقتال، ومع ذلك ما إن اشتبك مع السلاجقة حتى انتهت المعركة بهزيمته⁽³⁾ وفشل محاولته في التصدي لهم⁽⁴⁾.

وبعد كل ذلك ازدادت طموحات السلاجقة في التوسع فدخلوا في مواجهة مباشرة مع الغزنويين، وفي عام 429هـ - 1037م تمكّن السلطان طغرلبيك من السيطرة على مدينة مرو عاصمة خراسان، حيث ذكر اسمه في خطبة الجمعة بلقب "ملك الملوك"، وفي شعبان من نفس العام، واجه جيش طغرلبيك قوات الغزنويين قرب مدينة سرخس، محققاً انتصاراً ساحقاً شتّت جيشهم وطاردهم في كل اتجاه⁽⁵⁾ ليستولي بعدها على نيسابور، وبذلك بسط السلاجقة سيطرتهم الكاملة على خراسان⁽⁶⁾.

جلس السلطان طغرلبيك على عرش مسعود بن محمود الغزنوي⁽⁷⁾ وبدأ بتعيين ولّاته في مختلف المناطق، مما منح الدولة السلجوقية شكلها الكامل. ولم يتبق سوى الحصول على الاعتراف الشرعي من الخليفة العباسي القائم بأمر

(1) - أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، تر: يحيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، 1982م، ص 528.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص 157.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 15.

(4) - الراوندي، المصدر السابق، ص 158.

(5) - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، المصرية، القاهرة، ط 14، 1996م، ص 10.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 11.

(7) - الراوندي، المصدر السابق، ص 158؛ البنداري، المصدر السابق، ص 7.

الله الذي أصدر تقليداً رسمياً يعترف بحكم السلاجقة، إلا أن السلطان مسعود الغزنوي لم يتقبل الأمر، وعلى الرغم من ضعف جيشه ونقص مؤنثته⁽¹⁾ قرّر خوض مواجهة حاسمة، فتوجه بجيشه نحو مرو، وفي معركة داندانقان⁽²⁾ التي وقعت في 2 رمضان 431هـ - 1039م، لقي هزيمة قاسية أمام السلاجقة الذين غنموا كميات هائلة من الذهب والفضة والمعدات⁽³⁾، ومع انهيار النفوذ الغزنوي تثبت السلاجقة أقدامهم في خراسان، وتقاسموا السيطرة على أراضيها⁽⁴⁾.

لم يعد هناك من يستطيع التصدي لقوة السلاجقة المتزايدة، فقد توافد الجنود من جميع أنحاء خراسان للانضمام إليهم مما زاد من هيبتهم وقوتهم، وفي ظل هذا التوسع طالب السلاجقة من الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالاعتراف بطغربك كسلطان عليهم، وتم ذلك بالفعل في عام 432هـ - 1041م⁽⁵⁾، حيث نال طغربك اعتراف الخليفة وتوطّد حكمه، وذكر اسمه على المنابر بلقب "السلطان المعظم، ركن الدنيا والدّين أبو طالب"⁽⁶⁾، ليصبح حاكماً شرعياً ومُهاب الجانب في الدولة.

وبعد ذلك تجمع السلاجقة واتحدوا تحت راية واحدة، حيث اجتمع السلطان طغربك وأخوه جغري بك مع عمهما موسى بن سلجوق وأبناء أعمامهم وكبار قومهم وقادة جيشهم، وتعاهدوا على التعاون والاتحاد⁽⁷⁾، مما أدى إلى توحيد صفوفهم تحت قيادة طغربك، وبفضل حنكته وقوة شخصيته وتمسكه بالدين الإسلامي تمكّن

(1) - البيهقي، المصدر السابق، ص 680.

(2) - لقد وقف السلاجقة في الصحراء الواقعة بين سرخس ومرو في مكان يعرف "دندانقان وكانت في هذه الصحراء جملة من الآبار فاستنزف السلاجقة ماءها ثم طموها، انظر: الراوندي، المصدر السابق، ص 163.

(3) - البيهقي، المصدر السابق، ص 695.

(4) - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، ج 30، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص 381.

(5) - ورد في تاريخ أبي الفداء عن ابتداء الدولة السلجوقية ما يأتي "دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة، وفي هذه السنة توطد ملك طغربك وأخيه داود ابني ميكائيل بن سلجوق بن دقاق" انظر: حسن خليفة، المرجع السابق، ص 223.

(6) - الحسيني، المصدر السابق، ص 9؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 179.

(7) - الراوندي، المصدر السابق، ص 165.

طغرل بك من جذب ولاء رجال القبائل والجنود الذين التفوا حوله واستجابوا لقيادته⁽¹⁾، وبالتالي اختاروه ليكون ملكهم⁽²⁾ ليصبح بذلك أول ملوك السلاجقة⁽³⁾، وبعد ذلك قاموا بتقسيم الأراضي الواسعة التي سيطروا عليها فيما بينهم⁽⁴⁾.

قام السلطان طغرل بك بتوزيع المناطق على أمراء السلاجقة من إخوته وأقاربه ليضمن ولاءهم وأمانهم⁽⁵⁾، مما ساهم في تعزيز طموحاته لتأسيس دولة قوية، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من كفاح السلاجقة⁽⁶⁾، حيث شرع في توسيع توسيع نفوذه ففي عام 433هـ - 1041م ضمّ إلى إقليمه مدينتي جرجان وطبرستان⁽⁷⁾، ثم تقدم نحو خوارزم واستولى عليها، وفي نفس السنة تمكّن طغرل بك من السيطرة على بلاد الديلم، فيما استحوز أخوه إبراهيم ينال على مدينة همدان ومحيطها⁽⁸⁾، وفي عام 434هـ - 1042م بسط طغرل بك سيطرته على خوارزم ثم توجه نحو الري الري لضمها إلى نفوذه، ورغم أن إبراهيم ينال كان قد سبقه في الاستيلاء عليها، إلا أنّه حين علم بقدوم طغرل بك استقبله وسلّمه الري ومناطق الجبل كافة التي كانت تحت إمرته، وبعد ذلك أمر طغرل بك بتعمير الري، ومن هناك واصل حملته نحو قزوین وهمدان فاستولى عليهما، ثمّ توجه مع أخيه إبراهيم ينال نحو كرمان، وعندما وصلت طلائع جيشه إلى مشارف العراق شعر أبو كاليجار حاكم العراق الذي قاد جيشاً كبيراً لمواجهةهم، ممّا اضطرهما إلى الانسحاب مؤقتاً⁽⁹⁾.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص84.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص10.

(3) - الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج29، ص42.

(4) - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي -6- الدولة العباسية، ج2، ط6، المكتب الإسلامي، (د.م.ن)، 2000م، ص213.

(5) - ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج5، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977م، ص66.

(6) - بارتولد، المرجع السابق، ص108.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص30.

(8) - حسين أمين، المرجع السابق، ص54.

(9) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 35-36.

وفي مواجهة لاحقة أدرك أبو كاليجار عجزه عن مقاومة جيش السلاجقة، فسارع بطلب الصلح من طغرل بك الذي استجاب له، ولتعزيز التحالف بينهما تزوج طغرل بك من ابنة أبي كاليجار في ربيع الأول من عام 439هـ - 1046م⁽¹⁾.

في عام 438هـ - 1047م حصّن طغرل بك مدينة أصفهان، حيث خضعت له⁽²⁾ بعد أن توصّل إلى اتفاق مع صاحب المدينة على دفع مبلغ من المال وإقامة الخطبة باسمه فيها، بعد ذلك اتخذ طغرل بك مدينة الري عاصمةً له وجعلها مركزاً للملكة⁽³⁾، كما عين ابن أخيه ألب أرسلان بن داود⁽⁴⁾ ليكون مساعداً له في إدارة شؤون الدولة. ورغم تقدّم السلطان طغرل بك في السن حيث بلغ السبعين من عمره لم تتوقف طموحاته عند هذا الحد فانطلق من بغداد متجهاً نحو بلاد الري بهدف السيطرة عليها، إلا أن المرض أصابه خلال مسيره ليتوفي عام 455هـ - 1063م⁽⁵⁾، بعد أن امتدت فترة حكمه لأربعة وعشرين عاماً⁽⁶⁾.

والجدير بالذكر أنّ السلطان طغرل بك لم يترك وريثاً من أبنائه، لذا أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابن أخيه سليمان بن داود الذي تولى الحكم بدعم الوزير الكندري، غير أن أخاه ألب أرسلان بن داود سرعان ما ثار عليه، فألقى القبض على الوزير الكندري وأرسله إلى مدينة مرو حيث سجنه حتى توفي عام 457هـ⁽⁷⁾ - 1065م، بعدها

(1) - الأمير البويهى أبي كاليجار: هو السلطان مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الديلمي، كان أحد سلاطين الدولة البويهية ومدة سلطانه 4 سنوات، انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص256.

(2) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص60.

(3) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص10؛ محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية- الدولة العباسية-، ط4، مطبعة الاستقامة، (د.م.ن)، 1934م، ص416.

(4) - هو أبو شجاع محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخ السلطان طغرل بك، ولد سنة 424هـ - 1032م، وكانت مدة ملكه من 455-465هـ / 1063-1072م، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص ص 69-70.

(5) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص62.

(6) - الحسيني، المصدر السابق، ص21.

(7) - محمود شاكر، المرجع السابق، ج2، ص213.

استولى ألب أرسلان على العرش بمساندة وزيره نظام الملك، الذي يعد من أبرز وزراء بلاد الفرس، واشتهر بحكمته وبراعته في إدارة شؤون الدولة⁽¹⁾.

ولقد شهد عصر السلطان السلجوقي ألب أرسلان إنجازات عظيمة، حيث تمكّن من توسيع سلطنة السلاجقة بشكل ملحوظ ففي عام 455هـ - 1063م دخلت مدينة الريّ تحت سلطته، ثمّ اتجه من مدينة بلخ إلى مدينة نيسابور، وفي عام 456هـ - 1064م ضمّ مدن نقجوان وبلاد الكرخ وأذربيجان وقلعة سرمدى إلى حكمه، كما أحمّد الثّورة التي نشبت في فارس وكرمان، قبل أن يتجه شمالاً للسيطرة على عدد من مدن ساحل الشام⁽²⁾.

لكن أعظم انتصارات السلطان ألب أرسلان كان في معركة ملاذكرد عام 463هـ - 1071م⁽³⁾، حيث ألحق هزيمة هزيمة كبرى بجيش الإمبراطورية البيزنطية⁽⁴⁾ الذي تجاوز عدده مائتي ألف مقاتل، بينما لم يتعدّ جيش السلاجقة خمسة عشر ألفاً، وانتهت المعركة بأسر إمبراطور البيزنطيين⁽⁵⁾ الذي أطلق سراحه لاحقاً مقابل دفع فدية بلغت مليون ونصف دينار⁽⁶⁾. (انظر الملحق رقم: 10).

(1) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 62.

(2) - ابن شداد عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: سامي الدهان، ج 1، ط 1، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1962م، ص 388.

(3) - الذهبي، المصدر السابق، ج 14، ص 37-38؛ أبو النصر محمد عبد العظيم يوسف، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ترعة المربوطية، شارع الهرم، 2001م، ص 87.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 388؛ ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، ج 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 1972؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج 1، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 277.

(5) - هو الملك المعظم الأتقيس أنسز بن أوق الخوارزمي، وكان أول من استعاد بلاد الشام من سيطرة العبيديين، أمر بمحو العبارات التي كانت تحمل لعن الصحابة من أبواب الجوامع والمساجد، ووجه المؤذنين والخطباء إلى الترضي عن الصحابة أجمعين، ناشراً العدل ومحياً السنة، إلى جانب ذلك يُنسب إليه تأسيس قلعة دمشق، التي لم يكن فيها من قبل أي حصن يحتمي به المسلمون عند الخطر، انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 113.

(6) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 63.

في سنة 465هـ - 1072م، قاد السلطان ألب أرسلان جيشاً قوامه مائتي ألف مقاتل باتجاه بلاد ما وراء النهر، طامحاً إلى بسط نفوذه والوصول إلى الصين⁽¹⁾، وخلال حصاره لإحدى القلاع تعرّض لهجوم مباغت أصيب فيه بجراح أودت بحياته، ودُفن ألب أرسلان في مرو عن عمر ناهز الأربعين⁽²⁾، بعد حكم استمر تسع سنوات وعدّة أشهر، وبناءً على وصيته تولّى ابنه ملكشاه الحكم من بعده⁽³⁾.

وفي عهد السلطان السلجوقي ملكشاه، اتّسعت دولة السلاجقة بشكل كبير، إذ امتدت من أقصى بلاد التّرك شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، وشملت أراضي الرّوم والخرز⁽⁴⁾، ومع ذلك واجه السلطان ملكشاه اضطرابات في أطراف دولته حيث تمرد حاكم سمرقند وسيطر على ترمذ، كما ثار عمه في كِرمَان مطالباً بالسلطة فقاد السلطان ملكشاه جيشه ضدّه والتقى في معركة قرب همذان انتهت بانتصار ملكشاه ومقتل عمه.

ولقد تولّى الوزير السلجوقي نظام الملك الوزارة في عهد السلطان ملكشاه بعد أن شغل هذا المنصب في عهد والده⁽⁵⁾، واستطاع بدعمه أن يبني أقوى دولة سلجوقية من حيث الاتساع والتّقدم العلمي، فزادت قوة ملكشاه حيث بسط سيطرته على المناطق المجاورة لدرجة أن إمبراطور الرّوم دفع الجزية لدولته، كما عُرف ملكشاه بحسن سيرته حتى لُقّب بـ"السلطان العادل"⁽⁶⁾ ومع وفاته عام 485هـ - 1092م⁽⁷⁾ انهار العصر السلجوقي الأوّل الذي الذي يُعتبر العصر الذهبي للدولة السلجوقية، وانفردت قوّتها ووحدها، ويصف ابن الأثير ذلك بقوله: "مات السلطان وانحلت الدولة ووقع السيف"⁽⁸⁾.

(1) - محمود شاكر، المرجع السابق، ج2، ص213.

(2) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص62.

(3) - أبو الفداء، المصدر السابق، ج1، ص278؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص583.

(4) - ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص142.

(5) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص63.

(6) - ابن خلّكان، المصدر السابق، ص371-374.

(7) - أبو الفداء، المصدر السابق، ج1، ص280.

(8) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص479.

وبعد وفاة ملكشاه تولّى السّلطة عدد من السّلاطين، أبرزهم محمود ناصر الدّين بن ملكشاه الذي حكم لمدة سنتين (485هـ - 1092م / 487هـ - 1094م)، ثم خلفه شقيقه الأكبر بركياروق بن ملكشاه الذي وافته المنية عام 498هـ - 1104م ليتولّى بعده ابن بركياروق ملكشاه الثاني⁽¹⁾ مع عمّه محمد السّلطة مناصفة، وعقب وفاة الأخير تولّى الحكم ابنه محمود وهو في الرّابعة عشرة من عمره، وقد اتّسم عهده بالعديد من الأخطاء التي أضعفت الدّولة السّلاجقية، فازدادت الضّرائب ونقصت الموارد المالية، كما اشتدّ الصّراع الدّاخلي بين أفراد الأسرة السّلاجقية، ممّا عجلّ بنهاية عهد السّلاجقة العظام، خاصّة بعد وفاة السّلطان سنجر عام 552هـ - 1157م⁽²⁾.

1157م⁽²⁾.

(1) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 66.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11، ص 85.

المبحث الثالث: دخول السلاجقة للعراق واعتراف الخليفة العباسي بهم:

يعتبر قيام دولة السلاجقة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي نقطة تحوّل في التاريخ الإسلامي بصفة عامّة وتاريخ العراق وخراسان بصفة خاصّة وذلك بعد قضائهم على الغزنويين وتغلبهم على مسعود بن محمود سنة 430هـ - 1039م واستحواذهم على أملاكهم وامتداد نفوذهم وتوسعهم شرقاً وغرباً فقويت شوكتهم⁽¹⁾ وسيطروا على معظم الدول الإسلامية وكلّل هدفهم بالنجاح لما وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وكان بداية ذلك التوسع على يد السلطان طغرل بك⁽²⁾.

ولعله من الجدير بالذكر قبل التطرق إلى دخول السلاجقة إلى بغداد وتوطيد علاقتهم بالخلافة العباسية واكتمال هجرتهم التحدث عن الأوضاع العامة آنذاك، ففي البداية كانت الدولة الغزنوية تعاني من الصراعات الداخلية، والضعف الذي دبّ في أرجائها منذ أن تولّى مسعود بن محمود الحكم عام 421هـ - 1030م - 1040م، وكذلك ضعف الخلافة العباسية التي كانت تعاني من ولايات البويهيين الشيعة الذين تفرّقت كلمتهم وتشتّت شملهم بالإضافة إلى خطر الروم وزحف الباطنية من الفاطميين في الغرب، فأصبحت بذلك الدولة العباسية عاجزة عن تلبية حاجيات الرعية فساءت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي دفع بالعيّارين إلى استغلال الفرصة من أجل السلب والنهب⁽³⁾.

ومّا زاد الحال سوءاً ما كان من أمر أبي الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري⁽⁴⁾ الذي كانت له مكانة مرموقة عند الخليفة العباسي القائم بأمر الله إذ قدّمه على جميع الأتراك وجعله الأمر والنّاهي الأول في بغداد فلا يقطع الخليفة

(1) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص8.

(2) - حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج4، ص5؛ عبد النعيم حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص38.

(3) - حسين أمين، المرجع السابق، ص31.

(4) - أرسلان البساسيري هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي، مقدم الجند التركي في الجيش البويهي يقال مملوكاً لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه خرج على القائم بأمر الله وخطب له على منابر العراق ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع أمراً دون مشاورته ويعتمد دائماً على رأيه، انظر: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، تحقيق وتعليق: بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، (د.م.ن)، 2001م، ص48-52.

أمراً دونه⁽¹⁾، لكن ازدياد نفوذ السلاجقة والتقارب الحاصل بينهم وبين الخليفة العباسي القائم بأمر الله أدى إلى تدهور علاقة القائم بأمر الله بالباساسيري فعمل جاهداً على قطع أيّ اتصال بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله وبين طغرلبيك السلجوقي، بل أكثر من ذلك راح يطالب الفاطميين بمساندته والقدوم إلى بغداد، ولما بلغ هذا الخبر للخليفة القائم بأمر الله أمر ملك البويهيين الملك الرّحيم بتنحيته وعيّن ابن مسلمة وزيراً له ولقّبه برئيس الرؤساء⁽²⁾، فاتّجه الباساسيري إلى واسط إلى بلدة نور الدولة دبّيس بن علي بن مزيد الأسدي⁽³⁾ لمصاهرة بينهما⁽⁴⁾، ليُعَدَّ العدة لنهب دار الخلافة والاستيلاء على الحكم⁽⁵⁾، ولما خشي الخليفة القائم بأمر الله من خطر الباساسيري وأنصاره الدّاهم⁽⁶⁾ أرسل رسوله أبو محمد هبة الله بن محمد ابن الحسن بن المأمون إلى طغرلبيك للقدوم إلى بغداد⁽⁷⁾ بغداد⁽⁷⁾ فلجّى السلطان طغرلبيك هذه الدّعوة⁽⁸⁾ ودخل بغداد يوم الاثنين 25 رمضان 447هـ - 1055م⁽⁹⁾،

(1) - ابن تغري، المصدر السابق، ج5، ص ص 64-65.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص200.

* - ابن مسلمة هو أبو القاسم علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج بن المسلمة الصدر المعظم رئيس الرؤساء، وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله، اعتبر من خيرة الوزراء العادلين، انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص 216.

(3) - نور الدولة دبّيس بن مزيد هو أبو الأغر نور الدولة بن مزيد الأسدي صاحب الإمارة المزيديّة العربيّة في الحلة " حلة بني مزيد" صاهر الباساسيري فأتحاز إلى جانبه وتعاون معه للإطاحة بالخلافة العباسية، توفي عام 473هـ وعاش 80 سنة كانت إمارته 67 سنة، انظر: الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين عادي الدعاة ترجمة حياته بقلمه، تح: محمد كامل حسين، ط1، دار الكاتب المصري، القاهرة، 1949م، ص 124 .

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص211

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص163.

(6) - المصدر نفسه، ج15، ص ص 348-349؛ الحسيني، المصدر السابق، ص18.

(7) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص ص 8-9.

(8) - وكان طغرلبيك قبل ذلك قد راسل الخليفة يطلب منه دخول بغداد، كي يضيفي صفة الشرعية على سلطانه وأنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوي صاحبها، انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص211

(9) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص ص 348-349.

وكان في صحبته وزيره أبو نصر الكندري في موكب فخيم⁽¹⁾ واستقبل بها أروع استقبال من قبل الوزير أبي مسلمة في موكب كبير، وأمر الخليفة القائم بأمر الله الملك الرحيم العودة من واسط إلى بغداد وإظهار الطاعة والإخلاص لطرغربك⁽²⁾ واعترف به الخليفة سلطانا على جميع المناطق التي تحت يديه⁽³⁾ وتوجه بتاجين يرمزان إلى سلطانه على على العرب والعجم، ثم خاطبه الخليفة القائم بأمر الله بعد ذلك بملك المشرق والمغرب وأعطى له العهد⁽⁴⁾ كما خلع عليه الخليفة خلع السلطنة، وأطلق عليه لقب "السلطان ركن الدين ملك الإسلام والمسلمين برهان أمير المؤمنين"⁽⁵⁾ وأمر الخليفة القائم بأمر الله الخطباء بالخطبة للسلطان طغرلبك بجوامع بغداد فذكر اسمه في الخطبة⁽⁶⁾ الخطبة⁽⁶⁾ قبل السلطان البويهى الملك الرحيم، وثقش على السكة⁽⁷⁾، فتحققت المرحلة الثالثة من مراحل الهجرة الهجرة وهي وصول السلاجقة إلى العراق ودخولهم بغداد⁽⁸⁾.

وبعد ذلك قبض السلطان طغرلبك على الملك الرحيم⁽⁹⁾، فعاتب الخليفة القائم بأمر الله السلطان طغرلبك على قبضه للملك الرحيم قائلا له "إنما خرجوا إليّ بأمرى وأماي فإن أطلقتهم وإلا فأنا أفارق بغداد، فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد وحرمة الحرم تعظم، وأرى الأمر بالضد"⁽¹⁰⁾ إلا أن

(1) - عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي 408-485هـ كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص210.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص212.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص169.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص220.

(5) - ابن العمري، المصدر السابق، ص192؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ص610.

(6) - الخضري بك محمد، كتاب الدولة العباسية، راجعه واعتنى به: نجوى عباس، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، (د.م.ن)، 2003م، ص390.

(7) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص60.

(8) - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، مج2، ص137.

(9) - الخضري بك محمد، المرجع السابق، ص390.

(10) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص613.

السلطان طغرلبيك لم يستجب لتهديد الخليفة بشكل كلي حيث أطلق سراح بعض الأمراء أمّا الملك الرحيم فقد حبسه ثمّ حملته إلى قلعة السّيروان، حتى مات سنة 450هـ - 1058م، وكانت ولاية حكمه على بغداد ست سنين وعشرة أيام، وبهذا انتهى عهد البويهيين الذين حكموا باسم الخلافة العباسية مدة 113 سنة وجاء دور السلاجقة⁽¹⁾ الذين استأثروا بالحكم ولم يكن للخلفاء منه شيء سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السّكة⁽²⁾.

وأقام طغرلبيك في بغداد ثلاثة عشر شهرا عمل فيها على تدعيم مركز السلاجقة في العراق وتوثيق صلاتهم بالخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى أن جاءت الأنباء عن حركات عسكرية بقيادة البساسيري الذي أخذ يعدّ العدة للاستيلاء على الموصل بعدما تحالف مع الفاطميين وتغلّب على السلاجقة والذي كان على رأس جيشهم قتلмыш ابن عم السلطان طغرلبيك في معركة سنجار والتي وقعت عام 448هـ - 1056م⁽³⁾ ثم أعلن فيها الخطبة للخليفة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، لكن هذا الحال لم يدم طويلا إذ تفرق جيشه لأن هدفهم كان السّطة والجاه⁽⁴⁾، ولما علم الخليفة القائم بأمر الله بذلك أسدى أوامره للسلطان طغرلبيك للتوجه صوب الموصل⁽⁵⁾ وتحريرها وتحريرها من قبضة البساسيري، فخرج من بغداد⁽⁶⁾ بجيشه رفقة أخيه إبراهيم ينال ووصل إلى الموصل في ربيع الأول الأول 449هـ - 1057م وحقق انتصارات كبيرة، فطرد البساسيري وانسحب إلى رحبة الملك⁽⁷⁾ وأرسل السلطان السلطان طغرلبيك إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يعلمه بذلك.

(1) - محمود شاكر، المرجع السابق، ج2، ص213

(2) - جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص62.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص625؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص69

(4) - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 145

(5) - ابن العمري، المصدر السابق، ص192.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص173؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص175.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص626-628؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص569.

ثم قصد السلطان طغرل بك سنجار للتأثر والانتقام لجنوده الذين نُكِّل بهم في معركة سنجار⁽¹⁾، فقام بتولية أخيه إبراهيم على حكم الموصل، وقفل راجعا إلى بغداد فحضي باستقبال الأبطال من طرف الخليفة القائم بأمر الله ووزرائه وقلَّده الخلع وكان ذلك يوم السبت 25 ذي القعدة 449هـ - 1057م⁽²⁾.

في سنة 450هـ - 1058م تمرد إبراهيم ينال على أخيه السلطان طغرل بك في الموصل⁽³⁾، إذ خرج باتجاه الجبل للسيطرة على همدان ولما بلغ هذا الأمر طغرل بك أرسل إليه يأمره بالقدوم إلى بغداد مكان تواجدده، فعاد إبراهيم مسرعا إلى بغداد، وأرسل له الخليفة القائم بأمر الله عدّة خلع⁽⁴⁾، وهكذا تُركت الموصل بلا حاكم⁽⁵⁾ فاستغل البساسيري برفقة قريش بن بدران فرصة خلوه الموصل من العساكر السلجوقية فقصدوها واستولى عليها مرّة أخرى وخرَّب قلعتها⁽⁶⁾، ولما علم القائم بأمر الله بذلك طلب من طغرل بك الذهاب إلى الموصل واسترجاعها⁽⁷⁾، فتوجّه رفقة أخيه مع جيش كبير في 26 رجب 450هـ - 1058م فدخلها بسهولة⁽⁸⁾، حيث أنّ البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها إلى مدينة نصيبين فخرج السلطان طغرل بك وراءه عازما التّخلص منه، إلّا أنّ أخاه إبراهيم كان قد انفصل عنه في نصيبين⁽⁹⁾ وسار نحو همدان، فغضب طغرل بك على أخيه⁽¹⁰⁾ بعدما علم بما فعله من سيطرته

(1) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص 189؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص ص 630-631.

(2) - المصدر نفسه، ج 9، ص 220.

(3) - الحسيني، المصدر السابق، ص 19؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص 11-13.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 639.

(5) - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 145.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص ص 639-640؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 463.

(7) - ابن العمري، المصدر السابق، ص 192.

(8) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 76.

(9) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 190؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص 191.

(10) - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 145.

على خزائن السلطان وأسلحته في همدان فلحق به على وجه السرعة تاركاً ملاحقة البساسيري⁽¹⁾ وقترز مقاتلة إبراهيم إلا أنه تريت بسبب نقص عدد جيشه وعسكره بالمقارنة مع جيش أخيه إبراهيم الذي كان قويا بفضل مساند الأتراك وجيش محمد وأحمد أبناء أخيه أرتاش له، الأمر الذي دفع بطغربك إلى التزوج إلى الري طالبا الدعم العسكري من ألب أرسلان وياقوتي أبناء جفري بك داود وقاورد⁽²⁾ ولما وصلته المساعدات سار بجيشه لقتال أخيه أخيه فالتقى الجيشان قرب "الري" وانتصر طغربك على إبراهيم ينال ولم يعف عنه وقتله⁽³⁾ في 9 جمادى الآخرة 451هـ-1059م⁽⁴⁾.

أما البساسيري فقد استغل قتال طغربك مع أخيه واتجه إلى بغداد وبعد قتال عنيف تمكّن من بسط نفوذه وسيطرته عليها في ذي القعدة 450هـ-1058م وقبض على الخليفة القائم بأمر الله، وأجبره على الاعتراف بسلطانه⁽⁵⁾ ثم أرسله إلى أمير "حديثه" الأمير مهارش بن المجلي⁽⁶⁾، ثم أمر بالخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر⁽⁷⁾. المستنصر⁽⁷⁾.

بعدما انتهى السلطان طغربك من معركته مع أخيه وصلته رسالة الخليفة الذي يطلب فيها مساعدته وتخليصه من أيدي البساسيري عاد إلى بغداد على وجه السرعة وعزم على إعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى داره، فأرسل إلى البساسيري وقریش بن بدران يطلب منهما إعادة الخليفة على ألا يدخل بغداد ويقنع بالخطبة والسكة فلم يجبه البساسيري، فرحل طغربك إلى العراق وخرج البساسيري من بغداد في 6 من ذي القعدة 451هـ-1059م ووصلها طغربك الذي تمكّن من تحرير الخليفة في 24 من ذي القعدة سنة 451هـ-1059م بعد اتفاق جرى

(1) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص 191.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 235.

(3) - محمود شاكر، المرجع السابق، ص 213.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 236.

(5) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 9، ص 399-400.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 194.

(7) - المصدر نفسه، ص 196.

بينه وبين قريش بن بدران⁽¹⁾. وأعادته إلى بغداد يوم الاثنين 25 من ذي القعدة سنة 451هـ/1059م⁽²⁾ فعظم بذلك نفوذ طغرلبيك ولقبه الخليفة بلقب جديد وهو " ركن الدين"⁽³⁾، ثم طلب طغرلبيك من الخليفة القائم بأمر الله أن يلحق بالبساسيري ويقصد الشام ويُعاقب صاحب مصر فقلّده الخليفة بيده سيفاً وأتجه طغرلبيك بجيش كبير من بغداد بقيادة خمارتكين الطغراني يتكوّن من ألفي فارس نحو الكوفة ليمنع البساسيري من دخول الشام وسار السلطان طغرلبيك خلفهم⁽⁴⁾ فلم يشعر البساسيري ودبيس بن مزيد إلّا والسرية قد وصلت إليهم في 8 من ذي الحجة، ووقف البساسيري في جماعته وحمل عليه الجيش فوقع في الأسر من أصحابه منصور وبدران وحماد أبناء نور الدولة دبيس وأتى عميد الملك الكندري وقتل البساسيري وحمل رأسه إلى السلطان ثم إلى دار الخلافة منتصف ذي الحجة سنة 451هـ - 1059م وهكذا تمّ القضاء على البساسيري الذي لم ينعم بالتفرد بالسلطة في بغداد⁽⁵⁾ وبعد أن استتب الأمر في العراق غادر السلطان طغرلبيك إلى أذربيجان ونزل بمدينة "تبريز" وترك في بغداد وزيره عميد الملك الكندري وجعل لبغداد شحنة.

والأمر اللافت للنظر هو العلاقة الحسنة التي كانت تربط السلاجقة بالبيت العباسي حيث أعادوا للخليفة هيئته ومكانته فلم يتصرفوا معه عندما دخلوا العراق ذلك التصرف السيء الذي كان يقوم به القادة الأتراك و البويهيين⁽⁶⁾ وقويت الروابط بينهم فتزوج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون خديجة ابنة جغري بك أخ طغرلبيك سنة 448هـ - 1056م وكان السلطان قد رغب في الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله⁽⁷⁾، وفي إحدى الروايات أخته⁽⁸⁾ وكان هدفه من هذا الزواج هو أن يرزق بولد ويربط الأسرة السلجوقية بالنسب

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 236.

(2) - المصدر نفسه، ص 337.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص 175.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 338.

(5) - محمود شاكر، المرجع السابق، ج 2، ص 213.

(6) - المرجع نفسه، ص 205.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 218.

(8) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 4، ص 19.

العباسي، فأجريت مراسم العقد في "تبريز" وبعدها خرج السلطان قاصداً "الري" ليتم الزفاف فيها لكنه وقع مريضاً وزاد عليه المرض ومات في رمضان سنة 455هـ - 1063م، وقد ناهز عمره السبعين عاماً بعد حكم دام 26 سنة وعادت السيدة ومعها مهرها إلى بغداد، وهناك رواية أخرى تشير إلى أنه عاش بعد زفافه سبعة شهور ثم مات في رمضان سنة 455هـ - 1063م⁽¹⁾ وترك دولة تمتد حدودها من خراسان شرقاً حتى حدود العراق وأرمينية غرباً.

شكّل السلاجقة إحدى أبرز القوى التي أعادت تشكيل المشهد السياسي في العالم الإسلامي خلال العصر العباسي المتأخر، فمن أصولهم التركمانية البسيطة استطاعوا بفضل مهارتهم العسكرية وتنظيمهم القبلي المتناسك أن يتحوّلوا إلى قوة صاعدة مستغلين ضعف الخلافة العباسية وتراجع نفوذها، ولقد جاء تأسيس دولتهم كنتيجة طبيعية لتوسّعهم في خراسان، حيث نجحوا في فرض سيطرتهم على مناطق استراتيجية، قبل أن يتوجوا نفوذهم بدخول بغداد عام 447هـ - 1055م، معلّنين هيمنتهم على الخلافة وحمائتهم للخليفة العباسي.

كان دخول السلاجقة إلى العراق نقطة تحول في تاريخهم، إذ لم يقتصر دورهم على الجانب العسكري، بل امتد إلى إعادة ترتيب الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية، وقد شكلت هذه المرحلة البداية الفعلية لدولة قوية تركت بصماتها بوضوح على مسار الخلافة العباسية، مما جعلهم أحد أهم الفاعلين في التاريخ الإسلامي الوسيط.

(1) - حسين أمين، المرجع السابق، ص71.

الفصل الثاني: السياسة الاقتصادية للسّلاجقة

المبحث الأول: الزراعة في العصر السّلاجوقي.

المبحث الثاني: الصّناعة في العصر السّلاجوقي.

المبحث الثالث: التّجارة في العصر السّلاجوقي.

الفصل الثاني: السياسة الاقتصادية للسلاجقة:

شهدت الدولة السلجوقية في العراق وخراسان ازدهارًا اقتصاديًا واضحًا، قائمًا على تنمية الزراعة وتطور الصناعة ونشاط التجارة. فقد أولى السلاجقة عناية كبيرة بتحسين الري واستصلاح الأراضي، مما رفع الإنتاج الزراعي، كما عرفت الصناعات، خاصة النسيج والزجاج والمعادن، نموًا ملحوظًا في المدن الكبرى. وفي المقابل، شكّلت التجارة ركيزة أساسية، حيث نُظِّمَت الأسواق وأُمنَت الطرق التجارية، فانتعشت حركة التبادل بين المشرق ومحيطة. ويتناول هذا الفصل أثر هذه الجهود في ازدهار الاقتصاد السلجوقي بالعراق وخراسان.

المبحث الأول: الزراعة في العصر السلجوقي.

1- نظم الري:

تؤدي التضاريس دورًا مهمًا في الزراعة، حيث ساهمت الأراضي المنخفضة السهلية في توفير بيئة ملائمة لزراعة المحاصيل⁽¹⁾، كما ساهم تنوع مصادر المياه واختلاف التربة في تعدد وسائل الري بشكل كبير، فبينما تتطلب الأراضي المنخفضة أنظمة ري بسيطة، تُستخدَم الأراضي المرتفعة تقنيات أكثر تعقيدًا، ومن ثمّ كانت أبرز الآلات المستخدمة في ذلك العصر لرفع المياه من الأنهار والترع والآبار لريّ الأراضي الزراعية خاصّة المرتفعة التي يصعب وصول المياه إليها نجد الدالية وهي آلة تديرها البقر لرفع المياه⁽²⁾، والمنجنون الذي يُعرف أيضًا بالدولاب هو جهاز بسيط مصمّم لاستغلال المياه من باطن الأرض، حيث يمكنه رفع الماء من أعماق ضحلة في الأنهار الصّغيرة الآبار

(1) - الوزنة يحى بن حمزة، مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م، ص 89.

(2) - الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ط)، 1342هـ، ص46.

إلى سطح الأرض لسقيها، ويتم تشغيل الدّولاب بواسطة بعض الحيوانات⁽¹⁾ كالثور والحصان والبغل والإبل والبقر⁽²⁾.

وإلى جانب استخدامه في الريّ كان يُستفاد منه أيضاً في رفع الماء للاستخدامات المنزلية⁽³⁾، كما اعتمد الفلاحون على النّاعورة NORIA⁽⁴⁾ التي تُركّب على الأنهار وتديرها الأبقار أيضاً⁽⁵⁾، والناعورة آلة إروائية دوارة ضخمة تواصل عملها دون انقطاع ما لم يحدث عطل، يتوقف المزارعون عن تشغيلها فقط لإصلاح الأعطال أو لإعادة تنظيم دلائها، مما يضمن استمرارية استخدامها في عملية الريّ، وتُستخدم لرفع مياه الأنهار إلى المناطق المرتفعة عبر قنوات حجرية مصممة خصيصاً لهذا الغرض، تعتمد هذه الآلة على حركة سلسلة من الأوعية التي تدور بفعل تدفق المياه الجارية⁽⁶⁾، مما يتيح ريّ البساتين والمزارع والأراضي الزراعيّة بكفاءة⁽⁷⁾، ويُطلق عليها اسم "الناعورة" نسبةً إلى الصّوت الفريد الذي تُصدره أثناء دورانها.

(1) - الحميري، المصدر السابق، ص 186.

(2) - ابن بطوطة أبو عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 1، ط 4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1381هـ / 1383هـ. ص 377.

(3) - محمد حسين، الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، الندوة الدولية الثالثة المنظمة بالمكتبة الوطنية، تونس، (د.ط)، 2007م، ص 453.

(4) - النّاعور: أداة خشبية ذات تصميم دولابي عمودي تُثبّت عند مستوى المياه، وتعتمد في آليتها على الدوران. ترفع الأوعية المثبتة على محيط الدولاب المياه من النهر أو المجرى، لتنقلها إلى الساقية حيث يتم توزيعها لاحقاً لأغراض الري، انظر: الهاشمي رضا جواد، وآخرون، حضارة العراق، ج 2، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1985م، ص 76.

(5) - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 46.

(6) - الباهو شتراوس آشور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر: عبد الهادي عبله، دار قتيبة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1985م، ص 59.

(7) - وليد قنباز، النواعير تراث يروي قصة الإنسان والأرض، مجلة فداء، صناعة النواعير تراث وحاضر، ع 14067، 2010م، ص 1.

إلى جانب الناعورة، لجأ الفلاحون أيضاً إلى استخدام أدوات بسيطة وفعالة لتلبية احتياجاتهم الزراعية، ومن أبرزها الزرنوف المعروف أيضاً بالزراقة⁽¹⁾ ويُعدّ هذا الجهاز أداة تقليدية تُستخدم لرفع المياه من الآبار لريّ الحقول والبساتين، يتميز الزرنوف ببساطته وسهولة تصنيعه، إذ يتكوّن عادةً من عمود طويل مثبت على محور عند نقطة ارتكازه، بينما يتصل أحد طرفيه بدلو أو وعاء يُغمر في البئر لجلب المياه، في حين يُزوّد الطرف الآخر بثقل يساعد في توازن الحركة وتسهيل رفع الماء، وبفضل تصميمه البسيط وفعالته، كان الزرنوف خياراً شائعاً في المناطق الريفية، حيث اعتمد الفلاحون عليه بشكل كبير لتأمين المياه اللازمة للمزروعات، خاصّة في الأماكن التي يصعب فيها استخدام الآلات الأكثر تعقيداً.

ومن بين الأدوات الأخرى التي كانت تُستخدم في عمليات الريّ، يبرز الكرد كواحد من الأجهزة الفعالة التي ساهمت في تحسين أساليب نقل المياه، حيث يتميز بقدرته على رفع المياه إلى ارتفاعات أبعد مقارنة بالأدوات التقليدية الأخرى، ممّا يجعله مثاليّاً لزيادة كميات المياه المنقولة إلى المناطق المرتفعة أو الأراضي البعيدة عن مصادر المياه المباشرة ممّا أدّى إلى تحسين كفاءة الريّ وزيادة إنتاجية الأراضي الزراعية. يُعدّ هذا الجهاز مثلاً على الابتكارات الهندسية التي اعتمدها الفلاحون لتعظيم الاستفادة من الموارد المائية وتلبية احتياجاتهم الزراعية المتزايدة. لقد كانت هذه الآلات المختلفة عاملاً رئيسيّاً في تحسين وتوسيع أنظمة الريّ على ضفاف الأنهار والآبار، مما ساعد في استثمار الأراضي الزراعية المحيطة بها بشكل أكثر فعالية.

إنّ للسلاجقة دوراً بارزاً في تطوّر القطاع الزراعي، حيث أولوا اهتماماً كبيراً بتوفير جميع المستلزمات الضرورية للمزارعين، مثل البذور الجيدة والحيوانات اللازمة للزراعة، ولقد عكس الوزير نظام الملك هذا الاهتمام بإصداره تعليمات واضحة لعمّاله بضرورة تزويد الفلاحين بما يحتاجونه من بذور وحيوانات مجاناً⁽²⁾.

(1) - الغرافة أو الزراقة: هي أدوات تُستخدم لنقل الماء لريّ المزروعات، وكانت تُصنع من الخوص أو مواد أخرى متوفرة في ذلك الزمن، انظر: ابن سيّدة أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص162-163.

(2) - نظام الملك الحسن بن إسحاق بن العباس أبو علي الطوسي، سياسة نامه، ترجمة: محمود العزاوي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1975م، ص58.

ولقد اعتمد الفلاحون في أنشطتهم الزراعية على أدوات بسيطة ولكن فعّالة، مثل المحراث اليدوي الذي تجره الثيران، والذي استُخدم لحث التربة وتجهيزها للزراعة، بعد عملية الحث كانوا يقومون ببذر البذور يدوياً، ثم ينتظرون نضج المحاصيل لجنيتها، كما استعانوا بأدوات أخرى، مثل الجرّافة والمسحاة (الفأس)، لتسوية الأرض وحفرها وتقليبها، بالإضافة إلى إزالة الأعشاب الضارة وتهوية التربة، مما ساهم في تحسين جودتها وتحضيرها بشكل مثالي للزراعة⁽¹⁾، وللحفاظ على الثروة الحيوانية، وخاصة الأبقار، التي كانت تُشكّل عنصراً أساسياً في عمليات الزراعة، كان يتم فرض حظر صارم على ذبحها⁽²⁾، وذلك لضمان استمرار استخدامها في حث الأراضي وتعزيز الإنتاج الزراعي.

ولتحقيق محاصيل زراعية وفيرة وجيدة، يجب استغلال الأرض بطرق صحيحة وفعّالة، مما يمكن الفلاح من الوصول إلى أهدافه بنجاح، ففي ما يتعلق بطرق زراعة الأرض، فلقد كانت الأساليب المتبعة مشابهة لتلك المستخدمة في مدن الدولة السلجوقية الأخرى منذ آلاف السنين، فقد اتبع الفلاحون تقنيات زراعية توارثوها عن أجدادهم عبر الأجيال، ومن بين هذه الأساليب كانت طريقة التّبوير، ونظام الحقلين أو المناوبة الزراعية، هذا النظام يتضمن تقسيم الأرض إلى قسمين، حيث يزرع الفلاح أحدهما في سنة معينة، بينما يترك الآخر بدون زراعة، ليترك بوراً، وفي السنة التالية يُزرع القسم الذي كان قد تُرك بوراً بينما يُريح القسم الأول⁽³⁾، والهدف من هذه الطريقة هو منح الأرض فرصة للراحة والتعرض لأشعة الشمس مما يعزّز خصوبتها⁽⁴⁾ ويُحسن الإنتاج الزراعي لأنّ التربة تؤدي دوراً أساسياً في تحديد جودة الزراعة.

ومن الأساليب التي استخدمها الفلاحون السلاجقة لتقييم صلاحية التربة للزراعة الاعتماد على حاسي الشم والدّوق حيث كانوا يحفرون حفرة بعمق ذراعين، ثم يأخذون عينة من التراب ويضعونها في إناء زجاجي ويضاف

(1) - الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي، الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، (د.م.ن)، (د.ط)، 1318هـ، ص38.

(2) - الأعظمي عواد مجيد وآخرون، حضارة العراق، ج5، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1975م، ص260.

(3) - علي سعيد إسماعيل، النبات والفلاحة والري عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1983م، ص ص 247-248، عواد مجيد الأعظمي وآخرون، ج5، المرجع السابق، ص260.

(4) - جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، جامعة الدول العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1961م، ص237.

إليها الماء النّظيف وبعد أن يُترك الخليط ليهدأ، يشمون ويدوقون الماء؛ فإذا كان الماء ذو رائحة كريهة، فإن التّربة تُعتبر رديئة، أمّا إذا كان طعمه جيّداً ورائحته طيّبة، فذلك يشير إلى صلاحية التّربة للزّراعة⁽¹⁾، بالإضافة إلى ذلك تُعدّ التربة الجيّدة تلك التي لا تظهر فيها تشقّقات تحت تأثير الحرارة الشّديدة ولا تحتفظ بالماء طويلاً، بل تحفّ بسرعة⁽²⁾ وقد اعتُبرت التّربة السّوداء من أفضل أنواع التّربة، نظراً لقدرتها على امتصاص المياه واحتفاظها بنسبة عالية من الرطوبة، فضلاً عن قدرتها على تحمل درجات الحرارة المرتفعة، لهذا هي صالحة لزراعة جميع أنواع النباتات تقريباً باستثناء نبات الكرمة⁽³⁾.

وتُعد التّربة الحمراء من الأنواع المثالية لزراعة مجموعة متنوعة من الأشجار المثمرة، مثل الإحاص والتّفاح واللّوز، لما تتمتع به من خصائص فريدة تتيح نمو هذه المحاصيل بشكل جيد، إلّا أنّ زراعتها تتطلب جهداً وعناية خاصة نظراً لطبيعتها التي تحتاج إلى معاملة دقيقة لضمان تحقيق إنتاجية عالية. ورغم ذلك فإنّ التّربة الحمراء تتميز بعدم حاجتها إلى استخدام الأسمدة العضوية (الزبل) في عملية الحرّاة⁽⁴⁾ مما يجعلها خياراً اقتصادياً ومناسباً للعديد من المزارعين الذين يعتمدون على الموارد الطّبيعية في تحسين إنتاجهم الزراعي.

كما تشمل أنواع الأراضي الزراعيّة الأرض البيضاء والأرض الجبلية، حيث تنمو فيها أشجار الكروم والزيتون والتّين هذه الأنواع من الأراضي لا تتطلّب كمّيّات كبيرة من الماء، لكنها تحتاج إلى عناية خاصّة واستخدام السّماذ بكثرة⁽⁵⁾، بالإضافة إلى أنّ جودة البذور تؤثر بشكل كبير في نجاح الزّراعة ويعتبر أفضل وقت لريّ المحاصيل هو في الصّباح الباكر أو بعد غروب الشّمس، لتفادي تبخّر المياه بسرعة وضمان استفادة النباتات منها بشكل فعّال.

(1) - ابن حجاج الاشبيلي أحمد بن محمد، المقنع في الفلاحة، تح: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1982م، ص 6.

(2) - ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه: خوسي ماريه بيبكروساد ومحمد عزيمات، معهد مولاي الحسن، تطوان، (د.ط)، 1955م، ص 41-55.

(3) - ابن حجاج، المرجع السابق، ص 6.

(4) - المرجع نفسه، ص 6.

(5) - مجهول، مفتاح الراحة من أهل الفلاحة، تحقيق: محمد صالحية، وإحسان العمدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1984م، ص 110؛ ابن بصال، المرجع السابق، ص 42-43-46.

التسميد: ولجني محصول وفير ذو جودة عالية، كان الفلاحون يُولّون اهتمامًا خاصًا بتسميد الأرض لضمان خصوبتها، ومن بين أفضل أنواع السماد المستخدمة مخلفات الإنسان وروث الحيوانات⁽¹⁾، وكانت الطريقة المثلى لتسميد الأرض هي حفر خنادق ضيقة حول جذور الأشجار، ثم وضع السماد داخل هذه الخنادق، بعد ذلك يتم ريّ النباتات⁽²⁾ لضمان امتصاص السماد بفعالية وتعزيز نموها.

بالإضافة إلى ذلك كانوا يحرصون على تنظيف الأراضي الزراعية من الآفات والحشرات لضمان بيئة نظيفة وصحية للنباتات⁽³⁾.

وأحسن الأراضي المرتفعات فالتربة في المناطق المرتفعة تُعتبر مثالية للزراعة، حيث كانت تُفضّل على أنواع التربة الأخرى، ومن العوامل التي دفعت إلى تعزيز الزراعة في مدينة الحلة خصوبة أراضيها وغناها بالعناصر الضرورية لنمو النباتات⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للأساليب الزراعية المستخدمة فقد تعددت تبعاً لنوع المحاصيل المزروعة، فبالنسبة للحبوب مثل الشعير والقمح، فكانت الطريقة المتبعة تبدأ بالحرث أولاً، ثم يتم نثر البذور وتغطيتها حسب المواقع المحددة، أما بالنسبة للنخيل والفواكه، فكانت هناك طرق متعددة مثل بذر البذور أو زراعة الشتلات، كما استخدموا تقنية التطعيم لتكاثر الأشجار وزيادة عددها بشكل عام.

2- الأدوات الزراعية:

تساهم الأدوات الزراعية بشكل كبير في مساعدة المزارعين على تنظيم الأرض وتهيئتها للزراعة، بالإضافة إلى العناية بالمحاصيل حتى مرحلة حصادها، وتشمل الأدوات الزراعية الأساسية التي استخدمها الفلاحون منذ العصور القديمة

(1) - ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، ج1، دمشق، (د.ط)، 1995م، ص361-377.

(2) - المرجع نفسه، ص365.

(3) - الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، ج1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 2004م، ص287.

(4) - المصدر نفسه، ص59.

المحراث الخشبي وهو أداة تستخدم لحرث الأرض وتجهيزها للزراعة، يتم سحبها بواسطة الثيران أو البغال، وكذا المنجل والذي يستخدم لقطف المحاصيل مثل الحبوب والخضروات، كما اعتمد الفلاحون على المجرفة وهي أداة تستخدم لنقل وخلط التربة أو السماد، وتأتي عادةً بشفرة عريضة ومقبض طويل، بالإضافة إلى المذراة حيث يستخدمونها لنشر البذور على التربة بعد تجهيزها.

وتساهم هذه الأدوات بشكل كبير في تحسين جودة العمل الزراعي وزيادة كفاءة الإنتاج.

والملاحظ أنّ الطريقة المتبعة في الزراعة في تلك الفترة مشابهة تماماً للأساليب القديمة التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، حيث كان يتم استخدام الثيران الخشبي الذي يُوضع على عنق الثيران لسحب المحراث الذي يثبت خلفها لتنعيم التربة وتسوية الأرض، بعد إتمام عملية الحرث تُنثر البذور المبللة بالماء سواء كانت شعير أو قمح أو غيرها من البذور الأخرى⁽¹⁾، ثم يُعتنى بالمحصول حتى ينضج وبعدها يتم حصاده.

وكانت الدواب تؤدي دوراً حيوياً إذ كانت الوسيلة الأساسية لإجراء جميع الأعمال الزراعية، بدءاً من حرث الأرض وحتى درس المحصول وأداء المهام الأخرى الضرورية⁽²⁾.

وما يجدر ذكره أنّ المزارعين كانوا يملكون معرفة واسعة بأوقات الري وكيفية استغلالها بشكل أمثل، كما كانوا يمتلكون خبرة في تحديد أوقات الفلاحة والزراعة والتطعيم والغرس والحصاد. فكان لهذه المعرفة تأثير كبير على تحديد ضريبة الخراج التي تُفرض في عيد النيروز، والذي كان الفلاحون يطلقون عليه اسم "نوروز"⁽³⁾.

3- نظام السقي:

دفعت الضرورة السلاجقة إلى تحسين أساليب وتقنيات الري لتوسيع أراضيهم الزراعية، فبادروا بشق القنوات لتسهيل عملية نقل الماء من الأنهار إلى الأراضي الزراعية، كما قاموا ببناء السدود، وتطوير واختراع وسائل وأدوات

(1) - ابن العديم، المصدر السابق، ج4، ص 1955.

(2) - ابن وحشية، المرجع السابق، ج1، ص ص 426-427.

(3) - البيروني، المصدر السابق، ص ص 31-32.

تساعدتهم على رفع المياه ووصولها إلى المناطق المرتفعة، وهكذا تمكّنوا من إنشاء نظام متكامل يضمن توفير مياه الري طوال العام بما يتناسب مع الاحتياجات.

ذلك أنّ الزراعة في العراق وخراسان خلال الفترة السلجوقية كانت تعتمد بشكل رئيسي على نظام الري، حيث كان نهر دجلة ونهر الفرات يشكّلان المصدر الأساسي للمياه، إلى جانب ذلك، كانت هناك أيضاً اعتمادات على مياه العيون والأمطار⁽¹⁾، ولكن نظراً لقلة الأمطار في معظم مناطق العراق، كان الاعتماد الأكبر على مياه النهرين وروافدهما وفروعهما⁽²⁾.

يعتبر الماء العنصر الأساسي لنجاح الزراعة، وتتوّع مصادره بشكل كبير، فإذا كانت مياه الأمطار تعدّ من أفضل المصادر، فإنّها قد لا تكون كافية لريّ المزروعات على مدار العام، نظراً لأنّ الأمطار لا تتوافر طوال فصول السنة، لذلك يلجأ المزارعون إلى حفر الآبار وإنشاء الينابيع للحصول على المياه اللازمة لدعم الزراعة⁽³⁾.

لهذا ركّز السلاجقة على تحسين نظام الري، حيث قاموا بإنشاء القنوات وتطوير مصادر المياه كالمياه الجوفية والعيون، فضلاً عن بناء السدود.

واعتنى سلاطين السلاجقة بتنظيم الريّ ووسائله في مختلف أرجاء الدولة السلجوقية وذلك من أجل الاستفادة منها في إنماء الثروة الزراعية⁽⁴⁾ وذلك لمعرفة أنّ الزراعة تعتمد بالدرجة الأولى على المياه، فتتوّعت في عصرهم مصادر المياه ووسائل الريّ كما اهتموا بتخصيب التربة والعناية بها، فاعتنوا بحفر الأنهار وإنشاء القنوات ومنايع المياه من

(1) - إدريس، المرجع السابق، ص 173.

(2) - حاتم عبد الكريم، دجلة والفرات في العصرين البويهّي والسلجوقي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 14، عدد 2، 1998م، ص 93.

(3) - الحمداني ياسر هاشم، جوانب من الخدمات في مدن العراق القديم، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، 2014م، ص 31.

(4) - سيد أمير علي، المرجع السابق، ص 272.

العيون والآبار⁽¹⁾ كما أقاموا القناطر والسدود فأنفقوا الكثير من الأموال، ومن أمثلة ذلك سدّ التّهروان بالعراق الذي تبلغ نفقته ما يقارب 70.000 دينار، ومن أهم المصادر الرئيسية للمياه⁽²⁾ عندهم نجد:

3. 1. مياه الأنهار:

كانت الأنهار تُشكّل مصدراً مهماً من مصادر الريّ في أقاليم الدّولة السّلاجقية ففي العراق يعتبر نهر دجلة والفرات من أشهر هذه الأنهار.

فنهـر دجلة يعتمد عليه بدرجة كبيرة في سقي الأراضي المحيطة حوله كما تفرّعت من حوله عدّة أنهار مثل نهر الأبله الذي يتجه صوب التّهروان والبصرة⁽³⁾، فيقوم هذا النّهر بسقي الأراضي التي تقع في الجهة الشرّقية لدجلة، وبعد ذلك قام السّلاجقة بشقّ فروع جديدة ليرّي الأراضي الصّالحة للزّراعة في الدّولة السّلاجقية⁽⁴⁾.

أمّا عن الموقع الذي ينبع منه هذا النّهر فهو عين بالقرب من منطقة آمد القريبة من منطقة "هلورس" والتي تسمى بعين دجلة⁽⁵⁾.

ينحدر نهر دجلة من الشّمال نحو الجنوب، مروراً بعدد من المدن مثل تكريت وسامراء والقادسية وعكبرا وواسط⁽⁶⁾ وواسط⁽⁶⁾ ومن أبرز روافده التي تُسهم في ريّ أراضي بغداد نهر دياي⁽⁷⁾ الذي يعبر عبّر عدّة قنوات.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص244.

(2) - لسترنج، المرجع السابق، ص245 - 427.

(3) - التّهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص324 - 325.

(4) - الاصطخري، المصدر السابق، ص57؛ ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص212.

(5) - الحموي، المصدر السابق، ج2، ص551.

(6) - حتاملة عبد الكريم، المرجع السابق، ص96.

(7) - دياي: بفتح أوله وإمالة اللام، نهر يقع أسفل منطقة بعوقبا في العراق ومصبه في دجلة يسمى فم دياي، انظر: البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، مج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص548.

وثاني الأنهار أهمية في سقي المزروعات هو نهر الفرات حيث تكثر المياه من حوله وعلى ضفافه، وتتفرع من هذا النهر العديد من الترع والأنهار، وتتميز مياه الآبار فيها بالعدوبة وتكثر القناطر والسواقي في جميع الأراضي التي تتصل بين بغداد والكوفة⁽¹⁾، ومن أشهر القنوات التي شُقت من نهر الفرات قناة عيسى⁽²⁾ أو نهر عيسى كما يطلق عليه، حيث بفضلها يتم ربط نهر الفرات بدجلة عند مدينة بغداد⁽³⁾، كما يتفرع من نهر الفرات أنهار أخرى مثل نهر الخابور ونهر البليخ⁽⁴⁾، أما عن طريق نبع وتدفق مياه هذا النهر كما وصفه المقدسي فإنه "يتدفق من بلاد الروم ثم صوب إقليم آقور ويتشعب نحوه الخابور، ثم يمر ببلاد الجزيرة والرقّة، ويتفرع إلى أنهار عظيمة في البطائح وينصب بمنطقة كسكر"⁽⁵⁾، ثم ينحدر خلف الكوفة فيلتقي بنهر دجلة⁽⁶⁾.

أما نهر الفرات، فبدأ أيضاً من الشمال ويجري عبر بلاد الجزيرة الفراتية، مروراً بحيت والأنبار، يتفرع نهر الفرات ليشكل أحد الأنهار الجانبية التي تدخل بغداد، حيث يتشعب بعدها إلى عدّة قنوات في الجهة الغربية، مما يساهم في توزيع المياه على المناطق المجاورة⁽⁷⁾.

(1) - الاصطخري، المصدر السابق، ج 1، ص 86؛ ابن جبير، المصدر السابق، ص 155.

(2) - قناة أو نهر عيسى نسبة للأمير عيسى بن علي أحد أقرباء الخليفة المنصور بالله العباسي (136هـ - 158هـ)، انظر: فيليب حتي، تاريخ العرب، ج 2، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1950م، ص 428-429؛ محمد حلمي محمد أحمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1959م، ص 43.

(3) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 59؛ الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 242.

(4) - البليخ اسم نهر بالرقّة يجتمع فيه الماء من عيون وأعين وأعين العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حران فيجري نحو خمسة أميال ثم يسير إلى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصناً يكون أسفله قدر جريب، انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج 1، ص 493.

(5) - كسكر مدينة تقع على الجنوب الشرقي من دجلة مقابل مدينة واسط للمزيد انظر: ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة، ج 1، مطبعة برّيا، ليدن، (د.ط)، 1892م، ص 322.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص 20.

(7) - العمري أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن فضل الله بن يحيى بن أحمد، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، مج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص 21.

ولهذين النهرين أهمية إيجابية ففي الشتاء وبمجرد انخفاض درجات الحرارة وتساقط الثلوج والبرد فإن مياههما تتجمد كما حدث سنة 514هـ-1121م حيث تجمد نهر الفرات ومعه معظم الأنهار فأصبح كاليابسة وممرًا سهلاً اجتازه السكان⁽¹⁾، وفي سنة 633هـ-1235م تجمدت مياهه أيضاً فأثر الأمر سلباً إذ انحبس فلم تسق الزروع الأمر الذي أدى إلى حدوث جفاف في الأشجار⁽²⁾، وحدث نفس الأمر قبل ذلك ففي سنة 563هـ-1142م لم تسقط الأمطار، فجفت أنهار الجزيرة الفراتية مما أدى إلى جفاف الينابيع والعيون والآبار⁽³⁾.

في إقليم خراسان أدت الأنهار دوراً محورياً كمصدر رئيسي للمياه وسقي الأراضي الزراعية، وكان من أبرزها نهر جيحون الذي يُعتبرونه واحداً من أنهار الجنة⁽⁴⁾، وباعتبار أن خراسان منطقة تضم مدناً عديدة فلقد تنوعت المصادر المائية فيها وبشكل ملحوظ، فعلى سبيل المثال مدينة مرو يُقال أن اسمها يرتبط بمعنى "ماء مرو"، وتحتضن المدينة عدّة أنهار مهمة، أبرزها نهر المرغاب الذي يتفرّع إلى عدد من الجداول والأنهار⁽⁵⁾، إضافة إلى نهر ماجان الذي يُعدّ من الموارد المائية الرئيسية للمدينة.

كما تبرز مدينة نيسابور كنموذج مميز في نظام الري حيث يجري فيها نهر شورة رود ومعناه النهر المالح، إضافة إلى نهر عطش اباد وأيضاً نهر بشتقان وغيرها. وتتوفر هراة على العديد من الأنهار أشهرها التي تمر بها نهر هري رود، بينما يجري في بلخ نهر يُسمى دهاس⁽⁶⁾.

ومن المدن السلجوقية الأخرى نذكر بخارى التي يستعين المزارعون فيها بالدرجة الأولى على مياه نهر الصغد، حيث تنفّرع مياه هذا النهر لتروي العديد من المزارع والضياع⁽¹⁾، كما تُسهم أنهار أخرى مثل نهر بيكان رود ونهر كرمينية في ريّ الأراضي والبساتين، مما يجعل بخارى غنية بمواردها المائية⁽²⁾.

(1) - السرياني ميخائيل، المرجع السابق، ج3، ص174.

(2) - ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، تح: شادية توفيق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م، ص101.

(3) - السرياني ميخائيل، المرجع السابق، ج3، ص252.

(4) - ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص367؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص68.

(5) - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص446.

(6) - الاصطخري، المصدر السابق، ص155.

كما تعددت الأنهار في همدان في جبل أروند حيث ينبع من قممه 42 نهرًا، بالإضافة إلى وجود نهر قم ونهر كاوهاما اللذين يُعتمد عليهما في ريّ الأراضي الزراعيّة.

ويوجد في منطقة الري نهران رئيسيان للشرب، هما نهر سور قني ونهر الجيلاني، بالإضافة إلى ذلك يجري نهر موسى القادم من جبل الديلم، في هذه المنطقة⁽³⁾، أمّا في مدينة أصفهان فيجري نهر زندرود، ويُعتبر النهر البارد هو المجرى الأصلي له في أعاليه، بالإضافة إلى ذلك يتواجد بها نهر قاشان ونهر ساوه، المعروف أيضًا بمسمى مزدقان.

وقد تميزت منطقة قزوین بوجود واديان رئيسيان يُعتمد عليهما في ريّ الأراضي الزراعيّة هما الوادي الكبير ووادي سيروم، كما وجدت أنهار رئيسية في قزوین والتي تروي الأراضي المحيطة ونذكر منها كردان رود، خرود وتركانرود وبوه رود، أمّا بساتين مدينة قزوین فكانت تستفيد من مياه وادي درج في الشرق ووادي أترك في الغرب، إلى جانب العديد من الأنهار الأخرى التي تُسهم في ريّ المنطقة⁽⁴⁾.

وفي المناطق التي لم تصلها مياه الأنهار وتفتقر إليها بشكل مباشر تمّ اعتماد أنظمة ريّ بديلة مثل:

الترع: حيث رأى السلاجقة أنه من الضروري حفر ترع تُأخذ مياهها من الأنهار القريبة لتلبية احتياجات المناطق البعيدة عن مجاري الأنهار. حيث كانت النواعير تُدار على جوانب هذه الترع لسقي الحقول والبساتين، بالإضافة إلى ذلك أنشأ السلاجقة بعض السدود والقناطر لتسهيل عملية الريّ وتنظيمها، حيث كان من أبرزها قنطرة كبيرة فوق نهر المرغاب في مرو⁽⁵⁾.

الصهاريج: اخترع السلاجقة وسيلة أخرى للريّ تتمثل في الصهاريج والتي تعتبر أحد الوسائل الأساسية لتخزين الماء وحفظه إذ تمّ تصميمه كحوض كبير لجمع وتخزين المياه⁽⁶⁾ من مصادر مختلفة ممّا ساعد في توفير المياه للريّ

(1) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 353.

(2) - النرخي، المصدر السابق، ص 44-54.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص 250.

(4) - المرجع نفسه، ص 254-255.

(5) - ابن رسته، المصدر السابق، ص 173.

(6) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 7، ص 430.

والسقي في المناطق التي كانت تعاني نقصاً في الموارد المائية وتلبية الاحتياجات⁽¹⁾، فكان للصّهاريج دور مهم في إدارة المياه خاصة في المناطق الجافة أو ذات المناخ القاسي.

القنوات المائية: من بين نظم الريّ البارزة في خراسان التي كانت فريدة من نوعها تبرز القنوات المائية المدفونة تحت الأرض، هذه القنوات كانت لها دور حيوي في تزويد مناطق خراسان وكلّ القرى فيها بالمياه الكافية لسقي الأراضي، خصوصاً في المناطق التي لم تكن مياه الأنهار فيها كافية لتلبية احتياجات السقي للأراضي الزراعية.

3. 2. مياه الأمطار:

تعدّ الأمطار عاملاً أساسياً في نمو المحاصيل الزراعية وضمان خصوبة الأراضي، إذ تشكّل المصدر الأول للري، والمنبع الرئيس لمصادر المياه الأخرى كالأنهار، وتسهم مع الثلوج في تغذية المجاري المائية عبر الجريان السطحي، مما يجعل الأنهار تأتي في المرتبة الثانية بعد الأمطار كمورد مائي رئيسي.

تؤثر كمية الأمطار المتساقطة بشكل كبير على كمية المياه في الأنهار والآبار والعيون، فكلّما زادت الأمطار ارتفع مستوى المياه في الأنهار، بينما يؤدي انخفاضها إلى تراجع مستوى المياه في الأنهار والعيون، وتظهر فائدة الأمطار بشكل كبير خلال فصل الشتاء والربيع، كما تعتبر الثلوج مصدراً مهماً للمياه، حيث تُساهم في تغذية الأنهار والمصادر المائية الأخرى عندما تذوب، ممّا يُساعد في الحفاظ على تدفق الأنهار خلال فترات الجفاف، بالإضافة إلى ذلك تعمل الثلوج على تحسين جودة التربة من خلال إضافة عناصر غذائية عند ذوبانها، ممّا يعزّز نمو النباتات والمحاصيل، كما كانت الثلوج تتساقط في أوقات غير متوقعة⁽²⁾.

وبسبب القيمة الكبيرة لمياه الأمطار، وخوفاً من انعدامها وقت الحاجة قام العديد من السّكان بتخزينها في صهاريج وأحواض لضمان استخدامها وقت الجفاف ونقص الأمطار⁽³⁾، مما يعزز إدارة الموارد المائية بشكل فعال ومستدام، خاصة أنّ العديد من المدن والقرى تعتمد بشكل كبير على مياه الأمطار في الزراعة وري المزروعات، خصوصاً في المناطق التي يكثر فيها بذر الحبوب.

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، مج 2، ص 564.

(2) - البعقوبي، المصدر السابق، ص 297.

(3) - الأصبخري، المصدر السابق، ص 59؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 158.

إلى جانب المناخ المناسب، تتسم الأمطار بنظام مشابه للنمط المتوسطي من حيث توقيت هطولها، ويعود سبب تساقطها في العراق إلى مرور المنخفضات الجوية التي تتشكل فوق مياه البحر المتوسط، حيث تدفعها الرياح العكسية نحو الشرق خلال فصل الشتاء⁽¹⁾.

3. 3. الآبار:

على الرغم من أهمية الأمطار كمصدر للمياه المستخدمة في الزراعة، إلا أن اعتمادها وحدها كان محدوداً نظراً لقلّة كمياتها وعدم انتظام هطولها، لذلك لجأ المزارعون السلاجقة إلى تنويع مصادر المياه لتلبية احتياجات الأراضي الزراعية وضمان استمرارية الإنتاج، حيث لم تقتصر جهودهم على الاستفادة من الأمطار والأنهار فقط، بل توسعوا في استخدام المياه الجوفية عبر حفر الآبار العميقة⁽²⁾، إلى جانب الاستعانة بالينابيع والعيون لتأمين إمدادات مائية مستمرة.

كانت هذه الآبار مترابطة فيما بينها بنظام مبتكر، حيث عمل المزارعون على إنشاء مجمعات مائية لتجميع المياه وتخزينها، ساعدت هذه المجمعات على رفع المياه إلى سطح الأرض، مما جعل استخدامها في ري الأراضي الزراعية أكثر سهولة وكفاءة⁽³⁾، وكان الماء يُستخرج من الآبار بوسائل متعدّدة منها الدواليب والحبال، أو باستخدام القوة الحيوانية عبر النواعير الدائرية.

3. 4. الينابيع والعيون:

كانت من المصادر المائية الأساسية التي اعتمد عليها المزارعون في المدن السلجوقية، فكانت هذه المصادر متوقّرة بكثرة، حيث وجدت في كلّ المدن والقرى تقريباً، وكان الأهالي يستخدمون هذه المياه لريّ مزارعهم وتلبية

(1) - كوردن هستد، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، تعريب: جاسم محمد الخلف، المطبعة الحيدرية، بغداد، (د.ط)، 1948م، ص46.

(2) - الزهري أبي بكر، كتاب الجغرافية، تح: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص140.

(3) - الحارثي عبد الله بن ناصر بن سليمان، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، تح: سعيد سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، دار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2007م، ص193.

احتياجاتهم الزراعيّة، ووصف القلقشندي هذه الينابيع والعيون بقوله: "هي مياه تتدفّق من باطن الأرض، ترتفع إلى السطح ثم تنساب عبر قنوات حُفرت خصيصًا لهذا الغرض"⁽¹⁾.

ويُتّخذ بها الينابيع التي تتدفّق بشكل طبيعي دون تدخل الإنسان، وكانت هذه العيون موزّعة على نطاق واسع في مناطق مختلفة من الدولة السلجوقية، وتفاوتت في كميتها ونوعية مياهها من حيث الغزارة والعذوبة.

ولقد كانت الآبار والعيون واسعة الانتشار في المناطق الصحراوية في العراق، واهتمّ السلاطين بتنظيم الريّ بدقّة، فقاموا بتقسيم المياه المتدفّقة من الأنهار الكبيرة إلى فروع صغيرة متساوية الكمية⁽²⁾، وزوّدوا هذه الفروع بأدوات قياس لمراقبة مستويات المياه أثناء الفيضانات⁽³⁾، مما يضمن توزيعًا عادلاً ومنظمًا للمياه.

فاعتمد الأهالي في خراسان وبالضبط في مرو على مياه تلك الآبار فكانوا يحفرونها في المناطق البعيدة التي لا تصلها مياه الأنهار⁽⁴⁾، كما انتشرت العيون في هذه المدينة وكانت المصدر الأساسي للسقي وريّ البساتين والمزارع بشكل كبير في بعض القرى نظرًا لبعدها عن الأنهار، كما جُعِلت مصدرًا مهمًا لمياه الشرب في هذه المناطق، وقد ذكر اليعقوبي أن "مشرب أهل مرو من عيون تجري"⁽⁵⁾، مشيرًا إلى عذوبة مياه هذه العيون.

3. 5. السدود:

ولتنظيم توزيع المياه ورفع مستوى المياه في هذه القنوات المائية الفرعية، وتسهيل عملية الريّ بالغمر في المدن السلجوقية لجأ السلاطين والأمراء إلى تدشين السدود والقناطر خاصة عند مداخل الأنهار⁽⁶⁾، وكانوا يعتمدون على الجصّ أو الآجر في إنشائها خاصّة في أفواه القنوات المائية.

(1) - القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص179.

(2) - الاضطخري، المصدر السابق، ص148.

(3) - الخوارزمي، المصدر السابق، ص45؛ المقدسي، المصدر السابق، ص330.

(4) - الاضطخري، المصدر السابق، ص273.

(5) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص279.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج2، ص42.

ولأهمية السدود الكبيرة اهتموا بها وبإصلاحها فاستثمروا مبالغ طائلة في بنائها وهذا دليل على أنَّ السلاطين السلاجقة قد أولوا اهتمامًا كبيرًا بالزراعة، واعتبروها من أهم مسؤولياتهم وواجباتهم، ولقد عبّر الوزير نظام الملك عن هذا الاهتمام بقوله: "... يتولّى السلطان بنفسه عملية تحسين الأراضي من خلال شقّ قنوات المياه وبناء الجسور على الأنهار الكبرى وحفر الجداول فضلاً عن تطوير القرى والمزارع⁽¹⁾."

ومثال ذلك السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه الذي عني بالزراعة وتطويرها حيث في عام 502هـ / 1109م أصدر أوامره بحفر قنوات الري وشقّ الطرق وتوسيع مساحات الأراضي المزروعة⁽²⁾، وكان الهدف من هذه المبادرات تحسين البنية التحتيّة الزراعيّة وتعزيز الإنتاج الزراعي، ممّا ساهم في تيسير عملية الريّ وتسهيل وصول الفلاحين إلى أراضيهم.

4- المحاصيل الزراعية:

4.1. التمر:

يعتبر التمر من أهم الأغذية في المجتمع العراقي⁽³⁾ ولهذا كانت العراق في العصر السلجوقي من أكبر المراكز المنتجة له، ولوفرته أصبحت تصدر كميات كبيرة منه إلى مختلف المدن، فكانت البصرة أكبر مدينة اشتهرت بزراعته وإنتاجه⁽⁴⁾، فلقد بلغت مساحة أراضي النخيل 1050 فرسخاً⁽⁵⁾، ولقد أنتجت هذه الأراضي أنواعاً مختلفة من من التمر بلغ قرابة 40 نوعاً⁽⁶⁾، كما اشتهرت الكوفة بإنتاج أجود التمر ووجد بكثرة في كلّ أسواقها⁽⁷⁾،

(1) - الطوسي، المصدر السابق، ص 34.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 101؛ سبط ابن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن غز أوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات وآخرون، ج 2، ط 1، دار الرسالة العلمية، بيروت، 2013م، ص 27.

(3) - ابن وحشية، المصدر السابق، ص 135.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 130؛ القزويني، المصدر السابق، ص 309.

(5) - جاسم محمد الخلف، المرجع السابق، ص 247.

(6) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 259.

(7) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 1، ص 170.

وخصّصت الموصل جزءاً من أراضيها لزراعة أشجار النّخيل⁽¹⁾، كما انتشرت زراعة أشجار النّخيل في مختلف المدن العراقية الأخرى كسنجار وواسط وكربلاء وهيت⁽²⁾، ولعلّ السّبب الذي أدّى إلى كثرة أشجار النّخيل بالعراق هو جودة أراضيها وخصبها، حيث تُشترط لزراعته الأرض المعتدلة الملائمة المناخ، وكذا وجود أشعة الشّمس المائلة إلى ارتفاع درجة الحرارة، فلا يزرع النّخيل في الأراضي الشّديدة البرودة ولا الحارّة جدّاً.

ومن أهمّ المدن التي تميّزت بزراعة النّخيل ووُجِدَت بها التّمور بكثرة في إقليم خراسان مدينة آمل.

4. 2. الخضروات:

تعدّدت مصادر الدّخل في الدّولة السّلاجقية، وكان من أبرزها الإنتاج الرّاعي، حيث احتلت الخضروات مكانة خاصّة كونها تلي احتياجات السّكان اليومية وتستهلك في جميع المنازل⁽³⁾، وقد ساهمت خصوبة الأراضي الزراعية في نجاح زراعة هذه المحاصيل، ممّا أتاح إنتاج كميات كبيرة من مختلف أنواع الخضار والبقوليات، مثل اللّوبياء، والبازلاء، والبادنجان⁽⁴⁾، واللفت، والكرنب، والبصل بأنواعه، والخيار، والكرفس، والثوم، والقرع، وغيرها⁽⁵⁾، هذا التنوع الزراعي لم يقتصر على تلبية احتياجات السكان فحسب، بل دعم أيضاً النشاط التجاري وأسهم في تعزيز الاقتصاد السّلاجقي.

ونتيجة لكثرة المحاصيل الرّاعية، ازدهرت الأسواق المتخصّصة بالتّوابل والخضروات⁽⁶⁾ في مختلف مدن الدّولة السّلاجقية، ففي مدينة بلخ كثرت الأسواق المتخصّصة في بيع التّوابل والكرّم⁽⁷⁾، بينما تميّزت مدينة مرو بزراعة

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194 - 197.

(2) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 60؛ لسترنج، المرجع السابق، ص 105 - 106.

(3) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 320.

(4) - جاك ريسلر. س، الحضارة العربية، تر: خليل أحمد خليل، ط 1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1993م، ص 119.

(5) - الدينوري أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، تعليق: مفيد محمد قميحة، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1986م، ص 196 - 197؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 152.

(6) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 320.

(7) - لسترنج، المرجع السابق، ص 472.

الفاصولياء والقرع والجزر والباذنجان⁽¹⁾، أما مدينة نسا فقد ذاع صيت باذنجانها المعروف بجودته العالية⁽²⁾، كما شهدت مدينة جرجان نشاطاً زراعياً ملحوظاً حيث زُرِع فيها الفجل والباذنجان والجزر وغيرها من المحاصيل⁽³⁾.

كما اهتم الفلاحون والمزارعون السلاجقة بزراعة قصب السكر وذلك لتوفر الجو المناخي والتربة المناسبين لذلك فهو يزرع في الأراضي الدمثة التي تحتوي على الكثير من المياه، وتتم زراعته في فصل الربيع⁽⁴⁾، ولقد كثرت زراعته في مدينة مرو حيث اعتمدوا عليه في صناعة السكر⁽⁵⁾، كما انتشرت زراعته بجرجان⁽⁶⁾.

ومن المحاصيل الزراعية التي اعتنى المزارعون والسلاجقة بزراعتها السمس لأنه يستعمل في الكثير من الصناعات حيث يقومون بعصره لاستخراج زيت السمس⁽⁷⁾، الذي يعتمدون عليه في إشعال القناديل وكذلك في غذائهم كصنع الحلويات وغيرها، ومن المناطق التي اشتهرت بزراعته مدينة بلخ ومدينة سنجار⁽⁸⁾، وكذا مدينة خوارزم حيث يحمل منها إلى سائر البلدان⁽⁹⁾.

4. 3. الفواكه:

لقد انتشرت زراعة أشجار الفواكه المثمرة بمختلف أنواعها في كافة المدن السلجوقية حيث اعتنى المزارعون بزراعة أشجار النخيل والزيتون والتين والمشماش والتفاح والخوخ وغيرها من الأشجار.

(1) - الوزنة، المرجع السابق، ص 89

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 326.

(3) - القزويني، المصدر السابق، ص 349

(4) - ابن حجاج، المرجع السابق، ص 63-120.

(5) - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، لب الباب في تحرير الأنساب، تح: محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص 271.

(6) - القزويني، المصدر السابق، ص 349

(7) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 476؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المصدر السابق، ص 46.

(8) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 199.

(9) - لسترنج، المرجع السابق، ص 502.

ونتيجة لذلك وجدت في مختلف مناطق خراسان كالصَّعد والشَّاش وأشروسنة مختلف أنواع الثَّمار والفواكه لدرجة أنَّ الحيوانات كانت ترعى منها لكثرتها⁽¹⁾، كما ازدهرت في نيسابور العديد من أشجار الفواكه والثَّمار التي كانت تعتبر من أفضل المحاصيل الزراعية في المنطقة وذلك بسبب خصوبة أراضيها، فالفواكه التي تنتجها نيسابور تشتهر بجودتها وطعمها الفريد والذي لا نظير له⁽²⁾، مما جعلها محط اهتمام التجار والمستهلكين من مختلف المناطق.

إضافة إلى ذلك كانت معظم الأراضي صالحة لزراعة أشجار الحمضيات كما أنَّ الجوَّ كان مناسباً لنضجها ونموها ومن أشهر هذه الثمار نجد الكرمة: فكانت الكروم من أكثر الأشجار انتشاراً في مختلف أقاليم الدَّولة السَّلاجقية، حيث أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، فلا يكاد يخلو منزل من هذه الأشجار، وكان لها عدة استعمالات كاستهلاكها بشكل مباشر أو استخدامها في الصناعات المحلية المختلفة.

في العراق ازدهرت زراعة الكروم بشكل خاص، حيث امتدَّت مساحات شاسعة من هذه الأشجار في مدينتي سنجار والموصل⁽³⁾، بينما اشتهرت نصيبين بزراعة الكروم إلى جانب أشجار الفواكه، مما جعل هذه المناطق مراكز مراكز زراعية بارزة تعكس تنوع المحاصيل الزراعيَّة وجودتها في الدَّولة السَّلاجقية.

كما اشتهر إقليم خراسان بزراعة الكروم على نطاق واسع، وخاصة في مدن مثل مرو وسرخس ونسا، التي عُرفت بمساحاتها الشاسعة المزروعة بهذه الأشجار⁽⁴⁾. وتميزت مرو بإنتاج عنب فريد من نوعه، استخدم في صناعة الزبيب الذي وصفه القلقشندي بقوله: "بها أجود أنواع الزبيب الذي لا مثيل له"⁽⁵⁾، وفي مدينة هراة اشتهرت أشجار العنب بجودتها الفائقة، حيث صنع منها زبيب مميز يُصدر إلى العراق والمدن الأخرى⁽⁶⁾، إلى جانب زراعة

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 385.

(2) - القزويني، المصدر السابق، ص 471.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194.

(4) - لسترنج، المرجع السابق، ص 178.

(5) - القلقشندي، المصدر السابق، ج 4، ص 394.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 367.

أشجار الفواكه النادرة⁽¹⁾، وعلى نفس النهج ازدهرت زراعة الكروم في مدينة الطاق بسجستان حيث تفوقت المنطقة بإنتاج كميات وفيرة من العنب، مما ساعد على تحقيق الاكتفاء الغذائي لسكان المنطقة⁽²⁾.

ولقد اشتهرت مدن أخرى مثل سابور وأرجان وخوارزم بإنتاج العنب⁽³⁾، الذي كان يُعد من المحاصيل المهمة في تلك المناطق، حيث تميز بجودته وتنوع استخداماته. وفي مدينة بلخ، انتشرت زراعة أشجار العنب على نطاق واسع، واستخدمت منتجاتها، خاصة الزبيب، لتلبية احتياجات السكان وتصديره إلى الأسواق المجاورة.

ومن الفواكه التي تواجدت بكثرة التفاح حيث تعددت مدن الدولة السلجوقية التي اشتهرت بزراعته، فقد كانت الموصل من أبرز المدن التي تميزت بإنتاج هذا النوع من الفواكه⁽⁴⁾، كما كانت أصبهان مشهورة بتفاحها الفاخر، الذي كان له خصائص فريدة حيث لا تفوح رائحته إلا بعد قطفه مما جعله مميزاً بين باقي الأنواع⁽⁵⁾، ومن المدن التي اهتمت بزراعته أيضاً كانت اصطخر، حيث تنوع التفاح فيها بين الحلو والحامض والمعتدل الحموضة، ما جعلها محط اهتمام المزارعين والتجار، وكذلك كان إقليم فرغانة معروفاً بإنتاج أجود أنواع التفاح⁽⁶⁾ مما عزز من مكانته التجارية في المنطقة.

تعدّ زراعة الحمضيات من أوجه التقدم الزراعي في العديد من مناطق الدولة السلجوقية، حيث انتشرت بشكل ملحوظ في بغداد والبصرة بساتين البرتقال والليمون⁽⁷⁾، وذلك بفضل مناخها الملائم وخصوبة أراضيها، ولقد كان

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 306-307.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 352.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص 502؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 420-425.

(4) - الجميلي رشيد عبد الله، إمارة الموصل في العصر السلجوقي 489هـ - 521هـ، ط 1، مكتبة المهتدين الإسلامية، بغداد، 1980م، ص 292.

(5) - القزويني، المصدر السابق، ص 296.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 392.

(7) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 119.

كان السكان يستخدمون هذه الفواكه في تحضير الأطعمة والمشروبات، فضلاً عن التجارة التي شهدت ازدهاراً كبيراً.

كما اشتهرت خوزستان بزراعة الكثير من أشجار البرتقال والليمون⁽¹⁾، وساهم مناخها المعتدل والمياه الوفيرة في انتشار هذه الأشجار، وكانت هذه الأشجار توفر إنتاجاً كبيراً يلبي احتياجات سكان المنطقة، كما كانت تُصدر كميات منها إلى مناطق أخرى.

ومن الفواكه التي اشتهرت مرو بزراعتها وإنتاجها البطيخ فكانت مميزة بنوع منه يسمى "البازنك" الذي كان يتميز بجودته وطيبه، وكانت تصدر منه إلى مختلف البلدان الأخرى، وكان يفضل أكله طازجاً ورطباً⁽²⁾، كما كانت مرو معروفة بتقليد خاص في حفظ البطيخ، حيث يقومون بتجفيفه وهو ما يسمى بالبطيخ المقدد وهو ما جعلها واحدة من أبرز مراكز تصدير هذه الفاكهة إلى العديد من البلدان المجاورة.

بالإضافة إلى البطيخ العادي، كان البطيخ الأصفر أو ما يُسمى الشامام يُزرع بكثرة في مرو أيضاً، وكان يتم تجفيفه وتصديره مثل البطيخ المقدد إلى مختلف البلدان الأخرى.

ومن الفواكه المنتشرة بكثرة أيضاً في المدن السلجوقية الكمثري حيث زُرِع بشكل ملحوظ في مدينتي مرو وأصفهان هذه الأخيرة تميزت بنوع خاص يُعرف باسم "مَلْجِي" وهو نوع شهير وذو طعم رائع، كما كان هناك أنواع أخرى من الكمثري التي تمت زراعتها في هذه المناطق⁽³⁾.

وفي مدينة الموصل كذلك اهتم الفلاحون بزراعة أشجار الكمثري بكميات كبيرة، حيث كانت تُزرع في بساتين خاصة وتُحصَد بكميات وافرة⁽⁴⁾ لتلبية احتياجات الأسواق الداخلية.

(1) - المرجع نفسه، ص 119.

(2) - الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، لطائف المعارف، لندن، (د.د.ن)، (د.ط)، 1867م، ص 226؛ الحميري، المصدر السابق، ص 533.

(3) - القزويني، المصدر السابق، ص 296.

(4) - الجميلي، المرجع السابق، ص 292.

انتشرت زراعة أشجار الرمان في العديد من مدن الدولة السلجوقية، حيث كانت تُعتبر من المحاصيل الرئيسية التي تميز هذه المناطق، في الموصل كانت الأراضي تُنتج كميات كبيرة من الرمان⁽¹⁾، مما جعلها واحدة من المراكز الهامة لإنتاج هذه الفاكهة، وفي مدينة سنجار كان هناك اهتمام خاص بزراعة الرمان، خاصة الأنواع ذات الحجم الكبير، بالإضافة إلى إنتاج الرمان المجفف الذي كان له طلب كبير في الأسواق⁽²⁾، وكذلك اهتمت مدينة جرجان بزراعة أشجار الرمان وإنتاجه⁽³⁾، كما كثرت أشجار الرمان والتين في بلخ حيث كانت تُستخدم هذه الثمار لصناعة العسل⁽⁴⁾ وهو ما جعل المنطقة مشهورة بإنتاجه، كذلك اشتهرت كل من مدينة الحلة وقرية سورا بزراعة أشجار الرمان⁽⁵⁾ مما ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية في تلك المناطق.

ولاقَت أشجار المشمش اهتمام الأهالي مثل سكان منطقة كروخ بمدينة هراة حيث زرعت بها الكثير من هذه الأشجار، ولكثرته صُدِّر منه إلى البلدان الأخرى⁽⁶⁾.

واهتم الفلاحون والمزارعون كذلك بزراعة أشجار الزيتون لما لها من أهمية وفائدة عظيمة حيث يحتاجون إليه في حياتهم وغذائهم من خلال تناوله كما هو أو عصر واستخراج الزيت منه، فتواجد في أغلبية المدن مثل أرجون وسابور وأرجان، بالإضافة إلى أنهم اشتهروا بزراعة أشجار التين وقصب السكر⁽⁷⁾.

كما انتشرت زراعة أشجار اللوزيات في مختلف المدن فكثرت زراعتها في فرغانة خاصة أشجار الفستق⁽⁸⁾، واشتهرت بخارى بزراعة أشجار الجوز، وكذا الحال مدن سابور وأرجون حيث اشتهروا بزراعة اللوز إلى جانب

(1) - المرجع نفسه، ص 292.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 199.

(3) - القزويني، المصدر السابق، ص 349.

(4) - لسترنج، المرجع السابق، ص 472.

(5) - الحميري، المصدر السابق، ص 332.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 367.

(7) - المقدسي، المصدر السابق، ص 420-425.

(8) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 392.

الجوز⁽¹⁾، أما خوارزم فاختصت بزراعة أشجار البندق، وأنتجت مدينة قم الكثير من الغلات من الفستق والبندق⁽²⁾.

4.4. القطن:

من المنتجات الفلاحية التي اشتهرت بها المدن السلجوقية كان القطن، حيث انتشرت زراعته في مناطق عدة وبلغت حتى العراق، بعد أن انتقلت من بلاد ما بين النهرين⁽³⁾ وشمال فارس، وقد جاءت زراعة القطن إلى هذه المناطق من الهند⁽⁴⁾، ثم انتشرت تدريجياً إلى خراسان، التي كانت تُعدُّ إحدى المناطق الرئيسية لزراعته.

يحتاج القطن إلى تربة سليمة خالية من الملوحة، وهو يزدهر في الأراضي الجيدة التي توفر له الظروف المناسبة، لكن القطن لا يتحمل العطش مثل بقية المحاصيل حيث يتطلب وفرة في المياه لضمان نجاح زراعته، ولذلك كان توافر المياه العذبة الخالية من الملوحة والمصادر المائية المتنوعة من أهمّ العوامل التي ساعدت على زراعته وتطور ذلك في العراق⁽⁵⁾.

ومن المناطق السلجوقية التي اشتهرت بزراعته أيضاً خراسان حيث أشار المقدسي إلى أنّ كل الناس تعلم أنّ القطن لخراسان⁽⁶⁾، فزرع القطن في المنطقة الشرقية لمدينة بلخ بكثرة⁽⁷⁾.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 420-423

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 315.

(3) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 300.

(4) - فتح محمد بن القاسم الثقفي أرض الهند في سنة 94 هـ، حيث تمتد في بحر الهند والصين العديد من الجبال والمضايق. تعتبر مملكة الهند في نظر ملوك الكفار مملكة الحكمة، ويدعون أنهم أول من أسس المملكة ونصبوا لها ملكاً. ويتميّز أهل الهند بتنوع مذهبي، حيث يوجد لديهم اثنتان وأربعون ديانة، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 596-597.

(5) - ابن وحشية، المصدر السابق، ج 1، ص 520.

(6) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 97.

(7) - لسترنج، المرجع السابق، ص 469.

واختصّت مرو بزراعة القطن الجيّد واللّين⁽¹⁾، مما جعله من المحاصيل الزراعيّة البارزة في المنطقة، ولقد بلغت شهرة محصول القطن في مرو آفاقاً واسعة حيث كان يُنتج بكميات كبيرة تُلبّي احتياجات الأسواق المحليّة والتّجاريّة، ولم يقتصر دور القطن في مرو على الزّراعة فقط، بل كان يُصنع منه المنسوجات القطنية وأجمل الملابس التي اشتهرت بها المدينة، وفي ذلك يقول ابن حوقل "ويرتفع من مرو الكثير من القطن إلى كافة الأقطار وينسب إليها"⁽²⁾، كما كان القطن الذي يزرع بداندنقان مضرب المثل باعتبار جودته فضدّر بكميات كبيرة لمختلف المدن⁽³⁾.

وتميّزت مدينة نيسابور أيضاً بزراعة القطن حيث كانت تُعتبر واحدة من أبرز المدن في هذا المجال، بفضل جودة القطن الذي كان يُزرع في أراضيها، فأصبحت من المدن التي تشتهر بإنتاج أنفُس الثياب المصنوعة من القطن⁽⁴⁾، وكانت هذه الملابس تتمتع بسمعة عالية في الجودة والنظافة، مما جعلها مطلوبة في جميع أسواق المدن الأخرى.

كما كان لكازرون شهرة كبيرة في زراعة القطن⁽⁵⁾ وصنع الملابس خاصة ما سمي منها بالكرباس⁽⁶⁾.

واختصت طبرستان بصنع المناديل القطنية واللّحاف والأغطية من الصّوف حيث كانت تزرع محاصيل القطن عندهم بكثرة⁽⁷⁾، مما ساعد على تطوير هذه الصناعات اليدوية التي اشتهرت بها المنطقة.

كما انتشرت زراعته في إقليم خوزستان حيث اهتم الأهالي بزراعته لفوائده الكبيرة⁽¹⁾، خاصة في مجال صناعة الأقمشة والمنسوجات التي كانت تُستخدم في مختلف جوانب الحياة اليوميّة.

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، ص 476.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 437.

(3) - أبو الفداء، المصدر السابق، ج 3، ص 446؛ القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج 4، مطبعة الأميريّة، القاهرة، (دط)، 1915م، ص 390.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 377.

(5) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 300.

(6) - الكرباسي ثوب فارسي ينسج من القطن، انظر: ابن سيده، المصدر السابق، ج 4، ص 73؛ لسترنج، المرجع السابق، ص 262.

(7) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 323.

وتميزت كل من بخارى وسمرقند كذلك بزراعة أجود وأفضل أنواع القطن، حيث صدرت منتجاتها من القطن إلى العديد من الأماكن والمدن.

أما مدينة خوارزم، فقد كانت بدورها من المناطق التي شهدت إنتاجاً وفيراً من القطن⁽²⁾، فأسهمت زراعة القطن فيها في تعزيز مكانتها الاقتصادية والتجارية.

4. 5. القمح:

من أهم المحاصيل الزراعية التي عادت بالفائدة على اقتصاد الدولة السلجوقية الحبوب بأنواعها حيث تمت زراعتها وبشكل كبير في كافة الأقاليم والمدن خاصة في الجزيرة الفراتية بالعراق ولقد صُدّرت منها كميات معتبرة إلى بغداد وغيرها⁽³⁾، ومن الأقاليم أيضاً نصيبين التي اشتهرت بكثرة الغلات كالقمح والشعير⁽⁴⁾.

في حين اهتم الأهالي في منطقة البطائح بزراعة الشعير، أضيف إلى ما سبق مدينة الأنبار التي قيل أن سبب تسميتها بذلك يرجع لأنه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير⁽⁵⁾.

كما كانت مدينة واسط⁽⁶⁾ أرض الشعير وبلد القمح لتوفر هذه المحاصيل بكميات كبيرة بها⁽⁷⁾.

(1) - خوزستان تقع شرق دجلة بالقرب من عبادان، وهي منطقة واسعة تتميز بخصوبة أراضيها وصحة مياهها. تضم سهولاً شاسعة وكثرة في الأنهار والمياه الجارية. تُعد الأهواز عاصمتها، وتشمل مدناً بارزة مثل عسكر مكرم، تستر، جنديسابور، ورامهرمز، وجميعها تشتهر بوفرة المياه والأودية الغنية، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 225.

(2) - لسترنج، المرجع السابق، ص 502.

(3) - الدوري، المرجع السابق، ص 29.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 191.

(5) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 257.

(6) - واسط مدينة تقع بين الكوفة والبصرة على الجانب الغربي، معروفة بوفرة خيراتها. أسسها الحاج بن يوسف الثقفي عام 84 هـ، واكتمل بناؤها في عام 86 هـ، انظر: القزويني، المصدر السابق، ص 478.

(7) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 214.

ولقد تنوعت المحاصيل الزراعية في الموصل⁽¹⁾ وكان منتوجا الشعير والقمح في المقدمة⁽²⁾، كان الشعير يعتبر من المحاصيل الأساسية في الحياة اليومية⁽³⁾، خاصة لدى الفقراء الذين اتخذوا من الشعير مصدراً رئيسياً لصنع الخبز، واعتبروه غذاءً أساسياً لهم وكان هذا النوع من الخبز يشكل جزءاً لا يتجزأ من النظام الغذائي، ويعكس عادات اجتماعية مميزة في المدينة، حيث كان يتم تقديم خبز الشعير لأفراد العائلة والأصدقاء في شكل هدايا يرمز تقديم الخبز بهذا الشكل إلى روح التعاون والمشاركة بين أفراد المجتمع، كما اشتهرت الموصل بزراعة الحبوب الأخرى كالقطن⁽⁴⁾.

وكانت المدن في إقليم خراسان مهمة كذلك بالمحاصيل الزراعية والاعتماد عليها في الغذاء والتصدير أيضاً فمدينة نيسابور اشتهرت بزراعة مختلف أنواع الحبوب كالقمح⁽⁵⁾، كما تميزت مرو بزراعة الشعير وأفضل أنواع القمح والذي والذي عرف في الأرجاء باسم حنطة مرو⁽⁶⁾ لجودته وتميزه عن إنتاج المدن الأخرى في القمح. وتميز القمح الذي كان يزرع في أصفهان بالجودة لدرجة أنه لا يسوس كما وصفه القزويني⁽⁷⁾. ومن المدن الأخرى التي اهتمت بزراعة الحبوب وإنتاجها⁽⁸⁾ نذكر أرجان وسرخس وأبهر وطوس. لقد استغل السلاجقة تعاقب فصول السنة فزرعوا في الشتاء القمح والشعير والشوفان، والفل والحمص والعدس والجلبان⁽¹⁾.

(1) - الجميلي، المرجع السابق، ص 292.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194 - 197.

(3) - الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 351 - 352.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194 - 197.

(5) - الإدريسي، المصدر السابق، مج 2، ص 215؛ القزويني، المصدر السابق، ص 473 - 474.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 17، ص 72.

(7) - القزويني، المصدر السابق، ص 296.

(8) - المقدسي، المصدر السابق، ص 313.

4. 6. الأرز:

يأتي الأرز بعد القمح والشّعير أهمية حيث يعتبر كذلك غذاء أساسيا للإنسان لهذا اهتم الأهالي بزراعته⁽²⁾، ولقد كانت أراضي الدولة السلجوقية صالحة لذلك فهو يحتاج للكثير من الماء⁽³⁾ حيث يتم غمره بها، وتتم زراعته في فصلي الصيف والشتاء.

ولقد شاعت زراعته خاصة ببحر قزوين وكذا شمال دجلة⁽⁴⁾، إضافة إلى بلاد الجزيرة ومنطقة البطائح اللتين اشتهرتا بزراعته⁽⁵⁾، وذلك بسبب طبيعة أراضيها حيث توفرت بها المياه بكثرة⁽⁶⁾، إضافة إلى جودة التربة، كما زرع الأرز في المناطق القريبة من الأنهار.

كما كانت أراضي الكوفة المنخفضة صالحة لزراعته الأمر الذي أدى إلى زيادة الإنتاج فيها⁽⁷⁾.

ومن المناطق العراقية التي اهتم الأهالي بزراعة الأرز في أراضيها مدينة كسكر⁽⁸⁾، كما عرفت نصيبين بزراعة وإنتاج هذا المحصول⁽⁹⁾.

(1) - النويري، المصدر السابق، ج8، ص ص 257-258.

(2) - ابن وحشية، المصدر السابق، ج1، ص477.

(3) - جاسم محمد الخلف، المرجع السابق، ص243.

(4) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص120.

(5) - إدريس، المصدر السابق، ص177.

(6) - الاصطخري، المصدر السابق، ص ص 57-58.

(7) - التنوخي، المصدر السابق، ج8، ص67.

(8) - كسكر: ناحية بين واسط والبصرة على الطرف البطائح، الحموي، معجم البلدان، ج4، مصدر سابق، ص461؛ القزويني، المصدر السابق، ص446.

(9) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص193.

ومن مدن خراسان التي اشتهرت بزراعته مرو والتي كانت أطيح مدن خراسان أطعمة⁽¹⁾. وكان الأرز في طبرستان أيضاً ذا نوعية جيدة⁽²⁾ حيث عُرف بسمعته العالية في أسواق المنطقة.

وفي بلخ اهتم الفلاحون بزراعة الأرز بشكل كبير، مما جعل المدينة واحدة من أبرز المراكز المنتجة له، الأمر الذي أدى بالمزارعين إلى تصدير كميات كبيرة منه إلى المدن المجاورة⁽³⁾، وكذا نفس الحال في مدينة هراة التي كان يزرع بكثرة في أراضيها⁽⁴⁾، أما مدينة خوارزم فقد كانت هي الأخرى من المدن التي اشتهرت بزراعة الأرز⁽⁵⁾.

واعتبر الأرز قوت أساسي في خوزستان لهذا اهتم الأهالي بزراعته فكانوا عند نضجه يقومون بطحنه وخبزه وأكله⁽⁶⁾.

5- الثروة الحيوانية:

تُعتبر تربية الحيوانات والرعي عنصراً محورياً في النشاط الزراعي داخل أقاليم الدولة السلجوقية، حيث أدرك السلاجقة أهمية هذا القطاع في دعم الاقتصاد المحلي وتحسين مستوى المعيشة، لذا وجهوا جهودهم لتطوير المناطق الزراعية والرعية، مع التركيز على تحسين إدارة المراعي وتوسيع تربية المواشي، ونتيجة لذلك شهدت الصناعات المرتبطة بالمواشي مثل الغزل والنسيج ازدهاراً ملحوظاً، مما عزز مكانة الاقتصاد المحلي وزاد من رفاهية السكان.

أسهمت الحيوانات بشكل فعال في مختلف جوانب العمل الزراعي، حيث استعان بها الفلاحون في أعمال الحرث والدرس ونقل المحاصيل وري المزروعات، ولم تقتصر فائدتها على الجانب الزراعي فحسب بل شكّلت أيضاً مصدراً

(1) - البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1987م، ص502.

(2) - القزويني، المصدر السابق، ص404 - 446.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص472.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص367-368.

(5) - لسترنج، المرجع السابق، ص502.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص229.

مهما للغذاء والمنتجات الحيوانية كاللحوم والألبان والجلود، ومن أبرز الأنواع التي اهتم السلاجقة بتربيتها: الأبقار والأغنام، والإبل والحيل... ويرجع هذا الاهتمام بتربية الحيوانات إلى ما تتيحه من فوائد متنوعة، تُسهم بصورة فعّالة في دعم الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة في المجتمعات الزراعية.

5. 1. الإبل:

في العصر السلجوقي كانت القبائل البدوية تعتمد بشكل كبير على الإبل في معيشتها، حيث استفادت من لحومها وألبانها ووبرها، كما كانت تُستخدم كوسيلة أساسية للتنقل بين المناطق المختلفة بحثًا عن المرعى⁽¹⁾، ولقد تركزت مناطق الرعي في العراق بالقرب من مجاري الأنهار والمناطق ذات الأمطار الوفيرة، مما أتاح بيئة خصبة لتربية المواشي وزيادة أعدادها⁽²⁾.

كما أسهمت طبيعة العراق المستوية في تسهيل حركة الإبل عبر مختلف أنحاء البلاد، مما أسهم بشكل كبير في نقل السلع التجارية وخدمة الاقتصاد، تمتعت العراق بتنوع واسع في أنواع الحيوانات نظرًا لاعتدال مناخها، واستقرار مواردها المائية بالإضافة إلى تنوع الغطاء النباتي وكثرة المراعي الخصبة، إذ بدون النباتات الطبيعية لا يمكن للثروة الحيوانية أن تزدهر وتستمر، وبدون الثروة الحيوانية لا توجد حاجة كبيرة للنباتات الطبيعية⁽³⁾، كما وجدت الحيوانات بيئتها المناسبة قرب ضفاف الأنهار أو في القرى الزراعية، حيث تمت عمليات تدجينها⁽⁴⁾ لتلبية احتياجات السكان من الغذاء والمواد الضرورية، مما عزّز التكامل بين النشاط الزراعي والرعي واستقرار الأهالي.

(1) - الهاشمي طه، جغرافية العراق، ط2، مطبعة المعارف، بغداد، 1936م، ص176

(2) - المرجع نفسه، ص175.

(3) - حافظ إبراهيم محمود، الثروة الحيوانية في العراق وسبل تطويرها، الموصل، (د.د.ن)، (د.ط)، 1979م، ص165.

(4) - الدَّجْنُ مشتق من التدجين، وجمعه دواجن. يُقال: دَجَنَتِ الناقة والشاة، أي لزمنا البيوت وصارتا أليفَتَيْن، ويُقال لها: داجنة. داجنة. وقد يمتد استخدام المصطلح ليشمل كل ما يعتاد الإقامة في البيوت من الطيور أو غيرها، أما المداجنة، فهي تُشير إلى حسن المعاملة والمخالطة برفق انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص148؛ زكريا أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1979م، ص330.

إلى جانب ذلك أولى سكان الجزيرة عناية كبيرة بتربية الإبل⁽¹⁾، مما زاد من أهميّة هذه الحيوانات في حياتهم اليومية. كما تميزت مرو بثروة حيوانية وافرة بفضل توافر المراعي فيها، حيث كانت الأرض غنية بالأعشاب والنباتات إذ اشتهرت بنبات يعرف بالإشترغار، وكان يُنقل بكثرة إلى المناطق المجاورة⁽²⁾، لهذا حرص سكان مدينة مرو على تربية الإبل، حيث استخدموها في نقل البضائع والسفر بين المدن⁽³⁾، وكانت القوافل المحملة بالبضائع تسير عبر الطّرق الصحراوية معتمدة على الإبل، ممّا ساعد في تعزيز التجارة بين المناطق المختلفة.

5. 2. الخيل:

ومن الحيوانات التي اهتمّ بتربيتها السلاجقة الخيل الذي كان لها دور حيوي في الحياة اليومية للناس في ذلك العصر، فقد استخدمت الخيول في نقل الأحمال عبر مسافات طويلة، وكانت وسيلة رئيسية للركوب والسفر، كما كان الفلاحون يستخدمونها لحث الأراضي الزراعية⁽⁴⁾، ممّا ساعدهم على زراعة محاصيلهم بشكل أكثر فعالية وكفاءة، وزيادة الإنتاجية.

وفي مدينة سرخس كان هناك اهتمام واسع بتربية الخيول وتكاثرها⁽⁵⁾، فكانت المدينة تُعرف بوجود مزارع ضخمة وأماكن مخصّصة لرعاية الخيول، وكانت خيولها تُستخدم في الفروسية والمعارك، ممّا جعلها مطلوبة بشدّة من قبل القادة العسكريين والتجار على حد سواء، علاوة على ذلك كانت هناك أسواق خاصّة في المدينة لبيع وشراء الخيول، مما يعكس الدور البارز الذي أسهمت به في الاقتصاد المحلي والثقافة العسكرية في تلك الفترة.

إضافة إلى ذلك كان إقليم الجزيرة الفراتية يتميز بغناه بالمراعي الخصبة التي ساعدت في تربية أفضل أنواع الخيول، كما كانت نصيبين إحدى مدن هذا الإقليم مشهورة بجودة خيولها، ونتيجةً لهذا أصبحت خيول هذا الإقليم

(1) - الكعبي عبد الحليم، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2009م، ص43.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص426.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص 99.

(4) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص178.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، 286؛ الحميري، المصدر السابق، ص316.

تُصدّر إلى خارج المنطقة كما يشير المقدسي في وصفه قائلاً: "ومن الجزيرة تأتي الخيل الجياد"⁽¹⁾، هذا الكلام يبرز السّمة الطّبيّة التي كانت تتمتع بها خيول الجزيرة الفراتية.

5. 3. البغال:

كان للدواب دورًا حيويًا في تلبية متطلبات الحياة اليومية، من خلال إسهامها في توفير الغذاء والخدمات الضرورية للمعيشة، وقد اعتمد السّكان السّلاجقة عليها بشكل واسع في نقل الأحمال وجَرّ العربات، كما كانت تُعد وسيلة مهمّة للتنقل لا سيما في المناطق الجبلية الوعرة وبعض المناطق الزراعيّة خصوصاً تلك التي يصعب فيها استخدام الأدوات الثقيلة أو الجرارات، كما اعتمد عليها الفلاحون في تجهيز الأرض وحرثها⁽²⁾ وزراعة المحاصيل وبذرهما، وهو ما أسهم في تحسين الإنتاج الزراعي.

كما كانت الحمير في العراق تتميّز بصغر حجمها ولونها الذي يتراوح بين الأسود والرّمادي، وقد استخدمت بشكل رئيسي في نقل الماء والحطب والحبوب، بالإضافة إلى الأثاث أثناء الانتقال من مكان إلى آخر⁽³⁾ حيث كانت الأسر تنتقل بين القرى و المدن مستعينة بالحمير لنقل الضّروريات اليّومية، ممّا يجعلها وسيلة هامّة في الحياة اليّومية، وبهذا اعتبرت وسيلة النقل الأكثر شيوعاً والأسهل.

ولقد اعتمد الفلاحون في مختلف أقاليم الجزيرة الفراتية على الحمير والبغال بشكل كبير لنقل الأتربة والأسمدة والمحاصيل الزراعيّة، وكذلك لنقل مواد البناء، كانت هذه الحيوانات تُستخدم بوفرة في الأعمال الزراعيّة والبنائيّة، فكانت الحمير تُستخدم لنقل الحبوب من الحقول إلى المخازن، بينما كانت البغال تُستعمل في نقل الأحمال الثقيلة مثل الأتربة والأسمدة إلى الأراضي الزراعيّة ممّا ساهم في تحسين الإنتاج وكمّيته، كما ساهمت الدواب في توفير المواد اللازمة لصناعة السلع سواء الجلدية أو الصوفية،

وفي مدينة مرو كانت الدواب⁽⁴⁾ مثل البغال والحمير منتشرة بشكل كبير نظرًا لأهميتها في أعمال التّقل والزّراعة.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 145.

(2) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 179

(3) - المرجع نفسه، ص 179

(4) - البلاذري، المصدر السابق، ص 502.

5. 4. الغنم:

ساهمت الزراعة في تشجيع سكان الدولة السلجوقية على شراء الحيوانات الداجنة وتربية الأنعام إضافة إلى الإبل والدواب حيث تعيش مجموعات منها في أنحاء متعددة من العراق سواء في المناطق الجبلية أو السهول الواسعة⁽¹⁾، وكذلك في خراسان حيث برزت مدينة مرو بفضل شهرتها في تربية الأغنام⁽²⁾ واعتبرت أحد أهم مراكز تربية الأغنام إذ كانت هذه المدينة تعرف بوفرة قطعان الأغنام التي كانت تشكّل جزءاً أساسياً من اقتصادها ومصدراً مهماً للموارد الزراعية وإنتاج المنتجات الحيوانية مثل اللحوم والألبان والصوف⁽³⁾، وخلال الغزو المغولي قدرت الأعداد التي استولى عليها المغول من أهالي مرو بأكثر من ستين ألف رأس من الأغنام، مما يبرز مدى أهميتها في الحياة الاقتصادية للمنطقة، وإلى جانب مرو تشتهر مدينة سرخس بتربية الأغنام على نطاق واسع، حيث يتم تصدير الماشية⁽⁴⁾ من مدينة كش التي تقع على مسافة ثلاثة فراسخ من جرجان⁽⁵⁾.

كما تُعدّ منطقة الجزيرة الفراتية من أبرز المناطق التي تميّزت بوفرة المياه والمراعي الواسعة، الأمر الذي ساعد بشكل كبير في تربية أعداد كبيرة من المواشي، ولا سيما الأغنام والخراف والتي كانت تُعتبر مصدراً رئيسياً للغذاء والدخل⁽⁶⁾، وفي هذه المنطقة كانت تُربى أفضل أنواع الأغنام، كما عرفت الموصل بثروتها الحيوانية الغنية، ولقد وصفها ابن حوقل قائلاً "للموصل نواح واسعة ورساتيق ضخمة، من بينها رستاق نينوى الذي يُعدّ أيضاً فسيحاً، وكانت تتميز بوفرة في الأراضي الواسعة والماشية، إضافةً إلى المراعي الرّحبة التي توفرّ الغذاء للحيوانات"⁽⁷⁾.

(1) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 180.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249.

(3) - فؤاد عبد الله العمر، مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره، ط 1، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2003 م، ص 151.

(4) - الحميري، المصدر السابق، ص 501.

(5) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 462.

(6) - الكعبي، المرجع السابق، ص 42.

(7) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 197.

ولقد تميّز المزارعون في الدولة السلجوقية بامتلاكهم معرفة وخبرة عميقة في مجال تربية الماشية⁽¹⁾ ورعايتها بما في ذلك التغذية، فكانوا يعرفون أنواع الأعلاف التي توفر أفضل تغذية للماشية في مختلف مراحل نموها كالأعلاف الغنية بالبروتين لتسمين الأغنام، كما كانوا يجيدون التعامل مع الأمراض الشائعة مثل الحمى القلاعية والديدان الطفيلية، واستخدام الأدوية والعلاجات المناسبة لكل حالة، كما تشمل معرفتهم التعامل مع الأمراض الشائعة بين الماشية وأساليب تحسين إنتاجيتها، بالإضافة إلى معرفتهم بطرق بناء الحظائر المناسبة التي تحميها من الظروف الجوية القاسية وتوفر لها بيئة مريحة للنوم والاستراحة.

5.5. البقر:

ومن الحيوانات التي انتشرت بشكل واسع في الدولة السلجوقية الأبقار والتي يتزايد عددها في المناطق التي تميز بالخصوبة والنباتات الوفيرة حيث مثلت مصدرًا أساسيًا لدعم الأنشطة الزراعية، فاعتمد المزارعون بشكل كبير على الثيران في حراثة الأراضي ونقل المحاصيل⁽²⁾ مما جعل تربية الأبقار تحظى باهتمام خاص لدى سكان الجزيرة⁽³⁾، وقد أسهم هذا الاهتمام في تعزيز الإنتاج الزراعي للمنطقة، كما اهتم المزارعون وسكان الريف في جنوب العراق بتربيتها وشرائها.

أما المناطق السكنية الواقعة في سهول العراق وبالضبط بالقرب من ضفاف نهر دجلة والفرات فعُرفت بكثرة قطعان البقر⁽⁴⁾ التي أدت دورًا حيويًا في الأنشطة الزراعية والمعيشية، وفي مدينة الموصل تحديدًا كثرت الثيران حيث اعتمد عليها السكان في الأعمال الزراعية الثقيلة.

وتميّزت مدينة مرو بتنوع ثروتها الحيوانية، حيث كانت تمتلك أعدادًا كبيرة من الأبقار وكانت لها شهرة كبيرة في ذلك، فاستخدمت أبقارها في حرث الأراضي ونقل المحاصيل، إلى جانب توفير الغذاء للأهالي من خلال لحومها

(1) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 120.

(2) - الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، معالم الإيمان معرفة أهل القيروان، تعليق: قاسم بن عيسى بن ناجي، ج 4، تونس، 1322هـ، ص ص 44-45.

(3) - الكعبي، المرجع السابق، ص 43.

(4) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 182.

وألبانها⁽¹⁾ حيث كانت تنتج كميات كبيرة من الجبن عالي الجودة الذي حظي بشهرة واسعة وتم تصديره إلى أنحاء واسعة، إلى جانب ذلك اعتبرت الأبقار وسيلة من وسائل التنقل، وأسهمت في شكل كبير في توفير المواد الضرورية للصناعات المختلفة⁽²⁾ مثل الجلود المستخدمة في إنتاج الملابس وغيرها.

5. 6. الجاموس:

لقد انتشرت تربية الجاموس بشكل كبير في المناطق الرطبة والمستنقعات الواسعة في جنوب العراق⁽³⁾ خاصة في منطقة الأهوار، حيث يقتنيها الأهالي، كما يُستخدم في بعض المناطق الشمالية للزراعة والنقل وحراثة الأراضي الزراعية، كما شكّل الجاموس مصدرًا مهمًا للحليب ومنتجاته، كما استُخدم في بعض المناطق الشمالية، مثل الموصل في الأنشطة الزراعية بما في ذلك حراثة الأراضي ونقل المحاصيل.

5. 7. الماعز:

أولى سكان إقليم الجزيرة الفراتية اهتمامًا كبيرًا بتربية الماعز ورعايتها والتعامل معها كجزء أساسي في حياتهم، فاهتموا بتكاثرها وأكلها وغيرها من الأمور المتعلقة بهم، وذلك في مختلف المدن الواقعة في المنطقة، ولقد استفادوا من صوفها في صناعات مختلفة كصنع بيوت الشعر أو الخيام المعروفة بالخيام السوداء بسبب لونها، وكذلك استخدم صوفه في نسج الأقمشة⁽⁴⁾.

5. 8. الطيور:

اعتنى الفلاحون السلاجقة عناية خاصة بتربية الطيور بمختلف أنواعها خاصة الدجاج والإوز والبط وكذا الحمام والحجل، وكانوا يقومون بتربيتها من أجل الاستفادة من لحمها وبيضها سواء في الاستهلاك أو في البيع، فكان جميع الأهالي في القرى يربون الدجاج، بينما يُربي البط والإوز في أماكن مخصصة خصيصًا لذلك.

⁽¹⁾ - لسترانج، المرجع السابق، ص 443.

⁽²⁾ - المقدسي، المصدر السابق، ص 324.

⁽³⁾ - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 176.

⁽⁴⁾ - المرجع نفسه، ص 181.

وقد عُرفت الموصل بتربية هذه الأنواع من الطيور، والتي تتم تصدير أنواع متنوعة منها إلى العراق⁽¹⁾ واختصت كسكر بتربية البط والدجاج بكثرة فكان الإنتاج فيها وفيرا كما أشار الحموي إلى ذلك بقوله: " وفي كسكر تم بيع أربعة وعشرين فروجًا من الحجم الكبير بدرهم واحد"⁽²⁾.

وفي مرو كانت تربية الطيور والدواجن في المنازل شائعة، وتتميز إنتاجها بالغرارة والوفرة⁽³⁾.

5. 9. دودة القز:

يقوم الأهالي في العراق بتربية دودة القز ورعايتها من أجل الحصول على الحرير والذي يحولونه إلى خيوط لكي يستخدموها في التسيح، ومن أبرز المدن العراقية المعروفة بصناعة الأقمشة الحريرية الناعمة والفاخرة النجف والموصل وبغداد⁽⁴⁾.

كما أولى أهل مرو اهتمامًا كبيرًا بتربية دودة القز⁽⁵⁾، مما أسهم بشكل كبير في تطور صناعة الحرير في المنطقة. ومن المدن الخراسانية التي اهتم الأهالي فيها بتربية دودة القز بكثرة نيسابور ونسا بالإضافة إلى مدينة فرغانة.

5. 10. السمك:

تعيش الأسماك في المياه العذبة في الأنهار وكذا المياه الرائدة في الأهوار، والنوع الأكثر شيوعًا في الأنهار هو سمك البز، المعروف بطوله حيث يتراوح ما بين متر ونصف ومترين، ومن الأماكن المعروفة بكثرة الأسماك في أنهارها

(1) - ابن الفقيه الحمذاني أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302م، ص132.

(2) - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص460.

(3) - السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تصحيح: عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، ج2، ط1، طبع وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمور الثقافية، 1963م، ص120.

(4) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص183.

(5) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص316؛ لسترنج، المصدر السابق، ص443.

البصرة والتي تتوفر على أنواع عديدة من الأسماك البحرية التي يصطادها الأهالي ويعتمدون عليها كمصدر رئيسي في غذائهم⁽¹⁾.

تمتعت الجزيرة بشروة سمكية وفيرة ومتنوعة، وذلك بفضل وفرة المياه في أراضيها حيث يعتبر الماء عاملاً أساسياً في دعم حياة الأسماك فقد تواجدت العديد من الأسماك المختلفة الأنواع والأحجام في أنهار دجلة والفرات وفروعها العديدة⁽²⁾.

5. 11. التحل:

اعتنى السكان في المناطق الجبلية بتربية التحل بشكل خاصّ فبرعوا في ذلك وفي استخراج العسل⁽³⁾، ومن أفضل أنواعه لديهم العسل المعروف بـ "الشّهدة"، الذي يتميز بلونه الأبيض وطعمه اللّذيذ ونكهته الفريدة، كما تفوّقوا في فهم ودراسة سلوكيات التحل وكيفية حياته وتصرفاته وعاداته⁽⁴⁾، ممّا ساعدهم على تحسين جودة إنتاج العسل.

المبحث الثاني: الصّناعة في العصر السّلاجقي:

شهد العصر السّلاجقي ازدهاراً صناعياً ملحوظاً خاصّة في العراق وخراسان، حيث تطوّرت الحِرَف والصّناعات بفضل الاستقرار السّياسي ورعاية السّلاطين، فبرزت مراكز صناعية كبرى في بغداد والموصل ونيسابور ومرو وهراة، حيث اشتهرت هذه المدن بصناعة النّسيج الفاخر والأواني المعدنية والزّجاج والسّجاد وغيرها من الصّناعات، كما ساهمت شبكة الطّرق والتّجارة في تعزيز الإنتاج الصّناعي، ممّا جعل تلك المراكز مزوّدة للأسواق الدّاخلية والخارجية، ومن أهمّ الصّناعات السّلاجقية نذكر:

(1) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 81.

(2) - بشرى جعفر أحمد، قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1971م، ص 104.

(3) - الهاشمي طه، المرجع السابق، ص 183.

(4) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 120.

1- الأسلحة:

ازدهرت صناعة الأسلحة في العصر السلجوقي، مستفيدة من تطوّر صناعة المعادن خاصّة الحديد، الذي كان العنصر الأساسي في إنتاج السيوف والدروع⁽¹⁾، والجواشن والزّماح ومع تصاعد الحاجة إلى الأسلحة في الحروب والدّفاع، شهدت هذه الصناعة تطوّرًا ملحوظًا، حيث برع الحرفيّون في ابتكار معدات متينة ودقيقة، ولقد وظّف الحدّادون مهاراتهم وخبراتهم لصنع الأسلحة فكل سيف أو سهم كان يُصنع بدقة وحِرْص ليكون سلاحاً فتاكاً في المعارك والحروب وعند الصيد، مما أكسبهم مكانة مرموقة وتقديرًا من السلاطين والسكان، وانتشرت ورش صناعة الأسلحة، مما أسهم في تزويد الجيوش بأفضل المعدات وساعد ذلك في تحقيق انتصارات عسكرية بارزة.

ولقد ساعدت وفرة الثروات الباطنية في أقاليم الدولة السلجوقية وخاصّة الحديد المستخرج بكميات كبيرة⁽²⁾ في ازدهار صناعة الأسلحة وجعلها ركيزة أساسية لقوة الدولة السلجوقية، وقد برع الحرفيون في استغلال هذه الموارد، مما مكّن مدناً كخراسان ونيسابور وهراة من التميز في إنتاج أسلحة عالية الجودة والمتانة⁽³⁾ وذلك بفضل خام الحديد المتوفر في جبال نوقان⁽⁴⁾، كما اعتمد الحرفيون على مناجم الحديد المتواجدة في بلاد ما وراء النهر لصناعة الأسلحة⁽⁵⁾، ولم تقتصر هذه الصناعة على تزويد الجيوش بالمعدات الحربية اللازمة فقط، بل أصبحت أيضاً مصدر دخل مهماً من خلال تصدير الأسلحة إلى العديد من البلدان.

كما وفرت ثروات حوض نهر سيحون دفعة قوية للصناعات المعدنية، خاصة صناعة الدروع والسيوف، التي لاقت رواجاً واسعاً في أسواق العراق وخراسان⁽⁶⁾، مما جعلها من أبرز السلع التجارية في تلك الفترة، واشتهرت مدينة

(1) - الهمذاني، المصدر السابق، ص 316.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 214.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 323-324.

(4) - لسترنج كي، المرجع السابق، ص 430.

(5) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 161.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 416.

الشاش بصناعتها المتقنة للأسلحة، حيث أنتجت سيوفاً لا تضاهى في الجودة والتصميم⁽¹⁾، وفي السياق ذاته، برز إقليم فرغانة كمركز صناعي مهم، بفضل وفرة خام الحديد والفحم الحجري في جباله، مما مكّن الحرفيين من تطوير تقنيات متقدمة في صهر المعادن وتشكيلها⁽²⁾، وقد اشتهر الإقليم بصناعة الأسلحة وآلات الحرب⁽³⁾، وخاصة السيوف التي تميزت بقوتها الخارقة وجودتها الفائقة⁽⁴⁾، ما جعلها الخيار المفضل للمحاربين والسلعة الأكثر طلباً في مختلف الأسواق.

كما شهدت بغداد هجرة كبيرة للحرفيين المهرة في صناعة السيوف من خراسان، الذين أتوا محملين بمهاراتهم العالية وخبراتهم الواسعة وتقنيات جديدة وأساليب مبتكرة في صناعة السيوف، فأسسوا في بغداد ورش عمل متخصصة في صناعة السيوف، مما جعلها مركزاً بارزاً لهذه الصناعة في المنطقة، وسرعان ما اشتهرت سيوف بغداد بجودتها العالية ومتانتها حيث كانت تصدر منتجاتها إلى مختلف أنحاء المنطقة.

وبهذا ساهمت صناعة الأسلحة في تحريك الاقتصاد السلجوقي، حيث كانت توفر فرص عمل للكثيرين وتساهم في تدفق الأموال إلى البلاد.

2- الخشب:

لقد شهد العصر السلجوقي تطوراً ملحوظاً في الفنون والحرف، وكان للصناعات الخشبية نصيب بارز من هذا الازدهار، حيث انتشرت على نطاق واسع متأثرة بالتفاعل الثقافي والتجاري مع المناطق المجاورة. وقد ساعد توسع المسلمين في استكشاف البحار، سواء للتجارة أو الجهاد أو فتح الأراضي الغنية بالأنهار مثل بلاد ما وراء النهر والعراق⁽⁵⁾ في تعزيز هذه الحرف، وأسهم هذا الترابط الحضاري في ابتكار تصاميم وزخارف خشبية متفردة تعكس

(1) - القزويني، المصدر السابق، ص 538.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 421.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 325.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 174.

(5) - فؤاد عبد الله العمر، المرجع السابق، ص 159.

غنى التراث السلجوقي وتطوره الفني، وبذلك أصبحت الصناعات الخشبية من أبرز الحرف التي تميز بها سكان خراسان، بفضل وفرة الغابات وخاصة أشجار الخلاف التي تزدهر في إقليم خوارزم، مما جعلها مصدرًا رئيسيًا للأخشاب⁽¹⁾ في المنطقة.

ولقد ازدهرت أيضًا الصناعات الخشبية في مدينة مرو، حيث استغل الحرفيون جذوع الأشجار وأغصانها المتاحة في استخدامات متنوعة⁽²⁾، من بينها استخدام الخشب كمصدر للتدفئة، وصناعة وإنتاج معدات الحرب اللازمة مثل الأقواس والنشاب⁽³⁾ إلى جانب استخدامه في بناء القناطر والجسور التي كانت شكلت شرايين هامة للمنشآت والمرافق الأساسية كما أدى الخشب دورًا حيويًا في صناعة السفن⁽⁴⁾، إذ استخدم في بناء هياكلها وأجزائها المختلفة، مما أسهم في تعزيز التجارة والنقل البحري، وقد شهدت هذه الصناعة انتشارًا واسعًا في المدن السلجوقية، حيث أصبحت وسيلة أساسية للنقل النهري، مما ساعد في تجاوز الحواجز المائية مثل الأنهار وغيرها⁽⁵⁾، وساهم في تعزيز حركة التجارة والتنقل بين مناطق الإمبراطورية.

ولقد أصبحت هذه الصناعة من القطاعات الحيوية في العراق، خاصة في مدينة البصرة، التي اشتهرت بإنتاج صناعة الزوارق، مما جعلها مركزًا رئيسيًا للتجارة والنقل النهري، وقد أسهم ذلك في ازدهارها وترسيخ مكانتها كإحدى أهم المدن في المنطقة.

واعتمدت صناعة السفن بشكل كبير على خشب الساج لقوته ومتانته، حيث كان يتم ثقب الألواح بدقة قرب حوافها لضمان تماسكها ومقاومتها لعوامل البحر، ثم تُربط بنوع خاص من الحبال المصنوعة من ليف جوز الهند

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 407.

(2) - الوزنة، المرجع السابق، ص 105.

(3) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 129.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 325؛ الحديثي، المرجع السابق، ص 509.

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 259.

دون استخدام المسامير، وذلك لمنح السفينة مرونة أكبر في مواجهة الأمواج العاتية والرياح القوية⁽¹⁾، هذه الطريقة التقليدية في البناء كانت ضرورية لضمان قدرة السفن على الصمود في ظروف الملاحة الصعبة.

ولقد تنوّعت استخدامات الصناعات الخشبية بشكل واسع، حيث اعتمد السّكان عليها في تصنيع المنابر الخشبية للمساجد⁽²⁾، هذه المنابر لم تكن مجرد عناصر جمالية بل كانت أساسية لإلقاء الخطب وتنظيم العبادات، مما يبرز الدور البارز للحرفية الخشبية في الحياة الدّينية والاجتماعية، كما اعتمد الحرفيون على الخشب في تصنيع الطاولات والمكانس⁽³⁾، بالإضافة إلى صنع أثاث المنازل مثل الأبواب والنوافذ، وكان يتم الاعتماد على الأخشاب المستخرجة من غابات مازندران التي تشتهر بلونها الأبيض المائل إلى الحمرة⁽⁴⁾، وقد تميزت مدينة مرو بقدرتها على استغلال هذه الأخشاب بمهارة، مما أضفى جمالية وقوة استثنائية على المنتجات الخشبية التي كانت تصنع هناك.

كما تمّ استخدامها أيضاً في تشييد هياكل أسقف المنازل⁽⁵⁾ باعتبارها متينة وجيدة، إضافةً إلى ذلك أسهمت في توفير عزل حراري جيد وحماية ضد العوامل الجوية.

ولقد برزت في العصر السلجوقي إبداعات الحرفيين في الخشب من خلال تشكيل التحف الخشبية الرائعة، مثل المنابر المنقوشة والمزينة بالمرحرفات الدقيقة والمخرمة، التي تميزت بزخارف هندسية على شكل أطباق نجمية⁽⁶⁾ بالإضافة إلى زخارف نباتية ورسوم محورية لأسود وعقبان وطواويس⁽⁷⁾، هذه التحف تعكس براعة الحرفيين في

(1) - عثمان محمد عبد الستار، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1988م، ص 117-126.

(2) - عبد الله عطية عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 170.

(3) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 420.

(4) - الهمداني، المصدر السابق، ص 50.

(5) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 407.

(6) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 203.

(7) - ديمان، المرجع السابق، ص 125.

تصميم وتفصيل العناصر الفنية بدقة وجمال، كما استخدموا هذه التحف في تزيين الأبواب والمساجد، إلى جانب تزيين الأدوات والأواني المنزلية الخشبية⁽¹⁾.

كما امتد توظيف الزخارف إلى صناديق الملابس، والمقاعد، والأريطة الخشبية، والأعمدة، فضلاً عن الزخارف التي تُوضع فوق القبور⁽²⁾.

اعتمد الحرفيون السلاجقة على تقنية مبتكرة في تطعيم الخشب بالأصداف، حيث استخدم فنانو الموصل الأخشاب الداكنة وزينوها بتطعيمات دقيقة ومتقنة، وتميزت هذه الأعمال بزخارف غائرة وبارزة تحيط باللوحات⁽³⁾، كما برزت الصناعات الخشبية التي استخدمت مواد طبيعية مثل القصب والبردي والحلفاء وجريد النخيل⁽⁴⁾، الأمر الذي ساهم في تنوع الإنتاج الحرفي وتوسيع نطاق استخدام الخشب في مختلف المجالات.

3- الصبغة:

كما شهدت صناعة الصبغة تطوراً ملحوظاً في العصر السلجوقي، حيث كانت جزءاً أساسياً من عملية إنتاج النسيج، وقد أسهم الصباغون إسهاماً رئيسياً في إضفاء الألوان الزاهية والمتنوعة على المنسوجات.

ولقد اعتمدت معظم عمليات الصبغة على المصادر النباتية، سواء من الجذور أو الأوراق أو الثمار، بالإضافة إلى بعض المواد المستخرجة من الحشرات⁽⁵⁾، وقد ازدهرت في خراسان زراعة النباتات المستخدمة في إنتاج الأصباغ⁽⁶⁾، مما جعلها مركزاً رئيسياً لتصنيعها وتصديرها، ولقد كانت الأساليب المستخدمة في صناعة الألوان

(1) - الوزنة، المرجع السابق، ص 104.

(2) - عبد الله عطية عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 170.

(3) - الجميلي، المرجع السابق، ص 304.

(4) - الحسو أحمد بن عبد الله، الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري، بحث ضمن كتاب العراق في موكب الحضارة، ج 2، دار الحرية، بغداد، (د.ط)، 1988م، ص 193.

(5) - محمد عبد العزيز مرزوق، الطنافس اليدوية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 18، 1969م، ص 71.

(6) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 110؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 394.

والصبغات معروفة ومنتشرة في جميع أنحاء الدولة السلجوقية، فبعد جمع هذه المواد كان الصباغون يعالجونها بطرق متعددة مثل التخمير أو الغلي، وكانت تركيبة الأصباغ سرية جداً، يحرص الصباغون على عدم الكشف عنها إلا لأقربائهم أو تلاميذهم لضمان تفرد حرفتهم وحماية أسرارها من المنافسة⁽¹⁾، ومن أبرز التقنيات التي استخدمها الصباغون قيامهم بغمر الصوف في صبغة معينة، ثم إعادة غمره في صبغة مختلفة، بهذه الطريقة يتم الحصول على لون جديد يختلف عن اللونين الذين عُولج بهما الصوف في البداية.

ولم تعد الألوان مقتصرة على الصوف الطبيعي فقط، بل سعى الصباغون إلى اكتشاف ألوان جديدة ومختلفة فابتكروا وتوسعوا في ذلك مثل اللون الأزرق والذي يتضمن درجات مختلفة كالفاتح والداكن وأصبحت هذه الألوان تستخدم أكثر من غيرها⁽²⁾، مما أضاف تنوعاً وجمالاً إلى المنسوجات يتناسب مع مختلف الأذواق، ومن أبرز الألوان المستخدمة في صباغة الأفرشة والسجاد والبسط هو اللون القرمزي، وكانت مدينة واسط تُعد أشهر مركز لصباغة الأقمشة بهذا اللون، كانوا يستخرجون الصبغة القرمزية من حشرة القرمز حيث يقوم العمال بتجفيفها وسحقها لاستخلاص اللون الأحمر القرمزي⁽³⁾ الذي تميز به هذا اللون، بالإضافة إلى القرمز كانت الفوة⁽⁴⁾ تُستخدم للحصول على درجات مختلفة من اللون الأحمر، بدءاً من الوردي الفاتح وصولاً إلى اللون الرماني⁽⁵⁾، ومن الألوان التي راقت رواجاً كبيراً عند الصناع والأهالي اللونين الأحمر والأصفر⁽⁶⁾.

(1) - محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص 71.

(2) - ديماند، المرجع السابق، ص 278.

(3) - الحسو، المرجع السابق، ج 2، ص 197.

(4) - الفوة: عشب سيقانه حمر متسلقة وجذوره حمر تعرف بفوة الصباغين، يستخرج منها مادة تستعمل في صبغ الحرير والصوف، والصوف، انظر: مصطفى إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص 707.

(5) - الدوري، المرجع السابق، ص 107.

(6) - محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص 71.

كما كانت النيلة⁽¹⁾ من أهم المواد المستخدمة في صبغ الأقمشة باللون الأزرق، حيث تم استخراجها من نبات النيلة الذي يُزرع في بلاد المشرق الإسلامي مثل كرمان، ثم تُنقل إلى مختلف المناطق⁽²⁾، وقد ازداد الطلب على هذه المادة، خاصة في الموصل، التي كانت من أكثر المدن استيراداً لها لتلبية احتياجاتها في صناعة النسيج والأصباغ⁽³⁾. وإضافة إلى ذلك استخدم الصباغون قشور الرمان والزعفران للحصول على بعض الألوان خاصة الأصفر، ومنطقة الصغانيان في خراسان واحدة من أبرز المناطق في تصدير نبتة الزعفران⁽⁴⁾.

كما اشتهرت مدينة الحلة كمركز رئيسي لصناعة الصباغة وتجارة الأقمشة⁽⁵⁾، حيث تميزت بإنتاج ألوان فريدة باستخدام تقنيات تقليدية متقنة، وجذبت خبراء الصباغة من مختلف المناطق، وفي بغداد كان الصباغون يتجمعون في منطقة محددة تُعرف بمحلة الصباغين، والتي كانت تقع في الجانب الغربي من المدينة.

وهكذا أبدع الحرفيون في العصر السلجوقي في تنويع وتوسيع استخدام الأصباغ الطبيعية، وكان تباين الألوان في المنسوجات والأقمشة دليلاً على تقدم مهارات الصباغة وتطور هذا الفن⁽⁶⁾.

4- العطور:

كانت صناعة العطور في بغداد تُعتبر من أرقى الصناعات وأعلىها جودة، ووُصفت بمهارتها وابتكارها⁽¹⁾، فرغم أنّ العطور كانت تُصنع يدوياً في المنازل والمتاجر إلا أنّ العملية تطلبت مهارة ودقة وصبراً كبيرين، مما منح هذا

(1) - النيلة: نبات يزرع على ضفاف نهر النيل، يستخرج من ورقة مادة زرقاء تستخدم في الإصباغ، انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص 967.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 7، ص 113-18.

(3) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 182.

(4) - الاصلطخري، المصدر السابق، ص 162؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 394.

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 30؛ ناجي عبد الجبار، الإمارة المزيديّة دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (387هـ - 558هـ)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، (د.ط)، 1970م، ص 280.

(6) - الدوري، المرجع السابق، ص 107.

العمل سمعة الإتقان والتميز⁽²⁾، ولقد أظهر السلاطين السلاجقة اهتماماً كبيراً بصناعة العطور، حيث دعموا هذه الصناعة واعتبروها من الفنون الرفيعة وقد انعكس هذا الاهتمام في تشجيعهم على تطوير تقنيات الإنتاج وتعزيز جودة العطور.

اشتهرت خراسان بصناعة العطور المتميزة⁽³⁾ فكانت أسواق العطارين مفعمة بالزهور، والكافور، والصندل الخشبي، مما يعكس الازدهار الكبير لصناعة العطور في المنطقة ولقد اعتنى السكان بإنتاج العطور بتفانٍ، نظراً للحاجة الكبيرة إليها، مستفيدين من وفرة النباتات العطرية وأنواع الزهور التي كانت تُزرع بكثرة في المنطقة⁽⁴⁾ هذه الوفرة في المواد الأولية أسهمت بشكل كبير في تميز صناعة العطور بها، حيث ازدهرت هذه الحرفة بفضل وفرة المواد الأولية والخبرة العميقة في تقنيات التحضير، وتميز صنّاع العطور في العصر السلجوقي بمهارتهم في استخراج الروائح الطبيعية وابتكار تركيبات عطرية فريدة مما جعل منتجاتهم تحظى بشهرة واسعة، وكان لهذا الازدهار ارتباط وثيق بتنوّع النباتات العطرية المنتشرة في المدن السلجوقية مثل أزهار البنفسج، والنيلوفر، والرنجس، والزنبق، والعود⁽⁵⁾ وغيرها، والتي شكّلت الأساس لهذه الصناعة وفي هذا السياق برزت منطقة فرغانة كمركز رئيسي لزراعة مجموعة من النباتات العطرية حيث اشتهرت بإنتاج الرياحين، والورد، والبنفسج⁽⁶⁾.

وفي الوقت نفسه كانت نيسابور تعتبر مركزاً هاماً لإنتاج وبيع العطور حيث تميزت بتنوع وجودة منتجاتها، اشتهرت المدينة بأنواع متعددة من العطور التي حققت شهرة واسعة مثل عطر الريحان المعروف برائحته الطيبة والمنعشة،

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 234.

(2) - الهمداني، المصدر السابق، ص 162.

(3) - عبد النعيم حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، المرجع السابق، ص 181.

(4) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 675.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 443.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص ص 397-398؛ القزويني، المصدر السابق، ص 405.

وعطر النرجس الذي كان يتمتع بجاذبية خاصة بفضل عطره الفواح، كما كان عطر التفاح الذي استُخدم في المناسبات الخاصة، وعطر الماورد⁽¹⁾ الذي تميز برائحته الفريدة من بين أبرز العطور التي أنتجتها نيسابور.

وكان ماء الورد الذي يُعتبر من أفضل أنواع العطور ويُعرف برائحته العطرة وخصائصه الفريدة يحظى بتقدير كبير ويُستخدم في تحضير العطور، ولقد اشتهرت مدينة جور بإنتاج نوع مميز من الورد يُعرف برائحته الطيبة والذكية⁽²⁾، حيث كان الورد الذي يُزرع في جور يُنتج ماء الورد ذا الجودة العالية، ممّا جعل المدينة مشهورة بهذا المنتج، وكان ماء الورد يُحضّر من أزهار الورد لرائحتها العطرية المميّزة، ومن الطلّع لمذاقه ونكهته المميّزة، ومن القيسوم أو القيصوم وكذا الزعفران وغيرها، وكانت عملية تحضيره تشمل مزج هذه المكونات الطبيعية التي تمتاز بخصائصها العطرية الفريدة.

كما ازدهرت صناعة العطور الراقية في مدينة سابور التي برزت كمركز رئيسي لإنتاج الروائح العطرية بفضل زراعة مجموعة متنوعة من النباتات العطرية مثل الريحان، والبنفسج، والياسمين، والزنبق، والنرجس، ممّا أكسبها شهرة واسعة في هذا المجال، ولم تقتصر شهرتها على العطور فحسب، بل عُرفت أيضًا بإنتاج الأدهان الفاخرة التي كانت تُعتبر من بين الأفضل في العالم الإسلامي، حيث تميّزت بخصوصيتها ورائحتها الفريدة، ما جعلها تتفوق على معظم الأنواع الأخرى⁽³⁾، ورغم ريادة سابور في هذا المجال، فإن مدينة الكوفة نافستها بإنتاجها الدهانات العطرية، لا سيما "دهان الخيري"، الذي كان يُعدّ من أفخر العطور آنذاك. وقد أولت الكوفة اهتمامًا خاصًا بزراعة الخيري والبنفسج، مما جعل منتجاتها تتفوق من حيث الجودة والابتكار على نظيراتها المنتجة في سابور⁽⁴⁾ وعزّز من مكانتها في صناعة العطور.

يُعتبر الزيت مادة أساسية في صناعة العطور حيث يُستخرج من الحبوب الغنيّة بالزيت مثل السمسم والزيتون، ونوى المشمش، وتبدأ العملية بطحن هذه الحبوب لاستخلاص الزيت، ثم يُضغَط المعجون الناتج بين فكي الرحى

(1) - السمعاني، المصدر السابق، ج 4، ص 441.

(2) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 407.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 260.

(4) - متز، المرجع السابق، ص 305.

لفصل الزيت عن القشور⁽¹⁾، ولقد اشتهرت خوارزم بإنتاج زيت السمسم نظرًا للوفرة الكبيرة في إنتاجه، فبالإضافة إلى استخدامه في الغذاء اليومي للأهالي⁽²⁾، استخدموه كذلك في صناعة العطور ما يبرز تعدد استخداماته وفوائده في حياتهم اليومية.

وتتمّ عملية صناعة العطور باستخدام طريقتين رئيسيتين، تعتمد الأولى على تخفيف الأزهار تحت أشعة الشمس حتى تجف تمامًا وتفقد رطوبتها، بعد ذلك تُنقع الأزهار المجففة في الماء لمدة اثني عشرة ساعة، بعدها يُضاف إليها الزيت مثل زيت السمسم، ثم يُغلى حتى يتبخر الماء تمامًا تاركًا الدهن العطري المركز فقط⁽³⁾، أما الطريقة الثانية فتعتمد على طحن الأزهار وتحويلها إلى مسحوق وتوضع في إناء، ثم يُسكب عليها الزيت، إما ليُغلى أو يُترك تحت أشعة الشمس حتى يتشبع الزيت برائحة الأزهار، بعد ذلك يُصفى الزيت لإزالة أي بقايا من الأزهار⁽⁴⁾، ويُعبأ الدهن العطري في قوارير لعرضه في الأسواق⁽⁵⁾، حيث يعكس جودة وابتكار صناعة العطور.

ومن أهم أنواع العطور الفاخرة ذات الجودة العالية التي كانت تُنتج وتُصدّر من خراسان نجد المسك الذي يميّز سعره المرتفع⁽⁶⁾، مما يجعله من الخيارات المميزة في أسواق العطور الفاخرة.

عُرفت مدينة بلخ كمركز بارز لإنتاج العطور والأدهان⁽⁷⁾ حيث اشتهرت بتنوّع منتجاتها العطرية التي شملت الأترج والنيلوفر⁽⁸⁾ وهما من العناصر الأساسية في صناعة العطور، فالأترج نوع من الحمضيات، كان يُستخدم لمنح العطور

(1) - عبد الجبار حامد أحمد وزينب سالم صالح، صناعة العطور في العصر العباسي، مجلة التربية والعلوم، مج19، ع3، جامعة الموصل، 2012م، ص ص 7-8.

(2) - المرجع نفسه، ص 7.

(3) - إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1310هـ، ص38.

(4) - النويري، المصدر السابق، ج12، ص74.

(5) - الثعالبي، المصدر السابق، ص246.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج2، ص385.

(7) - لسترنج، المرجع السابق، ص472.

(8) - الاصطخري، المصدر السابق، ص157.

العطور نفحات منعشة، بينما أضيف النيلوفر بعبيره الزكي لإضفاء لمسات فريدة على التركيبات العطرية، وإلى جانب بلخ برزت مدينة مرو أيضًا كأحد المراكز المهمة في صناعة وإنتاج مختلف أنواع العطور⁽¹⁾.

واعتمدت صناعة العطور في مدينة الحلة كذلك على الزهور والرياحين في صناعة العطور، وذلك باستخدام النباتات العطرية في تحضير عطور ذات روائح فريدة وجودة عالية، مما ساهم في ازدهار تقاليد العطرية وترسيخ شهرتها كمركز مهم لإنتاج العطور الفاخرة.

5- النسيج :

شهد العصر السلجوقي نهضة واسعة في صناعة النسيج، مدفوعة بتأثير تيارين رئيسيين الأول جاء من الأساليب الصينية التي دخلت عبر التأثير الإيراني، وانعكس ذلك في دقة الزخارف النباتية والحيوانية⁽²⁾، والثاني نشأ في بلاد الجزيرة، حيث تم تبني أساليب إسلامية جديدة تعتمد الزخارف النباتية والأشرطة بدلاً من التصاميم الساسانية التقليدية، مما أضيف على الأقمشة طابعاً فنياً متميزاً، وقد ساهم هذا الازدهار في تعزيز صناعة الأقمشة والملابس التي شهدت تطوراً ملحوظاً، حيث بات لكل طبقة اجتماعية زيّ يميّزها وفقاً لموقعها الاجتماعي والسياسي والمهني، كما خُصصت ملابس معينة لكل مناسبة، مما أدى إلى تنوع الألبسة بشكل كبير، تفتن الصنّاع في تصميمها فابتكروا أساليب متقدمة في الحياكة والتطريز والتزيين، مستفيدين من توافر المواد الأساسية التي شكّلت العمود الفقري للصناعة، الأمر الذي أسهم في تطور المنسوجات الصوفية⁽³⁾ وبلوغها مستويات رفيعة من الجودة، لا سيما في خراسان التي اشتهرت بإنتاج الأقمشة الفاخرة.

(1) - شيراز: بكسر الشين وآخرها زاي هي مدينة في بلاد فارس تقع في الإقليم الثالث، وقد قال بعض النحويين إن أصل اسمها "شيراز" وجمعها "شراريز"، وهي مدينة حديثة العمران، وقد وُصفت بأنها تشبه جوف الأسد، انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 203/ المقدسي، المصدر السابق، ص 328.

(2) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 164.

(3) - عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 180.

ولم تقتصر أهمية الألبسة على الجانب الجمالي، بل كانت ضرورة أساسية لحماية الجسم من تقلبات المناخ وتغيراته، فضلاً عن كونها رمزاً للمكانة الاجتماعية مما جعل صناعة الملابس من أرقى الحرف اليدوية⁽¹⁾، وقد دفع هذا الأثرياء إلى التنافس في اقتناء الملابس الفاخرة والتزين بها، كما حرصوا على جمعها وحفظها في خزائن وصناديق مخصصة تُعرف بـ "خزائن الكسوة"⁽²⁾، التي عكست ثراءهم وذوقهم الرفيع وأصبحت جزءاً من مقتنياتهم الثمينة، إلى جانب الأثاث الفاخر الذي زُين بالأقمشة الفاخرة، وقد أسهمت عوامل في ترسيخ ازدهار صناعة النسيج في العصر السلجوقي، من أبرزها وفرة المواد الخام في المدن السلجوقية، فضلاً عن ازدهار الأسواق المتخصصة التي سهلت عملية تسويق المنتجات وتبادلها⁽³⁾.

ومن أهم هذه المواد المستعملة في النسيج وصناعة الملابس نجد الصوف الذي كان يُعالج وينسج ليُنتج أقمشة دافئة ومتانة، وكذا القطن الذي يستخدم بشكل كبير في صناعة الأقمشة الخفيفة والمريحة، وارتبط بتطوير الملابس الصيفية، إضافة إلى الكتان الذي اشتهر بمتانتها وملمسه الناعم، وكان شائعاً في صناعة الملابس الصيفية والأغطية، والحرير الذي يعتبر من أفخم المواد، حيث يعتمد عليه في إنتاج الأقمشة اللامعة والراقية التي تُستخدم في الملابس الفاخرة، ومن العوامل التي ساعدت على تطور صناعة النسيج وازدهارها إضافة إلى المواد توفر الأيدي العاملة المهرة والمتخصصة في مختلف جوانب صناعة النسيج⁽⁴⁾، فالحرفيون كانوا يمتلكون الخبرة والتقنيات اللازمة لتحويل المواد الخام إلى أقمشة متنوعة ومتميزة.

وانطلاقاً من أهمية هذه الصناعة أنشأ السلاجقة دور وورش الطراز في مرو وخراسان وغيرها من المدن والتي كانت تختص بصناعة المنسوجات والأقمشة لمختلف طبقات المجتمع⁽⁵⁾ وخاصة تصنيع الثياب الحريرية، وكان يسير شؤون

(1) - متر، المرجع السابق، ص 295.

(2) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 1، ص 315.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص 100.

(4) - النرخشي، المرجع السابق، ص 288.

(5) - إدريس، المرجع السابق، ص 181.

دور الطرز موظف خاص يُعرف بصاحب الطراز⁽¹⁾ يشرف خصوصاً على عمل الحاكّة، وقد عمل فيها الصاغة الذين يتعاملون مع المعادن، وكذا الحاكّة الحرفيون والمتخصّصون في هذا النوع من الصناعة والذين يتعاملون مع مختلف أنواع الأقمشة فبرعوا في تنويع حياكة المنسوجات فابتكروا ما يُعرف بالنسيج الحرير الموشي وغيرها من المنسوجات.

كما ابتكر الصناع السلاجقة أسلوباً جديداً في النسيج دَمَجَ بين التعبيرات النباتية ذات الأصل الإسلامي وتفاصيل السيقان وإضافة عناصر تصميمية تتعلق بالزخارف النخيلية، وفي بداياته كانت الرسوم تتميز بخطوط متعرجة أو متكسرة، ولكن هذا الأسلوب تطور لاحقاً ليصبح نمطاً سلجوقياً مميزاً، عرف بتناسق الأشكال ورشاقتها وسلاسة خطوطها⁽²⁾.

ازدهرت صناعة القطن في الدول السلجوقية حيث كانت تُنتج المنسوجات القطنية في معظم المدن مثل بغداد والموصل ومرو ونيسابور والتي تحولت إلى مراكز رئيسية لإنتاج الثياب القطنية والأقمشة الصوفية المزخرفة وعالية الجودة⁽³⁾، وذلك بفضل ازدهار صناعة النسيج فيها، وهذه المدن اشتهرت بمصانعها التي تفتت في إنتاج الصوف الفاخر، حيث كان يُعالج بعناية فائقة لإنتاج أقمشة متعددة الألوان والأنماط، مما أضفى طابعاً فنياً على الملابس والأغطية المصنوعة منها.

وفي بغداد بدأت صناعة نسيج الحرير قبل أن تصبح شائعة في مناطق أخرى⁽⁴⁾، وخصوصاً تلك التي تتميز بنقوش وزخارف دقيقة وجميلة وهي ما يُعرف بالعتايات⁽⁵⁾ فكانت مميزة عن غيرها من المنسوجات كما تميّزت بغداد أيضاً

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 210.

(2) - ديماندا، المرجع السابق، ص 259.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 363-365.

(4) - ديماندا، المرجع السابق، ص 263.

(5) - العتايات: هي ثياب حريرية سُميت بذلك نسبة إلى حي العتايات في الجانب الغربي من بغداد. وقد اشتهرت هذه الثياب في مختلف المناطق، فقلدتها العديد من المدن الأخرى. ويقال إن النسيج العتايي سُمي بهذا الاسم نسبة إلى رجل يُدعى عتاب، كان ينسج نوعاً ممتازاً من الحرير فُقدت نسبته إليه، انظر: الثعالبي، المصدر السابق، ص 140.

أيضاً بإنتاج الثياب البيضاء، بالإضافة إلى نوع مميّز من المنسوجات يُطلق عليه "البغدادى"⁽¹⁾، كما اشتهر البغداديون باستخدام الوبر في صناعة مختلف أنواع الأقمشة والملابس، وقد جذبت صناعة المنسوجات عدداً كبيراً من الحرفيين، ممّا أدّى إلى ظهور العديد من الحرف المرتبطة بها مثل الطرز والصباغة والدباغة، وكان يتم إنتاج نوع من الأقمشة الفاخرة المصنوعة من الصوف والحرير وهو الخز الفاخر في بغداد، حيث كان يُباع في سوق الخزازين في منطقة الكرخ ببغداد، كما كانت البصرة معروفة بصناعة المنسوجات، بما في ذلك الخرز والوبر⁽²⁾.

وحظيت منسوجات الموصل أيضاً بشهرة واسعة امتدت إلى مختلف المدن الشرقية أو الغربية⁽³⁾، وذلك بفضل مهارة حرفييها الذين تفوقوا بخبراتهم العالية وإبداعهم في ابتكار أرقى الأنسجة، وقد انعكس هذا التميز في جودة منسوجاتهم، التي حملت بصمة إبداعية فريدة⁽⁴⁾، ولم تكن الموصل مجرد مدينة منتجة، بل أصبحت مركزاً محورياً في هذا المجال، حيث تنوع إنتاجها بين المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية، التي تميزت بجودتها الفائقة وتفوقها على نظيراتها، وقد خصصت المنسوجات الحريرية بزخرفة حواشي مقصبة، وتم تزيينها بكتابات متنوعة وزخارف نباتية من أوراق وأغصان الأشجار، باستخدام خيوط الذهب والفضة، كانت هذه المنسوجات تُرتدى من قبل نساء الملوك والأمراء والأعيان، وأصبح هذا النسيج يعرف عالمياً باسم "الموسلين" نسبةً إلى الموصل، كما ابتكر الصانع في المدينة الشاش الموصلية⁽⁵⁾، وتوّعوا في الألوان وأبدعوا فيها مثل النسيج الرقيق الأبيض والملون سواء للرجال أو النساء⁽⁶⁾.

(1) - وهو نسيج من الصوف أو الحرير يخاط من ذهب وفضة اقتصر استعماله على لبس السلاطين لارتفاع ثمنه، انظر: فيليب حتي تاريخ العرب، ج2، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1950م، ص 423.

(2) - إدريس، المرجع السابق، ص182.

(3) - الجاحظ، المصدر السابق، ص33.

(4) - الجميلي، المرجع السابق، ص297؛ جاك ريسلر، المرجع السابق، ص130.

(5) - الدوري، المرجع السابق، ص102.

(6) - الجميلي، المرجع السابق، ص ص 298-299.

وتُعد صناعة النسيج بجميع أنواعها من أبرز الصناعات في الحلة، حيث تميّزت بصناعة الثياب النسيجية⁽¹⁾ بفضل توفر المواد الأولية مثل الصوف والقطن والحرير، تتفوق صناعة الغزل والنسيج على غيرها من الصناعات الأخرى.

ولقد اشتهرت خراسان بصناعة الثياب القطنية حيث أوضح الاصطخري ذلك بقوله "أفضل أنواع ثياب القطن والإبريسم⁽²⁾ تأتي من نيسابور ومرو"⁽³⁾، ولقد شهدت الأخيرة ازدهارًا كبيرًا في صناعة النسيج، وبلغت هذه الحرفة في العصر السلجوقي ذروة تطورها محققة مستوى عالٍ من الدقة والإتقان، وكان يُشار إلى مرو في هذا السياق بأنها "أم خراسان"، وتُعرف أيضًا بـ "مرو الشاهجان"⁽⁴⁾، لأن مرو كانت تعتبر المصدر الرئيسي والأكثر شهرة للثياب الرفيعة والريقة والفاخرة في خراسان وذلك بفضل جودة قطنها⁽⁵⁾، وكان لتنوع أنواع القطن الجيدة تأثير كبير في إنتاج أرقى المنسوجات القطنية، فكانت الثياب الأكثر تميزًا خلال العصر السلجوقي تأتي من مرو⁽⁶⁾ وقد وصف الإدريسي القطن في مرو بقوله "يتجهز منها قطن رائع يُنسب إليها في جميع الأماكن، ويُعرف بنعومته الفائقة، ويتم تصنيع ثياب منه تُرسل إلى كافة أنحاء العالم".

ويعود هذا التقدم إلى أسباب عدّة أولها تبني أساليب جديدة في التصميم، تجلّت في الزخارف النباتية والتفاصيل الرسومية الدقيقة التي تأثر بها صنّاع مرو بشكل واضح، وثانيها اعتماد الأساليب الإسلامية في تزيين الأنسجة، والتي تضمنت الكتابات والأشرطة الزخرفية⁽⁷⁾، ومن أشهر المنسوجات التي اشتهرت المدينة بإنتاجها الصّوفية

(1) - النرسية: نسبة إلى نرس من أعمال الحلة وتعرف بالثياب الخطافية نسبة إلى خطافية الواقعة بالقرب من بابل، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص280.

(2) - الإبريسم بكسر الهمزة وسكون الباء وكسر الراء ممدودة، نوع من الحرير، انظر: عمارة محمد، المرجع السابق، ص26؛ المقدسي، المصدر السابق، ص253.

(3) - الاصطخري، المصدر السابق، ص149.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص201؛ الحميري، المصدر السابق، ج2، ص533.

(5) - السيد محمد عاشور، صناعة الأقمشة وتجارتها، ج3، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1991م، ص21. / لسترنج، المرجع السابق، ص472.

(6) - البعقوبي، المصدر السابق، ص279.

(7) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص248.

والحريريّة والقطنية، ولقد كان العرب يطلقون على الثّياب الصّفيقة والجيدة اسم "المروى"، بينما كانت الثّياب الرّقيقة تُسمى "الشّاهجاني"، ولقد اتّبع الصّناع في هذه المدينة نفس الأساليب التّقليدية الّتي كانت معروفة في مدن خراسان منذ العصور القديمة، فبدأت العملية بغزل الخيوط من الألياف النّباتية مثل القطن والكتّان، والألياف الحيوانية مثل الصّوف، باستخدام المغازل اليدويّة، وبعد الغزل كانت تأتي مرحلة الصّباغة.

وبالإضافة إلى الدقة والإتقان والجودة العالية تتميز المنسوجات في مرو أيضا بجمال الرسوم وخفة الوزن، حيث غالبًا ما كانت تحتوي على زخارف هندسية متعددة الأضلاع، إلى جانب الكتابات الكوفية والأشرطة، وكذلك الرسوم الحيوانية والدوائر التي تضم طيورًا وحيوانات، مع بساطة الرسوم وتكبير حجم الأشكال.

ولقد اشتهرت نيسابور بإنتاج الملابس القطنية، وخاصة الطيالس التي كانت تنتج بكميات كبيرة وتصدّر إلى مناطق متعددة خاصة الأقاليم الإسلامية⁽¹⁾.

وعرفت مدينة طوس أيضا بصناعة أفخر الملابس المصنوعة من القطن، حيث كان إنتاجها يلبي احتياجات أسواق المدينة ويُصدّر الفائض إلى البلدان المجاورة، لا سيما إلى مدن إقليم خراسان⁽²⁾.

كما كانت الثّياب القطنية والمعروفة بالجودة والّتي يطلق عليها الكرايس⁽³⁾ مشهورة بصناعتها مدينة هراة حيث تُصدر هذه الثّياب إلى مختلف أنحاء الدّولة العربيّة الإسلاميّة⁽⁴⁾، وبفضل ازدهار هذه الصناعة في المدينة شهدت تنظيم مميّز للأسواق والخانات الّتي تبيع مختلف أنواع الأقمشة والملابس حيث يتمّ فيها بيع القطن إضافة إلى الثّياب الجاهزة، وهناك محلات تقدم الحرير ومختلف المنتجات المصنوعة منه، ودكاكين لبيع أقمشة الأوبار والأقمشة

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 365؛ ديماندا، المرجع السابق، ص 260.

(2) - الاضطخري، المصدر السابق، ص 313.

(3) - الكرياس الثوب المصنوع من القطن، انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، القاهرة، (د.ط)، 2002م، ص 418.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 200.

الصوفية، وأماكن لبيع الفراء المميز للحيوانات كالثعالب والسنجاب⁽¹⁾ والمستعمل في النسيج، وكانت مدينة بلخ أيضاً مشهورة بصناعة الأقمشة الكتانية الكبيرة التي كانت تُصدر إلى بغداد ومصر، وتصل حتى إلى الصين. وبهذا ازدهرت أسواق خراسان بتجارة القطن الناعم والمنسوجات الفاخرة، حيث كانت تُصدر الأثواب القطنية إلى مختلف البلدان⁽²⁾، واحتوت هذه الأسواق على أقسام متخصصة لبيع المنتجات القطنية، مثل الملابس والمنسوجات المتنوعة⁽³⁾.

إلى جانب ذلك، كانت تُعرض فيها ثياب الصوف والثياب الناعمة، بالإضافة إلى المفروشات كالأغطية والستائر⁽⁴⁾، مما جعلها مركزاً رئيسياً لتجارة النسيج. كما نشط فيها البزازون والتجار المتخصصون في بيع الأقمشة والمنسوجات بمختلف أنواعها⁽⁵⁾، مما عزز مكانة خراسان كمحور تجاري مهم في العالم الإسلامي.

6- الحرير:

بدأت صناعة نسج الحرير في العراق منذ فترة مبكرة، حيث اشتهرت بغداد والموصل بإنتاج منسوجات حريرية فاخرة، كانت تُزين بخيوط الذهب لمنحها طابعاً من الفخامة والرفي. ولم تقتصر الزخرفة على التطريز الذهبي، بل تضمنت أيضاً رسوماً دقيقة تصور الطيور والفيلة والحيوانات، إلى جانب نصوص مكتوبة بالخط الكوفي⁽⁶⁾ مما أضاف عليها طابعاً فنياً مميزاً، وقد انتشرت صناعة الحرير في العديد من المدن تزامناً مع ازدهار تربية دودة القز، التي شكّلت الأساس في إنتاج هذا النسيج الثمين.

(1) - إصلاح عبد الحميد ربحان، هراة من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث للهجري، الهيئة العصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2007م، ص 263

(2) - الاضطخري، المصدر السابق، ص 147؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 476.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 273.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 404.

(5) - الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص 310.

(6) - ديمانند، المرجع السابق، ص 263.

وكانت مرو من أبرز المراكز المتخصصة في إنتاج الحرير الطبيعي المعروف باسم "القر"، والذي عُدد من أرقى الخامات المستخدمة في صناعة الأقمشة الفاخرة، بالإضافة إلى الإبريسم الذي يستخدم في إنتاج الأنسجة الفاخرة، وبهذا كانت أسواق خراسان تزخر بالإبريسم والقر وبكميات كبيرة.

وقد شمل إنتاج الحرير مجموعة واسعة من المنتجات الفاخرة مثل احتياجات النساء كالمناديل والوشاحات المزينة بخيوط الذهب والطرحات وغيرها⁽¹⁾، والتي عكست مهارة الحرفيين ودقتهم في النسيج والتطريز، كما كانت هناك ستائر خاصة تُصنع بالكامل من القر أشهرها الستائر البغدادية، مما منحها نعومة ولمعاناً مميزاً، وإلى جانب ذلك أبدع النساجون في مزج القر مع الصوف لإنتاج منسوجات راقية جمعت بين المتانة والفخامة، وقد لاقت هذه الأقمشة رواجاً واسعاً، حيث كانت تُصدّر إلى مختلف الأمصار⁽²⁾، مما عزز مكانة صناعة الحرير السلجوقي في المدن الأخرى.

7- الفرش والستائر:

وبفضل شهرة خراسان بإنتاج الصوف والوبر والجلود عالية الجودة، ازدهرت صناعة البُسط والستور⁽³⁾ التي عُرفت بدقتها وجمالها حيث كانت تحتاج إلى هذه المواد في صنعها، وقد انعكس هذا التميز على تصميم المنازل في المدن السلجوقية، حيث أولى السكان والحرفيون اهتماماً خاصاً بالديكور الداخلي، وحرصوا على استخدام المنسوجات كجزء أساسي من الأثاث المنزلي⁽⁴⁾، مما يعكس ذوقاً راقياً وعناية فائقة بتفاصيل المكونات الداخلية.

ولقد حظيت صناعة الفرش والأثاث بشهرة واسعة في مختلف المدن السلجوقية⁽⁵⁾، بفضل دعم السلاطين والأمراء الذين لم ييخلوا في تخصيص الموارد لهذه الصناعات سعياً لإبراز الفخامة والتميز، وقد أدى هذا التشجيع إلى نهضة

(1) - جاك ريسلر، المرجع السابق، ص 130.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 261.

(3) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص ص 302-303.

(4) - لسترنج، المرجع السابق، ص 331.

(5) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 237.

كبيرة في إنتاج السجاد والبسط، حيث عمل الحرفيون لعدة أشهر على نسج قطع تتسم بالجمال والجودة العالية، ما جعلها محط إعجاب وتقدير لدى الناظرين⁽¹⁾.

ولقد انعكس ازدهار صناعة الفرش والمنسوجات في العصر السلجوقي على تصميم المساكن، حيث لم يكن الاهتمام منصباً فقط على جودة السجاد والبسط، بل امتد ليشمل تنسيق الديكور الداخلي بأسلوب راقٍ يعكس الذوق الرفيع لأهل تلك الفترة، فقد تزيّنت الجدران والنوافذ بالستائر الفاخرة ذات التصميم المميزة⁽²⁾، التي لم تكن مجرد عنصر جمالي، بل كانت تُستخدم أيضاً لتحسين مظهر المسكن وإضفاء لمسة من الأناقة والفخامة.

أما الأرضيات فقد غُطيت ببسط وسجاد أنيق عالي الجودة والتصميم، وتكون هذه الأبسط مختلفة الأشكال والأحجام وذلك حسب المساحة التي يراد تغطيتها أو فرشها، لذلك كانت عملية تصنيع السجاد والبسط من أكثر الحرف رواجاً، وقد أبدع الصناع السلاجقة في إتقان هذا الفن⁽³⁾ حيث لم تكن الأبسط مجرد وسائل للراحة، بل عنصراً أساسياً في التصميم الداخلي يعكس المهارة الفنية المتوارثة وكان الأهالي يطلبونها بكثرة الأمر الذي ساهم في انتشار صناعة هذه المنتجات كثيراً⁽⁴⁾.

تنوّعت أنواع السّجاد والمفروشات فشملت الستائر المعلقة على الجدران والسّجاد المفروش في الغرف والأروقة والممرات، إضافة إلى أنماط زخرفية خاصة توضع على الأرض لأغراض الزينة دون استخدامها للمشي⁽⁵⁾، وإلى جانب ذلك صُنعت مفروشات أصغر حجماً لأغراض مختلفة، مثل سجاد الصلاة، والأغطية، والوسائد المخصصة للجلوس والاسترخاء⁽⁶⁾، مما جعل هذه الصناعة تسهم بشكل فعال في الحياة اليومية داخل البيوت السلجوقية.

(1) - الوزنة، المرجع السابق، ص 103.

(2) - البغدادي، المصدر السابق، ج 1، ص 101.

(3) - متز، المرجع السابق، ص 295.

(4) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 176.

(5) - البغدادي، المصدر السابق، ج 1، ص 52.

(6) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 295.

وأصبحت صناعة السجاد والبسط في بعض مدن العراق معروفة بشدة لإبداعها وتميزها فسجادها كان يُعتبر من أرقى وأجود أنواع السجاد في تلك الفترة⁽¹⁾، فكان للصناع العراقيين سمعة ممتازة بفضل درايتهم وبراعتهم وابتكار لمختلف التصاميم، فتُعد بغداد من أشهر المناطق وتميزها في هذه الصناعة حيث اشتهرت بإنتاج أنواع فريدة من البسط والفرش التي لا يمكن مقارنتها بالمنتجات الأخرى⁽²⁾.

ولقد كانت أسواق بغداد مفعمة بالحركة، حيث كانت تضم مجموعة متنوعة من السلع التي تلبي احتياجات مختلف الطبقات بما في ذلك الستائر⁽³⁾، حيث عُرضت فيها الستائر الفاخرة المنسوجة بعناية، كما امتلأت الأسواق بالأفرشة المصنوعة من الصوف التي اشتهرت بجودتها العالية ودفتها، إلى جانب الوسائد المتنوعة التي جاءت بأشكال وأحجام مختلفة لتناسب الاستخدامات المتعددة⁽⁴⁾.

ولقد أبدع نساجو الموصل في صناعة الستائر والمفروشات والمسوح⁽⁵⁾، حيث تميزوا بمهارتهم وابتكارهم في هذا المجال مما جعل منتجاتهم تحظى بسمعة رفيعة لجودتها العالية ولم يقتصر انتشار هذه السلع على الأسواق الداخلية بل كانت تُرسل إلى بغداد، كما نالت ستائر الموصل شهرة واسعة فتجاوزت حدود المدينة وامتدت إلى أماكن أخرى⁽⁶⁾.

كما ساهم السلاجقة في إدخال صناعة الطنافس⁽⁷⁾ أو السجاد الذي يحتوي على شعيرات بارزة وناعمة وتسمى "الأبسطة ذات الحمل"⁽¹⁾ حيث أصبحت في عهدهم أكبر حجمًا وأكثر وضوحًا في التصميم وأشمل في الألوان

(1) - حسنين، المرجع السابق، ص 180

(2) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 40.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص 109.

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص 141.

(5) - المسوح: مفردها مسح وهو كساء مخطط يستخدم داخل البيت للستر، انظر: ابن سيده، ج 4، المصدر السابق، ص 80.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 33.

(7) - الطنافس: اشتق اسمها من الكلمة الرومية *tapetes*، التي تعكس التأثير الفني الرومي، وتُقابلها في العربية كلمة طنافس، انظر: متر، المرجع السابق، ج 2، ص 304.

مقارنة بما كان قبله، وقد وصلت صناعة السجاد في بعض مدن العراق إلى مستويات متقدمة من الازدهار، حيث كانت القطع المزخرفة تتميز بأشكال هندسية رائعة وزخارف معقدة⁽²⁾، واشتهرت مرو أيضاً بصناعة الطنافس بكميات كبيرة وكانت تصدرها إلى المدن الأخرى كبغداد⁽³⁾.

كما برزت خراسان في صناعة أنواع مختلفة من الستائر والأغطية والأفرشة من الكتان والقطن⁽⁴⁾، وكانت هناك أيضاً تشكيلة متنوعة من المقاعد والوسائد المختلفة، بالإضافة إلى براعة الصانع في صنع السجاد الفاخر⁽⁵⁾.

ومن المدن البارزة في خراسان التي اشتهرت بإنتاج الستائر كانت مدينة فسا، وقد دلّ تخصصها في هذه الصناعة على مكانتها إذ ذكر المؤرخ ابن حوقل أن ستائر فسا كانت تُصنع من الخز للسلطان، حيث يقول: "تُصنع للسلطان ستائر خاصة من الخز"⁽⁶⁾، كما يلاحظ القزويني أن الستائر كانت تُستورد من مدينة تستر خلال القرن السادس للهجرة⁽⁷⁾، وبناء عليه يمكن القول أن أفضل السجاجيد وأرقاها هي التي صنعت في العصر السلجوقي في القرن 6 الهجري⁽⁸⁾ / 12 الميلادي، كما اشتهرت نيسابور بصناعة البسط الجميلة وتصديرها إلى المدن الأخرى⁽⁹⁾.

(1) - وهو نسيج من الصوف أو الحرير يخاط من ذهب وفضة اقتصر استعماله على لبس السلاطين لارتفاع ثمنه، انظر: فيليب حتي، المرجع السابق، ج2، ص 423.

(2) - ديمان، المرجع السابق، ص ص 278-279.

(3) - الجاحظ، المصدر السابق، ص37.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص442؛ الدوري، المرجع السابق، ص137.

(5) - حسنين، المرجع السابق، ص180.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص246.

(7) - القزويني، المصدر السابق، ص171.

(8) - زكي حسن، المرجع السابق، ص109.

(9) - المقدسي، المصدر السابق، ص442.

وبفضل تطور صناعة السجاد في عهد السلاجقة امتازت القطع المنسوجة بدرجة عالية من الإبداع والإتقان، وبرزت في تصميمها الزخارف الهندسية المتشابكة التي تغطي كامل السطح⁽¹⁾، مثل النقوش المتداخلة، والأشكال المثلثة أو البيضاوية، والتي أضفت على السجاد طابعاً فنياً مميزاً، كما كانت هذه التصميمات محاطة أحياناً بأشرطة مزخرفة بالكتابة الكوفية⁽²⁾، مما أضفى عليها طابعاً جمالياً وتقنياً متفرداً.

ومن الإسهامات المهمة للسلاجقة في مجال صناعة المفروشات والنسيج كذلك تطويرهم للسجاد المعقود، الذي كان يشبه الفرو في متانته ونعومته⁽³⁾، مما جعله خياراً فاخراً للأثرياء والأمراء.

وإلى جانب السجاد ازدهرت أيضاً صناعة الحُصر في خراسان مستفيدة من وفرة المواد الأولية مثل الحلفاء، والقصب والبردي⁽⁴⁾ حيث ساهمت هذه العناصر في إنتاج حُصر متينة ومشدودة قادرة على تحمل الاستخدام الطويل، مما جعلها جزءاً أساسياً من المفروشات المستخدمة في البيوت والمساجد والأماكن العامة.

8- الورق:

يُعتبر أن أهل الصين كانوا أول من اكتشف صناعة الورق⁽⁵⁾، وقد انتقلت هذه الصناعة إلى بلاد خراسان بفضلهم، حيث قام الصّناع هناك بتطويرها وابتكار تقنيات جديدة، فاستخدموا القطن الذي كان وفيراً ومتداولاً⁽⁶⁾ بدلاً من الحرير الذي اعتمد عليه الصينيون في تصنيع الورق، ومن بين المدن التي تميزت بصناعة الورق

(1) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 214.

(2) - ديماند، المرجع السابق، ص 278.

(3) - عاشور سعيد وآخرون، المرجع السابق، ص 537.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 244؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 442.

(5) - كوركيس عواد، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، ج 3، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج 23، (د.ط)، 1948م، ص 417.

(6) - المصري، المرجع السابق، ص 284.

كانت سمرقند التي أصبحت أكبر مركز لهذه الصناعة⁽¹⁾ بفضل وفرة القطن فيها وموقعها التجاري المميز، مما ساهم في خفض تكلفة التصنيع وجعل الورق ناعمًا وسهل الاستخدام⁽²⁾، وقد ذكر أن كاغد سمرقند كان يُضرب به المثل لجودته ونقاؤه⁽³⁾، حتى أن الثعالبي أشار إلى أن "كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر... لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ولا تكون إلا بها وبالصين"⁽⁴⁾ بذلك أصبحت سمرقند المدينة الرائدة في إنتاج الورق الجيد، ورغم انتشار هذه الصناعة في مناطق أخرى فإن سمرقند حافظت على سمعتها⁽⁵⁾، كما وصف ابن حوقل ورق بلاد ما وراء النهر النهر قائلاً: "ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة"⁽⁶⁾.

وبذلك امتدت شهرة الكاغد السمرقندي إلى آفاق واسعة متفوقًا على صناعة الكاغد الصيني، حيث أصبح الكاغد السمرقندي بديلاً لورق البردي، وكان الأخير يُصنع من لباب نبات البردي الطويل، الذي يُقطع إلى شرائح وتُضغط لتكوين صحائف، ثم تُصقل باستخدام آلة من العاج وأخيرًا تُجمع الصحائف لتشكيل لفائف تسهل استخدامها⁽⁷⁾.

كما برز الورق البغدادي في سماء الصناعات الورقية حيث أشاد القلقشندي به قائلاً "وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقطعه وافر جدا، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة"⁽⁸⁾.

(1) - القزويني، المصدر السابق، ص 536.

(2) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 126؛ متر، المرجع السابق، ج 2، ص 365.

(3) - كوركيس عواد، المرجع السابق، ص 419.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 543.

(5) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 37.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 385.

(7) - كوركيس عواد، المرجع السابق، ص 412.

(8) - القلقشندي، المصدر السابق، ج 2، ص 476.

ومع ازدهار الحركة العلمية زادت الحاجة إلى صناعة الوراقة، مما أسفر عن إنشاء سوق نشطة لهذه الحرفة في فترة الدولة السلجوقية، فبرزت في بغداد سوق شهيرة عُرفت بسوق الوراقين⁽¹⁾ كما أشار إلى ذلك ابن خلدون الذي أوضح سبب انتشار الوراقين بقوله "مع تزايد عدد المؤلفات العلمية والدواوين وحرص الناس على توزيعها في مختلف الأقاليم أصبحت الحاجة إلى النسخ والتصحيح والتجليد ضرورية"، هذا التوسع في الطلب أدى إلى نشوء صناعة الوراقين المتخصصة في هذه المهام وغيرها من الجوانب المتعلقة بالكتابة.

9- الجلود:

تنوّعت الثروة الحيوانية في المدن السلجوقية وازدادت انتشاراً حيث ازدهرت تربية الإبل والأبقار والأغنام في المراعي الواسعة⁽²⁾، مما ساهم في تعزيز النشاط الاقتصادي وتوفير الموارد الأساسية للحرف والصناعات، وقد اشتهرت خراسان بترائها الحيواني، كما أشار الاصطخري إلى كثرة السوائم فيها، لا سيما في نواحي سرخس وبلخ، حيث كانت الإبل تُورد بكثرة، في حين جاءت معظم الأغنام من بلاد الغزيرة، ومنطقة الغور، والخلج⁽³⁾ ما وفر كميات كبيرة من الصوف والجلود، ولقد ازدهرت الثروة الحيوانية في هذا الإقليم بفضل توفر المراعي ومصادر المياه⁽⁴⁾، إضافةً إلى ذلك تميزت خراسان بوفرة فراء الثعالب، ممّا زاد من شهرة المنطقة في صناعة المنتجات الجلدية.

لم يكن هذا الثراء الحيواني مجرد مورد للغذاء، بل انعكس بشكل واضح على تطوّر صناعة الجلود، فقد اشتهرت العديد من المدن بإنتاجها المتميّز في هذا المجال، ويذكر السمعاني أنّ إقليم خراسان والمناطق المجاورة له اشتهرت بصناعات جلدية متنوّعة⁽⁵⁾ ازدهرت بفضل مهارة الحرفيين وتوافر المواد الخام عالية الجودة، وقد شملت هذه الصناعات إنتاج الحقائق الجلدية التي استخدمت لحفظ الأدوات والمقتنيات الثمينة، وكذا النعال والأحذية⁽⁶⁾،

(1) - فؤاد عبد الله العمر، المرجع السابق، ص 161-162.

(2) - لسترنج، المرجع السابق، ص 471-472.

(3) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 107.

(4) - الهمداني، المصدر السابق، ج 5، ص 316.

(5) - السمعاني، المصدر السابق، ج 3، ص 241.

(6) - ناصر خسرو، المصدر السابق، ص 36.

بالإضافة إلى صناعة السروج التي زُخرفت بأنماط فنية متميزة⁽¹⁾، مما جعلها مطلوبة لدى الفرسان والنخبة، وكذا صناعة الأحزمة الفاخرة والأقواس والدروع، وغيرها من الصناعات الجلدية.

كما عُرفت المنطقة بإنتاج الجلود المدبوغة، التي خضعت لعمليات معالجة متقنة زادت من متانتها ومرونتها، ومن أبرزها جلود الثعالب⁽²⁾ التي تميزت بلمسها الناعم وجودتها العالية، مما جعلها مادة ثمينة لصناعة الملابس الفاخرة والبطانات الجلدية.

وكان من الشائع تزيين بعض هذه السروج بالذهب والفضة، كما تطوّرت صناعة السروج لتشمل أيضًا صناعة اللّحم، مما يعكس التقدم والابتكار في هذا القطاع كما استخدمت الجلود في الكتابة عليها حيث عُرفت بجلد الرّق⁽³⁾، ولقد كانت الجلود المدبوغة في إقليم خراسان تُنقل من جوزجان وبلخ⁽⁴⁾ إلى أنحاء خراسان المختلفة، إلى جانب شهرة منطقة غرج في صناعة السروج والحقائب بمختلف أنواعها⁽⁵⁾.

ولقد أظهر صنّاع الجلود براعتهم في دباغتها وتجهيزها، حيث أتقنوا تقنياتها المختلفة مما مكّنهم من معالجة أنواع متعدّدة من الجلود وفقًا للاستخدامات المتنوّعة، فكانوا يُنتجون الجلود اللينة المناسبة لصناعة الملابس والأحذية، والجلود الصلبة التي استخدمت في صناعة الدروع والأحزمة وأغلفة الكتب الفاخرة، وقد ساعدت هذه المهارة في تلبية الاحتياجات اليومية والعسكرية والفنية، مما جعل صناعة الجلود في العهد السلجوقي من أكثر الحرف تطورًا وانتشارًا.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 342.

(2) - الاضطخري، المصدر السابق، ج 1، ص 442؛ المقدسي، المصدر نفسه، ص 324.

(3) - الرّق: بفتح الراء مشددة، وهو جلد رقيق يستخدم في الكتابة، أو صفيحة بيضاء تصلح للغرض نفسه، انظر: عمارة، المرجع السابق، ص 255.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 324؛ الاضطخري، المصدر السابق، ص 153.

(5) - لسترنج، المرجع السابق، ص 471.

ولقد اشتهر إقليم خوارزم كذلك بإنتاجه الغزير من الصوف والجلود⁽¹⁾، بالإضافة إلى وجود وفير لفراء السنجاب والثعالب في المنطقة والذي استعمل في صناعة الجلود والأحذية الفاخرة التي اعتبرت من الصناعات التي اشتهرت بها المنطقة.

كما برع الصناع بدبغ جلود الأغنام والماعز والأرانب، بالإضافة إلى جلود الحمر الوحشية⁽²⁾ والثعالب الحمراء أو السوداء، والتي كانت تُستخدم في صناعة الأحذية والسيور الفاخرة وغيرها من المنتجات الجلدية⁽³⁾، كما استخدم الصناع جلود الإبل والأبقار لتخزين البضائع والمقتنيات أثناء عبور الأنهار⁽⁴⁾، ولحماية الجباب من تأثير البرد الشديد، كانت تُكسى بالبوستيات المصنوعة من جلود الغنم لمنع تشققها وتلفها.

وأيضا تُعتبر صناعة الجلود في مدينة مرو من الصناعات التقليدية التي نشأت نتيجة توافر أعداد كبيرة من الحيوانات في أراضيها الخصبة، وقد كان لهذا تأثير كبير على تطور الصناعات الجلدية في المدينة، وبشكل خاص في إنتاج الملبن⁽⁵⁾ كما تطورت صناعة دباغة الجلود، واشتهرت المدينة بجلود الضأن المعروفة في المدينة بالسختيان⁽⁶⁾ وبفضل هذه الصناعة، نشأت صناعات أخرى مثل الأحذية، والسراجة، والمكعب، والجمعات، والمداسات، التي تميزت بها عائلة الداغوني⁽⁷⁾.

كما اشتهر أهالي إقليم أشروسنة بصناعة الأحذية الفاخرة ودبغ الجلود، مما جعلهم يبرزون في هذا المجال مقارنةً بغيرهم في المنطقة، وعرفت مدينة رودان كذلك بجودة جلودها المتينة⁽⁸⁾، مما جعلها مركزاً متميزاً لصناعة المنتجات

(1) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 170.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 398.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 325؛ لسترنج، المصدر السابق، 502.

(4) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 278.

(5) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 202.

(6) - السمعاني، المصدر السابق، ج 3، ص 232-233.

(7) - المقدسي، المصدر السابق، ص 325؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 370.

(8) - الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 77.

الجلدية، حيث أتقن الحرفيون دباغة الجلود ومعالجتها بطرق متقدمة لضمان متانتها ومرونتها، ومن أبرز الصناعات الجلدية التي ازدهرت في المدينة صناعة القرب⁽¹⁾ والتي كانت تُستخدم لحفظ الماء والحليب والتبيد، حيث تميزت هذه القرب بقدرتها على الحفاظ على السوائل باردة لفترات طويلة، مما جعلها ضرورية في المنازل والأسواق وحتى في قوافل التجارة والسفر.

وفي مدينة نيسابور اشتهر سوق السراجين كمركز حيوي لصناعة الجلود، حيث تجمع فيه الحرفيون المهرة والتجار المتخصصون في إنتاج وبيع مختلف المنتجات الجلدية⁽²⁾، ولم يقتصر نشاط السوق على صناعة السروج ولوازم الفروسية، بل امتد ليشمل العديد من المشغولات الجلدية الأخرى مثل الأحذية الفاخرة، والأحزمة والمنتجات المتعلقة بالإضاءة مثل الفوانيس والمصابيح، وكان السوق يعجّ بالحركة إذ وفد إليه الزبائن من مختلف الأنحاء لاقتناء المنتجات التي تميزت بجودتها العالية ودقة الصنع.

وفي العراق اشتهرت بغداد بهذه الصناعة حيث تواجدت بها مدايع متقدمة تهتم بمعالجة الجلود وتحويلها إلى منتجات متنوعة، كانت هذه المدايع تعمل على تجهيز الجلود لصناعة مجموعة من السلع مثل المحافظ والأحزمة والأحذية⁽³⁾، مما يعكس تقدّم تقنيات دباغة الجلود والاهتمام بجودتها، وكانت بغداد مركزاً هاماً في هذا المجال حيث كانت الحرفيون يبدعون في تحويل الجلود إلى منتجات ذات جودة عالية، تلبي احتياجات الأسواق الداخلية للمدينة وتساهم في تطور الاقتصاد.

ولقد أسهمت الصناعة الجلدية في تنشيط حركة التجارة، حيث تمّ تصدير المنتجات الجلدية إلى مختلف أقاليم العالم الإسلامي، مما عزز من مكانة المدن السلجوقية كمراكز رئيسية للصناعات الجلدية في العصور الإسلامية.

10- الزجاج:

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 443.

(2) - ناصر خسرو، المصدر السابق، ص 35؛ السمعاني، المصدر السابق، ج 3، ص 241.

(3) - البغدادي، المصدر السابق، ج 6، ص 173.

يعتبر الزجاج من أهم الصناعات التي عكست التقدم والتطور في العصر السلجوقي فكان له مكانة خاصة عندهم لأنه ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: "مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ"⁽¹⁾ ولقد كان الزجاج يُستخدم في العديد من التطبيقات الفنية والمعمارية، حيث أضفى لمسة من الفخامة والضوء على المباني والأعمال الفنية.

ولقد عمل السلاطين السلاجقة على دعم وتشجيع صناعة الزجاج⁽²⁾ باعتبار أنها أحد المصادر الرئيسية للثروة حيث ازدهرت في مختلف أنحاء الدولة السلجوقية وحققَت تقدُّماً ملحوظاً، ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار هذه الصناعة هو توفر المواد الخام اللازمة لصناعة الزجاج الشفاف والمزخرف كالطين الذي يشكل المادة الأساسية في هذه الصناعة حيث كان يُستخرج من الجبال الغنية بالمواد السيليكاتية والتي توفرت في عدة مناطق استراتيجية ضمن الأراضي السلجوقية، ومن أبرز هذه المناطق جبال خراسان مثل مرو ونيسابور إضافة إلى جبال كوهك القريبة من مدينة سمرقند⁽³⁾.

ولقد كانت صناعة الزجاج عملية دقيقة ومعقدة تتطلب مواد خام مختارة بعناية وتقنيات متقدمة، اعتمد الحرفيون على مزيج من الزنود أو حجر المروة مع الرمل، حيث كانت هذه المكونات تُسخن في أفران متخصصة تُشعل بدرجات حرارة عالية لعدة أيام⁽⁴⁾، مما يسمح بذوبان هذه المواد وتفاعلها وتحويلها إلى عجينة زجاجية قابلة للتشكيل وفقاً للتصاميم المطلوبة.

واستخدم الحرفيون السلاجقة تقنيات متطورة وحديثة لم تكن سائدة في المشرق الإسلامي في زخرفة الزجاج، شملت الضغط والحفر والتشكيل البارز بالبرونز، اعتمدت تقنية الضغط على صب الزجاج المنصهر في قوالب من الطين أو المعدن، ثم ختمه للحصول على نقوش دقيقة ومتشابكة، بينما استخدم الحفر بأدوات حادة مثل الملقاط لإضافة تفاصيل دقيقة أو عن طريق الحفر الحمضي لإضافة زخارف متقنة على الأسطح الزجاجية، أمّا التشكيل

(1) - سورة النور، الآية 35.

(2) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 118.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 407؛ الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 494.

(4) - البيروني، المصدر السابق، ص 222.

البارز فقد تميّز بدمج قطع برونزية أو استخدام قوالب منقوشة لإضفاء بريق وأناقة خاصة، إضافة إلى ذلك برع الحرفيون في زخرفة الأسطح بالأقراص والخيوط والأسلاك الملفوفة⁽¹⁾ لإثراء التصاميم بزخارف دقيقة، مما سمح للحرفيين بإبداع نقوش معقدة تعكس مهارتهم الفائقة وتطور فن صناعة الزجاج في ذلك العصر، حيث أضافت الأسلاك الذهبية لمسات من الفخامة والتألق⁽²⁾، مما جعل هذه المنتجات من أرقى المصنوعات الفاخرة التي انتشرت في العالم الإسلامي.

ومن بين هذه الابتكارات والإسهامات للحرفيين السلاجقة تطويرهم للزجاج الأبيض المضغوط، الذي تم تصنيعه ليشبه البلور الصخري⁽³⁾ في نقائه وبريقه هذا الابتكار أظهر مهارتهم في تقليد الخصائص الفريدة للبلور الطبيعي، وتم استخدام هذه التقنية في إنتاج أواني وزخارف زجاجية تميزت بصفاء اللون وشفافيته، ومع تقدم صناعة الزجاج تمكن الحرفيون أيضاً من إنتاج زجاج ملون يتمتع بصفات شبيهة بالبلور، وتفننوا في تزيينه باستخدام تقنية الزجاج المزخرف والمطلي أو التمويه بالمينا، حيث صُهر الزجاج بأكاسيد معدنية لإنتاج ألوان زاهية مثل الأحمر والأصفر والأخضر، بينما كان اللون الأزرق هو الأكثر شيوعاً⁽⁴⁾، ويُستخلص من حجر اللازورد⁽⁵⁾ بعد سحقه وخلطه مع الزجاج الشفاف، ثم يضاف إليه زخارف دقيقة كما رُتبت القطع الزجاجية بزخارف دقيقة تعكس الأنماط المستخدمة في خزف الري والتحف المعدنية من الموصل، مما أضفى عليها جمالاً استثنائياً، وقد ازدهرت هذه التقنية في عدة مدن، مثل نيسابور وسمرقند⁽⁶⁾ مما ساهم في انتشارها وتطورها، ورغم تنوع الألوان كان الزجاج الشفاف هو الأكثر استخداماً، بفضل بريقه وشفافيته التي أضفت عليه جمالاً خاصاً.

(1) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 200

(2) - الوزنة، المرجع السابق، ص 108.

(3) - البلور بكسر الباء وفتح اللام مشددة وهو معدن نفيس شفاف وعديم اللون، يُعرف بأسماء مثل "المها" أو "ذو التجف"، انظر: عمارة، المرجع السابق، ص 99

(4) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 201.

(5) - اللازورد: حجر كريم رخو ورطب، يتميز بأكثر درجات اللون السماوي صفاءً وإشراقاً، وقد أطلق العرب اسم "لازورد" على هذا الحجر ذي اللون السماوي المميز، انظر: البيروني، المصدر السابق، ص 270.

(6) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 201.

إلى جانب ذلك برع الحرفيون في الزخرفة بالبريق المعدني والتذهيب، لإضفاء لمسات من الفخامة على الأواني الزجاجية والذهبية والفضية⁽¹⁾، كما شهدت خراسان خاصة مدينة مرو ازدهار صناعة الأدوات الزجاجية بفضل وفرتها وتنوعها، حيث أبدع الصانعون في إنتاج تحف زجاجية متقنة⁽²⁾، تعكس تطور هذه الحرفة ودورها البارز في الاقتصاد والتجارة.

ولم تكن هذه التقنيات مجرد وسائل تزيينية فحسب، بل ساهمت في تطوير صناعة الزجاج كفن راقٍ يُستخدم في إنتاج المصابيح الإضاءة⁽³⁾، والزهرات والأكواب، والصّحون، والأباريق والقارورات⁽⁴⁾ التي كانت تُستخدم إما للاستخدام المنزلي أو لحفظ الزيوت، كما استخدمت الزجاجات الصغيرة الرقيقة المصنوعة من الزجاج المختلط بالرصاص لحفظ العطور، حيث منحها هذا الخليط لوناً مائلاً إلى الزرقة أو الخضرة، كما برع الحرفيون أيضاً في تزيين الزجاج برسوم هندسية معقدة وتصاميم نباتية وكتابات مختلفة⁽⁵⁾، كما شملت هذه التحف أشكالاً متعددة بما في ذلك تصاميم على شكل حيوانات كالأسماك، ورسوم بعض الحيوانات وفي بعض الأحيان شملت الزخارف أيضاً رسومات آدمية، مما أعطى الزجاج لمسة فنية متميزة ومتنوعة، وقد شهدت هذه الأنماط الفنية انتشاراً واسعاً وقد لاقت هذه الأنماط الفنية انتشاراً واسعاً، وأصبح لها تأثير كبير في تلك الفترة⁽⁶⁾، وساهمت في ازدهار صناعة الزجاج الزجاج كقطاع اقتصادي مهم، حيث تم تصدير منتجاتها عبر الطرق التجارية إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي وخارجه.

(1) - حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ج1، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م، ص112؛ البيروني، المصدر السابق، ص ص 224-225.

(2) - الوزنة، المرجع السابق، ص108

(3) - الباشا، المرجع السابق، ج1، ص112.

(4) - ديماندا، المرجع السابق، ص230.

(5) - زكي حسن، المرجع السابق، ص262.

(6) - المرجع نفسه، ص296.

كما بلغت نقوش الزجاج في العصر السلجوقي درجة عالية من الإتقان والدقة والجمال، من خلال استخدام الحرفيين تقنيات متقدمة لتزيين الزجاج فكانوا يرصّعون الزجاج بالجواهر ويكتبون عليه بالذهب المجسم، ممّا أضفى عليه لمسة من الفخامة والتفرد، ولقد برع صناع الزجاج كذلك في استخدام مجموعة متنوعة من الأساليب الزخرفية لإبراز جمال منتجاتهم، ومن المدن التي اشتهرت بهذا الإبداع أيضاً في صناعة الزجاج همدان حيث كانت النقوش والزخارف تعكس براعة الحرفيين ومهارتهم في هذه الصناعة.

كما شهدت مدينة نيسابور نشاطاً ملحوظاً في هذا المجال فكانت هناك كتل كبيرة من عجينة الزجاج تُخزن وتُستخدم في صناعة الزجاج⁽¹⁾، وكانت العجينة الزجاجية تُعدّ بعناية ثم تُحوّل إلى أشكال وألوان متنوعة عبر تقنيات مختلفة، هذه المواد الأولية كانت تُستخدم لإنتاج زجاجات وزخارف وأدوات زجاجية أخرى، مما يعكس مدى تطور صناعة الزجاج في نيسابور وميزتها كمنطقة مهمة في هذا المجال، ولقد استُخدم الزجاج في نيسابور لتلبية احتياجات المعيشة المتنوعة حيث برع الحرفيون في تزيين الأواني بزخارف رائعة تميزت بطابع الفن السلجوقي وتضمنت هذه الأواني الأباريق والصحون⁽²⁾ والقارورات والأكواب والتي زينت بزخارف محفورة تعكس دقة الصناعة وجمال التصميم، ولقد اتخذت الأواني الزجاجية أشكالاً متنوعة بما في ذلك الأشكال المسطحة والمضلع والكروي والكمثري⁽³⁾، بالإضافة إلى ذلك تم تصنيع بعض الزجاجات من البلور⁽⁴⁾ مما أضفى عليها لمسة من الفخامة والشفافية وأبرز المهارة الفائقة التي تميز بها صناع نيسابور في تشكيل وتحسين جودة الزجاج.

إلى جانب خراسان شهدت صناعة الزجاج في العراق تطوراً ملحوظاً، خاصة في بغداد التي أصبحت مركزاً رئيسياً لهذه الحرفة، فلقد تميّز الحرفيون البغداديون بمهارتهم العالية وأسهموا في تطوير تقنياتها، حيث أُقيمت في المدينة العديد من المصانع المتخصصة⁽⁵⁾، ممّا عزز شهرتها في إنتاج الزجاج عالي الجودة والمتنوع، وقد تجلّى هذا التميز في الأشكال المعقدة والأنماط الفنية التي أبدعوها، كما اشتهرت مراكز عراقية أخرى بصناعة الزجاج المزخرف بالأنماط

(1) - ديماندا، المرجع السابق، ص 232.

(2) - حسن زكي، المرجع السابق، ص ص 262-263..

(3) - الباشا، المرجع السابق، ج 1، ص 112.

(4) - ديماندا، المرجع السابق، ص 233.

(5) - الهمداني، المصدر السابق، ص 253.

المقطوعة⁽¹⁾، إلى جانب إنتاج البلور الصخري الذي شكل تطوراً مهماً في هذه الصناعة، وأسهم في تعزيز مكانة العراق كمركز رائد في فنون الزجاج خلال تلك الحقبة⁽²⁾.

11- التحف المعدنية:

شهدت صناعة التحف المعدنية ازدهاراً ملحوظاً في العصر السلجوقي، مدفوعةً برعاية السلاطين وشغفهم بالفنون، وتنافس الملوك والأمراء وأرباب الثروات على اقتناء هذه التحف القيمة، التي زينت القصور وموائد الطعام والشراب، وتميزت هذه المصنوعات بكثرة النقوش والزخارف، حيث أولى السلاجقة اهتماماً كبيراً بالفنون وعُرفوا بعشقهم للزخرفة وفن التصوير⁽³⁾، وبرع الحرفيون في تزيين الأواني البرونزية والذهبية والفضية⁽⁴⁾ بزخارف وأشكال مبتكرة وتصاميم متقنة، مما أضفى عليها طابعاً يجمع بين الفخامة والمتانة والدقة، كما تميز الأسلوب الزخرفي السلجوقي بتطور ملحوظ، حيث انعكس ذلك في تصاميم ونقوش معقدة وأنيقة أظهرت براعة الصانع ومهارتهم الفائقة.

ففي بدايات العصر السلجوقي اعتمدت زخرفة التحف المعدنية على النقش المباشر، لكن حرفيي خراسان والعراق سرعان ما طوروا أساليب زخرفية أكثر تطوراً، خاصة خلال حكم السلاجقة العظام مستخدمين تقنيات الحفر والتفريغ والتكفيت ويقصد بالتكفيت عملية تزيين التحف المعدنية، حيث يتم تطعيم أو زخرفة المشغولات المصنوعة من النحاس أو البرونز بإدخال خيوط أو رقائق من الذهب والفضة⁽⁵⁾، إلى جانب أسلوب "النيلو" (Savat)، حيث تُنقش التصاميم على مساحات واسعة من التحف الفضية⁽⁶⁾ أو خليطها بالذهب، ثم تُملأ

(1) - ديماند، المرجع السابق، ص 230.

(2) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 127.

(3) - الجميلي، المرجع السابق، ص 299.

(4) - ديماند، المرجع السابق، ص 143.

(5) - عبد الله عطية عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 168.

(6) - أولكر أرغين صوى، تطور فن المعادن الإسلامي منذ البداية حتى نهاية العصر السلجوقي، ترجمة وتقديم: الصفصافي أحمد القطوري، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص 308.

الخطوط المحفورة بمزيج منصهر من النحاس⁽¹⁾ والرصاص⁽²⁾ والبودق والكبريت وملح الشادر، وبعد التبريد والتلميع تظهر الزخارف بتطعيم أسود بارز على خلفية فاتحة، مما يمنحها وضوحًا ودقة مميزة⁽³⁾، وقد واصل الصناع السلاجقة تطوير هذه التقنيات فابتكروا طرقًا أكثر دقة، ودججوا بين معادن مختلفة بأسلوب متقن، مما رفع صناعة التحف البرونزية إلى مستويات غير مسبقة من الفخامة والإبداع، وجعل الزخرفة المعدنية عنصرًا أساسيًا في إبراز جماليات الفن السلجوقي.

شهد القرن الخامس الهجري تراجعًا طفيفًا في مخزون الذهب والفضة، مما دفع الحرفيين إلى البحث عن بدائل معدنية أكثر توفرًا⁽⁴⁾، فكان البرونز والنحاس الأحمر من أبرز الخيارات المستخدمة، حيث طُوِّرت تقنيات النقش والتطعيم لإضفاء لمسات زخرفية فاخرة على المشغولات المعدنية، ومع مرور الوقت انتقل الحرفيون إلى تطعيم النحاس الأحمر بالفضة، ثم أصبح النحاس الأصفر الأكثر رواجًا في أواخر القرن السادس الهجري بفضل بريقه الجذاب⁽⁵⁾، وفي مراحل لاحقة بدأ التكفيت بالذهب يحل محل تطعيم النحاس، وبهذا برع الحرفيون بصياغة تحف معدنية فاخرة من الذهب والفضة⁽⁶⁾.

وفي نفس الفترة شهدت خراسان تطورًا كبيرًا في تقنية تكنيك التكفيت⁽⁷⁾ مما أسهم في ازدهار فن الزخرفة المعدنية المعدنية وتعزيز مكانته، وبهذا تصدرت جل الأقاليم السلجوقية في صناعة المعادن⁽¹⁾، فبرزت مدينة هراة كمركز

(1) - النحاس: معدن بني مائل إلى الأصفر، ذو بلورات متنوعة، يتميز بقابليته للطرق والسحب، يذوب في حمض النيتريك، ويُعد من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان، لا يوجد في الطبيعة بشكله النقي بل يُستخلص صناعيًا من خاماته، انظر: محسن عقيل، موسوعة الأحجار الكريمة المصورة التختم - النقوش - الخواص، ط1، مكتبة الفقيه، دار المحجة البيضاء، 2007م، ص ص 584-585.

(2) - الرصاص: معدن لين ثقيل الوزن رمادي اللون، المرجع نفسه، ص 391

(3) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 181.

(4) - أولكر، المرجع السابق، ص 306

(5) - المرجع نفسه، ص 309

(6) - الوزنة، المرجع السابق، ص 106

(7) - أولكر، المرجع السابق، ص 308

رئيسي لهذا الفن إذ اشتهرت خلال القرن السادس الهجري⁽²⁾ بإنتاج التحف النحاسية والفضية وتكفيتهما بالفضة⁽³⁾، ولم يقتصر تفوق هراة على الزخرفة المعدنية فحسب بل تميزت أيضًا بوفرة إنتاج الحديد⁽⁴⁾، الذي استُخدم في صناعات متنوعة من أبرزها التحف الفنية، هذا الازدهار جعل للمدينة دور في تلبية احتياجات الأسواق الداخلية والخارجية بالمعادن.

ولقد اعتمد الصناعات على النحاس في تصنيع بعض الأواني المنزلية والأدوات الأخرى⁽⁵⁾، فنظرًا لسهولة طرق النحاس الأحمر وقابلية البرونز للصهر ازدهرت صناعة الأواني المعدنية في العصر السلجوقي، حيث صنعت معظم الأواني المصبوبة من البرونز، بينما شكّلت الأواني المطروقة من سبائك النحاس، وخاصة النحاس الأحمر⁽⁶⁾، ولقد تميز حرفيو هراة ببراعتهم في صناعة التحف المعدنية، فابتكروا آنية مزخرفة مطعمة بالفضة والنحاس الأحمر، كما اشتهرت المدينة بتصدير الأواني الصفرية والمطعمة بالفضة⁽⁷⁾ إلى مختلف المناطق، كما برع الحرفيون في إنتاج الشمعدانات من الذهب والفضة والتي اتخذت شكل التينينات ذات الأجسام الحلزونية، أو البومة أو أعناق الطيور⁽⁸⁾، وصنعوا الأكواب والأباريق البرونزية المزخرفة بنقوش محفورة ومجسمة لطيور وحيوانات، استلهمت أشكالها من أجساد الأسود التي صُوّرت بجسد واحد ورأسين أو رأس واحد وجسدين⁽⁹⁾، كما صنعوا المرايا والمباخر

(1) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 24.

(2) - ديماندا، المرجع السابق، ص 146.

(3) - الفضة: توجد عادة في صورة متماسكة من الكتل أو الحبيبات، يبدو لونه براقًا ذات أبيض فضي ورونق معدني عند بداية استخراجها من المنجم أو حادثة صقله، والفضة معدن ذو بريق لافلزي، انظر: عقيل، المرجع السابق، ص 493.

(4) - لسترنج، المرجع السابق، ص 471.

(5) - فؤاد عبد الله العمر، المرجع السابق، ص 159.

(6) - أولكر، المرجع السابق، ص 307.

(7) - القزويني، المصدر السابق، ص 481.

(8) - أولكر، المرجع السابق، ص 315.

(9) - المرجع نفسه، ص 320.

والملاعق والغلايات⁽¹⁾ والتي خُصصت للطبقات الثرية، ومن أشكال الحيوانات التي اعتمدوا عليها في صناعة التحف إضافة إلى الأسد والبومة نجد الغزال، والثعلب والظبي إلى جانب الصقر والفهد و الأرنب والثور، كما ظهرت رموز أخرى مثل الطاووس والخيل والبط والفيل والباز وغيرها من الحيوانات⁽²⁾، بينما صُنعت الأدوات اليومية من المعادن الرخيصة والحديد لتكون في متناول عامة الناس⁽³⁾، ومن أبرز الأمثلة على هذه الحرفية العالية إبريق مكفت بالفضة والنحاس الأصفر صُنع في هراة عام 577 هـ - 1181 م، ويحمل اسم صانعه المنتسب إلى المدينة⁽⁴⁾، من أبرز سمات زخرفة التحف البرونزية المكفّنة في مختلف مدن خراسان اعتماد الزخارف النباتية خاصة الوريدات كعنصر رئيسي في التصميم مما جعلها بمثابة العلامة المميزة لصناع المعادن في الإقليم، بالإضافة إلى زهور اللوتس، والشجيرات والمراوح النخلية، وأغصان الرمان⁽⁵⁾، وقد بلغت الفروع والسيقان المرسومة برشاقة واتزان قمة الإبداع في فن الأرابيسك، حيث عكست براعة الفنانين في دمج الزخارف النباتية بتناغم في متقن، وسرعان ما انتشرت هذه التحف المتقنة إلى باقي الأقاليم خاصة العراق، حيث نالت شهرة واسعة وحظيت بتقدير كبير⁽⁶⁾، كما شهدت مدينة مرو تطورًا ملحوظًا في صناعة المعادن حيث أبدع حرفيوها في ابتكار أسلوب يجمع بين الزخرفة والرسم⁽⁷⁾، مما أضفى على منتجاتهم طابعًا فنيًا مميزًا، فقد استخدم الحرفيون المعادن النفيسة كالذهب والفضة في صناعة التحف، ومن أبرز هذه التحف شمعدان يتميز بزخارف ورسومات آدمية وحيوانية⁽⁸⁾ صنع عام 532 هـ - 1137 م نُقش عليه اسم السلطان سنجر، وتميزت مرو كذلك بصناعة أواني النحاس مستفيدة من الموارد

(1) - البيروني، المصدر السابق، ص 264.

(2) - أولكر، المرجع السابق، ص 320.

(3) - سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ص 129-130؛ لسترنج، المرجع السابق، ص 472.

(4) - ديماندا، المرجع السابق، ص 148.

(5) - أولكر، المرجع السابق، ص 319.

(6) - ديماندا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص 146.

(7) - الوزنة، المرجع السابق، ص 106.

(8) - دونالد، المرجع السابق، ص 65.

المستخرجة من جبال طوس، كما تفننوا في صنع الغلايات والأكواب والأهوان وغيرها من الأواني⁽¹⁾، بالإضافة إلى الأواني والتحف أتعن الحرفيون في مرو صناعة الأقفال حيث قام القفال الشاسي بصناعة قفل وزنه دانق⁽²⁾.

كما شملت صناعة التحف العمائر الدينية والمدنية من خلال تزيينها، مثل القناديل والشماعد المعلقة في المساجد، والأبواب المصفحة بالبرونز المطعم بالذهب والفضة، كما كانت تستخدم في القصور لتزيين المناضد والموائد، بالإضافة إلى الثريات والأطباق والأباريق والكؤوس⁽³⁾.

ولقد أتعن الصناع فنون الزخرفة مستخدمين أساليب مبتكرة في تشكيل المعادن، حيث جاءت التصميمات متعددة الفصوص ومزينة بنقوش رائعة⁽⁴⁾ محفورة ومجسمة لطيور وحيوانات غالباً بألوان داكنة⁽⁵⁾، أضيفت عليها لمسات فنية فنية راقية، وجعلتها تحفاً تجمع بين الجمال والوظيفة.

إضافة إلى ذلك شملت الزخارف الرسوم النباتية والصور الآدمية والأشكال الهندسية والخطوط الكتابية، وأصبحت التوريقات النباتية عنصراً رئيسياً في زخرفة أرضيات الميداليات، بعدما كانت المساحات تُترك فارغة في الفترات السابقة⁽⁶⁾، وفي الوقت نفسه برع بعض حرفيي خراسان في الصناعات القائمة على العاج والأبنوس⁽⁷⁾، حيث اشتهرت مدينة كركانج ببحرتهما الواسعة في هذا المجال، أبدع صناعتها في ابتكار مصنوعات دقيقة ومعقدة، مستثمرين مهارتهم الفائقة واهتمامهم بأدق التفاصيل، مما جعل منتجاتهم نموذجاً للإتقان والحرفية العالية.

(1) - البيروني، المصدر السابق، ص 264.

(2) - الحموي، ج 5، المصدر السابق، ص 116؛ القزويني، المصدر السابق، ص 459.

(3) - سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 128-131.

(4) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 273.

(5) - ديماندا، المرجع السابق، ص 148.

(6) - أولكر، المرجع السابق، ص 318.

(7) - القزويني، المصدر السابق، ص 520؛ لسترنج، المرجع السابق، ص 4.

كما أصبحت مدينة الموصل في شمال العراق مركزاً مهماً لتكفيت التحف المعدنية بالذهب الفضة في بلاد العراق⁽¹⁾ حيث اخترع الحرفيون تقنيات دقيقة ومتقدمة في هذا المجال بمهارة فائقة، وقد عُرف أهلها بتفوقهم في هذا الفن⁽²⁾، مما منحهم سمعة مرموقة في مجال الصناعات المعدنية، وتجلّى إبداعهم في تمهيد وتنويع أساليب التصنيع، حتى تصدّرت المدرسة الموصلية المشهد في هذا المجال على مستوى العالم الإسلامي⁽³⁾ ونسبت إليها إنتاج كافة القطع المصنوعة من البرونز والنحاس الأصفر والمزخرفة بالفضة والنحاس الأحمر⁽⁴⁾.

ومن إسهامات الصناع السلاجقة ابتكارهم وتطويرهم لفنون الزخرفة المعدنية، حيث ازدهرت تقنياتها بشكل ملحوظ، برز من بينها أسلوب تكنيك الترخيم، الذي استخدم في تزيين الأباريق المصبوبة والمواقد والمباخر والشمعدانات، محاكياً مظهر الترخيم بتأثيرات لونية متباينة⁽⁵⁾.

وبفضل إبداع الحرفيين السلاجقة وتطور تقنياتهم بلغت الزخرفة المعدنية مستوى رفيعاً، حيث احتلت الزخرفة الخطية والنقوش الكتابية مكانة بارزة على التحف المصنوعة بعناية فائقة، وقد تضمنت هذه النقوش أدعية خيرة وتمنيات طيبة، إضافة إلى أسماء الصناع الذين أبدعوها أو أسماء الأشخاص الذين طلبوا تنفيذها. كما فضّل الحرفيون توقيع أعمالهم بلقب "نقاش"، تأكيداً لمهارتهم في فنون الحفر والزخرفة⁽⁶⁾، وبهذا أصبحت صناعة التحف المعدنية واحدة من أبرز الفنون في تلك الفترة، وقد قيل إنّ الطابع الإسلامي لهذه الصناعة لم يظهر بوضوح إلاّ خلال فترة حكم السلاجقة⁽⁷⁾.

(1) - ديماندا، المرجع السابق، ص 151؛ عبد الله عطية عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 169.

(2) - القزويني، المصدر السابق، ص 181.

(3) - الجميلي، المرجع السابق، ص 300.

(4) - ديماندا، المرجع السابق، ص 146.

(5) - أولكر، المرجع السابق، ص 308.

(6) - المرجع السابق، ص 311-313.

(7) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 23.

12- الجواهر والمعادن الثمينة:

حظيت الحلي والجواهر بمكانة رفيعة في الحياة الاجتماعية خاصة في القصور وفي ملابس الطبقة الثرية⁽¹⁾، وتطلبت صناعتها مهارة فائقة فتخصص فيها أمهر الحرفيين في خراسان وأصفهان والعراق وغيرها من المراكز الحرفية البارزة، ولقد ازدهرت صناعة صياغة الجواهر في العصر السلجوقي مدفوعةً بالثرف والثراء الذي ميز المجتمع السلجوقي، وشكّلت الأحجار الكريمة مثل اللؤلؤ والياقوت الأزرق والأحمر والزمرد والماس، عناصر أساسية جذبت اهتمام السلاطين والتبلاء، وأسهم توافر المعادن الثمينة في الدولة، حيث كانت خراسان غنية بالذهب والفضة، وساعد توافر المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة في خراسان والفيروز⁽²⁾ والسبح والزمرد⁽³⁾ في نيسابور التي غنيت بهذه المعادن إضافة إلى معدني الذهب والفضة⁽⁴⁾ والياقوت⁽⁵⁾، على تطور هذه الحرفة، واشتهر صاغة العراق وخراسان بمهارتهم العالية، مما دفع السلاطين السلجوقيين إلى إنشاء "دار العيار" للإشراف على صناعة الحلي وتنظيم معايير جودتها، ومراقبة تجار الحلي⁽⁶⁾.

ولقد استخدم معدني الذهب والفضة بشكل أساسي في صناعة الحلي والمجوهرات، التي لاقت رواجاً واسعاً بين الأميرات السلجوقيات⁽⁷⁾ ونساء الطبقة الغنية، لم يقتصر اقتناء الحلي على الأميرات والغنيات فقط بل أقبلت عليه

(1) - زكي حسن، المرجع السابق، ص 206.

(2) - الفيروز: من أقدم الأحجار الكريمة المكتشفة، ويُعرف بأسماء متعددة مثل الفيروزج، البيروزة، حجر العين، وحجر الجاه في اللغة الفارسية يُسمى "بيروزة" والتي تعني النصر لذا لُقّب بـ "حجر النصر والغلبة، انظر: عقيل، المرجع السابق، ص 500-502.

(3) - الزمرد: كلمة معربة قديماً عن اليونانية، يتميز بلونه الأخضر العميق وشفافيته، ويعد من أثمن الأحجار الكريمة بعد الماس، انظر: البيروني، المصدر السابق، ص 168-169.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 326.

(5) - الياقوت: اشتق اسمه من الكلمة اللاتينية "روبي" التي تعني الأحمر، وتُسمّى بذلك لتمييزه بهذا اللون، وهو من الأحجار الكريمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ويُعرف بأسماء أخرى مثل الجواهر، والعسجد والكبريت، يتوفر بألوان متعددة، منها الأحمر، الأبيض، الأزرق، الأخضر، والأصفر، انظر: عقيل، المرجع السابق، ص 593-597.

(6) - سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 130.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 78.

عليه الجواري والنساء من مختلف الطبقات الاجتماعية⁽¹⁾، فكان الذهب يُستخدم بشكل رئيسي في صناعة المجوهرات وأعمال التذهيب، أما الفضة فقد استخدمت في صناعة مشغولات الزينة والحلي النسائية وأعمال النقش منذ أواسط القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي⁽²⁾، ولضمان متانة الجواهر المصنوعة من الذهب كان يُضاف إليها نسبة من المعادن الأخرى مثل النحاس والفضة، أما المجوهرات الفضية فقد أُضيف إليها النحاس أو الزنك أو الرصاص لتعزيز صلابتها وتحسين جودتها⁽³⁾.

إلى جانب قيمتها الجمالية والاجتماعية تعد صناعة الحلي فناً راقياً لا يقل شأنًا عن صناعة الزجاج والتحف الخزفية والمعدنية⁽⁴⁾، حيث تجمع بين الإبداع الحرفي والدقة في التصميم والزخرفة، ولقد أبدع الصناع في تطوير أساليب زخرفة الخواتم والأساور والقلائد والأقراط والخلاخل، مستخدمين الأسلاك الذهبية بتكوينات هندسية جميلة، مع إضافة حبيبات صغيرة لإضفاء مزيد من الأناقة والتفاصيل الدقيقة⁽⁵⁾، كما كانت تتضمن الحلي رسومًا متنوعة على هيئة طيور وصور آدمية باستخدام أسلوب التّخريم، أو على شكل حيوانات مثل الأسد، حيث كانت بعض أجزاء الوجه تصنع بطريقة مخزومة تُشبك بأسلاك ذهبية رقيقة وتُلحم بعناية، لتكوّن دوائر صغيرة تحيط بالقرط مما يضفي على الدلاية رونقًا وحُسْنًا فريدًا، وقد تطوّرت بشكل ملحوظ مقارنة بما سبقها⁽⁶⁾، ولهذا تُعتبر المصوغات الذهبية السلجوقية من القطع الفنية ذات القيمة العالية، لما تتميز به من إتقان وتفاصيل دقيقة تميزت الأقراط غالبًا بشكل هلال، مزين بزخارف مفرغة على هيئة طيور تتوسطها شجرة نخيل.

(1) - القرشي أبو الوفاء محي الدين أبي محمد، الجواهر المضيفة في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ج4، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1993م، ص123.

(2) - أولكر، المرجع السابق، ص305.

(3) - الباشا، المرجع السابق، ج1، ص118.

(4) - زكي عبد الرحمان، الحلي في التاريخ والفن، دار القلم، القاهرة، (د.ط)، 1965م، ص07.

(5) - المرجع نفسه، ص137.

(6) - ديمان، المرجع السابق، ص143.

من بين الأساليب الزخرفية التي شاع استخدامها في تزيين هذه الحلي كان المينا⁽¹⁾ وتطعيمها بالأحجار الكريمة الذي أضاف لمسة من الألوان والتفاصيل الرفيعة وقد لجأ الصائغون إلى استخدام الأسلاك الذهبية بأشكال هندسية جميلة سواء كانت مستقيمة أم مجدولة، مضيفين حبيبات صغيرة لإضفاء لمسة فنية دقيقة⁽²⁾، كما اعتمدوا على تقنيات الحفر في زخرفة بعض القطع، مستخدمين ألواناً متنوعة وأحجاراً كريمة مثل الفيروز والياقوت والعقيق⁽³⁾ ولعل من أكثر ما كان يميّز تلك المجوهرات هو استخدام اللؤلؤ⁽⁴⁾ والخرزات المرجحة، خاصة في القلادات ذات اللون الفيروزي.

ولقد أبدع صاغة بغداد في تشكيل المعادن الثمينة ونحت الأحجار الكريمة، حيث زخرفوها بنقوش متنوعة تعكس مهارتهم الفنية، وتم ذلك في سوق خاص بالمجوهرات، كان يعج بالحرفيين والمتخصصين في هذا المجال، وكان السوق مليئاً بالأحجار الكريمة بكل الألوان والأنواع، وكان العديد من الصاغة من اليهود كما أشار أبو يوسف، حيث أكد أن⁽⁵⁾ "أكثر الصاغة في العراق يهود."

ولم يقتصر استخدام الذهب والفضة في العصر السلجوقي على صناعة الحلي والتحف، بل استُخدما أيضاً في تزيين القاعات⁽⁶⁾ مما أضفى عليها طابعاً من الفخامة والجمال، فلقد حرص الأمراء على تزيين المراكب المقدسة

(1) - المينا: هي مادة زجاجية نصف شفافة تتكون من أكاسيد معدنية مذابة في سوائل وأحماض خاصة، تُستخدم في زخرفة المعادن، مثل الذهب والفضة، حيث تُضفي عليها لمسات فنية راقية من خلال ألوانها الزاهية ولمعانها المميز، مما يعزز جمالية التحف والمجوهرات، انظر: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 255.

(2) - زكي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 137.

(3) - العقيق: المعروف أيضاً باسم الآجاث أو الكارنيول، هو حجر كريم ذو أصل عربي، اشتق اسمه من فعل يدل على الشق، نظراً لقابليته للانقسام بسهولة، يُعد من أكثر الأحجار شبه الكريمة انتشاراً بين الناس، ويتنوع لونه وفقاً للشوائب التي يحتويها، مما يضفي عليه مظهرًا فريدًا وجاذبية مميزة، انظر: عقيق، مرجع سابق، ص ص 456-463.

(4) - اللؤلؤ: جوهرة ثمينة تتشكل من طبقات صدفية متراكمة حول جسم غريب داخل الأصداف. يتميز بجماله الفريد وشفافيته، وشفافيته، حيث يعكس الضوء ألواناً قزحية ساحرة تتغير حسب زاوية النظر. بفضل تألقه الطبيعي وألوانه المتنوعة، يُعد من أكثر الأحجار الكريمة قيمةً وإقبالاً في عالم المجوهرات، المرجع نفسه، ص ص 442-443.

(5) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 431.

(6) - المصدر نفسه، ص ص 73-74.

بمحارِب صلاة مصنوعة من الذهب⁽¹⁾، كما زُخرفت السقوف والجدران في الأماكن العامة والخاصة⁽²⁾، مما منحها بُعداً روحانيًا ومظهرًا فاخرًا.

⁽¹⁾ - البغدادي، المصدر السابق، ج6، ص50.

⁽²⁾ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص59.

المبحث الثالث: التجارة في العصر السلجوقي:

1- أهم الطرق التجارية في الدولة السلجوقية:

كانت الطرق التجارية بمثابة مسارات اقتصادية يسلكها التجار لتبادل البضائع، شريطة أن يسود الاستقرار السياسي داخل الدولة السلجوقية، مما يضمن انسيابية الحركة التجارية دون عوائق.

ولقد شهد العصر السلجوقي ازدهارًا تجاريًا كبيرًا انعكس بشكل مباشر على تنشيط الطرق التجارية وتوسيع نطاقها، وقد مكّن هذا الازدهار التجار المسلمين من الوصول إلى الصين في الشرق، مما عزز التبادل التجاري بين المراكز الإسلامية والأسواق الآسيوية.

وساهم السلاجقة بدور بارز في تحسين طرق المواصلات النهرية والبرية، حيث أمر السلطان ملكشاه عام 485 هـ - 1092 م بإعادة حفر الأنهار التي كانت قد جرفت بفعل الزمن⁽¹⁾، مما أسهم في تنظيم الملاحة النهرية وتسهيل حركة السفن، كما ساعدت الجسور التي شُيّدت على تعزيز حركة النقل، ومن أبرزها الجسر المتحرك في الجانب الشرقي من بغداد الذي صُمم لتمكين السفن من العبور بسلاسة، بالإضافة إلى جسر آخر في مدينة واسط الذي كان يحتوي على فتحتين خاصتين لعبور السفن⁽²⁾، وفي حال تعرضت السفن لأعطال، كانت تُرفع إلى اليابسة تفاديًا لتعطيل الملاحة⁽³⁾، ومن جهة أخرى كانت الرحلات البحرية خاصة المتجهة إلى بحار الشرق تتطلب معرفة دقيقة بأوقات هبوب الرياح، فمن الضروري أن يكون بحارة السفن على دراية كاملة بهذه الأوقات، إذ أن جهلهم بمعرفتها قد يمنعهم من الإبحار بنجاح إلى الهند أو الصين⁽⁴⁾ مما يزيد من أهمية الخبرة البحرية في ضمان نجاح هذه الرحلات الطويلة والمعقدة.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص70.

(2) - المسري، المرجع السابق، ص185

(3) - العسكري سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، كلية دار العلوم، (د.م.ن)، (د.ط)، 1971م، ص85.

(4) - المسري، المرجع السابق، ص222.

أما من حيث مسارات التجارة فقد كانت العراق تتصل بمدن الشرق الأقصى عبر طريقين رئيسيين أحدهما بري ينطلق من بغداد مروراً بخلوان إلى خراسان، ثم يتجه إلى وسط آسيا وصولاً إلى الصين، والآخر بحري يبدأ من الخليج العربي ويمتد إلى سواحل الهند والمناطق الشرقية، وفي الشمال كان نهر الفرات يشكل شرياناً تجارياً يربط العراق بأرمينيا وأذربيجان وبلاد الروم⁽¹⁾، مما عزز التواصل التجاري بين مختلف الأقاليم.

1.1. الطرق البرية:

الطرق البرية في العراق:

لقد كانت شبكة الطرق البرية عنصراً حيوياً في تعزيز التواصل والإدارة، حيث ساهمت في نقل المراسلات التجارية والسلع والبضائع بسرعة وكفاءة، مما أدى إلى ازدهار النشاط الاقتصادي وتيسير الاتصال بين مختلف الأقاليم، ولقد فضّل التجار الطرق البرية على غيرها من طرق التجارة لأنها كانت تتميز بالمرونة وعدم الالتزام بالمسار المستقيم، فقد كانت هذه الطرق تأخذ في اعتبارها ضرورة المرور بمصادر المياه العذبة⁽²⁾ مما يُسهّل تزويد القوافل بالماء خلال رحلاتهم الطويلة، كما كانت بعض هذه الطرق تقطع الصحراء، كما يشترط أن تتوفر المدن التجارية التي تمر عليها القوافل برا على القلاع والحصون⁽³⁾.

وخلال حكم السلاجقة حرصت بغداد عاصمة الخلافة، على تعزيز روابطها مع المناطق المحيطة من خلال إنشاء شبكة واسعة من الطرق التي امتدت في جميع الاتجاهات

وقد شملت هذه الشبكة عدة طرق رئيسية أبرزها الطريق الجنوبي الممتد نحو الكوفة، والطريق الشمالي المؤدي إلى بلاد الجزيرة، والطريق الغربي الواصل إلى الأنبار، إضافةً إلى الطريق الشرقي الذي يربط بغداد بخراسان⁽⁴⁾، مُسهّلاً حركة التجارة والتواصل بين هذه المناطق الحيوية.

(1) - المرجع نفسه، ص 159

(2) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 58.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 141-146.

(4) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 44؛ متز، المرجع السابق، ج 2، ص 303.

وفي إطار تعزيز الاتصالات الرسمية والتجارية، برزت طرق البريد كأحد أهم عناصر هذه الشبكة، حيث اتخذت مسارين رئيسيين يربطان بغداد بالمراكز التجارية الكبرى، فالمسار الأول يبدأ من بغداد يعبر إلى الموصل، ثم يتجه نحو مدينة بلد الواقعة على ضفاف نهر دجلة ليواصل سيره عبر منطقة ما بين النهرين إلى سنجار ونصيبين ورأس العين والرقعة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبلبك ودمشق والرملة⁽¹⁾، رابطاً العراق بالشام، أما المسار الثاني فينطلق من بغداد نحو الشام، متتبّعاً الضفة الغربية لنهر الفرات، مروراً بالأنبار قبل أن يعبر إلى الضفة الغربية عند هيت.

بالإضافة إلى ذلك كان هناك طريق رئيسي آخر إلى المشرق، يتجه خلف بغداد حيث يعبر قنطرة النهروان ثم يستمر عبر المناطق الجبلية خلف حلوان، ويشمل صعوداً وهبوطاً في التضاريس⁽²⁾، ما يجعله طريقاً صعباً لكنه حيوي للتواصل مع مناطق الشرق.

ومن أهم الطرق الداخلية في العراق كذلك نجد الطريق البري الذي يربط الحلة ببغداد والذي يُعتبر من أفضل الطرق وأجملها، فقد كان يمتاز بتنوع المناظر الطبيعية وسهولة السفر عبر الأراضي المفتوحة، وكان هذا الطريق مزداناً بالقرى المتصلة على جانبيه، وكان يتمتع بمستوى عالٍ من الأمان على طول مساره.

ومن أبرز الطرق البرية الرئيسية إلى بغداد أيضاً الطريق الذي يمتد بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة، فهذا المسار يربط العديد من المدن، إذ تمر به القوافل لنقل البضائع والسلع التجارية⁽³⁾، مما يساهم في تبادل السلع وتعزيز الحركة الاقتصادية بين المناطق المختلفة.

واللافت للانتباه هو أنّ معظم الطرق البرية في العراق تسير بمحاذاة الأنهار لتسهيل الحصول على المياه، فكانت بغداد بمثابة مركز رئيسي للتجارة البرية بفضل تضاريسها المستوية⁽⁴⁾، حيث تفرّعت منها خمسة طرق رئيسية الأول الطريق الجنوبي من بغداد إلى واسط ثم البصرة، والثاني الطريق الشمالي إلى الموصل، أما الطريق الشرقي فيتجه إلى

(1) - قدامة، المصدر السابق، ص 227.

(2) - متر، المرجع السابق، ص 350.

(3) - قدامة، المصدر السابق، ص 216.

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص 144.

أواسط آسيا، والطريق الشمالي الغربي إلى الرقة، ثم إلى سوريا ومصر، ثم الطريق الجنوبي الغربي إلى الكوفة ومن ثم إلى الجزيرة العربية.

ومن أبرز الطرق البرية الرئيسية إلى بغداد هو الطريق الذي يمتد على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة، هذا الطريق يربط بغداد بعدد من المدن الهامة حيث تمر القوافل عبره لتزويدها بالمنتجات والبضائع التجارية⁽¹⁾، ما يعزز حركة التجارة بين بغداد ومحيطها.

إلى جانب بغداد اضطلعت البصرة والموصل بدور حيوي في شبكة المواصلات التي ربطت العراق بالدول الأخرى⁽²⁾، حيث ساهمتا بشكل كبير في تسهيل حركة النقل البري وتسريع تدفق البضائع والمسافرين، فقد كانت البصرة بموقعها الاستراتيجي على رأس الخليج مركزاً رئيسياً للتجارة البحرية والبرية، حيث انطلق منها الطريق البري إلى الهند، مروراً بالأهواز وكرمان، ثم إلى مكران فالسند، وصولاً إلى الأراضي الهندية⁽³⁾، مما جعلها نقطة عبور مهمة للتجارة بين الشرق والغرب، أما الموصل فقد كانت محطة رئيسية على الطرق البرية المؤدية إلى بلاد الشام والأناضول وبلاد القوقاز، مما عزز مكانتها كمركز تجاري وإداري في المنطقة. (انظر الملحق رقم: 06).

الطرق البرية في خراسان:

كان إقليم خراسان مصدراً مهماً للبضائع والسلع بفضل شبكة طرقه البرية المتطورة، التي ربطت مدن الدولة السلجوقية بعضها ببعض من جهة، كما ربطته بالعالم الخارجي من جهة أخرى، ومن أهم هذه المدن العراق ومن أهم هذه الطرق طريق الحج الذي يستخدمه الحجاج من خراسان وفارس، بالإضافة إلى القوافل التجارية المتجهة إلى العراق، ويعبر هذا الطريق نهر الفرات عند الكوفة ثم يستمر عبر الصحراء⁽⁴⁾ إلى مكة والمدينة.

(1) - قدامة، المصدر السابق، ص 216.

(2) - الدوري، المرجع السابق، ص 144.

(3) - قدامة، المصدر السابق، ص 242.

(4) - متز، المرجع السابق، ص 25.

ومن الطرق البرية التي اكتسب أهمية كبيرة في خراسان كذلك الطريق الذي يربط أوروبا بالمشرق فيبدأ من الأندلس مروراً ببلاد المغرب ومصر ثم يتجه إلى بلاد الشام، وبعد ذلك يواصل السير نحو العراق وفارس، ويعبر منطقة الأهواز، قبل أن يصل إلى كرمان، ومن هناك يمتد نحو الهند، ليواصل رحلته إلى الصين⁽¹⁾.

دون أن ننسى الطريق الذي يمتد من خراسان إلى الصين عبر بلاد الصغد، حيث يمر عبر جبال تُستخرج منها مادة النشادر، وكانت الرحلة عبر هذا الطريق تستغرق نحو أربعة أشهر⁽²⁾، وهو ما يعكس البُعد الكبير والتحديات التي يواجهها المسافرون.

كما كان هناك طريق بري بالغ الأهمية يُعرف بطريق خراسان الذي كان جزءاً رئيسياً من شبكة طرق الحرير، ينطلق هذا الطريق من بغداد ماراً بالنهران وحلوان، ثم يعبر همدان وقزوین والري حتى يصل إلى نيسابور⁽³⁾ وهي مسافة تُقدَّر بحوالي ثلاثمائة وخمسة فراسخ، ومن هناك يمتد الطريق إلى مرو والتي كانت مركزاً استراتيجياً ومحطة أساسية للتجارة والمسافرين.

عند وصول الطريق إلى مرو تفرّع إلى مسارات متعددة، أحدها يتجه شمالاً نحو بيكند ثم سمرقند، حيث ينقسم إلى مسارين رئيسيين شمالاً إلى خوارزم، وهو مسار يربط المناطق الواقعة حول بحر آرال ووسط آسيا، وشرقاً إلى الشاش وفرغانة⁽⁴⁾ وكاشغر، قبل أن يتصل بشبكة الطرق التجارية داخل الصين⁽⁵⁾.

وبفضل الاهتمام الكبير باستغلال الثروات المعدنية شهدت الصناعات الأخرى تطوراً ملحوظاً⁽⁶⁾، كان لهذا التطور التطور تأثير كبير على ازدهار التجارة مع الدول الأخرى، حيث وفّرت الدولة السلجوقية بيئة مواتية للتجارة بفضل

(1) - العمادي، المرجع السابق، ص 144.

(2) - متز، المرجع السابق، ص 352.

(3) - المسري، المرجع السابق، ص 222.

(4) - ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص 18-27.

(5) - السيرافي، المصدر السابق، ص 201.

(6) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 307-311.

اتّسع نطاقها، أدّى ذلك إلى تنقل القوافل التجارية بسهولة، ممّا ساعد على وصول التجار المسلمين إلى الصّين شرقاً والهند جنوباً، ولقد كان طريق الحرير العظيم⁽¹⁾ أحد المحاور الرئيسية في هذا النشاط التجاري حيث خضع هذا الطريق لسيطرة السلاجقة الذين كانوا يشرفون عليه من كاشغر حتى البحر المتوسط، و كان يمر عبر سمرقند⁽²⁾ وتركستان الشرقية وصولاً إلى المدن الصينية الكبرى، مما جعله مساراً استراتيجياً للتجارة بين الشرق والغرب وقد امتد هذا الطريق عبر مناطق واسعة، متفرّعاً إلى مسارات مختلفة، أبرزها طريق خراسان الذي كان حلقة وصل بين بغداد وآسيا الوسطى.

ولقد بدأت المسارات التجارية الرئيسة لطريق الحرير من المدن الصينية الكبرى مثل تشانغآن، وتفرعت غرباً عبر كاشغر وسمرقند وبخارى وصولاً إلى مرو، ومن هناك استمر الطريق عبر نيسابور والري وقزوين حتى يصل إلى بغداد، ومنها إلى مدن الشام والأناضول، قبل أن ينتهي في موانئ البحر الأبيض المتوسط.

ولقد وصف لسترنج طريق خراسان أنه شريان حيوي للتجارة الدولية نظراً لربطه بين عدّة وجهات تجارية رئيسية ليصل في الأخير إلى حدود الصّين⁽³⁾، ولقد تفرّع هذا الطريق عند وصوله إلى نيسابور إلى قسمين رئيسيين المسار الأول يمتد عبر هراة ماراً بعدد من القرى الخراسانية مثل بوزجان، وصولاً إلى تخوم الهند، أما المسار الثاني فيربط نيسابور بمدينة بوشنج، ثم يتصل بمدينة سرخس ومنها إلى مرو.

وعند وصول الطريق إلى مرو انقسم إلى فرعين رئيسيين الأول يتجه نحو الشاش وما وراء النهر، مع تفرعات أصغر تصل إلى المناطق المجاورة، والثاني يمتد شرقاً إلى كاشغر والصين، ليصبح أحد أهم مسارات طريق الحرير.

كان طريق خراسان العظيم من أبرز المسارات نحو المشرق، إذ ربط مدن خراسان ببغداد عبر مسارين رئيسيين، حيث يمتد فرعه الغربي عبر الري وهمدان وحلوان مؤمناً الاتصال بين مراكز التجارة الكبرى، من ناحية أخرى يمتد الفرع الشرقي والشمالى بعد مغادرته آمل على ضفة نهر جيحون ليصل إلى بخارى وسمرقند، وعند هذه النقطة

(1) - الدوري، المرجع السابق، ص 151.

(2) - سمرقند: إحدى المدن الخراسانية الواقعة جنوب وادي الصغد، وتتميز بشوارعها الفسيحة وقصورها الفاخرة، واشتهرت بخصوبة أراضيها وكثرة خيراتها، للمزيد انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 322.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص 23.

ينقسم الطريق إلى شطرين، الأول يتجه إلى اليسار نحو طشقند، بينما الثاني ينعطف نحو اليمين ويمتد حتى يصل إلى حدود الصين⁽¹⁾.

ومن بين الطرق الداخلية في خراسان برز الطريق الذي يربطها ببخارى كمسار تجاري رئيسي، إذ كانت بخارى وجهة مفضلة لتجار خراسان الذين ارتادوا أسواقها بكثرة، وشهد هذا الطريق تبادلاً نشطاً للسلع، حيث كانت الفواكه تُنقل من بخارى إلى مرو، بينما كانت المواد الغذائية تُرسل إلى بخارى من مختلف مناطق ما وراء النهر⁽²⁾، مما عزز الروابط التجارية بين الإقليمين وأسهم في ازدهار الاقتصاد في خراسان.

كما تتضمن الطرق الأخرى الطريق من مرو الروذ إلى بلخ، الذي يمر عبر الجوزجان والطاقان، ويستمر إلى حدود الهند عبر قندهار وغزنة، وطرق فرعية من هراة تشمل طريق نيسابور إلى هراة، وطريق من مرو محاذي لنهر مرو الروذ يلتقي بطريق قادم من هراة ويتجه نحو بلخ.

ومن أبرز الطرق التجارية في خراسان الطريق الممتد من نيسابور إلى هراة عند قصر الريح، والذي يُعد مساراً حيوياً يربط بين المدن الرئيسية في الإقليم، وينقسم هذا الطريق إلى فرعين رئيسيين الفرع الجنوبي الشرقي الذي يتجه إلى هراة، ماراً بعدد من القرى الخراسانية مثل فرها زجرد، بوزجان، وبوشنج، وصولاً إلى هراة، ومن بوزجان تتفرع منه مسارات أخرى تمتد جنوباً وغرباً حتى تلتقي في قايين، أما الفرع الشمالي الشرقي فينعرف نحو المشهد وطوس، ثم يصل إلى سرخس، مؤمناً الاتصال بين خراسان وما وراء النهر.

وإلى جانب هذا الطريق كان هناك المسار الداخلي الذي يربط مرو الروذ بسرخس، والذي يمر عبر الأراضي الصحراوية⁽³⁾، مما جعله مساراً مهماً للتجار والمسافرين رغم التحديات الجغرافية التي واجهوها.

(1) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 203.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 251.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 338.

وهناك طريق آخر يمتد من هراة إلى زرنج عبر باسفرار، ويقطع سجستان بطول حوالي عشرين فرسخاً⁽¹⁾ (ما يعادل نحو مائة وعشرين كيلومتراً)، وطريق من مرو الروذ إلى سرخس والذي يمتد عبر الأراضي الصحراوية بين المدينتين⁽²⁾.

لقد شكلت هذه الشبكة المتكاملة للطرق البرية دعامة أساسية لازدهار التجارة وتسهيل الإدارة، مما ساعد في تعزيز نفوذ الدولة السلجوقية وترسيخ سيطرتها على الطرق التجارية الحيوية في المنطقة.

كما كانت وسائل النقل البري تعتمد بشكل رئيسي على الإبل والبغال والخيول، التي شكلت الركيزة الأساسية لنقل الأشخاص والبضائع عبر المسافات الطويلة، وقد تم اختيار هذه الحيوانات بناءً على قدرتها على التحمل والتكيف مع الظروف البيئية المختلفة، فبينما استخدمت الخيول والبغال بفعالية في المناطق الجبلية الوعرة لنقل البضائع⁽³⁾ بفضل سرعتها وقوة تحملها كما تم ذكره سابقاً، كانت الإبل تُعتبر الخيار المثالي لنقل البريد والسلع عبر الصحراء، تتميز الجمال بقدرتها على تحمل الظروف القاسية لمسافات طويلة⁽⁴⁾، حيث كانت تسير في قوافل ضخمة تضم آلافاً منها⁽⁵⁾، هذه القوافل لم تكن مجرد وسائل نقل، بل كانت أيضاً شرياناً حيوياً للتجارة والاتصالات عبر طرق السفر البعيدة.

ومن أبرز الطرق التي استخدمت فيها الجمال لنقل البضائع كان طريق بغداد إلى ما وراء النهر الذي يعبر عبر خراسان، وطريق الحج الذي كانت تسلكه القوافل التجارية من العراق إلى مكة والمدينة، ممتداً أيضاً إلى عدن في

(1) - ابن رسته، المصدر السابق، ص 171.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 338.

(3) - إيرين فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، تر: أحمد محمود، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1977م، ص 29؛ محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 199.

(4) - الصافي عبد العليم، الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خراسان في العصر السلجوقي، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، علي أحمد السيد، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 2003م، ص 170.

(5) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 1، ص 302.

اليمن⁽¹⁾، في العصر السلجوقي كانت الجمال تشكل العنصر الأساسي في قوافل التجارة الخراسانية، حيث استخدمها التجار كوسيلة رئيسية لنقل السلع عبر المسافات الطويلة⁽²⁾.

1. 2. الطرق النهرية والبحرية:

الطرق النهرية والبحرية في العراق:

إلى جانب الطرق البرية كان للطرق النهرية والبحرية دورًا لا يقل أهمية في تعزيز التجارة والنقل، حيث تمتعت أنهار العراق بظروف مثالية للملاحة مما جعلها مثالية بشكل لا يضاهي⁽³⁾، بفضل مياهها العذبة والتيارات المناسبة التي وفرت بيئة مواتية لحركة السفن والقوارب، وقد شكلت هذه الأنهار شريانًا حيويًا يربط بين مختلف المناطق، مما جعل النقل النهري أحد الركائز الأساسية للتجارة في العراق.

وبرزت الطرق المائية في بغداد كوسيلة نقل أكثر حيوية وكفاءة مقارنة بالطرق البرية، بفضل وجود نهر دجلة والفرات، اللذين ساهما بشكل كبير في تسهيل حركة التجارة والتنقل، وامتد هذان النهران من الشمال إلى الجنوب، مما جعلهما ممرين تجاريين رئيسيين يربطان مدن العراق المختلفة، وصولاً إلى الخليج العربي حيث يصبان، كما لعبا دورًا محوريًا في ربط المدن الواقعة على ضفتيهما⁽⁴⁾، مما عزز التواصل الاقتصادي والتجاري بين الأقاليم.

وبفضل نهر دجلة والفرات ازدهرت حركة النقل المائي بشكل غير مسبوق، وبلغ عدد السفن التي كانت تنقل الركاب في بغداد وحدها نحو ثلاثين ألف سفينة، مما يعكس النشاط التجاري والحضاري الذي تميزت به

⁽¹⁾ - الثعالبي، المصدر السابق، ص 380.

⁽²⁾ - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 120.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ج 2، ص 333.

⁽⁴⁾ - الدوري، المرجع السابق، ص 141.

المواصلات النهرية في المدينة، وقُدِّرت الإيرادات اليومية للملاحة في تلك السفن بتسعين ألف درهم، وكانت تُعرف باسم السفن السُمِّيَّة نسبة إلى مراكب أهل سُمِّيَّة⁽¹⁾.

ولقد شكَّل نهر دجلة أحد أهم شبكات النقل المائي في العراق حيث كان مساراً رئيسياً يربط بين الموصل وبغداد، وشهد حركة ملاحية كثيفة امتدت حتى أجزائه العليا، ولم يقتصر دوره على نقل البضائع، بل كان أيضاً وسيلة رئيسية لنقل المسافرين بين مدن العراق وخارجها، كما استُخدم في الأغراض العسكرية⁽²⁾، مما عزَّز أهميته في مختلف جوانب النقل والإمداد.

ولتلبية احتياجات النقل المختلفة استُخدمت أنواع متنوعة من السفن فكانت الشدوات وهي سفن أصغر نسبياً تستخدم لأغراض النقل المحلي، وبينما خصصت الشبارات⁽³⁾ وهي نوع من السفن الكبيرة لنقل كميات كبيرة من البضائع، أما الطيارات فقد تميزت بتصميمها الفريد الذي سهَّل حركتها في المياه الضحلة، في حين زودت الحراقات بمحركات بدائية كانت مكنيتها من نقل البضائع بسرعة أكبر، أما السُميريات فيتم استخدامها في الأنهار لنقل البضائع والأشخاص، ولقد كان اختيار كل نوع من هذه السفن يعتمد على طبيعة البضائع وظروف الممرات المائية.

ورغم هذا الازدهار لم تخلُ الملاحة النهرية من المخاطر فقد شهد عام 458 هـ - 1065م حادثة مأساوية عندما غرقت عدة سفن تجارية عراقية محمَّلة بثمانية عشر ألف شخص إلى جانب كميات ضخمة من البضائع والمتاع، وكان من بين الشحنات الغارقة عشرة آلاف طلبية من الكافور⁽⁴⁾ المستورد من بلاد ما وراء النهر.

ولقد شهدت أنهار بغداد حركة غير عادية للسفن والقوارب الخاصة والتي استخدمت لأغراض محددة، حيث عمَّت الأنهار بها⁽⁵⁾ مما عزز النشاط التجاري وأسهم في ازدهار الأسواق، وقد أدى ازدياد عدد السفن إلى

(1) - متز، المرجع السابق، ج2، ص335 .

(2) - المسري، المرجع السابق، ص168

(3) - الصابي، المصدر السابق، ص12.

(4) - ابن جبير، المصدر السابق، ص ص 182-183.

(5) - متز، المرجع السابق، ج2، ص336.

احتكاكها ببعضها البعض في الممرات المائية المزدحمة⁽¹⁾، مما أضفى على المدينة حيوية استثنائية، ويصف المقدسي بغداد في ذلك الوقت بأنها مدينة نابضة بالحركة، حيث كان الناس يتنقلون عبر السفن وسط ضوضاء تعم المكان⁽²⁾ في صورة تعكس زخم التجارة والتنقل اليومي، وفي نهر دجلة طوّروا الملاحون وسائل مبتكرة لإخراج السفن من الماء حيث كانوا يستخدمون حبالاً مربوطاً ببكرة مثبتة على الشاطئ يجذبونه بانتظام، مما يؤدي إلى لفه في دوائر منظمة على ظهر السفينة.

وقد كان النقل النهري والبحري عنصراً أساسياً في التجارة حيث كانت السلع العراقية تُشحن عبر سفن نهرية⁽³⁾ تسير في دجلة حتى تصل إلى الخليج العربي، وعند بلوغها ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج، كانت تُحمّل على سفن أكبر لتنقلها إلى الهند والصين⁽⁴⁾، ممّا جعل النقل النهري جزءاً رئيسياً من منظومة التجارة الدولية في العصر السلجوقي.

نهر الفرات: شكّل نهر الفرات ثاني أهم ممر مائي في العراق بعد نهر دجلة حيث تمتع بأهمية لا تقل عن نظيره⁽⁵⁾، وبرزت ميزته في ارتفاع مستواه نسبياً مقارنة بدجلة، ما سهّل حركة السفن عبر الأنهار المتفرعة منه باتجاه الشرق، كما جعل العودة غرباً أكثر سلاسة وانسيابية⁽⁶⁾، ما جعله عاملاً فاعلاً في دعم شبكات النقل والتجارة داخل العراق وخارجه.

(1) - المسري، المصدر السابق، ص 180

(2) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 335

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 259.

(4) - حوراني جورج فاضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، تر: يعقوب بكر، راجعه: يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 207

(5) - المسري، المرجع السابق، ص 199.

(6) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 333

وإلى جانب دوره الحيوي داخل العراق امتد تأثير نهر الفرات ليشمل مناطق متعددة خارجه⁽¹⁾، مما جعل حركة الملاحة عليه نشطة ومستدامة، فمن منطقة قريبة من مدينة سميساط كانت السفن تحمل البضائع بين الشام وبغداد⁽²⁾، مما عزز التجارة بين المشرق وبلاد الشام، كما كانت القوارب تصعد شمالاً حتى مدينة الرقة⁽³⁾، ما أتاح شبكة نقل متكاملة ساهمت في ازدهار الحركة التجارية وربط المراكز الاقتصادية الإقليمية عبر الطرق النهرية.

كما كان نهر الفرات محوراً حيوياً في نقل البضائع والموارد، حيث استقبل العديد من المواد الغذائية والفواكه من الشام، بالإضافة إلى خشب البناء والزيت والرمان من أرمينيا عبر سفن كبيرة تُعرف بالقراير، أما الأجزاء السفلية منه فكانت تصلح للملاحة حتى الخليج العربي، مما سهّل وصول المنتجات الشرقية إلى بغداد⁽⁴⁾.

وعند نقطة التقاء الفرات بدجلة المعروفة بمطاره يتشكل نهر عظيم يُعرف بشط العرب، حيث تبحر السفن الكبيرة في مجراه الرئيسي، بينما تسير القوارب الصغيرة في فروعه.

كما ساهمت الطرق المائية عبر نهر الفرات بشكل كبير في تعزيز التجارة في مدينة الحلة وخاصة في نقل البضائع، حيث كانت سفن الشحن تتحرك ذهاباً وإياباً على النهر⁽⁵⁾، مما ساعد في تنشيط التجارة وزيادة الحركة الاقتصادية الاقتصادية في المنطقة.

لقد كانت الطرق البحرية انطلاقاً من البصرة تشمل مسارين رئيسيين، الأول يبدأ من البصرة متجهاً نحو الهند والصين، مروراً بعدد من الموانئ على الساحل الغربي للهند، ما يعزز الروابط التجارية مع هذه المناطق، أما المسار الثاني فينطلق من البصرة متجهاً حول سواحل الجزيرة العربية، وصولاً إلى بحر القلزم، مما يتيح التواصل مع مناطق البحر الأحمر ويعزز الحركة التجارية عبر هذه الطرق البحرية الحيوية.

(1) - الطبري، المصدر السابق، ج8، ص338.

(2) - متز، المرجع السابق، ج2، ص333.

(3) - الدوري، المرجع السابق، ص143.

(4) - المسري، المرجع السابق، ص171.

(5) - ابن جبير، المصدر السابق، ص166.

ومن أهم الطرق التجارية البحرية طريق البصرة – الصين الذي يبدأ من البصرة في جنوب العراق، وينتقل عبر الخليج العربي متجهاً نحو الساحل الشرقي للخليج عند ميناء سيراف، من هناك تصل السفن الصينية لتقوم بشحن البضائع من هذا الميناء⁽¹⁾ وتواصل رحلتها حول الهند وجزيرة سومطرة، وصولاً إلى ميناء كانتون في الصين⁽²⁾، وتستغرق الرحلة من البصرة إلى كانتون حوالي ستة أشهر أو أكثر، حيث تتخللها فترات توقف واستراحة في بعض الموانئ الرئيسية، وتستغرق رحلة العودة تقريباً نفس المدة، مما يجعل إجمالي فترة الذهاب والعودة تتجاوز السنة وربما تصل إلى ما يقرب من الستين⁽³⁾. (انظر الملحق رقم: 07).

الطرق النهرية والبحرية في خراسان:

لقد استعمل البحارة السفن الشراعية بمختلف أحجامها وأشكالها في الأنشطة التجارية البحرية عبر بحر الهند والخليج الفارسي، وكذلك عبر نهر جيحون لتيسير التجارة بين خراسان وبلاد ما وراء النهر⁽⁴⁾.

ولقد كانت خراسان نقطة محورية للطرق التجارية الرئيسية التي كانت القوافل تعبرها لنقل البضائع بين المنطقة والدول المجاورة ومن أبرز هذه الطرق⁽⁵⁾ الطريق الذي يبدأ من شمال روسيا ويتجه نحو الشرق عبر بحر قزوين، حيث حيث تُنقل التجارة إلى مرو ثم إلى بلخ وبخارى وسمرقند في بلاد ما وراء النهر، ثم تستمر إلى الصين، وكذا الطريق الذي يمتد من منطقة مصب نهر السند متجهاً إلى فارس ومروراً بولاية سجستان، وإضافة إلى الطريق البحري الذي يربط أوروبا بالشرق عبر مصر.

(1) – السيرافي، المصدر السابق، ص 15.

(2) – إدريس، المرجع السابق، ص 203.

(3) – حوراني، المرجع السابق، ص 219.

(4) – النظامي، المصدر السابق، ص 18.

(5) – العمادي، المرجع السابق، ص 144.

ومن أبرز الطرق التجارية التي كانت تشكل ممرات حيوية للبضائع بين خراسان والدول المجاورة، نجد: الطريق الذي يمتد من شمال روسيا نحو الشرق عبر بحر قزوين، حيث كانت البضائع تنقل إلى مرو وبلخ وبخارى وسمرقند في بلاد ما وراء النهر قبل أن تستمر إلى الصين، مما جعل هذا الطريق حلقة وصل بين مختلف الأسواق.

إلى جانب ذلك برز الطريق الذي ينطلق من منطقة مصب نهر السند ويمتد داخل فارس، مروراً بولاية سجستان ثم يتجه شمالاً، ليصل إلى المراكز التجارية الكبرى في خراسان.

كما كان هناك الطريق التجاري الذي يبدأ من هراة وصولاً إلى أطراف بلاد الغور، قبل أن ينحدر نحو نهر مرغاب و يصل إلى مرو الروذ⁽¹⁾ مما جعله طريقاً استراتيجياً في الربط بين المناطق الداخلية والطرق الكبرى المؤدية إلى آسيا الوسطى.

ومن بين الطرق الداخلية في خراسان التي تسهم في تسهيل حركة التجارة نحو الموانئ، يمتد أحدها من مرو الروذ إلى بلخ، حيث يصل إلى ضفة نهر جيحون بالقرب من ترمذ⁽²⁾.

من المدن الأساسية التي اعتبرت نقطة انطلاق للسفن التجارية التي تربط بين فارس وخراسان نجد مدينة هراة⁽³⁾، مما سهل نقل البضائع والسلع عبر الطرق المائية بين هاتين المنطقتين.

ومن أبرز الطرق النهرية في إقليم خراسان كذلك نهر جيحون الذي يُعرف أيضاً بنهر بلخ حيث ينطلق نهر جيحون من بلاد التبت، وعندما يدخل خراسان يعبر إلى أعلى حدود بلخ، ثم يتجه شمالاً إلى الترمذ ومن ثم إلى خوارزم، وبعد ذلك يتفرع النهر إلى شبكة من الأنهار والخلجان، وفي نهاية المطاف يتحول إلى بحيرة كبيرة، حيث يصب فيها كل من نهر جيحون ونهر الشاش ونهر فرغانة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - لسترنج، المرجع السابق، ص 474.

⁽²⁾ - المقدسي، المصدر السابق، ص 347.

⁽³⁾ - الاصطخري، المصدر السابق، ص 265.

⁽⁴⁾ - ابن رسته، المصدر السابق، ص 95؛ الحميري، المصدر السابق، ص 185.

ومن بين الطرق الداخلية في خراسان التي تسهم في تسهيل حركة التجارة إلى الموالي، يمتد أحدها من مرو الروذ إلى بلخ، حيث يصل إلى ضفة نهر جيحون في منطقة قريبة من ترمذ⁽¹⁾.

1. 3- إسهامات السلاجقة في تأمين الطرق التجارية:

مع توسع الدولة السلجوقية أصبح من الضروري أن يولي السلاجقة اهتماماً كبيراً لطرق المواصلات البرية والبحرية، هذا الاهتمام لم يكن مجرد مسألة تنظيمية، بل كان أساسياً لضمان سهولة التنقل والتواصل بين الأقاليم المختلفة للدولة، فضلاً عن تسهيل التبادل التجاري وتعزيز حركة السلع والخدمات بين مختلف المناطق، فمن المعروف أن توفر الأمن في وسائل النقل المائية والبرية يعزز من رغبة التجار في نقل بضائعهم بين المناطق بأمان ويسر ولتحقيق الازدهار في التجارة كان من الضروري تأمين الطرق وضمان استقرار الأوضاع الأمنية، ولهذا السبب عمل السلاجقة على تعزيز الأمان على طرق التجارة من خلال تجهيز المحطات الواقعة في المناطق المعرضة للخطر بحاميات ومخازن للأسلحة⁽²⁾، وفي هذا السياق عُنِيَ السلاجقة عناية خاصة بحماية الطرق التجارية في خراسان والعراق من قطاع الطرق وأعمال السلب، وبذلوا جهوداً مضيئة لضمان الأمن والاستقرار، فأنشئوا حراسات ليلية دائمة وقدموا مكافآت سخية لضمان حماية القوافل، وقد وصف ناصر خسرو هذه الحالة بالقول: "في تلك المناطق، لا تُغلق المنازل ليلاً، ورغم كثرة سفره، لم يشهد أمناً مثل الذي يتمتع به ذلك المكان"⁽³⁾، كما قاموا بإنشاء قوافل تجارية جديدة وإعادة تأهيل طرق القوافل القديمة⁽⁴⁾، وبخصوص القوافل التي تسلك الطرق البرية فقد تم إنشاء محطات استراحة مجهزة لتلبية احتياجاتها وتوفير الراحة خلال رحلاتها إلى بغداد أو في طريق العودة

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 347.

(2) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 123.

(3) - ناصر خسرو، المصدر السابق، ص 104-105؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 55.

(4) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 46.

منها⁽¹⁾، ويبرز ابن حوقل أهمية السيطرة على الطرق التجارية بقوله: "...عندما يكون للفرات سلطان قوي ينعم الناس بالأمان، ولكن عندما يضعف السلطان في تلك المناطق يتعرضون للخطر ويسقطون في السلب⁽²⁾".

وفي فترة اجتياح البساسيري لبغداد أثناء خروج السلطان طغرل بك لقمع تمرد أخيه إبراهيم، وجه الوزير الكندري رسالة إلى شحنة بغداد يأمره فيها بالحفاظ على أمان الطرق وتأمينها بناءً على توجيهات السلطان طغرل بك⁽³⁾.

ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالطرق التجارية أن عملوا على إصلاحها وتحسينها فضلاً عن تقوية الجسور المتهدمة وبناء جسر جديدة من الحجر⁽⁴⁾ لضمان سلامة وفعالية نقل البضائع.

كما أولى السلطان ملكشاه اهتماماً كبيراً بتطوير وتحسين الطرق والسبل⁽⁵⁾، فكان الأمن على الطرق من أبرز أولوياته حتى أن اللصوص وقطاع الطرق لم يتجرؤوا على مهاجمة النساء أو السطو على الأموال⁽⁶⁾، ويروى عن فترة حكمه أن الطرق كانت هادئة والرحلات آمنة، حيث كانت القوافل تنطلق من بلاد ما وراء النهر إلى أقصى الشام في أمان كامل وطمأنينة، دون الحاجة إلى حراس، وكان الأفراد يسافرون بمفردهم أو برفقة قليلة دون أي قلق⁽⁷⁾.

كما اهتم نظام الملك بتوسيع شبكة الطرق البرية وتعبيدها فكان له دور محوري في حماية الطرق التجارية من اللصوص والسطار، إذ عمل على تأمين هذه الطرق عبر تنظيم حملات للحد من أعمال السلب والنهب، وعلاوة على ذلك سعى إلى تحسين راحة المسافرين من خلال إنشاء استراحات على الطرق الصحراوية، حيث أشار

(1) - المسري، المرجع السابق، ص 185

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 191.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص 173.

(4) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 121.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 361.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 309؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 34، ص 163.

(7) - اليافعي أبو محمد غنيم الدين عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 106؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج 4، ص 372.

البنداري إلى أن الحياة كانت هادئة خلال فترة حكمه⁽¹⁾، كما كان يتفقد الطرق شخصياً لضمان سلامتها وأمنها واعتبر ذلك من أهم واجباته، فقام بإنشاء الآبار والمنازل على طرق القوافل، كما أقام المناير في الثغور⁽²⁾، إضافة إلى ذلك ألغى رسوم الخفارات المفروضة على المسافرين، كما حرص نظام الملك على تعزيز بنية المواصلات بإنشاء القناطر والجسور على الأنهار لتسهيل العبور⁽³⁾، كما قام بتجديد الطرق، ولقد ساهمت هذه الإجراءات في انخفاض الأسعار وزيادة الازدهار الاقتصادي خلال عهده⁽⁴⁾.

كما كانت طرق النقل بين الحلة وبغداد خاصة خلال مواسم الحج، متميزة بالأمن والراحة، فقد كانت هذه الطرق مزودة بوسائل الحماية مثل السواقى والقناطير، وكان هناك رجال أمن يتابعون حركة السير ويحرصون على تأمين الطريق⁽⁵⁾، مما جعلها من أكثر الطرق أماناً وانسيابية.

2-المراكز التجارية في الدولة السلجوقية:

2.1.مراكز التجارة في العراق:

تعتبر بغداد من أهم المراكز التجارية في العراق⁽⁶⁾، وقد اكتسبت هذه المكانة بفضل موقعها الاستراتيجي المميز الذي يربط بين دجلة والفرات ويتوسط المدن العراقية⁽⁷⁾، هذا الموقع الجغرافي الفريد لم يمنحها القدرة على التواصل مع مختلف المدن والقرى المحيطة بها فحسب، بل جعلها أيضاً محوراً اقتصادياً حيوياً في قلب العراق، وقد زاد من أهميتها الاقتصادية دورها كحلقة وصل حيوية بين المدن الرئيسية، مما رسّخ مكانتها كأهم مركز تجاري في المنطقة،

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص 59.

(2) - المصدر نفسه، ص 59.

(3) - حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ج 4، ص 400؛ سيد أمير علي، المرجع السابق، ص 277.

(4) - أحمد شلبي، المرجع السابق، ج 7، ص 554.

(5) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 168.

(6) - محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 143.

(7) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 456.

وقد أشار اليعقوبي إلى هذا الأمر بقوله: "ذكرت بغداد لأنها في وسط العراق"⁽¹⁾، نتيجة لذلك تقاطرت إلى بغداد مختلف السلع من الشرق والغرب⁽²⁾.

علاوة على ذلك ساهمت القناة الملاحية التي تربطها بالفرات في تعزيز علاقاتها التجارية مع مناطق أخرى مثل خراسان وآسيا الصغرى ومصر من خلال هذه المزايا، كانت بغداد تمثل مركزاً تجارياً متكاملًا يربط بين منتجات المشرق والمغرب، سواء من الأراضي الإسلامية أو من مناطق أخرى خارجها⁽³⁾، مما جعلها وجهة تجارية رئيسية في تلك الحقبة.

وتبرز الكوفة كأحد المراكز التجارية المحورية في جنوب العراق، حيث كانت لها أهمية كبيرة في النشاط التجاري، وشكّلت نقطة محورية للتجارة مع شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام⁽⁴⁾، وذلك بفضل موقعها الاستراتيجي الذي ساهم في تسهيل تبادل السلع بين هذه المناطق، فأدت الكوفة دوراً رئيسياً في تدفق البضائع والمنتجات إليها من المناطق المحيطة.

الموصل: ومن بين المراكز التجارية البارزة التي تقع شمال بغداد تبرز مدينة الموصل التي تتميز بموقعها التجاري الاستراتيجي الهام، فقد كانت المدينة نقطة عبور رئيسية حيث تمر عبرها معظم خطوط التجارة الرئيسية⁽⁵⁾، مما جعلها مركزاً حيويًا في شبكة التجارة الإقليمية، فكانت بحق محور تحكم في طرق القوافل التجارية التي تنقل البضائع من الهند والصين وبلاد الشام، وقد أبرز ياقوت الحموي أهمية موقعها بقوله: "هي محط الركبان منها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان"⁽⁶⁾، كما كانت ملتقى لطرق التجارة القادمة من أذربيجان

(1) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص233.

(2) - المسري، المرجع السابق، ص171.

(3) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص234.

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص137.

(5) - المسري، المرجع السابق، ص232.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج8، ص195.

وأرمينيا، بالإضافة إلى التجارة القادمة من جنوب العراق⁽¹⁾، هذا الأمر جعلها تضم مجموعة متنوعة من السلع تجمع في المدينة كل المرافق التجارية الضرورية، مما جذب إليها التجار من مختلف أنحاء العالم، ومع مرور الوقت أصبحت الموصل واحدة من أهم المراكز التجارية الكبيرة في الشرق، إذ أصبحت تصدر أهم البضائع إلى مختلف المدن⁽²⁾، ويقول الحموي في ذلك "وقد سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاث: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأنها التي يمر بها القاصد إلى كلا الجهتين"⁽³⁾، كما أضاف: "وما ينقص من الخيرات في أي بلد إلا ويُعثر عليه في الموصل".

نصيبين: تُعتبر نصيبين نقطة تجارية حيوية إذ تحتل هي الأخرى موقعاً استراتيجياً على الطرق التي تربط الموصل ببلاد الشام، بفضل موقعها أصبحت نصيبين محطة أساسية لقوافل التجارة التي تمر عبر هذه المنطقة، مما عزز من دورها كمركز تجاري مهم، فكانت المدينة ملتقى للطرق التجارية الرئيسية يتقاطع فيها المسافرون والتجار القادمين من الموصل والمتجهين إلى الشام، الأمر الذي أسهم في ازدهار تجارتها وتنوع السلع المتوافرة بها، فجذبت إليها العديد من التجار والمسافرين من مختلف أنحاء المنطقة، مما أكسبها أهمية تجارية بارزة في تلك الفترة.

البصرة: كانت مدينة البصرة نقطة محورية في التجارة حيث برزت كمركز رئيسي للتبادل التجاري سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وبصفها الجاحظ قائلاً: "العراق هو عين الدنيا، والبصرة هي عين العراق وباب بغداد الكبير ومدخل دجلة المتدفق بأنواع المتاع والسلع المحلوبة من أرجاء العالم"⁽⁴⁾، فهي تتمتع بموقع جغرافي مميز يجمع بين البحر والسهول الخصبة والصحراء، كما تقع عند التقاء الشاطئ البحري مع الأراضي الزراعية الغنية، وتحيط بها المناطق الصحراوية من جميع الجهات، هذا الموقع الاستراتيجي جعل منها نقطة وصل حيوية بين مختلف البيئات، وقد استفادت كذلك من قربها للبحر في تطويرها للتجارة البحرية، بينما وفرت الأراضي الخصبة المحيطة بها الأساس لدعم الأنشطة الاقتصادية الزراعية، كما مكنتها الصحراء من أن تكون نقطة التقاء رئيسية للقوافل التجارية التي تعبرها.

(1) - الدوري، المرجع السابق، ص 136-137.

(2) - سعيد الديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، دار ابن الأثير، الموصل، العراق، 2013م، ص 11.

(3) - الحموي، المصدر السابق، ج 8، ص 195.

(4) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 3.

وبهذا أصبحت البصرة من أبرز الموانئ التجارية في العالم العربي، حيث شكلت نقطة انطلاق رئيسية للطرق البحرية⁽¹⁾ لدرجة أن السفن القادمة من مدن عمان وسيراف تستقر عند مينائها⁽²⁾، فتحول مينائها الواسع إلى مركز نابض بحركة السفن البحرية والنهرية، حيث كانت الأنشطة التجارية تجري بشكل حيوي ومستمر، وتشمل عمليات الشحن والتفريغ دون انقطاع⁽³⁾.

وتستقبل المدينة القوافل القادمة من جزيرة العرب في الوقت الذي ترتبط فيه بأواسط آسيا عبر طريق الأهواز، فكانت البضائع تُنقل إليها من مختلف المدن الشرقية حتى أصبحت تلقب بـ "قبة الإسلام".

واسط: تُعتبر مدينة واسط من المراكز التجارية البارزة التي اكتسبت أهمية كبيرة، إذ أن جميع السفن القادمة من البصرة والتي ترغب في التوجه إلى بغداد كانت تضطر للإرساء في ميناء واسط، ومن هناك تنطلق محملة بمحاصيلها إلى بغداد والموصل والبصرة، ومن ثم إلى خارج العراق⁽⁴⁾.

الرقعة: كان للرقعة موقع جغرافي متميز حيث تقع في نقطة وسطى على نهر الفرات وتُعد ملتقى طرق رئيسية تمتد من الغرب إلى الشمال والجنوب، وقد أسهم هذا الموقع الاستراتيجي في تعزيز أهميتها التجارية، مما جعلها مركزاً بارزاً في استيراد وتصدير البضائع، فلقد كانت تورد إلى بغداد كميات كبيرة من الدقيق والزيت التي كانت تُنقل إليها عبر السفن.

2. 2. مراكز التجارة في خراسان:

في خراسان وخلال العصر السلجوقي كانت مراكز التجارة الداخلية تؤدي وظيفة محورية حيث تركزت النشاطات التجارية في الأسواق بشكل مشابه للصناعات، إذ كانت كلٌّ منهما مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأخرى، وكانت كل مجموعة من التجار تستقر في جزء معين من هذه الأسواق⁽¹⁾، هذا الأمر ساهم في تنظيم التجارة وتسهيلها.

(1) - نخلة جميل المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ط2، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1905م، ص114.

(2) - التنوخي، المصدر السابق، ج1، ص137.

(3) - جرجي زيدان، تاريخ المدن الإسلامية، ج2، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2013م، ص177.

(4) - المسري، المرجع السابق، ص236.

نيسابور: تُعد مدينة نيسابور من أبرز المدن التجارية الشهيرة بفضل تنوع تجارتها، كما يصفها ابن حوقل بقوله: "لا توجد في خراسان مدينة تتفوق على نيسابور من حيث حجم التجارة وكثرة السبل وكثرة القوافل"⁽²⁾ فلم تكن نيسابور مجرد نقطة عبور للسفن التجارية، بل كانت أيضاً مركزاً تجارياً رئيسياً للقوافل التي تمر عبر أبوابها في طريقها إلى العراق وبلاد السند والهند والصين، ومن هناك تنتقل البضائع التجارية إلى وجهاتها المختلفة.

3- الخانات في العصر السلجوقي:

مع اتساع الدولة السلجوقية وازدهار شبكتها التجارية، برزت الحاجة إلى إنشاء مرافق تدعم حركة القوافل والتجار بين مختلف المناطق الشاسعة⁽³⁾، وقد ساهمت سلسلة الفتوحات بقيادة السلاجقة التي بلغت ذروتها في عهد السلطان ملكشاه في امتداد حدود الدولة من كاشغر شرقاً إلى بيت المقدس غرباً، ومن القسطنطينية شمالاً إلى بلاد الخزر والهند جنوباً⁽⁴⁾، واستجابة لهذه المتطلبات انتشرت الخانات أو ما يُعرف بـ"سلطان خان" كمحطات حيوية على طول الطرق التجارية⁽⁵⁾.

3.1. تعريف الخان:

اتفقت غالبية مصادر اللغويين والمؤرخين على أن كلمة "خان" ذات أصل فارسي معرب⁽⁶⁾، مأخوذة من "خان" أو "حانه" أو "خاناه" وتعني البيت أو الموضع⁽¹⁾، كما يشير بعض الباحثين إلى أنها تقابل مصطلح "قيروان سراي"

⁽¹⁾ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1975م، ص175.

⁽²⁾ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص362.

⁽³⁾ - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص121.

⁽⁴⁾ - ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص284.

⁽⁵⁾ - لسترنج، المرجع السابق، ص425.

⁽⁶⁾ - العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران اللغوي، كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، ج1، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، (د.ط)، 1969م، ص269؛ ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: د. مراد كامل، ج6، ط1، مصر، (د.د.ن)، 1972م، ص390.

أو "كرفان سراي" التركية الأصل الذي يُستخدم للإشارة إلى النزل أو الفندق، وتدلُّ الكلمة على المكان المخصص لإقامة التجار وإدارة أنشطتهم التجارية⁽²⁾، كما تشمل مرادفاتُها مصطلح "الوكالة"⁽³⁾ بمعنى مقر المسافرين والقوافل⁽⁴⁾، وكذلك تشير إلى السوق⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى ذلك فكلمة "الخان" تشير في دلالاتها المختلفة إلى معانٍ متعددة وفقًا للسياق، فهي قد تعني مالك الخانات أو الدكان⁽⁶⁾، وتُستخدم للإشارة إلى مكان التجارة أو البيع، كما يمكن أن تعني المخدع وهو المكان الخاص للراحة أو الإقامة، وفي بعض الأحيان يُشار بها إلى الماحور⁽⁷⁾ أي المكان المخصص لبعض الأنشطة الخاصة، هذه المعاني المتنوعة تعكس الاستخدامات المختلفة للكلمة عبر الزمان والمكان.

3. 2. تشييد الخانات:

ولقد شُيّدت الخانات والفنادق في مواقع استراتيجية على امتداد الطرق التجارية الرئيسية التي تربط بين الأقاليم والمراكز الكبرى⁽⁸⁾، لتكون محطات توقف حيوية للقوافل التجارية والمسافرين وتوفير الأمان والراحة⁽⁹⁾، إلى جانب توفير خدمات فكانت بمثابة مخازن لتخزين البضائع وأسواق لعرض السلع كما كانت أماكن لإتمام الصفقات

(1) - أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، القاهرة، دار العرب للبستاني، 1988م، ص58.

(2) - الجواهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، ج5، مطابع دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1956م، ص2110.

(3) - توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، (د.ط)، 1972م، ص203.

(4) - البستاني بطرس، محيط الخيط قاموس مطول للغة العربية، مج1، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1987م، ص609.

(5) - عبد الجواد، المرجع السابق، ج3، ص205.

(6) - ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص146.

(7) - أدى شير، المرجع السابق، ص85.

(8) - عبد الحافظ، المرجع السابق، ص159.

(9) - المهداوي علي هادي عباس، آراء الرحالة الأجانب في مدينة الحلة خلال العهد العثماني، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، (د.ط)، 2009م، ص20؛ تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص121.

التجارية، مما جعلها نقاط جذب رئيسية للتجار وقوافلهم وجزءاً أساسياً من النظام التجاري، لم تكن هذه المرافق مجرد مراكز تجارية، بل شكّلت شاهداً على النهضة العمرانية والتنظيم الاقتصادي الذي حققته الدولة، وغدت الخانات خصوصاً رمزاً لقوة الدولة السلجوقية وازدهارها وعززت مكانتها كجسر بين الشرق والغرب وساهمت في تحفيز ودعم النشاط الصناعي وتسهيل حركة التجارة وتنشيطها في مختلف المناطق⁽¹⁾ وكذا تعزيز الاستقرار على تلك المسارات الحيوية، وجعلها عنصراً أساسياً في دعم الترابط الاقتصادي بين مختلف مناطق الدولة السلجوقية.

كما انعكست أهمية الخانات والفنادق على تطور الصناعات المرتبطة بها، حيث ازدهرت في المدن السلجوقية صناعة الأثاث والمنسوجات المستخدمة في تجهيز هذه المنشآت، إضافة إلى إنتاج الأدوات الضرورية والتي تتطلبها الخانات لتلبية احتياجات المسافرين⁽²⁾، كما عكست هذه المرافق نجاح السياسات الاقتصادية للسلجوقيين، إذ أسهمت في تحفيز النمو العمراني ودعم العلاقات التجارية الدولية، خصوصاً مع التجار الأوروبيين الذين كان لهم تأثير واضح على الحركة التجارية.

والجدير بالذكر أنها كانت تُشيد وفق تصميم وظيفي من طابقين: الطابق العلوي مخصص لإقامة التجار، بينما يُخصص الطابق السفلي لتخزين البضائع وحمايتها، مما يضمن سهولة الوصول إليها وتنظيم عملية التجارة.

وكان التجار يُسمح لهم بالإقامة في هذه الخانات مقابل رسوم تختلف بحسب مكانتهم المالية ووضعهم التجاري، فَفَضِّلَ كبار التجار الإقامة في الفنادق الفاخرة، بينما لجأ صغار التجار إلى الخانات الصغيرة أو المحلات، كما تمّ تخصيص خانات محددة لكل فئة من التجار وفقاً لاحتياجاتهم⁽³⁾، مما أسهم في تنظيم النشاط التجاري داخل هذه هذه المرافق، وجعلها ركيزة أساسية لدعم الحركة الاقتصادية والتجارية للدولة السلجوقية.

(1) - عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 159

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 324.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص 425.

زيادة على ذلك فقد تمتعت هذه الخانات أيضاً بوظيفة مهمّة كمحطّات استراحة للموظفين الحكوميين في الدولة خلال تنقلاتهم خاصّة الجنود، حيث كانت توفر لهم مكاناً للاستراحة والراحة أثناء مسيراتهم عبر الأراضي المختلفة⁽¹⁾.

كما كانت هذه الخانات مخصّصة أيضاً لإيواء طلاب العلم، حيث وفرت لهم مكاناً للراحة والسكنية، مما ساعدهم على التركيز في تحصيل علمهم، بالإضافة إلى حمايتهم من قسوة برد الشتاء وحرارة الصيف⁽²⁾.

كما أولى السلاجقة عناية بالغة بتشييد الخانات على امتداد طريق الحج، بهدف تقديم الخدمات للحجاج، وتوفير أماكن آمنة لهم للراحة والاستراحة خلال رحلتهم إلى الأراضي المقدسة⁽³⁾، ممّا يعكس حرصهم على تسهيل شعائر الحج وتعزيز أمن الطرق.

وخلال فترة وزارة نظام الملك شهد طريق الحج إلى مكة إنشاء العديد من الخانات المخصصة لخدمة القوافل، وقد خصّصت لهذه المشاريع أموال طائلة⁽⁴⁾، ممّا يعكس مدى اهتمام الدولة السلجوقية بتأمين سبل الراحة للحجاج وضمان سلامتهم أثناء أدائهم لشعائر الحج.

كما حرص السلطان على اختيار مواقع الخانات بعناية، مع مراعاة تخطيطها وتحصينها بشكل يضمن توفير جميع الخدمات الضرورية للمقيمين والوافدين، وقد أولى اهتماماً خاصاً بتلبية احتياجات النزلاء، بدءاً من تأمين أماكن الإقامة المناسبة وصولاً إلى ضمان الحماية والأمان لمن يقصدون الخان⁽⁵⁾.

(1) - السرجان علي كامل حمزة كاظم، خانات الحلة في العهد العثماني - دراسة تاريخية-، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، بابل، 2011م، ص 04.

(2) - السرجاني راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج 2، ط 4، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2010م، ص 586-587.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 361.

(4) - محمد مبروك نافع، آثار تاريخ العرب، ط 2، دار العالم العربي، القاهرة، 1949م، ص 618.

(5) - عبد الحافظ، المرجع السابق، ص 159.

وبذلك يُعد السلاجقة وفقًا لما ذكره بعض المؤرخين المعاصرين، من أوائل من أنشؤوا شبكة منظمة من المحطات التجارية والاستراحات التي عُرفت بالخانات⁽¹⁾.

لم تكن الخانات بُجُرد محطات استراحة عادية عند السلاجقة فمن شدّة اهتمامهم بها أن طوّروا طرازها المعماري ليُصبح نموذجًا يُحتذى به حتى أُطلق عليها اسم "الخانات الأكاديمية"⁽²⁾، كما تميّزت الخانات بتصاميم راقية تتسم بالعناية الدّقيقة في التفاصيل حتّى أنّ بعضها اتّسم بطراز ملكي فاخر⁽³⁾ يعكس بذخ السّلطة والمكانة العالية، وظهر ذلك كلّهُ في أروع تجلّياته من خلال العمارة المزخرفة الّتي تميّزت بتناسقها وجمالها الفريد، ممّا جعلها نموذجًا لا مثيل له في الإبداع المعماري⁽⁴⁾، ولقد شيدت في الغالب من الحجر ممّا أكسبها متانة وقوة لتحمل العوامل الطبيعية وحماية المقيمين والبضائع بداخلها⁽⁵⁾.

ومن أبرز ما يميز عمائر الخانات كذلك تصميم مداخلها التي كانت تزين بالأبراج والعقود العالية، مما يضفي عليها طابعًا من العظمة والفخامة⁽⁶⁾.

وامتازت الخانات السّلاجقية بتنوّع تخطيطاتها المعمارية حيث ظهرت عدة طرز أساسيّة تميّزت كلّ منها بخصائص فريدة تلبي احتياجات التّجار والمسافرين، أهمّها الخان ذو الفناء المكشوف الذي يحيط به أروقة تسبق الحجرات والمرافق أو المخازن بينما تتبعها صالة واسعة مزودة بأعمدة دعائية، وهناك طراز آخر يتشابه مع الأول في احتوائه على صحن مكشوف مع أعمدة متقدمة تسبق الغرف والمرافق إلّا أنّه يفتقر إلى الصّالة ذات الأعمدة، وهناك طراز يتميز بوجود صالة ذات أعمدة فقط دون أن يحتوي على ساحة مفتوحة أو حجرات.

(1) - بهجت منى محمد بدر، أثر الحضارة السلاجقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية في مكتبة زهراء الشرق، ج2، ط1، القاهرة، مصر، 2002م، ص ص 35-36.

(2) - أرنست كونل، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة: أحمد موسى، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، 2020م، ص 105.

(3) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 121.

(4) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 222.

(5) - نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط4، دار المعارف، (د.م.ن)، 2003م، ص 119.

(6) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 48.

3. من أشهر الخانات في العصر السلجوقي:

ولقد كثرت الخانات بشكل كبير في جميع المدن السلجوقية خاصة في العراق حيث يعد خان قيسارية الموصل أضخمها وأشهرها في المنطقة، إذ تميّز بتصميم واسع مُحصّن، تحيط به أبواب حديدية تضمن الأمان، فضلاً عن إحاطته بدكاكين وبيوت متراصة أكسبته طابعاً معمارياً مميزاً.

كما اشتهرت بغداد بوجود العديد من الخانات التي كانت تعدّ من أبرز المعالم التجارية في المدينة مثل خان مخازن التجار⁽¹⁾ والتي تعتبر جزءاً أساسياً في الخانات لتخزين السلع قبل بيعها، بالإضافة إلى خان الرقيق المخصص في جمع وبيع الرقيق أو العبيد، وكانت هناك خانات أخرى مشهورة مثل خان السلسلة⁽²⁾، وخان سوق الثلاثاء، وكانت هذه الخانات تتميز بأبواب حديدية قوية تستخدم للحماية والأمن داخل الخانات، وكانت تحيط بها دكاكين وبيوت متراصة فوق بعضها بشكل عمودي، حيث توجد دكاكين في الطوابق السفلى وبيوت أو غرف في الطوابق العليا، فضلاً عن أفنيئتها المزخرفة والمزينة بأشكال فنية وزخارف معمارية التي تميّزت بتفاصيل فنية لا مثيل لها ممّا أضفى عليها طابعاً معمارياً فريداً⁽³⁾.

ولقد كثرت الخانات في العراق وازداد عددها ففي الفترة الممتدة بين عامي 552هـ-656هـ/1157م - 1258م بلغ عددها في مدينة بغداد نحو 980 خاناً⁽⁴⁾ وهو رقم يعكس الأهمية الاقتصادية والتجارية الكبيرة للمدينة خلال تلك الحقبة، حيث كانت بغداد مركزاً حيوياً للتجارة واستقطاب القوافل والتجار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

كما كثرت الخانات في خراسان فيشير لسترنج إلى الوجود الواسع لها خاصة التي كانت تأوي التجار⁽⁵⁾، حيث أصبحت هذه الأماكن جزءاً أساسياً من الهيكل التجاري، فتعد مدن نيسابور وباميان⁽¹⁾، وبلخ وبذخشان⁽²⁾ من

(1) - ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 391.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 17، ص 283.

(3) - ابن جبير، المصدر السابق، ص ص 188-189.

(4) - مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م، ص 194.

(5) - لسترنج، المرجع السابق، ص 25.

من أبرز المراكز الحضرية في خراسان والتي عُرفت بانتشار الخانات والفنادق فيها⁽³⁾، وأسهمت بشكل كبير في الحركة التجارية والاقتصادية، ولقد أشار ابن رسته إلى وجود "خان جابر" في مدينة هراة⁽⁴⁾ ويُعتقد أن تسميته تعود إلى منشئه، كما عرف خان رخش في نيسابور⁽⁵⁾ كإحدى المنشآت التي شكلت جزءاً من شبكة الخانات التي خدمت المسافرين والتجار في تلك المنطقة.

ومن المنشآت البارزة في خراسان كذلك رباط شرف الذي شُيّد عام 508هـ/1115م على الطريق الرئيسي الرابط بين مرو ونيسابور، ويعود تأسيس هذا الرباط إلى عهد السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه⁽⁶⁾ وكان من المعالم المهمة التي تخدم المسافرين والقوافل التجارية.

4- الأسواق في العصر السلجوقي:

لقد تعددت أماكن التبادل التجاري وتنوعت ولعل أهمها الأسواق والتي كانت مركزاً نابضاً بالحياة يخدم احتياجات السكان والتجار على حد سواء.

وتشير كلمة السوق إلى الموضع الذي تُعرض فيه المبيعات أو المكان الذي تُباع فيه البضائع والأمتعة وتُستخدم الكلمة بصيغتي التذكير والتأنيث أما جمعها فهو أسواق⁽⁷⁾.

(1) - باميان: منطقة تقع في خراسان وأرض الغور، تتميز بتنوعها الجغرافي، إذ تضم مدناً وقرى محاطة بجبال شاهقة وأنهار غزيرة، انظر: القزويني، المصدر السابق، ص 154.

(2) - تميّزت بذخشان بمناجمها الغنية بالمعادن النفيسة، حيث اشتهرت باستخراج الذهب والفضة واللازورد والعقيق، انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 487.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 2، ص 375.

(4) - ابن رسته، المصدر السابق، ص 137، ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 362.

(5) - الاصلطخري، المصدر السابق، ص 290.

(6) - سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، نشر منشأة دار المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، 1986م، ص 420.

(7) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 10، ص 167.

لقد اهتم السلاجقة بشكل كبير بإنشاء الأسواق وعمارتها فأدت دوراً محورياً في انتعاش التجارة داخل سلطنتهم بسبب انتشارها في جميع المدن الرئيسية⁽¹⁾، كما حرص السلاطين على توسيعها وتنظيمها بدقة، فقسموها إلى أنواع متعددة لثُلِّي احتياجات مختلف الأنشطة التجارية في أرجاء الدولة، فتميزت هذه الأسواق بتصاميمها البديعة حيث غلب عليها الطابع الفني من حيث البناء والتزيين والترتيب، ولم يقتصر الاهتمام على المدن الكبرى فحسب، بل شُيّدت أسواق مشابهة أيضاً في المدن الثانوية، ولقد مثلت المدن السلجوقية مراكز تجارية نابضة بالحياة تزخر بالأسواق التي كانت وجهة للناس في أيام محدّدة لممارسة أنشطة البيع والشراء⁽²⁾، مما ساهم في تعزيز الروابط التجارية بين مختلف مناطق الدولة.

فبالأسواق تعد محوراً رئيسياً للتجارة تماماً كما هي للصناعة والزراعة⁽³⁾، حيث تشكل أحد الملامح البارزة للمدن والمقومات الأساسية لقيام المراكز الحضرية، فإلى جانب دورها كمركز لاستقطاب النشاط التجاري تمثل مجاًلاً حيوياً للحركة المالية⁽⁴⁾، مما يساهم بشكل مباشر في تحقيق الرخاء الاقتصادي للمدينة، وينعكس إيجاباً على رفاهية سكانها اجتماعياً⁽⁵⁾ لذا كان الاهتمام بتطويرها ضرورة ملحة.

وقد أولى السلاطين السلاجقة عناية فائقة بها وهذا ما كان في عهد طغرل بك الذي ما إن استقر في مدينة بغداد حتى شرع في تحويل الدار العضدية إلى مركز للمملكة السلجوقية، ومن المؤكّد أنّ هذه الدار كانت تضمّ بين جنباتها الدّور والدّروب والأسواق⁽⁶⁾.

(1) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 130.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 138.

(3) - الموسوي مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ج 2، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982م، ص 174.

(4) - الوزنة حمزة، المرجع السابق، ص 110.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 310؛ ابن بسام محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1968م، ص 17.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 4.

وعند تولّي السلطان ملكشاه عرش السلطنة بادر بتطوير البنية الاقتصادية والحضرية، فأنشأ سوقاً جديداً بالقرب من داره في مدينة طغرل بك وشمل المشروع بناء خانات مخصصة للباعة، بالإضافة إلى إنشاء أسواق متعددة⁽¹⁾، وهذا ما ساهم في تعزيز النشاط التجاري وتنظيمه.

4. 1. الأسواق في العراق:

بغداد: ومن اللافت للانتباه في العراق وخاصة بغداد خلال حكم السلاجقة الازدهار الكبير في الأسواق حيث اعتُبرت مركزاً حيوياً للتجارة⁽²⁾، كما تميزت بكثرة تجارها وتنوع أسواقها التي تتسم بالتنظيم والترتيب الرائع⁽³⁾.

تعددت أسواق بغداد وتنوعت بشكل كبير، حيث وجدت الأسواق الرئيسية والفرعية على جانبيها الشرقي والغربي، وقد وُصِفَت أسواقها بالزحام الشديد لدرجة أن المارة كانوا يجدون صعوبة في اجتيازها بسبب كثرة روادها⁽⁴⁾، هذا الازدحام والازدهار التجاري أسهما في شهرتها الواسعة ويعود السبب في شهرتها إلى موقعها الاستراتيجي الذي جعلها محوراً رئيسياً للأنشطة التجارية في العصر السلجوقي، واحتلت مكانة بارزة في حركة التجارة الإقليمية والدولية، ممّا دفع التجار من مختلف أنحاء العالم من أقاصي الشرق والغرب إلى التوافد إليها، وبفضل هذا النشاط التجاري المكثف أصبحت بغداد تتحكم في أسعار السلع على مستوى العالم كما يشير اليعقوبي إلى ذلك قائلاً: "حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر ممّا في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها"⁽⁵⁾، ممّا يعكس الدور الحيوي الذي أدته بغداد في التجارة العالمية، حيث كان تجار الصين يزورونها لتحقيق أرباح كبيرة من تجارتهم⁽⁶⁾.

(1) - المصدر نفسه، ج 16، ص 298.

(2) - الشيرازي، المصدر السابق، ص 11؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 455.

(3) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 58.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 77.

(5) - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب، البلدان، ج 1، مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريل، 1890م، ص 234.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 456.

امتلات أسواق بغداد بأنواع من البضائع والسلع التجارية النادرة ومن أبرزها التوابل والبخور والسكر والحرير⁽¹⁾، التي كانت تُعتبر من أبرز المنتجات التي يتاجر فيها التجار، وقد ساهم هذا التنوع الكبير في جذب الزوار والتجار من مختلف المناطق، ومن المميزات الفريدة التي تميزت بها أسواق بغداد في العصر السلجوقي، أنها كانت تضم أسواقاً ذات أبواب خاصة بكل سوق⁽²⁾ مما ساعد في تنظيم حركة البيع والشراء وأضفى طابعاً من الترتيب على النظام التجاري في المدينة.

كما كان أصحاب الحرف في بغداد ينتظمون في تجمعات خاصة بكل حرفة، حيث خصّص كل سوق لنوع معين من البضائع⁽³⁾، فلم يكن يسمح للآخرين من الحرفيين بالتداخل مع تخصصات أخرى في نفس السوق، وكان لكل أهل صنعة سوقهم الخاص⁽⁴⁾، ممّا أسهم في تنظيم الأنشطة التجارية والحرفية في المدينة، ومن بين أشهر هذه الأسواق نجد سوق الكرخ⁽⁵⁾ في الجانب الغربي من بغداد، وفي عام 542 هـ / 1060 م تمّ إعادة عمارة هذا السوق الذي يُعدّ من أرقى وأشهر أسواق بغداد على يد عميد العراق، وقد أمر الناس بالعودة إلى السوق فبدأت عملية العمارة التي ازدادت تطوراً مع مرور الوقت، ليعود السُّوق إلى سابق عهده ويستعيد مكانته البارزة في الحياة التجارية بالعاصمة⁽⁶⁾.

ولقد تميّزت أسواق الكرخ بتنظيم دقيق حيث خصّص لكل نوع من التجارة شوارع محددة، مع صفوف منظمة من المحال التجارية والعروض، فكل صنف كان يُباع في سوق خاص به⁽⁷⁾ ومن بين أسواق الكرخ المشهورة نجد

(1) - القزويني، المصدر السابق، ص 221-224.

(2) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 182-184.

(3) - اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 6.

(4) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 511.

(5) - الكرخ، بتسكين الراء والخاء المعجمة، هو اسم نبطي يشير إلى قرية تاريخية عريقة، اشتهرت الكرخ بكونها تضم أشهر سوق في بغداد، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 111.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 62.

(7) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 246.

سوق العطش وسوق الوراقين، ينما كان سوق البزازين⁽¹⁾ أشهرها وأقربها إلى الترف، وكان هذا السوق يبدأ من القنطرة التي أُقيمت على نهر البزازين وكان يُعنى بتجارة البز أي الثياب ومتاع البيت، وفي هذا السوق كان التجار يعرضون مختلف أنواع الأقمشة بالإضافة إلى الحرير والملابس المصنوعة من الأقمشة الفاخرة⁽²⁾، مما جعله واحداً من أبرز أسواق بغداد في تلك الفترة.

ومن أشهر أسواق بغداد أيضاً سوق الصّاعة في الجانب الغربي من المدينة، والذي ضمّ العديد من الدكاكين المخصصة لبيع الذهب والمجوهرات، وكان أغلب العاملين في هذا السوق من الفرس⁽³⁾، الذين اشتهروا ببراعتهم في فنون الصياغة، وقد وصف ريسلر سوق الجواهر ببغداد قائلاً "يشع بالأحجار الكريمة المركبة بفن عربي على القلائد أو خواتم الذهب والفضة"⁽⁴⁾، مما يبرز دقة ورفعة الأعمال التي كانت تُعرض في هذا السوق الذي كان يُعد يُعد وجهة أساسية لعشاق المجوهرات الفاخرة من مختلف أنحاء العالم.

ومن بين أسواق بغداد الشهيرة نجد كذلك سوق الرياحين الذي كان يتم فيه بيع مختلف أنواع الرياحين والورود والزهور والفواكه، مما جعل منه وجهة محببة للزوار الذين يرغبون في شراء هذه المنتجات الطبيعية، كما كان هناك سوق المسك⁽⁵⁾ الذي اشتهر ببيع المسك والعطور الفاخرة، دون أن ننسى ذكر سوق السلاح الذي كان مخصصاً لبيع الأسلحة بأنواعها المختلفة⁽⁶⁾ بما في ذلك السيوف وغيرها من الأدوات الحربية، أما سوق العطارين الذي كان كان يقع في منطقة الكرخ⁽⁷⁾ فكان يضمّ الصيادلة وأصحاب محلات بيع الدّهون والعطور والعقاقير والمنتجات

(1) - المسري، المرجع السابق، ص 90

(2) - الخطيب ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة دار البصري، بغداد، (د.ط)، 1968م، ص 31.

(3) - المدور، المرجع السابق، ص 25.

(4) - ريسلر جاك، المرجع السابق، ص 145.

(5) - الصباي، المصدر السابق، ص 266.

(6) - الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 9، ط 2، دار المعارف، مصر، ص 305.

(7) - البغدادي، المصدر السابق، ج 8، ص 16.

الطبية في بغداد إلى جانب السلع المشابهة لها⁽¹⁾، فكان هذا السوق يعتبر بحق مركزاً مهماً لتجارة المواد الطبية والعلاجية، فضلاً عن بيع المستحضرات التجميلية والعطرية، ممّا جعله وجهة رئيسية للباحثين عن العلاجات والأغراض اليومية المتعلقة بالصحة والجمال.

ومن بين الأسواق الأخرى البارزة في بغداد سوق الوراقين الذي يضم أكثر من مئة مكتبة⁽²⁾ وكان هذا السوق مركزاً مهماً لتجارة الكتب والمخطوطات، كما يجتمع فيه العلماء والكتّاب والمثقفون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد أسهم سوق الوراقين في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في بغداد ليكون بمثابة ملتقى فكري يعكس مكانة المدينة كمركز معرفي في ذلك العصر.

ومن أسواق الجانب الشرقي في بغداد التي اشتهرت بنشاطها التجاري كانت أسواق الرصافة⁽³⁾ وخاصة سوق باب باب الطاق المشهور على الشط، فكانت هذه الأسواق تمثل الحي التجاري الرئيسي في الجانب الشرقي من بغداد⁽⁴⁾ حيث كانت مليئة بالحركة التجارية والاقتصادية، وقد كانت سوق الرصافة سوقاً عظيمة يتم فيها بيع مختلف أنواع البضائع⁽⁵⁾، مما جعلها وجهة رئيسية للتجار والمشتريين من جميع أنحاء المدينة.

هذا بالإضافة إلى سوق الطيور أو سوق الحمام الذي كان يحظى بشعبية كبيرة بين أهل بغداد، حيث كانوا يهتمون بتربية الطيور وكان يتوافد على هذا السوق هواة تربية الحمام لشراء وبيع الطيور⁽⁶⁾، كما كان هناك سوق الحديد الذي تخصص في بيع وشراء الحديد ومنتجاته، بالإضافة إلى سوق النجارين الذي كان يضم الحرفيين المختصين بالأخشاب وصناعة الأثاث، أما في سوق الخياطين فكانت تباع الأنسجة بالوزن، ومن بين هذه الأسواق البارزة

(1) - الفارقي أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، تاريخه، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1974م، ص206.

(2) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص246.

(3) - الأزدي، المصدر السابق، ص22.

(4) - ابن جبير، المصدر السابق، ص202.

(5) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص48.

(6) - بدري محمد فهد، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، حزيران، 1967ص238.

سوق الثلاثاء في الجانب الشرقي من بغداد وقد وصفه الرحالة ابن بطوطة بقوله: "حافلة الأسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق تعرف بسوق الثلاثاء، كل صناعة فيها على حدة"⁽¹⁾، ولقد تميز هذا السوق بتنظيمه الدقيق، حيث كانت كل حرفة وصناعة لها قسم خاص بها مثل أسواق المدن الأخرى.

كما برز في بغداد سوق حصير الذي اشتهرت بتجارة طرائف الهند ومنتجاتها الفريدة⁽²⁾، مما جعلها وجهة للتجار الباحثين عن السلع الشرقية النادرة، إلى جانب ذلك كان هناك سوق يحجي وسوق الغنم⁽³⁾، اللذان تخصصا في بيع الماشية، أما سوق الدواب فقد كان مخصصاً لبيع حيوانات النقل والركوب مثل الخيول والبغال، كما عُرفت أسواق الطعام التي احتوت على حوانيت الخبازين والقصابين⁽⁴⁾ لتلبية احتياجات السكان اليومية من الخبز واللحوم رواجاً رواجاً كبيراً.

كانت أسواق بغداد تتميز بنظام إداري دقيق حيث وُضع على رأس كل سوق شيخ يتولى الإشراف على تنظيمه⁽⁵⁾، ومن السمات الفريدة لتلك الأسواق أنها كانت تُجر على الإغلاق يوم الجمعة، ويعاد افتتاحها يوم السبت في خطوة تحمل طابعاً دينياً وسياسياً نكايه باليهود⁽⁶⁾، إلى جانب الباعة الثابتين كان هناك الباعة المتجولون الذين يجوبون الأسواق والشوارع والأزقة لبيع بضائعهم، بل إن بعضهم كان يقصد المساجد ويحولها إلى سوق مؤقت لتصريف منتجاته على المصلين، وقد كانت أنشطة هؤلاء الباعة تحت رقابة الدولة⁽⁷⁾ لضمان تنظيم السوق وحماية حقوق التجار والمستهلكين على حد سواء.

(1) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 225.

(2) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 253.

(3) - الطبري، المصدر السابق، ج 5، ص 64.

(4) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 253.

(5) - الفارقي، المصدر السابق، ص 75.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 17، ص 24.

(7) - التنوخي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 236-237.

البصرة: تأتي البصرة في المرتبة الثانية بعد بغداد من حيث الأهمية التجارية في أسواق العراق وقد وصفها اليعقوبي بأنها "كانت مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها"⁽¹⁾، مما يعكس ازدهارها الاقتصادي ومكانتها التجارية المرموقة وقد تميزت الفعالية التجارية في البصرة باستمراريتها طيلة النهار وحتى المساء، مدعومة بأسواقها المتنوعة والمتعددة، وكانت البضائع تصل إلى هذه الأسواق من ثلاث جهات مختلفة⁽²⁾، مما ساهم في تعزيز نشاطها التجاري وتنوع المنتجات المعروضة فيها ما جعلها مركزاً رئيسياً للتجارة الإقليمية والدولية.

ومن أشهر أسواق البصرة سوق باب الجامع الذي اشتهر بتنوع الأنشطة التجارية فيه، وكانت التمر من أبرز السلع المتداولة فيه⁽³⁾، ومن الأسواق البارزة أيضاً سوق الصرافين الذي كان يُعد ركيزة أساسية للتجارة في البصرة، وفي هذا السوق لم يكن التجار بحاجة إلى حمل النقود معهم، بل كانوا يُسلّمون أموالهم للصرافين مقابل الحصول على رفاع ويُستخدم هذا النظام لشراء البضائع حيث يتم تحويل الثمن إلى الصراف مباشرة.

الموصل: وكانت الموصل مركزاً تجارياً شهيراً⁽⁴⁾ تميز بازدهار أسواقه المسقوفة التي أصبحت علامة بارزة في المدينة⁽⁵⁾، وقد وصفها الرحالة ابن جبير بأنها "غاية في الروعة والجمال"، مشيراً إلى قيسارية التجار التي كانت ذات أبواب حديدية ودكاكين متراصة ومبنية بأسلوب معماري مزخرف يعكس جمالاً لا مثيل له في باقي البلاد⁽⁶⁾، وقد اشتهرت الموصل بغناها بالسلع والمنتجات، حيث تكدّست فيها بضائع الشرق والغرب مما جعلها محطة رئيسية للتجارة الإقليمية والدولية، وقد أدّى هذا التنوع الكبير إلى قيام أسواق متخصصة لتصريف منتجاتها المحلية واستقبال مختلف أصناف البضائع الواردة إليها⁽⁷⁾، مما عزز مكانتها كمركز اقتصادي هام في تلك الفترة

(1) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 323.

(2) - ناصر خسرو، المصدر السابق، ص 146.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 117.

(4) - المسري، المرجع السابق، ص 104.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 138.

(6) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 211.

(7) - المسري، المرجع السابق، ص ص 104-105.

ومن المنتجات الغذائية التي شملت أسواق الموصل الحبوب واللوز وقصب السكر والعسل⁽¹⁾ كما تميّزت أسواقها بقدرتها على توفير السلع حتى عند انقطاعها في بلدان أخرى⁽²⁾ مما جعلها مركزاً تجارياً حيوياً، من أبرز أسواق الموصل سوق الطعام الذي يُوفّر المنتجات الغذائية المختلفة وسوق الأساكفة المتخصصة في صناعة الأحذية، بالإضافة إلى سوق الغنم لتجارة الماشية⁽³⁾، وقد وصفها المقدسي بأنها قصبة إقليم الجزيرة⁽⁴⁾، فيما اعتبرها ياقوت ياقوت الحموي باب العراق في إشارة إلى أهميتها الاقتصادية ومكانتها التجارية البارزة في المنطقة⁽⁵⁾.

الأبلة: تأتي مدينة الأبلة في المرتبة التالية للبصرة والموصل من حيث الأهمية التجارية، وقد زارها الرحالة الفارسي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري وأبدى إعجابه بجمالها، خاصة قصورها وأسواقها ووصفها بقوله "مدينة عامرة تجلب الأنظار بجمال قصورها وأسواقها وجوامعها وأرططها وجمالها يفوق الوصف"⁽⁶⁾، وتدل هذه الشّهادة على ازدهار الأبلة في ذلك العصر، وكونها مركزاً حضرياً متميزاً بتصميمه المعماري وتنظيمه التجاري، مما جعلها وجهة مهمة للتجار والمسافرين.

الكوفة: أما مدينة الكوفة فقد اشتهرت بجمال وتنظيم أسواقها، حيث كانت تُعرض فيها مجموعة متنوعة من السلع التي تميزت بها مثل الفواكه الطازجة، والأسماك، والتمور، إلى جانب العديد من المنتجات والصناعات⁽⁷⁾، مما جعلها مركزاً تجارياً نشطاً ومزدهراً.

واسط: ومن المدن المشتهرة بكثرة أسواقها واسط حيث تم تأسيس هذه الأسواق بالقرب من المسجد الجامع ودار الإمارة⁽¹⁾، مما يعكس التنظيم الجيد والترتيب المدني فيها، وتنوعت الأسواق في المدينة ومن أشهرها سوق الجزارين

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 196-197.

(2) - الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 224.

(3) - الدوري، المرجع السابق، ص 137.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 138.

(5) - الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 224.

(6) - ناصر خسرو، المرجع السابق، ص 15.

(7) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 1، ص 170.

وسوق الحدادين وسوق الصيارفة وسوق العطارين، إلى جانب العديد من الأسواق الأخرى التي تلي احتياجات السّكان وتُسهّم في ازدهار الحركة التجارية في المدينة.

4. 2. الأسواق في خراسان:

من أبرز سمات التجارة في خراسان هي الأسواق المحلية المتناثرة في مختلف أرجاء المنطقة، حيث تخصصت كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق حسب نوع تجارتها، وقد كانت مدينة بلخ من المدن التي اشتهرت بأسواقها المتنوعة⁽²⁾، حيث كانت تشكل مركزاً تجارياً هاماً في خراسان بفضل التنظيم الفريد للأسواق وثراء السلع المعروضة فيها، ومن أشهر مدن خراسان التي كثرت فيها الأسواق نذكر:

بلخ: والتي كانت من أهم المراكز التجارية التي وصفها الرحالة والجغرافيون بأنها من أمهات بلاد خراسان⁽³⁾ فكانت أسواقها متعددة ومتنوعة، وتحف بها المسجد الجامع الذي كان يعمر بالناس طوال الوقت، كان السوق في هذه المنطقة يعج بالحركة والنشاط على مدار اليوم ما يعكس ازدهار المدينة التجاري، ومن أبرز أسواقها سوق الجِمال⁽⁴⁾ الذي كان يشتهر بتجارة الإبل والمنتجات المتعلقة بها، مما جعل بلخ مركزاً تجارياً نشطاً ومزدهراً في المنطقة، ولم تشتهر مدينة بلخ بتجارة الجِمال فقط بل أيضاً بتداول المنتجات الزراعية والصناعية⁽⁵⁾، حيث كانت أسواقها عامرة ومزدهرة، فكانت المدينة غنية بأموالها وتنوعت فيها الأنشطة التجارية لتشمل مجموعة واسعة من السلع، ولم تقتصر الأسواق على المدينة نفسها بل امتدت إلى ريفها أيضاً الذي كان يحتوي على العديد من الصناعات المحلية والأسواق المتنوعة⁽⁶⁾ التي تسهم في تعزيز النشاط الاقتصادي والتجاري في المنطقة.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 118.

(2) - العمادي، المرجع السابق، ص 141.

(3) - القزويني، المصدر السابق، ص 331.

(4) - العمادي، المرجع السابق، ص 141.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 334.

(6) - الحميري، المصدر السابق، ص 96.

ترمز: كما امتازت مدينة ترمذ التي تعد من أمهات المدن الخراسانية والواقعة على نهر جيحون من جانبه الشرقي⁽¹⁾ بأسواقها التي كانت مفروشة بالآجر، ممّا يعكس مستوى التطور العمراني في تلك الفترة، كما كانت أسواقها عامرة ومزدهرة حيث تقع هذه الأسواق وعماراتها داخل المدينة⁽²⁾، مما جعلها مركزًا تجاريًا حيويًا يحتضن مجموعة واسعة من السلع والمنتجات.

مرو: نشطت التجارة الداخلية في مدينة مرو التي كانت أسواقها تُشكّل مركزًا حيويًا للنشاط التجاري، فالسوق في هذه المدينة كان عنصرًا أساسيًا من مقوماتها الاقتصادية فساهم بشكل كبير في ازدهار الحركة التجارية، وقد وصف الاصطخري أسواق مرو بأنها من أنظف أسواق الأمصار وأحسنها تنظيمًا واتساعًا⁽³⁾، ما يعكس الاهتمام الكبير بجودة بنائها، كما تحدّث المقدسي عن أسواق مرو قائلا "إنّ أسواق مرو حسنة وهي على هيئة صفوف"⁽⁴⁾، وكانت هذه الأسواق تفتح أبوابها في صباح كل يوم فتكتظ بالحركة والنشاط حتّى المساء تمامًا كما هو الحال في معظم الأسواق في مختلف مناطق الدولة السلجوقية ومن أبرز مظاهر تنظيم أسواق مرو تخصصها، حيث كانت تنقسم إلى عدّة أقسام وفقًا للسلع التي تباع في كل قسم⁽⁵⁾، مما جعلها أكثر كفاءة في تلبية احتياجات السكان وكذا التجار.

كانت أسواق المدينة تحيط بالمسجد العتيق الذي يقع بالقرب من باب المدينة⁽⁶⁾، مما جعله مركزًا حيويًا للنشاط التجاري والديني في آن واحد، ومع التطور العمراني وزيادة أعداد السكان تمّ نقل الأسواق إلى وسط المدينة وغرب

(1) - الحموي، المصدر السابق، ج2، ص26.

(2) - الحميري، المصدر السابق، ص132.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص111.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص310.

(5) - أبو الفدا، المصدر السابق، ص457.

(6) - متز، المرجع السابق، ص272.

نهر الماحان⁽¹⁾، ممّا ساهم في توسّع الحركة التجارية وتحسين التنظيم العمراني للمدينة، ليواكب النمو السكاني والاقتصادي.

نيسابور: مدح المقدسي مدينة نيسابور قائلاً "هي خزانة المشرقين بضائعها تحمل إلى الآفاق يجي إليه الثمرات، ويرحل إليه في العلم والتجارات، فهي مطرح خوارزم والري وجرجان"⁽²⁾، وكان هذا الوصف يعكس المكانة التجارية والعلمية الكبيرة التي كانت تتمتع بها نيسابور، فقد أقيمت الأسواق في المدينة إلى جانب القصور والمنازل والجوامع والحمامات⁽³⁾ مما جعلها مدينة حيوية ومزدهرة، ومن بين هذه الأسواق كانت توجد فنادق وخانات مخصصة للتجار، حيث يسكنون ويتاجرون، وقد كان كل فندق بمثابة سوق صغير ينافس أسواق بعض البلدان في نشاطه وحيويته⁽⁴⁾، ومن أشهر أسواق نيسابور سوق المربعة الكبيرة الذي يقع في شرق المدينة ويمتد حتى المسجد الجامع، ممّا يجعله مركزاً تجارياً حيوياً في قلب المدينة، وكذا سوق المربعة الصغيرة التي تحيط بها الخانات والفنادق المخصصة للتجار حيث كانوا يسكنون بها ويمارسون فيها صفقاتهم التجارية فيما بينهم⁽⁵⁾، مما جعل هذه الأسواق نقطة محورية في شبكة التجارة الإقليمية ومحطات هامة للتجارة والتبادل الاقتصادي في نيسابور.

كما كانت فنادق البزارين أي بائعو الثياب في نيسابور من بين الأكثر ثروة وقوة مقارنة ببقية المهن الأخرى، فقد كانت أسواقهم وفنادقهم تمتد بشكل واسع لتستضيف تجارا من مختلف البلاد الإسلامية، لا سيما من مدن العراق وكان هؤلاء التجار متعهدون في نيسابور يعملون على تنظيم شؤون تجارتهم وتوفير احتياجاتهم طوال العام. تميزت أسواق مدن خراسان وخاصة أسواق نيسابور بتصميم فريد وجيد وذلك من خلال توفير الحماية من حرارة الشمس الحارقة، حيث كانت مظلة لتوفير الراحة للبائعين والمشتريين أثناء فترات النهار الحارة، كما تمّ الاهتمام

(1) - لسترانج، المرجع السابق، ص 441.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 315.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 431.

(4) - الحميري، المصدر السابق، ص 588.

(5) - العمادي، المرجع السابق، ص 141.

بحماية أرضية الأسواق من تأثيرات الأمطار مما يعكس حرص التجار والمسؤولين على الحفاظ على سلامة السوق وتنظيمه طوال العام وجعلها مناسبة للتجارة في جميع الأوقات⁽¹⁾.

هراة: كما تميزت هراة بتنوع أسواقها التي كانت تحيط بالمسجد الجامع في قلب المدينة⁽²⁾، أما مدينة قاشان إحدى مدن هراة الكبرى فكانت تبرز بفضل كثرة أسواقها المتنوعة، ولقد احتوت هراة على أربعة أبواب لكل باب سوق خاص به يشمل المحلات التجارية المرتبطة بكل منطقة، كما كانت أسواق هراة تُعتبر بمثابة منتزهات جميلة يتجول فيها الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية.

كانت أسواق هراة تُمثل محور النشاط التجاري في المدينة حيث كانت تضم العديد من الأسواق المنظمة والمتخصصة، فقد كانت هناك أسواق متخصصة في بيع مختلف المحاصيل الزراعية مثل الحبوب كالشعير والقمح التي كانت تتميز بجودة لا مثيل لها⁽³⁾، وكذا الخضروات والفواكه مثل التفاح والمشمش والعنب وغيرها من الفواكه الطازجة، بالإضافة إلى خانات تجارية لعرض وبيع المنسوجات الصناعية المتنوعة وكذا الأقمشة مثل أقمشة الأوبار والأقمشة الصوفية، وهناك أماكن لبيع الفراء المميز للحيوانات كالثعالب والسنجاب⁽⁴⁾، هذا التنوع في السلع والأسواق جعل المدينة مركزًا تجاريًا نابضًا بالحياة، ومن أبرز ما كان يميز أسواق هراة ترتيبها الفريد حيث كانت الدكاكين مغطاة بالخشب، مما كان يُوفر للباعة والمشتريين حماية من العوامل الجوية ويُعطي السوق طابعًا مميزًا وجذابًا.

4. 3. الأمن في الأسواق:

حرص سلاطين السلاجقة على ضمان بيئة آمنة ومحمية للتجارة وللمتسوقين في أسواقهم⁽⁵⁾، فخلال فترة حكم السلطان سنجر، شهدت البلاد ازدهارًا في الأمن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، فكان السلطان يرى أن

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 291.

(2) - الحميري، المصدر السابق، ص 595.

(3) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 353؛ محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 194.

(4) - إصلاح عبد الحميد ربحان، هرات من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث للهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2007م، ص 263.

(5) - الوزنة، المرجع السابق، ص 112.

توفير الأمن والرخاء للمواطنين يعدُّ من أعظم مسؤوليات الحاكم، وهو واجب أساسي لضمان استقرار الدولة ورفاهية رعاياها، وكان الحُرَّاس يتنقلون بين أروقة الأسواق منذ الصُّباح الباكر مع فتح الدُّكاكين لضمان حماية المتسوقين والتَّجار، ولم تقتصر مهمَّتُهم على ساعات النَّهار فقط بل كانوا يُواصلون دورهم في مراقبة الأسواق بعد إغلاقها، حيث يطوفون بها طوال اللَّيل حتَّى اليوم التَّالي، وكان ما يميز هؤلاء الحراس يقظتهم وقوَّتُهم، ممَّا جعل للأسواق مكانة عظيمة من حيث الأمن والاحترام في العصر السَّلجوقي حيث كان من غير المسموح دخول الأسواق إلَّا سيرًا على الأقدام⁽¹⁾، منعا لأي مشكلات قد تطرأ بسبب دخول الركاب.

4.4. نظام الحسبة في العصر السَّلجوقي:

منذ الفترة الإسلامية الأولى كانت الأسواق تحت إشراف مؤسسة الحسبة، التي أدت دورًا بارزًا في الحفاظ على النظام الاقتصادي والاجتماعي، وفي العصر السَّلجوقي ازدادت فعالية هذه المؤسسة بشكل ملحوظ، حيث كانت تسعى لمكافحة كلِّ ما يُعكِّر صفو الحياة التَّجارية والاجتماعية، ولأهمية هذا الدور حرص السُّلاطين السَّلجقة على دعم المحتسب وتوفير الرِّعاية الكافية له، إيمانًا منهم بأهمية هذه الوظيفة التي كانت تعدُّ ركيزة أساسية في ضمان استقرار الأمن والعدل داخل المدينة⁽²⁾.

والحسبة هي مصطلح يُستخدم للدلالة على مراقبة وتوجيه الأمور في المجتمع وفقًا للمبادئ الإسلامية، وهذه الكلمة مأخوذة من الجذر العربي "ح-س-ب"، الذي يعني الحساب أو طلب الأجر⁽³⁾، أما في السِّياق الشرعي تعني الحسبة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أي الدَّعوة إلى ما هو صحيح وفقًا للشريعة الإسلامية والنَّهي عن التَّصرفات المخالفة لها، ومن خلال هذه المسؤولية كان المحتسب يطلب الأجر من الله على ما يقوم به من مراقبة للسلوكيات الاجتماعية والاقتصادية في الأسواق والمجتمع بشكل عام.

ولقد حرص السُّلاطين السَّلجقة على اختيار المحتسبين من أفضل الأشخاص من حيث السَّيرة الحسنة والعدالة، والذين يتمتعون بمعرفة واسعة بأحوال الرِّعية بهدف ضمان استقرار أحوال الفقراء وتحقيق العدالة الاجتماعية⁽⁴⁾.

(1) - الفارقي، المصدر السابق، ص 75.

(2) - الوزنة، المرجع السابق، ص 112.

(3) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 314-317.

(4) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 74.

وكان المحتسب يتولّى سلطات واسعة في الإشراف على الأسواق، حيث كان يعتبر المنظم الرئيسي للحياة الاقتصادية والتجارية داخلها، وكان يتواجد في الأسواق بشكل دائم يتجول فيها ليلاً ونهاراً لضمان سير العمل التجاري بشكل منتظم⁽¹⁾ والحفاظ على حقوق الجميع، سواء من التجار أو المشترين، كما كان يراقب الأسعار ويتأكد من جودة البضائع ويعاقب المخالفين.

كما كان المحتسب في العصر السلجوقي يولي اهتماماً بالغاً بتفاصيل الحياة اليومية في الأسواق، حيث كان يلزم الخبازين بالحفاظ على نظافة أفرانهم ومراقبة أوزان الخبز وجودته⁽²⁾، كما كان مسئولاً عن التأكد من سعة الأسواق ونظافتها وكذلك الطّرقات بهدف ضمان راحة المارة ومنع أيّ مضايقات قد يتعرضون لها⁽³⁾، وكان من واجبات المحتسب أن يكون على دراية جيّدة بالحساب، وذلك ليتمكن من تحديد قيم المبيعات ومراقبة الأسعار بدقة، بالإضافة إلى الإشراف على ضبط الموازين والمكاييل، كما كان يسعى جاهداً لمنع الغش في عمليات البيع والشراء⁽⁴⁾، وضمان أن تتم جميع المعاملات التجارية وفقاً للمعايير الشرعية والمهنية.

ومن مهامه كذلك معايرة وسكّ العملات حيث كان يحرص على ضمان عدم تداول العملات المزيفة أو المكسرة التي قد تؤدي إلى خسارة التجار والمشترين، وقد أولى السلطان سنجر اهتماماً خاصاً بذلك حيث أصدر منشوراً إلى واليه تاج الدين أبو المكارم أحمد بن العباسي طلب منه تولي رئاسة مازندران جاء فيه توجيه خاص بضرورة متابعة أحوال الأسواق والأسعار، كما أمر السلطان بأن "يتفحص دائماً الأسعار في الأسواق ليمنع أي تفاوت غير مبرر سواء بسبب المحتكرين أو المتريصين، وألا يسمح بارتفاع الأسعار دون مبرر شرعي"، كما أضاف أهمية ضبط المكاييل والموازين ضمن أولويات مهامه، لضمان استقرار الأسواق والحفاظ على العدالة الاقتصادية.

(1) - ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد، معالم القرية في أحكام الحسبة، تح: محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، 1976م، ص227.

(2) - الشيرزي، المصدر السابق، ص22.

(3) - ابن الأخوة، المصدر السابق، ص78.

(4) - نظام الملك، المصدر السابق، ص80؛ إبراهيم دسوقي الشهاوي، الحسبة في الإسلام، مجلة الأزهر، القاهرة، (د.ط)، 1962م، ص83.

كان المحتسب أيضاً مسؤولاً عن جباية بعض الضرائب وتحصيل الرسوم المفروضة على الحوانيت التي تشييدها الحكومة، وقد تضمن دَوْرُهُ الإشراف على فرض هذه الرسوم بشكل عادل ومنظم لضمان استقرار النظام المالي في الأسواق ودعم خزانة الدولة.

كما كان المحتسب يراقب بدقة كل ما يُستورد من الأطراف ويُباع في الأسواق للتأكد من جودة وسلامة البضائع الواردة، فيمنع تلاعب البائعين بأسعار السلع من خلال احتكارها⁽¹⁾ وذلك لضمان توفرها بأسعار عادلة وحماية حقوق المستهلكين من الاستغلال.

وإذا شك المحتسب في دقة موازين بعض التجار أو مكاييلهم، كان يقوم باختبارها ومعايرتها، وإذا احتاجت المدينة إلى كيالين أو وزانين أو نقادين كان عليه أن يختارهم من بين الأفراد الأمناء والثقة⁽²⁾، كما كان يستعين بعرفاء من أهل الحرف لمساعدته في الإشراف على الأسواق⁽³⁾ ومراقبة تنفيذ القواعد والضوابط.

نتج عن اهتمام الدولة السلجوقية بتعزيز الحركة التجارية داخل أسواقها تحقيق الاستقرار الاقتصادي، حيث تم توفير سبل الأمن والحماية اللازمة مما أسهم في تنشيط حركة التجارة بين المدن المختلفة، وبذلك امتلأت الأسواق بالتجار وتنوعت السلع مما أدى إلى زيادة السيولة النقدية نتيجة للمستغلات التجارية المتزايدة، كما شهدت المدن السلجوقية انتشار الفنادق والخانات مما وفر مكاناً للإقامة والتجارة، ولقد كانت الأسواق بشكل عام بمثابة مركز حيوي للبيع والشراء حيث تُعقد الصفقات التجارية وتلتقي فيها مختلف الفئات الاجتماعية، ما يعزز التفاعل والتبادل بين مختلف عناصر السكان.

5- الصادرات والواردات في العصر السلجوقي:

5.1. الصادرات:

صادرات العراق:

(1) - ابن بسام، المصدر السابق، ص ص 14-15.

(2) - الماوردي، المصدر السابق، ص ص 285-286.

(3) - الدوري، المرجع السابق، ص 43.

تميّزت العراق بإنتاج وفير من المحاصيل الزراعيّة والمنتجات الصناعيّة التي تجاوزت احتياجات سكانها، هذا ما أدّى إلى توجيه الدولة اهتمامها نحو تصدير الفائض إلى الأسواق الخارجيّة، فنقل التجار العراقيون سلعا متنوّعة إلى أسواق الشرق والغرب، شملت المنسوجات الفاخرة، الجواهر، المرايا المعدنيّة، الخرز الزجاجي والتوابل، وقد اعتمدت طرق التصدير على السفن النهرية عبر نهر دجلة إلى الخليج العربي، حيث كانت البضائع تُنقل إلى ميناء سيراف قبل شحنها إلى الهند والصين⁽¹⁾، أسهم هذا النشاط التجاري المزدهر في ربط العراق بشبكة تجاريّة عالميّة واسعة النطاق، ومن أهم المدن التي كانت العراق تصدر منها بضائعها نذكر:

الكوفة: اشتهرت الكوفة بصناعاتها المتميّزة التي وضعتها في صدارة المدن التجاريّة في العالم الإسلامي، فقد برعت في صناعة العمائم التي لاقت رواجًا واسعًا بين مختلف الطبقات الاجتماعيّة، ولم تقتصر صادرات الكوفة على العمائم، بل شملت أيضًا سلعا فاخرة ومتنوّعة فقد كان التجار ينقلون إلى الصين الطيب الفاخر المستخرج من البنفسج⁽²⁾ والذي اشتهر بجودته وندرته مثيله، واشتهرت الكوفة بتصدير التمر بأنواعها بالإضافة إلى منديل الخبز الكوفي الشهير والثياب البيض، كما صدرت إلى الجزيرة العربيّة واليمن والهند العطور الفاخرة والكافور⁽³⁾ الذي كان يُعدّ من السلع الثمينة المطلوبة في الأسواق البعيدة، ومن أشهر الأطياب التي اشتهرت بها الكوفة دهن الخيري الذي فاق دهن سابور⁽⁴⁾ كما تميّزت بتصدير والخزف الفاخر والديباج المتقن إضافة إلى مختلف أنواع الفواكه الطازجة، الأسماك، وكذا الزجاج و سلع أخرى أسهمت في تعزيز مكانتها كمركز اقتصادي حيوي ومزدهر⁽⁵⁾.

البصرة: تميّزت البصرة بإنتاجها الزراعي والصناعي الذي جعلها من أبرز المراكز التجاريّة في العالم الإسلامي، حيث اشتهرت بإنتاج كمّيات كبيرة من التمر بأنواعها المتنوّعة التي تجاوزت حاجة البلاد، وقد أدّى هذا الفائض

(1) - حوراني، المرجع السابق، ص 207.

(2) - الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 53.

(3) - ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربيّة، ط 1، مطبعة العاني، بغداد، 1960م، ص 69.

(4) - أبو زيد شليبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)، 2012م، ص 267.

(5) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 1، ص 425.

إلى تصدير كميات كبيرة منها إلى الخارج، وكانت البصرة تنتج نحو 360 صنفًا من التّمر⁽¹⁾ إلى جانب الأطياب الفاخرة مثل ماء الورد المستخرج من البنفسج وغيره من الرّياحين، كما اشتهرت المنطقة بتصدير صبغة الحناء في مواسم خاصّة، كما برعت في صناعة التّسيج الفاخر وخاصة الخز والعباءات وكانت أسواقها تزدهر بأنواع اللّآلئ والجواهر الثمينة⁽²⁾، ولم تقتصر صادراتها على ذلك بل شملت أيضًا أدوات الزينة وماء الورد⁽³⁾ وسلعًا متنوعة أخرى⁽⁴⁾، وقد انعكس هذا النشاط التجاري المزدهر على تحقيق ثروات ضخمة، حيث بلغت ثروة أحد تجارها عشرين مليون دينار، بينما سجل فائض مالي لدى التجار فوصل دخلهم السنوي إلى مليونين ونصف المليون دينار⁽⁵⁾، مما جعل البصرة مركزًا اقتصاديًا ذا تأثير كبير في المنطقة

بغداد: اشتهر أهل بغداد بمهارتهم الفائقة في صناعة الزجاج، حيث أبدعوا في تصميم القناديل المزخرفة بالكتابات الدينية، التي لاقت رواجًا واسعًا وتم تصديرها إلى مختلف المناطق، كما شملت صادراتها الأواني المصنوعة من الزجاج والخزف والمعادن، بالإضافة إلى الأكواب الملونة بأحجامها المختلفة، والمعاجين الطبية⁽⁶⁾، ولقد صدّروا إلى الصّين الزجاج المزخرف بالميناء كما صدّروا الزجاج إلى بلادالحجاز، وقد لاحظ الرحالة ابن جبّير في الكعبة وجود قناديل مصنوعة من الزجاج العراقي المزخرف بنقوش رائعة، حيث قال: "... وله خمسة مضائى، وعليها زجاج عراقي بديع النقش، أحدها في وسط السقف ومع كل ركن مضؤًا..."⁽⁷⁾ بالإضافة إلى ذلك اشتهرت بغداد بتصدير الذهب والمواد الثمينة كاللؤلؤ والأحجار الكريمة، كما تميزت صادرات بغداد بتنوعها فكانت تُصدّر السّجاد إلى

(1) - الهمداني، المصدر السابق، ص ص 252-253.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 128-129.

(3) - المصدر نفسه، ص 128.

(4) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 40.

(5) - جرجي زيدان، المصدر السابق، ج 5، ص 41؛ محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 208.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 39.

(7) - ابن جبّير، المصدر السابق، ص 54.

جانب الثياب الفاخرة القطنية والحريية⁽¹⁾ بالإضافة إلى الإزر والعمائم والعباءات والمناديل التي كانت مطلوبة بشدة في الشام وبلاد الروم ومصر إلى جانب ذلك، كانت تصدر العسل عالي الجودة إلى مدن الشام⁽²⁾ مما عزز مكانتها كمركز تجاري وثقافي مزدهر في العالم الإسلامي وبفضل السلع والمنتجات العراقية كانت الأسواق البيزنطية تزدهر بالعديد من البضائع التي وصلت إليها عبر هؤلاء التجار.

واسط: تميزت واسط بمنتجاتها الفريدة التي جعلتها تحتل مكانة بارزة في النشاط التجاري، فقد اشتهرت بأسمائها المميزة مثل الشيم والبنّي، إلى جانب شهرتها بإنتاج السنور الذي ارتبط باسمها⁽³⁾، ولم تقتصر صادرات واسط على ذلك، بل كانت معروفة أيضاً بتصدير مختلف أنواع الفرش عالية الجودة، كما اشتهرت بتصدير البسط وكذا المنتجات الزراعية المتنوعة حيث كانت تنتج الكثير من الغلات، ما جعلها تتمتع بمكانة اقتصادية بارزة، ومن أبرز هذه السلع المصدرة إلى الحجاز الحبوب والفواكه⁽⁴⁾، فالتجار العراقيون كانوا يشحنون الكثير من الشعير والقمح لتسويقها خلال موسم الحج، وقد وصف القزويني المدينة قائلاً: "أما المدينة نفسها فلا يوجد ما هو أجمل منها، فإنها مليئة بالقصور والبساتين والمياه، لكن العيب فيها أن محصولها ينقل إلى أماكن أخرى، ولو أن محاصيلها كانت تبقى في يد أهلها لكانت تفوقت على جميع المدن"⁽⁵⁾.

الموصل: كانت الموصل مركزاً تجارياً نابضاً بالحياة، حيث خرجت منها القوافل متجهة إلى نيسابور وسمرقند، ومرو، والري، وبخارى، محملة بالبضائع الشهيرة التي ميزت المدينة، ومن هذه المنتجات الأقمشة الموصلية الرفيعة والفاخرة المعروفة بثياب الموسلين⁽⁶⁾ ولقد كانت أغلب سلعتها تصدر إلى الحجاز كما اشتهرت بإنتاج وتصدير البسط الفاخرة، و الموسلين، إضافة إلى الستور والسجاد والمسوح الموصلية التي لاقت طلباً واسعاً في الصين وسائر

(1) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 39.

(2) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 209.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 128.

(4) - الهمداني، المصدر السابق، ص 252.

(5) - القزويني، مصدر سابق، ص 478.

(6) - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1973م، ص 254.

البلاد⁽¹⁾، وتميزت أيضا بإنتاج الشاش الذي تم تصديره إلى مناطق واسعة داخل العالم الإسلامي وخارجه، مثل الصين ومصر وسوريا وشمال إفريقيا، وقد استخدم الشاش في صنع العمائم ولقّه حول القلائس، كما برعت الموصل في تصدير الجلود خاصة جلود البغال والسيور الجلدية، بالإضافة إلى منتجاتها الغذائية المميزة، مثل الحبوب، كالقمح والشعير والأرز والسمسم⁽²⁾، وزيت الزيتون، والتمر وغيرها وكانت هذه المنتجات تمثل جزءاً من الصادرات العراقية الهامة التي يتم شحنها إلى الخارج وخاصة إلى الهند، واحتلت هذه السلع الزراعية والصناعية مكانة مميزة في الأسواق الخارجية، ومن صادراتها كذلك الملح، والعسل، والذي اشتهرت الموصل بتصديره إلى بلاد الشام وخاصة إلى حلب، وكذا السمن، وحب الرمان⁽³⁾، ولم تقتصر صادراتها على ذلك، بل شملت الأواني النحاسية والزجاجية، كما اشتهرت بتصدير الشحوم، والأجبان والسماق، والحديد، والأدوات الحادة خاصة السكاكين والسلاسل وأقواس الرمي⁽⁴⁾، والروابط الحديدية والمنسوجات بمختلف أنواعها، والدهون، والأدوية، والفحم، وغيرها⁽⁵⁾ والتي كانت تصدرها إلى الحجاز، كذلك عُرفت الموصل بتصدير الخيول الأصيلة التي عُرفت بجودتها وسرعتها⁽⁶⁾، ومن هنا يتبين لنا أن المدينة اتسمت بغناها وتنوع خيراتها، كما أشار ياقوت في وصفه قائلاً "وقل ما افتقدت الموصل شيء من الخيرات التي قد تعجز عنها بقية البلدان إذ كانت زاخرة بكل ما يحتاجه الناس"⁽⁷⁾.

(1) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 41.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 193.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 145.

(4) - غنيمه يوسف رزق الله، تجارة العراق قديماً وحديثاً، ط 1، مطبعة العراق، بغداد، 1922م، ص 52.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 145.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 6؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوربية، ط 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص ص 23-24.

(7) - الحموي، المصدر السابق، ص 224.

الأبله: اشتهرت الأبله بتصدير مجموعة متنوعة من المنتجات الفاخرة، أبرزها الأقمشة الكتانية الفاخرة التي عرفت بجودتها، بالإضافة إلى ثياب القز الملونة، إلى جانب المناديل والعمائم⁽¹⁾ التي لاقت رواجًا واسعًا في الأسواق.

الرقّة: تميزت الرقّة⁽²⁾ بتصدير مجموعة من المنتجات الهامة، من أبرزها الصابون عالي الجودة، والزيت النقي، بالإضافة إلى الأقلام التي عُرفت بدقتها وحسن صناعتها⁽³⁾.

كما كان التجار يحملون معهم إلى الصّين العاج والياقوت، والعمّور، والكافور⁽⁴⁾، إلى جانب الأحجار الكريمة والأطياب المتنوعة مثل العود الهندي الذي كان يُعتبر من أفضل أنواع الطيب، وكذلك الصندل الأبيض والأبنوس⁽⁵⁾، وكذا العاج، والرصاص القلعي⁽⁶⁾ بالإضافة إلى العقاقير مثل القرنفل والكافور وكذا الأشجار المثمرة والفواكه كالبرتقال والعنب والليمون⁽⁷⁾. (انظر الملحق رقم: 08)

صادرات خراسان:

تتجلى قوّة الدولة أو ضُعفها اقتصاديًا في حجم نشاطها التجاري، سواء من خلال الاستيراد أو التصدير، وقد برزت خراسان خلال فترة ازدهارها في العصر السلجوقي كإقليم متميز بتنوع غلاته الزراعيّة وتعدد إنتاجه الصنّاعي، كما شهدت مدنه تخصصًا واضحًا في مجالات الإنتاج والتصنيع، مما انعكس بشكل مباشر على نشاطها التجاري، سواء في استيراد السلع أو تصديرها⁽⁸⁾، ممّا عزز مكانتها الاقتصادية.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 128.

(2) - الرقّة: مدينة معروفة تقع على نهر الفرات، وتفصلها عن حران مسافة ثلاثة أيام سفر، تُعد جزءًا من بلاد الجزيرة، حيث تتمركز على الضفة الشرقية لنهر الفرات، انظر: الحموي، ج 2، المصدر السابق، ص 802.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 145.

(4) - معروف، المرجع السابق، ص 69.

(5) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 25.

(6) - ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 70-71.

(7) - سرور، المرجع السابق، ص 127.

(8) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 199.

فلقد برعت خراسان في إنتاج وتصدير الأقمشة الحريرية الفاخرة فكانت تصدرها إلى العراق بالإضافة إلى المنسوجات الصوفية والقطنية، والإبرسيم، والوشى والثياب التوزية، والأكسية والكوفيات، إلى جانب الأدوات الزجاجية والخزف والمعادن كالحديد والفيروز، كما اشتهرت بتصدير مختلف أنواع الفواكه مما عزز مكانتها كمركز تجاري مهم في العصر السلجوقي، كما نقل التجار إلى مدن الملتان والسند سلعة متنوعة، أبرزها الخيول وكذا الزيوت واللوز⁽¹⁾، وصدرت إلى نيسابور الجلود المدبوغة والمنسوجات، والزبيب، والعسل المازي، والأرز، والبطيخ المجفف الذي غالبًا ما كان يُقدّم كهدايا، وكذا الورق، والنوشادر⁽²⁾.

اشتهرت نيسابور بكونها واحدة من أهم مراكز النسيج في العالم الإسلامي، حيث تميزت بإنتاج أصناف متنوعة من الأقمشة الراقية التي لاقت شهرة واسعة، فصدرت منتجات نسيجية متنوعة من بينها المنسوجات المطرزة، بالإضافة إلى القطن المميز الذي يُستخدم في صناعة أقمشة فريدة من نوعها، والتي تجد طريقها إلى مختلف أنحاء العالم⁽³⁾، حيث صنعت منه أفخر الثياب، وكذا عرفت المنطقة بتصدير القز وكانت هذه الثياب محط تقدير الملوك الملوك وكبار القوم⁽⁴⁾، وعُرفت ثياب نيسابور بخصائصها المميزة مثل "الثياب البيض" و"الحفية"، التي كانت مصنوعة من قماش مخطط وتُصدر بشكل رئيسي إلى العراق، فضلاً عن العمائم الشهبانية الحفية التي كانت تُرسل إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي والمدن السلجوقية الأخرى، كما كانت أيضاً متميزة بتصدير الإبريسم⁽⁵⁾ كما برزت المدينة في تصدير ثياب الشعر⁽⁶⁾، مما عزز مكانتها التجارية، إلى جانب صناعة الأقمشة، كانت نيسابور تؤدي دورًا محوريًا في تجارة المواد الخام الأخرى مثل البلور الذي يُصنع منه الأواني الفاخرة⁽⁷⁾، وأحجار

(1) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص10.

(2) - لسترنج، المرجع السابق، ص474.

(3) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص99.

(4) - الحميري، المصدر السابق، ص588.

(5) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص436.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص249.

(7) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص363.

السبع التي تُستخدم في صناعة المرايا والخواتم والفيروز الأزرق⁽¹⁾، إلى جانب النحاس والحديد، الذي كان يُستخدم في صنع الأواني المتميزة بسطاوتها وبياضها اللامع وكذا اشتهرت بتصدير فراء الثعالب، مما يعكس دورها في تعزيز التجارة النسيجية والصناعية عبر مختلف الآفاق.

أما نيسابور فقد برزت في إنتاج أجود أنواع اللبود، والأمتعة، والمنتجات المصنوعة من الجلد⁽²⁾، مما جعل منتجاتها مطلوبة في العديد من الأسواق، ودعم مكانتها كمركز مهم للصناعات الجلدية في المنطقة، وتميزت مدينة نسا بنيسابور بتصدير السمسم⁽³⁾.

برزت مرو كمركز تجاري مهم وخاصة في الصناعات النسيجية التي تمتاز بجودة فائقة فعملت على تصدير مجموعة من المنتجات القيمة، مثل الحرير الخام أو الإبريسم والذي اشتهرت بجودته وصدرته إلى مختلف المناطق⁽⁴⁾، إلى جانب الأقمشة المطرزة والسجاد الفاخر. كما اشتهرت المنطقة بتصدير القطن الناعم الذي استخدم في حياكة الملابس المروية الشهيرة والثياب الحريرية وكذا الأغذية المصنوعة من الحرير⁽⁵⁾، وأصبح القطن يُنسب إلى مرو في مختلف البلدان ولقد صدرت هذه المنتجات إلى أسواق شتى⁽⁶⁾، مما يعكس دور المدينة البارز في دعم التجارة النسيجية عبر الآفاق.

(1) - البيروني، المصدر السابق، ص 200.

(2) - الاضطخري، المصدر السابق، ص 315.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249.

(4) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 476.

(5) - الصافي عبد العليم، الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خراسان في العصر السلجوقي، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، علي أحمد السيد، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص 174.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249.

كما كانت الفواكه من أبرز صادراتها، وخاصة البطيخ المقدد الذي كان يحظى بإقبال كبير حيث يُعدّ ويُرسل بكميات كبيرة إلى الدول المجاورة⁽¹⁾، كما اشتهرت بتصدير الطازج منه إلى بغداد ليصل إلى الخلفاء والسلاطين، وتبلغ قيمة الواحدة السليمة منه نحو سبعمائة درهم⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك اشتهرت بتصدير الزبيب المميز والملقب بالمروزي⁽³⁾، وتميزت كذلك بإنتاج الجبن عالي الجودة وتصديره على نطاق واسع⁽⁴⁾، مما أكسبها شهرة كبيرة في هذا المجال، ومن أشهر صادراتها المعادن مثل النحاس⁽⁵⁾ النحاس⁽⁵⁾ الذي كان يُصنع منه العديد من الأدوات والمصنوعات المعدنية مما جعل منتجاتها تحظى برواج واسع⁽⁶⁾. واسع⁽⁶⁾.

تصدرت هرة قائمة المدن المصدرة للفواكه وخاصة الأعناب كالعنب المجفف الأخضر والأحمر، كما اشتهرت بصناعة الزبيب الطائفي⁽⁷⁾ الذي عُرف بجودته وكثرته مما جعله يُصدّر بكميات كبيرة إلى العراق وغيرها من البلدان⁽⁸⁾، ومن الفواكه التي صدرتها هرة المشمش⁽⁹⁾، حيث وصل إلى مختلف المناطق مثل العراق وبلاد الشام⁽¹⁰⁾، إضافة إلى الفستق الذي اشتهر بجودته العالية⁽¹⁾، ولم تقتصر صادراتها على المنتجات الزراعية بل شملت أيضًا

(1) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 431؛ لسترنج، المصدر السابق، ص 443.

(2) - شلي، المرجع السابق، ص 263.

(3) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 149.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249.

(5) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 289.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 42.

(7) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 151.

(8) - فيصل سيد، الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نيسابور، إشراف عصام الدين الفقي، السباعي محمد السباعي، القاهرة، (د.ط)، 2000م، ص 104.

(9) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 439.

(10) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 151.

أيضًا الحيوانات مثل البغال التي كانت تُنقل منها إلى شتى الأنحاء⁽²⁾، كما صدرت هرة المنتوجات الصناعية كالأقمشة، والبسط والسجاد والديباچ.

أما سرخس فقد عُرفت بتصدير الحيوانات وأهمها الجمال التي كانت مطلوبة بشدة⁽³⁾ وكذا الأغنام التي عُرفت بجودتها، كما تميزت بتصدير مختلف أنواع الحبوب والعصائب والمقانع المزخرفة بالذهب والتي كانت تُنقل منها إلى مختلف الأنحاء، حيث لاقت رواجًا واسعًا لجمالها ودقتها⁽⁴⁾.

واشتهرت بلخ أيضًا بتنوع صادراتها التي جمعت بين المنتجات الزراعية والصناعية ذات الجودة العالية، ومن أهمها الجلود العالية الجودة كما تميزت بتصدير الحيوانات كالأغنام ذات الأصواف الممتازة والنوق المتميزة أو البخاتي⁽⁵⁾ التي عُرفت بقدرتها الفائقة على التحمل لهذا اعتمد عليها التجار بشكل رئيسي في نقل السلع واعتُبرت الأفضل بين أنواع الإبل⁽⁶⁾ ما جعلها الخيار الأول للتجار والقوافل فاشتهرت هذه الإبل بجودتها العالية وأدائها الذي لا يُضاهى في مختلف الأقاليم⁽⁷⁾.

ومن جوزجان ببلخ كانت تُصدّر الجلود المدبوغة بأنواعها والتي كانت تُستخدم على نطاق واسع في الصناعات الجلدية⁽⁸⁾ وتميزت هذه الجلود بإتقان دباغتها ومتانتها مما جعلها تلقى رواجًا كبيرًا في الأسواق داخل المنطقة وخارجها، وساهمت بشكل ملحوظ في ازدهار النشاط التجاري للمنطقة.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249

(2) - القزويني، المصدر السابق، ص 398.

(3) - الاضطخري، المصدر السابق، ص 154.

(4) - الإدريسي، المصدر السابق، ص 472.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 249.

(6) - القزويني، المصدر السابق، ص 390.

(7) - الحميري، المصدر السابق، ص 185.

(8) - المقدسي، المصدر السابق، ص 324.

واهتمت بلخ بتصدير المنتجات الزراعية كذلك ومن أبرز هذه المحاصيل الأرز الذي اشتهر بنقائه وكذا السمسم الذي كان يُستخدم في الطعام والاستخلاصات الزيتية، بالإضافة إلى ذلك اشتهرت المنطقة بتصدير اللوز اللذين اعتبرا من المكسرات الفاخرة، كما عُرفت بتصدير نوع خاص من التفاح يُسمى "الأترج"، الذي يتميز بحجمه الكبير ولونه الذهبي ورائحته العطرة المشابهة لليمون⁽¹⁾، إضافة إلى الزبيب المعروف بحلاوته وقيمته الغذائية، والتين ولب الزمان⁽²⁾.

كما برزت بلخ في صناعة العطور والرياحين التي كانت تُستخدم في التجميل وكذا الأبخرة العطرية التي لاقت رواجاً كبيراً⁽³⁾، إضافة إلى ذلك عُرفت المدينة بإنتاج العسل والأدهان والسمن وتصديرها، وكذا الصابون عالي الجودة، وغيرها من السلع التي أكدت مكانتها كمركز تجاري رئيسي في المنطقة بفضل تنوع وجودة صادراتها. ولقد تميّزت أيضاً الرّي بتصدير مجموعة متنوعة من الفواكه عالية الجودة إلى مختلف الأنحاء، وكان الخوخ في مقدمة هذه الصادرات⁽⁴⁾، حيث اشتهر بنكهته الفريدة وجودته الممتازة، مما جعله مطلوباً في مختلف الأسواق، وتميّزت مدينة طوس هي الأخرى بإنتاج الحبوب وتصديرها إلى مختلف المناطق⁽⁵⁾.

كما برزت بخارى كإحدى المدن المشهورة بالصناعات المتنوعة، وتميّرت بشكل خاص بإنتاج الثياب الصوفية الرقيقة التي عُرفت بجودتها ونعومتها ما جعلها سلعة مرغوبة في الأسواق⁽⁶⁾ وعرفت ثياب القطن باسم "البخارية"⁽⁷⁾ وهي وهي علامة تجارية ارتبطت باسم المدينة، بالإضافة إلى إنتاج نوع مميز من النسيج القطني يُعرف باسم "الكرياس" أو "الزندنجي"، الذي وجد طريقه إلى مختلف الأسواق مثل العراق، والشام ومصر وفارس وبلاد الروم ليعكس

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 451.

(2) - المصدر نفسه، ص 474.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 323.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 135.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 232-249.

(6) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 520.

(7) - الاضطخري، المصدر السابق، ص 313.

شهرة بخارى في عالم النسيج آنذاك، كما برعت في إنتاج ثياب أشموني⁽¹⁾ والفرش الفندقية وتصديرها، إضافة إلى المصليات والسجاجيد والمصاييح النحاسية والسروج⁽²⁾.

5. 2. الواردات:

واردات العراق:

كانت السلع التجارية تصل بكميات كبيرة إلى أسواق بغداد وبقية أسواق المدن العراقية الأخرى، وكان تنوع السلع في أسواق بغداد يتفوق على ما يتوفر في أسواق البلدان المصدرة⁽³⁾ ويعود هذا التفوق إلى عدة عوامل منها سهولة المواصلات بين بغداد ومناطق الشرق والغرب حيث أسهمت وفرة الطرق وملاءمتها في تسهيل وصول السلع بكميات كبيرة إلى أسواق العراق، بالإضافة إلى تحسن مستوى المعيشة وتوفير الأمن في الطرقات، ومن بين أبرز هذه السلع التي تم تداولها بكثافة في تلك الأسواق الزيت والأقلام والتي يتم استيرادها من مدينة الرقة، كما كانت العراق تستورد العسل فيذكر الثعالبي⁽⁴⁾ أن أسواق بغداد كانت تستقبل نحو عشرين ألف رطل من العسل قادمة من سوق الموصل، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الأمتعة والبضائع الأخرى التي كانت تدخل إلى العراق، كما كانت تُحمل إلى بغداد مجموعة متنوعة من النسيج، بما في ذلك القسيات⁽⁵⁾ والكتان والقطن⁽⁶⁾ إلى جانب المنيرات، بالإضافة إلى أحسن الفواكه كالزمان والخواخ⁽⁷⁾.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 250.

(2) - بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950م، ص 121.

(3) - المسري، المرجع السابق، ص 200.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 427.

(5) - القسيات أو العسيات: نوع من الأثواب التي كانت تُجلب في الأصل من قس بمصر، ثم أصبح الاسم يُطلق على غيرها من الثياب، ووفقاً لابن سيده فإن القسيات تُنسب إلى موضع يُدعى قس، وهي ثياب ممزوجة بالحرير كانت تُستورد من منطقة مصر، وقد ورد النهي عن ارتدائها في بعض النصوص، انظر: ابن سيده، المصدر السابق، ج 4، ص 72.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص 276.

(7) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 30.

وكانت العلاقات التجارية بين العراق والحجاز متينة فلقد استوردت العراق منها الطين الأبيض، والذي كان يُستخدم في عمليات الغسيل وصناعة بعض الأدوية⁽¹⁾ هذا الطين أدى دوراً مهماً في الحياة اليومية للناس، حيث ساهم في تلبية احتياجاتهم من النظافة والعناية الصحية.

ومن مصر كان يُستورد إلى العراق نسيج الديبقي وخاصة من مدينة تنيس، بالإضافة إلى الأثواب الدميائية الشهيرة من مدينة دمياط المعروفة بصناعة الأقمشة الحريرية والكتانية، كما كانت تصل البسط الدبيقية المطرزة والقراطيس وكذا المعادن، كما كانت تصل إلى العراق من مصر سلع أخرى مثل العنبر والزعفران، والمسابع، والسيوف والقراطيس، واستوردت البغال والحميز من المنطقة كذلك⁽²⁾، كما كانت تصل إلى العراق من بلاد الشام شحنات من الزيتون والأسلحة.

ومن حمص استوردت كميات كبيرة من المواد الغذائية والزيتون والفواكه⁽³⁾ كالزبيب الذي كان يكثر وجوده فيها⁽⁴⁾، أمّا من حلب فكانت تصل إليها كميات كبيرة من الصابون الشهير المعروف بـ"صابون حلب" الذي تميّز بجودته وارتبط باسم المدينة⁽⁵⁾، إلى جانب أنواع أخرى من الصابون المتميّز المنتج في مدينة حماة⁽⁶⁾، وتضمنت الواردات من الحجاز إلى العراق الخيل العربية الأصيلة ونجائب الإبل⁽⁷⁾، بالإضافة إلى الجلود المستخدمة في صناعة الأقمشة والأحذية، والقضبان المستخدمة في صنع الرماح⁽⁸⁾.

(1) - ابن رسته، المصدر السابق، 176.

(2) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 27.

(3) - المسري، المرجع السابق، ص 171.

(4) - متز، المرجع السابق، ص 389.

(5) - عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، ط 1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1980م، ص 453.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 180.

(7) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 27.

(8) - الدوري، المرجع السابق، ص 163.

ومن بلاد اليمن كانت تصل البرود الشهيرة المعروفة بـ "وشى اليمن" و "عصب اليمن"، والتي كانت تتسم بجمالها وحسنها، إلى جانب أنواع متعددة من الثياب والعنبر، كما كانت اليمن تزود الأسواق بالمنجنيق⁽¹⁾، والديياج والعقيق والسيور والبحور، بالإضافة إلى بعض الحيوانات الهامة كالحمير والبغال⁽²⁾.

واستُوردت المدن العراقية من سمرقند الورق والثياب السمرقندية، إلى جانب الأواني الكبيرة المصنوعة من النحاس وكذا الحيوانات كالبغال⁽³⁾، كما كان التجار يسافرون إلى الصين لاستيراد مجموعة متنوعة من السلع الفاخرة، منها ثياب الحرير والديياج، فكانت أنواع الحرير الخام التي يستوردونها تتميز بخصوصيتها، مثل حرير الفرند وهو حرير ملون، وحرير الكمخاو الذي يظهر فيه النقوش فقط عند تحريكه، ولقد كانت هذه الأقمشة تُنسج وتُطرز بأساليب تتوافق مع الذوق الإسلامي الشرقي، ثم يعاد تصديرها بشكلها المعدل⁽⁴⁾، كما شملت الواردات الكاغد الجيد، والطواويس، وأواني الذهب والفضة، والأقفال، والعقاقير⁽⁵⁾ وغيرها من المنتجات المتنوعة، بالإضافة إلى ذلك كانوا يستوردون السروج والسمور⁽⁶⁾، والمسك والعود الصنفي الذي يُحصل عليه من مناطق معينة في الصين⁽⁷⁾.

ومن الهند كانت تُستورد العديد من المنتجات الفاخرة مثل الثياب القطنية والمحمليّة، ومن سرنديب كانت تستورد الأحجار الكريمة مثل الماس والياقوت والدر والتوابل كالقرنفل والفلفل بأنواعه الأسود والأبيض ويأتي غضا⁽⁸⁾،

(1) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 534.

(2) - الدوري، المرجع السابق، ص 163.

(3) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 28-32.

(4) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 150.

(5) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 26.

(6) - المسري، المرجع السابق، ص 221.

(7) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 367.

(8) - ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي العشاب، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج 3، بغداد، (د.م.ن)، 1248م، ص 166، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 62-70-71.

إضافة إلى ذلك كانت تُصدّر الهند للعراق الحيوانات كالخيول والفيلة والأبقار والجاموس⁽¹⁾ وكذا الجمال والنعام، كما صدّروا الجلود مثل جلد التّمور والجلد المدبوغ والأحذية القنا التي كان يستخدمها الرّماح⁽²⁾، كما كان يتمّ تصدير جوز الهند والستيف والقلعية والرّماح، وهي من الصناعات الهندية التقليدية القادمة من مدينة القلعة⁽³⁾، وكذا الأطياب كالعود والكافور، الصندل⁽⁴⁾ والمسك والذي يتميز عن الصندل برائحته القوية كما أن له الكثير من الأنواع أشهرها الهندي، وغير ذلك من السّلع الفريدة التي تميّزت بها الهند⁽⁵⁾ وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من تجارة تجارة العالم القديم.

كما كانت العراق تُستورد من أرمينية البسط الرقيقة المصنوعة من الصّوف والأفرشة المتنوعة، بالإضافة إلى الخيول والبغال والتي اشتهرت بجودتها، حيث كانت تتميز بالسلامة البدنية والفتنة والقدرة على التحمل⁽⁶⁾، ممّا جعلها ذات سمعة قويّة في الأسواق.

واهتم التّجار السّلاجقة باستيراد بعض السّلع من الرّي وأهمها الأنسجة والثياب والسّجاد والمصليات والمناديل والمسك⁽⁷⁾ وكذا الزّئبق، بالإضافة إلى الثياب الرقيقة والقلانس والأمشاط⁽⁸⁾، وكذا القطن والنسيج المعروف

(1) - متز، المرجع السابق، ج2، ص284.

(2) - الدوري، المرجع السابق، ص163.

(3) - القلعة: مدينة تقع عند مدخل بلاد الهند من جهة الصين، تُعد محطة نهائية للمراكب التجارية القادمة إلى الهند، وتشتهر بوجود مناجم غنية بمعدن الرصاص، الحموي، المصدر السابق، ج7، ص82.

(4) - الصندل: شجرة خشبية مميزة بألوانها المتنوعة وعطرها الفوّاح، حيث يتجلى عبيرها عند الدلك أو الحرق، اشتهرت الهند بشكل خاص بإنتاج الصندل الأبيض، الذي يُعد من أجود أنواعه، انظر: الثعالبي، المصدر السابق، ص148.

(5) - المصدر نفسه، ص148.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج2، ص462.

(7) - أديل سليمان محمود وهيبي، مدينة الري في العصر السلجوقي 434هـ - 590هـ / 1042م - 1193م، رسالة مستكملة لنيل رجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004م، ص268.

(8) - القزويني، المصدر السابق، ص376.

بالمينيرات⁽¹⁾، ومن أصفهان استورد التجار مجموعة من المنتجات المميزة مثل العسل، السفرجل، الكمثري، التفاح، وبذور الزعفران، الملح، والكحل، وكذا النحاس الأصفر الذي كان يستخدم في طلاء أعلى المناير⁽²⁾.

ومن كرمان كان يتم تصدير الكمون، كما كانت العراق تُستورد من مرو الثياب المزخرفة والملاحم والملابس والأغطية الرافية المصنوعة من قز الحرير والإبريسم، والخيول النبيلة والأبقار، بالإضافة إلى البسط والسجاد الفاخر وكذا القطن والجبن⁽³⁾، أما السفن القادمة إلى الموصل فكانت محملة بالبضائع من أذربيجان وأهمها البسط والأفرشة والأفرشة والأسلحة المختلفة⁽⁴⁾.

ومن بخارى كان يُصدّر نسيج الكرباس، وهو نوع من الأقمشة الفاخرة، وقد وصفه الترشيحي قائلاً "يتخذ منه جميع العظماء والملوك ثياباً ويشترونه بثمان الديباج"⁽⁵⁾، أما الأحجار الثمينة فاستوردوها من نيسابور وخاصة الفيروزج الأزرق⁽⁶⁾.

ومن منطقة سرخس كانت تُصدر الحبوب والجمال التي كانت تشتهر بجودتها⁽⁷⁾ وتُعتبر من السلع المهمة في التجارة التجارية الإقليمية بالإضافة إلى المقانع المنقوشة بالذهب⁽⁸⁾، ومن قزوین كانت تُصدر بعض أنواع الأقمشة الفاخرة، الفاخرة، بالإضافة إلى النعناع الذي كان يُستخدم على نطاق واسع في الأطعمة والعلاجات.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، 276.

(2) - متر، المرجع السابق، ج 2، ص 237.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص 323.

(4) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 35؛ الأعظمي، المرجع السابق، ج 5، ص 347.

(5) - الترشيحي، المصدر السابق، ص 21.

(6) - سرور، المرجع السابق، ص 135.

(7) - المقدسي، المصدر السابق، ص 323.

(8) - الإدريسي، المصدر السابق، ص 472.

كما شملت المبادلات التجارية بين العراق وبلخ وتحديدًا مدينة بنجهير تبادل العديد من السلع القيمة، وكان من أبرزها الفضة⁽¹⁾ التي استوردها التجار العراقيون بكميات كبيرة.

ومن همدان كانت تُصدر الأجبان الفاخرة والزعفران وجلود الثعلب، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الفراء التي كانت تحظى بشعبية كبيرة في التجارة⁽²⁾.

كما استوردت العراق من بلاد فارس مختلف السلع والمنتجات أهمها دهن النيلوفر⁽³⁾ الذي كان يُعتبر من أبرز المنتجات الفاخرة في تلك الفترة، كما استورد العراقيون منها أنواع العطور والطيب وماء الورد، ومن كازرون جلب التجار ثياب الكتان عالية الجودة والمناديل المخملية التي تميزت بنعومتها الفائقة وتنوع ألوانها⁽⁴⁾.

ومن فسا كانت تُصدر مجموعة من المنتجات الفاخرة التي تتميز بها المنطقة، مثل الفستق الذي كان يُعتبر من أجود أنواع المكسرات، بالإضافة إلى أصناف متعددة من الفواكه الطازجة، كما اشتهرت فسا بصناعة الزجاج، الذي كان يتم تصديره إلى مختلف المناطق لما يتمتع به من جودة عالية وصناعة متقنة، واستوردت العراق من هراة الزبيب الطائفي الذي كان يتمتع بشعبية واسعة بفضل مذاقه اللذيذ وجودته وفوائده الصحية⁽⁵⁾، وكذا الفستق والثياب والأقمشة الفاخرة التي كانت تتميز بجودتها العالية والمعروفة بالبر.

أما من الأهواز فقد كانت تُصدّر العديد من السلع القيمة التي كانت تحظى بشعبية كبيرة، ومنها السكر الذي كان يعد من أبرز المنتجات الزراعية، والدياج الذي يُعتبر من أفخر أنواع الأقمشة، إضافة إلى الخز⁽⁶⁾ الذي اشتهر

(1) - متز، المرجع السابق، ج2، ص236.

(2) - الحميري، المصدر السابق، ص43.

(3) - النيلوفر: نوع من النباتات العطرية ينمو في المياه الراكدة، ويُعرف عند أهل مصر باسم البشنين، بينما يُطلق عليه العامة اسم اسم النوفر، مشابهاً في نطقه لكلمة جوهر، انظر: الزبيدي محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، 1965م، ص145.

(4) - لسترنج، المرجع السابق، ص ص330-331.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص323.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص29-32.

اشتهر بجودته العالية واستخداماته المتعددة في الأزياء والزينة، ومن نسا كانت تُصدّر فرو الثعالب الذي كان يُعتبر من أفخر أنواع الفراء ويُستخدم في صناعة الملابس الفاخرة.

ومن قاشان⁽¹⁾ كانت تُستورد الغضائر القاشانية، وهي نوع من الأقمشة الفاخرة التي تتميز بجودتها العالية، مما جعلها تحظى بشعبية كبيرة في الأسواق، أما من بذخشان فقد كانت تُستورد الأحجار الكريمة والجواهر النفيسة⁽²⁾، التي كانت تُعتبر من أبرز السلع الثمينة في التجارة الدولية بفضل نقائها وجمالها، كما استوردت العراق من بوشنج خشب العرعر المعروف بجودة وندرته⁽³⁾.

ومن خوارزم كانت تستورد مجموعة متنوعة من السلع الفاخرة والمطلوبة في الأسواق مثل قصب السكر الذي كان يُعتبر من المحاصيل الزراعية الهامة⁽⁴⁾، وكذا المسك الجيد الذي كان يُعتبر من أبرز العطور الثمينة، بالإضافة إلى فرو السنجاب والثعالب والقاقم⁽⁵⁾ وفرو الفنك والسمور التي كانت تُستخدم في صناعة الملابس الفاخرة.

واردات خراسان:

ورغم كثرة صادراتها إلا أن خراسان كانت تستورد مجموعة متنوعة من السلع التجارية فمن اليمن استوردت الأقمشة الفاخرة والزعفران، كما اعتمدت على استيراد بعض المنتجات من العراق مثل الورق⁽⁶⁾ الذي يتمتع بجودته

(1) - قاشان: مدينة شهيرة تقع بالقرب من أصفهان، انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج2، ص383-335.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص368.

(3) - لسترنج، المرجع السابق، ص473.

(4) - الجاحظ، المصدر السابق، ص28.

(5) - القاقم: حيوان صغير يشبه السنجاب، يتميز بلونه الأبيض الناصع، انظر: شيخ الربوة شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، باعتناء وتصحيح: أغسطس بن يحيى مهران، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية، طربورج، (د.ط)، 1866م، ص47.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص318.

بجودته العالية، بالإضافة إلى ذلك كانت تستورد منها أنواعاً مختلفة من التمور⁽¹⁾ حيث تحظى بشعبية كبيرة في خراسان نظراً لسمعة العراق العريقة في إنتاج هذا المحصول وتصديره إلى مختلف المناطق⁽²⁾.

كما كانت التجارة تنشط بين خراسان والأندلس، حيث يتم استيراد الفخار المذهب الذي اشتهر بتقنياته الفريدة وزخارفه الجميلة، وكذا اللوز والتين وغيرها⁽³⁾.

واستوردت خراسان من مصر المنسوجات الصّعيدية المعروفة باسم "المصري" التي تميّزت بجودتها العالية وتصاميمها الفريدة، ممّا ساهم في تنوع خيارات الأقمشة المتاحة في الأسواق الخراسانية، وكانت تستورد كذلك المعادن القيّمة والتّقيسة كالزمرّد⁽⁴⁾ الذي كان يضاف لمسة من الفخامة على مختلف الصّناعات.

ومن الهند استوردت خراسان مجموعة من السلع مثل الذهب والفضّة والزّبّق والأحجار الكريمة والعاج، كما تضمّنت الواردات الثّياب المخملية ذات الجودة العالية⁽⁵⁾، والتّوابل والمعادن وأنياب الفيل والعود والقرنفل والصّندل والفلفل الأسود.

كما استوردت خراسان الأقمشة الفاخرة من سمرقند حيث وصف الاصطخري جودة الأقمشة قائلاً: "خير الرقيق بما وراء النهر تربية سمرقند"⁽⁶⁾، بالإضافة إلى القدور الضخمة والمصنوعة من النحاس والأخبية، والقماقم وغيرها من السلع⁽⁷⁾، وكذا الورق الفائق الجودة⁽⁸⁾ الذي اقتصت المنطقة بإنتاجه.

(1) - لسترنج، المرجع السابق، ص 474.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 260.

(3) - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 438.

(4) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 316.

(5) - ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 70.

(6) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 178.

(7) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 323-324.

(8) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 178، القزويني، المصدر السابق، ص 536.

استوردت خراسان من سيلان اللؤلؤ⁽¹⁾ الذي يُعتبر من أجود أنواع اللؤلؤ في العالم، مما أضاف لمسة من الفخامة والجمال إلى تجارة المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك اهتم الخراسانيون باستيراد الحيوانات خاصة الجمل الفالج، الذي يُعتبر مفضلاً لديهم لاستخدامه في إنتاج النوق البخاتي الشهيرة التي تُعرف بجودتها في مدن مثل بخارى وبلخ⁽²⁾، كما كانت بخارى مركزاً لتصدير العديد من المنتجات الفاخرة مثل المسك الفاخر والزعفران النقي، كما عُرفت بشياها البخارية الثقيلة متقنة النسيج⁽³⁾، بالإضافة إلى أقمشة الفرش الفندقية، والمصليات المزخرفة، والسجاد الفاخر التي كانت شاهدة على براعة الحرفيين وجودة الصناعات اليدوية في المدينة⁽⁴⁾.

واهتم التجار في خراسان بخوزستان حيث جلبوا منها السكر⁽⁵⁾، أما من الري فاستوردوا مجموعة متنوعة من المنتجات بما في ذلك الأقمشة القطنية والأواني⁽⁶⁾ فضلاً عن الأدوات الحربية مثل البنادق والسيوف والأقواس⁽⁷⁾ مما أسهم في تنوع البضائع وتعزيز النشاط التجاري في المنطقة.

ومن الدول التي اهتم التجار في خراسان بمنتجاتها وسلعها الصين حيث استوردوا منها الحرير الفاخر، واستوردوا من فرغانة المعادن كالحديد والنحاس⁽⁸⁾، بالإضافة إلى الرقيق الذي اشتهرت المنطقة بتصديرهم⁽¹⁾، أما من جاوه فاستورد التجار التوابل كالقرنفل والكافور والعود والجاوي⁽²⁾.

(1) - متز، المرجع السابق، ج2، ص261.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص346.

(3) - محمد عبد العظيم أبو النصر، تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص291.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 323-324.

(5) - الثعالي، المصدر السابق، ص431.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 395-396.

(7) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص205.

(8) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص392.

ومن خوارزم استوردوا مجموعة من السلع الفاخرة شملت الشمع وأقواس الرمي والسيوف والأسلحة، والمستحضرات العطرية والروائح الزكية⁽³⁾، كما شملت الواردات فراء السنجاب والثعالب مما عزز تنوع المنتجات المتاحة وزاد من نشاط التجارة في المنطقة.

واستوردت خراسان من كرمان التمور الجيدة والتي تُعد من أبرز المحاصيل التي تتميز بها هذه المنطقة.

كما شمل التبادل التجاري مدينة ترمذ حيث استوردوا منها مختلف المنتجات خاصة الحلثيت والصابون⁽⁴⁾. واستوردوا من جرجان خشب الخليج الذي يصنع منه النشاب والأطباق⁽⁵⁾.

كما كانت هناك مبادلات تجارية بين خراسان وأرمينيا حيث استوردت منها سلعاً متنوعة مثل الأحجار الكريمة كالعاج، بالإضافة إلى الكافور والأخشاب الفاخرة كالحيزران، مما أضاف تنوعاً وقيمة عالية إلى تجارتها وأسواقها، أما الأخشاب التي كانت تُستخدم في صناعة السفن وفي بناء سقوف المنازل فكانت خراسان تستوردها من البندقية.

ومن فارس كانت خراسان تستورد المنسوجات والدروع، بالإضافة إلى ذلك استوردت العطور وماء الورد بمختلف أصنافه وخاصة الورد الأحمر⁽⁶⁾.

هذه الواردات تسهم في تعزيز الاقتصاد المحلي في خراسان، وتعزيز التجارة وتلبي احتياجات الأسواق التي تعتمد على هذه المنتجات المميزة.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 323-324.

(2) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 173.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 224؛ الصيني، المصدر السابق، ص 122.

(4) - النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ت: عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949م، ص 18.

(5) - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، الدولة المستقلة في المشرق الإسلامي، القاهرة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1991م، ص 269.

(6) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 172.

كما أن اقتصاد خراسان كان يتمتع بقوة وحيوية ملحوظة، حيث كانت صادراتها أعلى من وارداتها هذا التوازن التجاري الإيجابي يعكس قدرة الإقليم على تحقيق الاكتفاء الذاتي في العديد من القطاعات، فضلاً عن دوره البارز في التجارة الإقليمية والدولية، ويُعتبر هذا التفوق التجاري دليلاً على تنوع الاقتصاد الخراساني وتطوره المستمر.

يتضح من خلال دراسة الإسهامات الاقتصادية للسلاجقة أنّ سياساتهم لم تكن مجرد استجابة لاحتياجات آنية، بل كانت جزءاً من رؤية أوسع لتحقيق الاستقرار والازدهار في العراق وخراسان خلال العهد العباسي، فقد أسهمت إصلاحاتهم الزراعية في زيادة الإنتاج واستدامة الموارد، بينما عزّز دعمهم للصناعة نمو الحرف والورش، ما أدّى إلى ازدهار المنتجات المحلية وانتشارها في الأسواق الإقليمية، أمّا في مجال التجارة، فقد كان لتأمين الطرق التجارية وتوسيع شبكات التبادل دور حاسم في تنشيط الحركة الاقتصادية وربط المراكز التجارية الحيوية.

بفضل هذه السياسات تمكّن السلاجقة من ترسيخ نفوذهم ليس فقط كقوة عسكرية، بل كعامل رئيسي في تعزيز اقتصاد الخلافة العباسية، ممّا ساهم في تحقيق نوع من التوازن بين الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي.

الفصل الثالث: السّياسة الماليّة للدّولة السّلجوقية.

المبحث الأول: الموارد في الدّولة السّلجوقية.

المبحث الثّاني: النّفقات في الدّولة السّلجوقية.

المبحث الثّالث: النّقود في الدّولة السّلجوقية

الفصل الثالث: السياسة المالية للدولة السلجوقية :

انتهجت الدولة السلجوقية سياسة مالية صارمة أسهمت في تعزيز استقرارها الاقتصادي وترسيخ سلطتها، فقامت هذه السياسة على أسس راسخة، كان أبرزها تنظيم الضرائب وإدارة الخراج وفق آليات دقيقة تحقق أقصى عائد بأقل تكلفة وجهد، دون إثقال كاهل السكان أو التسبب في اضطرابات، كما كان للتقود دوراً بارزاً في دعم هذه السياسة، فلم تكن العملة مجرد أداة اقتصادية بل عكست قوة الدولة وهيبتها، حيث حرص السلاجقة على إصلاح النظام النقدي وتطويره لتعزيز التجارة الداخلية والخارجية، مما جعل سياستهم المالية ركيزة أساسية في استدامة حكمهم وتوسيع نفوذهم.

المبحث الأول: الموارد في الدولة السلجوقية:

شهدت الدولة السلجوقية ازدهاراً ملحوظاً وارتفاعاً في مستوى المعيشة نتيجة لتدفق الأموال إلى خزانة الدولة في بغداد وتنوع مصادر دخلها، وقد تضمنت هذه المصادر الخراج والزكاة والجزية وأخماس المعادن، بالإضافة إلى الرسوم على التجارة الخارجية، فأسهمت هذه الموارد في تغطية نفقات الدولة خاصة المتعلقة بالنشاطات العسكرية والأمنية⁽¹⁾.

ومن هذا عمل السلاجقة على تطوير نظام اقتصادي متين إدراكاً منهم أنّ الاستقرار الاقتصادي هو أساس بقاء دولتهم، فاستثمروا في تعزيز مواردهم المالية من خلال فرض الجزية والخراج على رعاياهم⁽²⁾، علاوة على ذلك أولت الدولة السلجوقية اهتماماً خاصاً بالقرى التي تأثرت بالحروب والفوضى، فعملت على تخفيف الضرائب عنها⁽³⁾ وفي بعض الحالات كانت القرى تُعفى تماماً من كافة التكاليف والضرائب إذا كانت الدولة تستفيد من استخراج المعادن منها أو تأمين الطرق أو صيانة الجسور أو تنفيذ أي مهام أخرى تُعتبر من مسؤوليات الدولة⁽⁴⁾.

(1) - حسن علي حسن و عبد الرحمان سالم، العصر العباسي في العراق والمشرق 132هـ - 656هـ، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1996م، ص31

(2) - فهيم فتحى إبراهيم، خانات الطرق في عهد سلاجقة الأناضول 470هـ - 708هـ / 1077م - 1308م، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سوهاج، 2007م، ص ص 78-79.

(3) - تمارا تالبوت، المرجع السابق، ص131.

(4) - فهيم فتحى، المرجع السابق، ص81.

بالإضافة إلى ذلك شكلت الغنائم الحربية مصدراً مهماً للدخل، إذ أسهمت في زيادة إيرادات الدولة، غير أنّ هذه العوائد على وفرتها لم تكن كافية لتغطية المصاريف المتزايدة، لذا أصبح من الضروري البحث عن مصادر دخل جديدة، فوجدوا في التجارة بديلاً مهماً⁽¹⁾ بما في ذلك الاتجار بالعبيد المسيحيين وغيرهم كمصدر رئيسي للإيرادات.

يُعتبر المال العام في الإسلام مزيجاً من مصادر متعددة وقد تم تصنيف الموارد المالية في الدولة السلجوقية إلى نوعين رئيسيين الأول هو الموارد المالية الشرعية التي تُحدد بناءً على الأحكام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية أو اجتهاد الفقهاء⁽²⁾، ومن بين هذه المصادر الخراج والجزية والفيء وعشور التجارة والمكوس⁽³⁾، والصدقات والنفل، بالإضافة إلى غيرها من مصادر شرعية، وهذه الأموال تُعدّ حقاً للمسلمين⁽⁴⁾ وفقاً لما جاء في الشريعة وتشكل هذه الموارد العمود الفقري لميزانية الدولة السلجوقية.

أمّا النوع الثاني فهو الموارد المالية غير الشرعية التي لم يُنص عليها الشرع، حيث كان الحكام يفرضونها على الرعية من تلقاء أنفسهم لزيادة دخل الدولة.

لقد تميّزت الخزينة السلجوقية بتنوع مواردها ممّا ساهم في وفرة الأموال لدى السلاطين السلاجقة⁽⁵⁾ الذين أسهموا بدورهم وبشكل كبير في تنظيم الشؤون المالية للدولة لضمان تحقيق الأمن والاستقرار وضبط التوازن بين موارد الدولة ونفقاتها، ومن أبرز الموارد التي اعتمد عليها السلاجقة في تعزيز اقتصادهم نذكر:

1- الخراج:

ذُكر الخراج في القرآن الكريم في موضعين الأول في قوله تعالى "فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِدًّا" ⁽⁶⁾ والثاني في قوله تعالى "أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ" ⁽¹⁾.

(1) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 120.

(2) - الدوري عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 2008م، ص 180.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص 83.

(4) - فؤاد عبد الله العمر، المرجع السابق، ص 162.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 145.

(6) - الكهف، الآية 94.

1.1. تعريف الخراج:

ولقد ورد مصطلح "الخراج" في عدّة مواضع من كتب الحديث، حيث استُخدم للإشارة إلى الضريبة التي يُسددتها العبد لسيده مقابل الإذن له بالعمل والكسب فقد ذكر البخاري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان لديه غلام يُقدّم له الخراج، مما أفضى إلى صياغة حكم فقهي يُعرف بـ "الخراج بالضمان"⁽²⁾.

والخراج في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي خرج والخراج اسم لما يخرج⁽³⁾، كما يُستخدم للدلالة على الغلّة، كما يمكن أن يعني الرزق أو الأجر، والخراج أيضاً هو ما يُحصّل من الأرض ويشير إلى الحقوق التي تُفرض على الأراضي وتُدفع عنها.

وقد عرف الماوردي الخراج بأنه "ما وضع على رقبة الأرض من حقوق تؤدى عنها"⁽⁴⁾.

أما اصطلاحاً فيعرف بأنه "ما يُحصّله السلطان من الأراضي الخراجية، ويُعرف أيضاً بالقوانين السلطانية"⁽⁵⁾.

كما أنه ضريبة تُلزم الذمي بدفعها مقابل احتفاظه بالأرض التي فتحها المسلمون بالقوّة، ويُعتبر هذا التّكليف المالي واجباً يُفرض على أرض الذمي التي بقيت تحت سيطرته بعد الفتح⁽⁶⁾.

كما أنّ الخراج هو مبلغ محدّد من المال أو جزء من المحصول يُفرض على الأراضي الزراعيّة كضريبة.

ولقد فُرض الخراج على ثلاثة أنواع من الأراضي أولاً: الأراضي التي أُخذت بالقوّة وأصبحت وقفاً للمسلمين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثانياً: الأراضي التي هجرها أصحابها خلال فترة الفتح وانتقلت إلى ملكية المسلمين دون قتال، أمّا النوع الثالث فهو على الأراضي التي فُتحت بالصّلح حيث تُحكم بشروط الصّلح،

(1) - المؤمنون، الآية 72.

(2) - صالح أحمد العلي، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دار الكتب والوثائق، بغداد، (د.ط)، 1990م. ص14

(3) - ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص252

(4) - الماوردي، المصدر السابق، ص131.

(5) - الرحبي عبد العزيز، فقه الملوك، تح: أحمد الكبيسي، ط8، دار إحياء التراث الإسلامي، رئاسة ديوان الأوقاف، العراق، 1975م، ج1، ص35.

(6) - عناية غازي، المالية العامة والنظام المالي الإسلامي، دراسة مقارنة، ط1، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، لبنان، 1990م، ص264.

فقد تكون ملكية هذه الأراضي للمسلمين فتُعتبر وفقاً عليهم ويُفرض عليها الخراج، أو تبقى ملكاً لأصحابها الذين يدفعون خراجها، وإذا أسلم أصحابها يُعفون من الخراج وتُصبح الأرض عُشرية⁽¹⁾. وبالنسبة لمقدار الخراج المفروض على الأراضي الزراعية فهو ليس ثابت، بل يتفاوت تبعاً لعوامل متعددة مثل نوع التربة وطرق الري المستخدمة فالأراضي التي تحتاج إلى تكاليف عالية في الري مثل الزرع بالنواضح والدوالي لا تتحمل نفس مقدار الخراج كما تتحمله الأراضي التي تُروى بالأمطار والسيوح⁽²⁾ ونوع المحاصيل المزروعة فبعض المحاصيل مثل الحبوب والثمار، تكون أكثر ثمناً من غيرها، مما يؤثر على مقدار الخراج المفروض وكذلك مساحة الأرض وحجم إنتاجها⁽³⁾ وجودتها، حيث تكون الأرض الخصبة التي تُنتج زراعة وفيرة أكثر قيمة من الأراضي الرديئة، بالإضافة إلى مدى قرب الأرض أو بعدها عن السوق⁽⁴⁾.

1. 2. جباية الخراج:

والخراج في العصر السلجوقي كان يُحصّل بثلاث طرق رئيسية الأولى فرض ضريبة ثابتة على كل وحدة من مساحة الأرض الزراعية، ويتم عن طريق قياس مساحة الأرض وتقدير متوسط إنتاجها⁽⁵⁾ وهو ما يُعرف بخراج المساحة أو الوظيفة، أما الثانية فعن طريق تقسيم المحصول وأخذ نسبة محددة منه كخراج⁽⁶⁾ وتسمى هذه الطريقة بالمقاسمة⁽⁷⁾، حيث تشير بعض المصادر إلى أن النسبة قد تصل إلى (5/2)⁽⁸⁾ في بعض الحالات، أما الطريقة

(1) - الماوردي، المصدر السابق، ص 131.

(2) - المصدر نفسه، ص 129.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص 83.

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص 178.

(5) - الإصطخري، المصدر السابق، ص 157.

(6) - ابن رجب الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، الاستخراج لأحكام الخراج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ص 119.

(7) - الدوري، المرجع السابق، ص 179.

(8) - حسين يحيى، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي، 447هـ-590هـ/1055م-1193م، رسالة دكتوراه، 2000م، 2000م، عمان، ص 112.

الثالثة فهي نظام المقاطعة الذي يتطلب دفع مبلغ إجمالي محدد كضريبة، وقد انتشرت الطريقة الأخيرة بشكل خاص خلال العصر السلجوقي.

يتم تحصيل الخراج من الأراضي التي ضمها المسلمون إلى الدولة وأصبحت ملكية عامة، وقد اعتمدت الدولة سياسة تتيح لأصحاب هذه الأراضي الاستمرار في زراعتها مقابل دفع الخراج، وتنقسم هذه الأراضي إلى عشرية وخراجية، حيث تُعدّ الأراضي العشرية مملوكة لمن اعتنق الإسلام من أصحابها، ويدفعون الخراج وفقاً للاتفاق المبرم بين الطرفين⁽¹⁾.

1.3. موعد جباية الخراج:

من الناحية النظرية تمّ تحديد وقت الجباية ليكون عند نضج المحاصيل واكتمال الزرع، وقد أوصى الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي عمال الخراج بحسن معاملة الناس، مؤكداً على ضرورة تحصيل الأموال المستحقة فقط وبأدب ورفق، كما حرص على تأجيل جباية الخراج إلى ما بعد موسم الحصاد تفادياً لإرهاق المزارعين وتجنباً لما قد يلحقه ذلك من ضرر بهم، حيث يُجبرون على بيع محاصيلهم قبل أوانها بنصف قيمتها، مما يشكل ظلماً وجوراً عليهم من خلال تعرضهم لخسائر مادية كبيرة⁽²⁾، كما أوصى الوزير نظام الملك مرؤوسيه بعدم فرض أي ضرائب إضافية تتجاوز المحدد، كذلك أمر عمال الخراج بضرورة توفير البذور والمواشي وغيرها من احتياجات الفلاحين لضمان بقائهم في أراضيهم وعدم هجرتهم⁽³⁾.

وكان يشرف على الخراج موظف يطلق عليه عامل الخراج ولقد كان يتلقى أجره من مال الخراج نفسه⁽⁴⁾.

1.4. ضمان الخراج:

اعتمدت الدولة السلجوقية نظام الضمان لتحصيل الخراج، حيث يتكفل شخص بجمع خراج منطقة معينة مقابل مبلغ سنوي يُدفع للدولة مسبقاً، وبعد تسديد المبلغ المتفق عليه، يقوم الضامن بتحصيل الخراج من تلك الأراضي، ويحتفظ بالفارق بين ما دفعه وما جمعه، مما يُحقق له ربحاً من هذه العملية⁽⁵⁾.

(1) - الماوردي، المصدر السابق، ص 187.

(2) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 62.

(3) - المصدر نفسه، ص 85.

(4) - الماوردي، المصدر السابق، ص 136.

(5) - جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الإيلخانية (636هـ-656هـ)، ط 1، مطبعة العاني، بغداد، 1968م، ص 100.

وقد أولى السلاطين السلجوقية اهتماماً بالغاً برعاية مصالح الرعايا وتخفيف الأعباء عنهم، حيث أصدر السلطان طغرل بك مرسوماً بإعفاء سكان مدينة مرو وغيرها من مدن خراسان من دفع ضريبة الخراج لمدة عام كامل⁽¹⁾، كما استمر خلفاؤه من بعده مثل السلطان ألب أرسلان على نفس النهج، حيث قسّم دفع الخراج على مرتين في العام لتجنب استياء الفلاحين⁽²⁾.

2- الجزية:

ومن مصادر بيت المال الرئيسية للدولة السلجوقية الجزية، ولقد ذكرت الجزية في القرآن الكريم في قوله تعالى "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"⁽³⁾ وقد فرضت على اليهود والنصارى والمجوس فكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد جمع الجزية من البربر⁽⁴⁾، أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفرض الجزية على العرب، لأن الجزية أُقرت بعد عام تبوك، وكان معظم عباد الأصنام من العرب قد دخلوا في الإسلام قبل ذلك⁽⁵⁾.

2.1. تعريف الجزية:

ووفقاً لابن منظور فإن الجزية مشتقة من كلمة "الجزاء"، مثلما يُشتق "الحية" من "الحي"، وهي المال الذي يُدفع من قبل أهل الكتاب كتعويض عن حمايتهم وضمان استقرارهم تحت حكم الإسلام، وتُعتبر بديلاً عن القتال ومن هنا نستنتج أن الجزية لم تكن عقوبة لأهل الذمة، بل هي التزام مالي لضمان الأمن والحقوق المتبادلة بين الدولة الإسلامية وأهل الذمة، فالجزية إذا تعكس العلاقة بين الدولة وأهل الذمة، حيث يُعتبرون رعايا تحت نفس السلطة.

(1) - الحسيني، المصدر السابق، ص 45.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 588.

(3) - سورة التوبة، الآية 29.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 41.

(5) - ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تح: صبحي الصالح، ج 1، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983م، ص 9.

من جانبه عرّف الفيروز آبادي الجزية بأنها خراج الأرض والمبالغ التي تُجمع من الذّمين⁽¹⁾، ووفقاً للماوردي فهي مشتقة من "الجزاء"، ويُفرض على الكفار كعقوبة مقابل كفرهم، وفي الوقت ذاته كتعويض عن أمانتهم⁽²⁾، وأكّد ابن القيم أنّها تُدفع مقابل حماية الدّماء والأموال وضمان الحقوق، أما قدامة فقد اعتبرها ضريبة سنوية تُجمع من الكفار مقابل بقائهم في دار السّلام⁽³⁾.

ولقد سُميت الجزية بهذا الاسم لأنّها تُعفى من القتل، أي أنّها تمنع قتل من يدفعها وتحفظ دمه⁽⁴⁾، وعادة ما تُستخدم كلمة "جوالي" بدلاً من "جزية"، وهي تعني الجزية التي تدفعها جماعات من أهل الذمة الذين نزحوا من أوطانهم الأصلية، وأصبحت مرادفة لكلمة جزية⁽⁵⁾، ويُجمع مصطلح "جزية" على "جَزَى" ويُفهم كتعويض عن عدم القتال أو كبديل عن الجزاء⁽⁶⁾.

وتعرف الجزية اصطلاحاً بأنّها مبلغ مالي يُفرض على أهل الذمة الذين يعيشون تحت حماية الدولة الإسلامية كتعويض مقابل حماية أموالهم وأرواحهم⁽⁷⁾ تماماً كما يدفع المسلمون الزكاة، تُدفع هذه الأموال عن كل فرد منهم منهم تعويضاً عن إعفائهم من الخدمة العسكرية، وتعبيراً عن الحماية التي توفرها الدولة الإسلامية لهم⁽⁸⁾، وتُعتبر بديلاً عن المشاركة في القتال، ويكون لزاماً عليهم دفعها للدولة الإسلامية عندما تتوافر شروط وجوبها⁽⁹⁾.

(1) - الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج4، ص306.

(2) - الماوردي، المصدر السابق، ص142.

(3) - ابن قدامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تح: طه محمد الزيني، ج8، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، (د.ط)، 1969م، ص537.

(4) - قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1981م، ص204.

(5) - الخوارزمي، المصدر السابق، ص40.

(6) - ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص181.

(7) - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979م، ص122؛ إبراهيم فؤاد أحمد، الموارد المالية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، (د.ط)، 1969م، ص208.

(8) - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص22.

(9) - عناية غازي، المرجع السابق، ص250.

تُفرض الجزية على الذكور البالغين والعقلاء بينما يُعفى منها النساء والأطفال والمجانين⁽¹⁾، وكذا كبار السن والمساكين الذي يتلقون الصدقات والأشخاص المقعدون والعميان ورجال الدين أو الراهبون إذا لم يكونوا من أصحاب المال⁽²⁾.

2. 2. تحديدها:

تمّ تحديد أقل مقدار للجزية بدينار رغم وجود بعض الاختلافات في هذا الشأن، بينما يُفترض تحديد أكثرها بناءً على اجتهاد الفقهاء، ويشير ابن الجوزية إلى أنّ الجزية لا تزداد بزيادة ثروة الشخص الذي يُفرض عليه، بل تبقى ثابتة وفقاً لما تمّ تحديده⁽³⁾، وفي البداية لم يكن هناك تحديد ثابت للجزية حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يحددها بناءً على التراضي، فعلى سبيل المثال عندما صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران، اتفقوا على دفع جزية قدرها ألفا حلّة في شهر صفر، وألف حلّة في شهر رجب، وكان ثمن كل حلّة أوقية، والأوقية تعادل أربعين درهماً⁽⁴⁾، وفي العصر السلجوقي كانت قيمة الجزية في مدينة مرو تصل إلى دينار واحد وكان متوسط الدخل يدفع أربعة وعشرون درهماً⁽⁵⁾، وهو ما يعكس النظام المالي الذي تبناه السلاجقة في تحصيل الجزية، وكان هذا المبلغ يُفرض على أهل الذمة وفقاً للاتفاقات المعمول بها في تلك الفترة، بالرغم من اختلافات القيمة من مدينة إلى أخرى إلا أن السلاجقة حافظوا على فرض الجزية كوسيلة لتأمين الحماية والحقوق للطوائف الدينية. وكان الفقراء في العصر السلجوقي يدفعون ديناراً واحداً والمتوسطون دينارين والأثرياء أربعة دنانير عن كل عام⁽⁶⁾، هذا التصنيف يعكس التفاوت في القدرة المالية بين مختلف طبقات المجتمع، حيث كان يتمّ تحديد المبلغ وفقاً للقدرة الاقتصادية لكل فرد. وكانت هذه المبالغ تُجمع بشكل منتظم وتُستخدم في تمويل الدولة وتأمين الحماية لأهل الذمة مما يساهم في استقرار النظام المالي والإداري للدولة.

(1) - القدحات، المرجع السابق، ص 57

(2) - القرشي يحيى بن آدم، الخراج، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1987م، ص 69.

(3) - ابن الجوزية، المصدر السابق، ج 1، ص 101.

(4) - البلاذري، المصدر السابق، ص 70.

(5) - عصام عبد الرؤوف الفقي، الحواضر الإسلامية، ط 1، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، 1976م، ص 144.

(6) - الماوردي، المصدر السابق، ص 228.

2. 3. موعدها:

وقد تم تحديد شهر محرم من كل عام كموعداً لدفع الجزية في أول يوم منه، وكان محيي الدين أبو عبد الله بن فضالان⁽¹⁾ يجلس في ديوان الجوالي لاستيفاء الجزية من أهل الذمة، حيث كان يتوجب عليهم الحضور إلى الديوان لتسديد جزيتهم وتسجيلها.

ولقد اعتمد السلّاجقة على الجزية كمورد هام للدخل وخير دليل على ذلك دفع الروم الجزية بانتظام كجزء من الاتفاقات التي أبرمت مع السلّاجقة بعد انتصاراتهم العسكرية، ويتجلى ذلك بوضوح في اتفاق الصلح الذي أعقب معركة ملاذكرد⁽²⁾ حيث وقّع السلطان ألب أرسلان اتفاقاً مع الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع، نص على دفع البيزنطيين جزية قدرها 360 ألف دينار سنوياً مقابل الهدنة مع السلّاجقة⁽³⁾، وقد شكلت هذه الجزية مصدراً ثابتاً للدخل وأسهمت في تعزيز الاستقرار المالي والسياسي للسلّاجقة.

3- العشور وضريبة عروض التجارة:

شكلت العشور أحد الموارد المهمة التي ساهمت في دعم الاقتصاد وتنظيم حركة التجارة في الدولة السلجوقية. والعشور هي الضريبة المفروضة على أموال أهل الذمة التي تُعد للتجارة وتنقل من دار الحرب إلى دار الإسلام، والعكس بالعكس، يُحدد مقدار هذه الضريبة ويُعدل وفق مبادئ عادلة تراعي المعاملة بالمثل⁽⁴⁾. ويعود نظام العشور إلى عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي تلقى رسالة من الصحابي أبي موسى الأشعري⁽⁵⁾ تشير إلى أنّ بعض التجار المسلمين يذهبون إلى أراضي الحرب ويأخذون العشر من هناك، فردّ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعليماته قائلاً "خذ من التجار كما يأخذون من تجار المسلمين، ومن

(1) - أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان كان فقيهاً وعالمًا بارزاً، بدأ مسيرته بتدريس العلم مع والده في مدرسة فخر الدولة بن المطلب، ثم تقلد منصب التدريس في المدرسة النظامية، ثم عُيّن في منصب قاضي القضاة وأسندت إليه مهمة الإشراف على أوقاف المدارس والأربطة، وظل في هذه المسؤوليات حتى وفاة الخليفة الناصر، وعند تولي الخليفة الظاهر الحكم، تم عزله من منصبه ثم أُسندت إليه نظارة المارستان العضدي، وافته المنية عام 631 هـ، انظر: ابن الفوطي، المصدر السابق، ص 63-70.

(2) - ابن العربي، المصدر السابق، ص 109.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 263.

(4) - البيزنيكي توفيق، دراسات في النظم العربية الإسلامية، ط 2، المكتبة الوطنية، بغداد، 1979م، ص 160.

(5) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 1، ص 467.

أهل الذمة خذ نصف العشر، ومن المسلمين خذ من كل أربعين درهماً، وليس هناك ضريبة على ما دون المائتين، ولكن إذا تجاوزت المائتين، فاجمع منها خمسة دراهم، وما زاد فاحسبه وفقاً لمقداره"⁽¹⁾.

لم تكن ضريبة العشر تفرض على الذمي أو المسلم إذا انتقل بتجارته من بلد إلى آخر داخل دار الإسلام، أما التجارة الخارجية فكانت تخضع لعشر تُفرض على جميع البضائع والأموال المخصصة للبيع بما في ذلك المحاصيل الزراعية والحيوانات والملابس والأمتعة إضافةً إلى الذهب والفضة سواء أكانت نقداً أم معدناً، ويسمى هذا النوع من الضريبة عشور التجارة، وتهدف إلى تنظيم النشاط التجاري عند انتقال البضائع من منطقة إلى أخرى داخل الدولة الإسلامية⁽²⁾، وهناك نوع آخر يسمى عشور الزروع وهي التي تُفرض على الإنتاج الزراعي وتعتبر بمثابة زكاة الأرض، تُجمع هذه العشور من الأراضي العشرية عندما تُستثمر.

وتُستوفى ضريبة العشور من جميع التجار مسلمين أو غيرهم مرة واحدة في السنة بغض النظر عن عدد المرات التي يقومون فيها بالتجارة⁽³⁾، أما الشخص المسؤول عن جمعها يُطلق عليه اسم العشار أو العاشر⁽⁴⁾.

4- الغنائم:

تعتبر الغنائم من المصادر الاقتصادية الهامة في الدولة الإسلامية، حيث يتم تقسيمها وفقاً لقوانين الشريعة الإسلامية بما يضمن عدالة التوزيع، وقد نصت النصوص الشرعية على كيفية توزيع الغنائم بين المجاهدين، مع تخصيص جزء منها لبيت المال وللجيش.

الغنائم من غنم الشيء وتعني الحصول عليه أو الفوز به، ويُشتق اسمها من "الغنم" نقول "عَنِمْتُ الشيء" يعني أصبته كغنيمة أو مَعَنَم، والجمع هو "الغنائم"، وهي تدل على الزيادة والفائدة والنماء⁽⁵⁾. وتعرف على أنها الأموال أو الممتلكات التي يتم الاستيلاء عليها من الكفار عن طريق القوة والغلبة⁽¹⁾.

(1) - أبو يوسف، المرجع السابق، ص 135.

(2) - المصري رقيق يونس، الزكاة والضرائب على المسلمين وغير المسلمين، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، م 19، عدد 1، 2006م، ص 48.

(3) - ابن سلام، المصدر السابق، ص 144.

(4) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 10، ص 156.

(5) - المصدر نفسه، ج 12، ص 445.

ولقد عرّفها ابن قدامة بأنها الأموال التي تُؤخذ من الكفار بالقوة عن طريق القتال⁽²⁾، كما تعرف على أنها أموال الكفار التي حصل عليها المسلمون بالقوة والانتزاع.

ويرى الماوردي أن الغنائم تُخصّص للغنائم الذين شاركوا في المعركة، وبالتالي فإن توزيعها لا يتأثر برأي الإمام أو اجتهاده في منعها، فهي ليست من حقوق بيت المال⁽³⁾.

تقسم الغنائم إلى خمسة أقسام، حيث تُوزع أربعة منها بين المقاتلين من أهل الديوان، أما القسم الخامس والذي يُعرف بالخمسة فيوزع وفقاً لما جاء في الآية الكريمة قال تعالى "وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِيتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ"⁽⁴⁾.

ولقد استفاد السلاجقة من الغنائم بشكل كبير خلال قتالهم مع الغزنويين حيث بلغت قيمتها في البداية نحو خمسمائة ألف دينار⁽⁵⁾، ولاحقاً ارتفعت قيمة الغنائم بشكل ملحوظ بعد معركة نسا أو سرخس لتصل إلى حوالي عشرة ملايين دينار، شملت الأسلحة والألبسة والدواب والأقنعة وغيرها⁽⁶⁾، كما استولوا على كميات هائلة من الذهب والملابس والأسلحة والدواب بعد معركة داندنقان⁽⁷⁾، أما بعد معركة ملاذكرد فقد كانت الغنائم التي حصل عليها السلاجقة تزن بالأرطال من الذهب والفضة لكثرتها.

وفي عام 450هـ/1058م أرسل السلطان طغرل بك جيشاً بقيادة خمارتكين الطغراني إلى بغداد، حيث استولى على أموال البويهيين وأموال البساسيري مع أسرته⁽⁸⁾، وفي عام 477هـ/1084م استولى جيش السلطان ملكشاه

(1) - ابن مودود عبد الله بن محمود الموصل، الاختيار لتعليل المختار، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج4، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ص35.

(2) - ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص171.

(3) - الماوردي، المصدر السابق، ج1، ص429.

(4) - سورة الأنفال، الآية41

(5) - أبو قريحة نايف بن حمود محمد، النظم الحربية عند السلاجقة، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1419هـ، ص215.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص156.

(7) - البيهقي، المصدر السابق، ص695؛ أبو قريحة، المرجع السابق، ص215.

(8) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص ص 648-649.

على منطقة "حلل العرب" وغنموا أموالهم، كما استولى عام 478هـ/1085م على أموال بني مروان في ميفارقين.

ويمكن القول أن الغنائم كانت تمثل مصدرًا مهمًا لتمويل الجيوش وتوسيع دائرة تأثير الدولة السلجوقية كما كان لها دور كبير في دعم استقرار الاقتصاد في فترات الحروب.

5- المكوس:

مع تطور الحياة الاقتصادية وازدهارها تصاعدت الحاجة إلى الأموال مما أدى إلى فرض ضرائب منظّمة على الأسواق وأصحاب الصنائع والحرف، وأصبحت هذه الضرائب مصدرًا ماليًا هامًا لبيت المال⁽¹⁾، ومن هذه الضرائب المكوس.

5.1. تعريف المكوس:

يُشتق هذا المصطلح لغويًا من كلمة "مكس"، والتي تعني الجباية أو الاقتطاع، وأصل الكلمة يشير إلى الانتقاص من الشيء وأخذ مال لا حق فيه⁽²⁾.

ويشير المكس أيضًا إلى انتقاص الثمن في عملية البيع، ومن هنا جاءت تسمية "المكاس" لأنه يقوم بالانتقاص من الثمن⁽³⁾، ويعرّف بأنه "الدّهرم الذي كان يأخذه المصدّق بعد انتهائه من عمله".

وهي ضرائب تُفرض على التجارة بشكل عام، وتشمل تجارة أهل الذّمة والبضائع الواردة والصّادرة من المدن كالعراق ومرو وغيرها، كما تمتد هذه الضرائب لتشمل التجارة الخارجية في الأسواق، وتُفرض على عمليات البيع والشراء⁽⁴⁾ والمحلات التجارية كما تُفرض على التجار عند نقاط التفتيش أو المعابر⁽⁵⁾، بالإضافة إلى ذلك تفرض ضرائب على سك النقود والمكايل والأوزان والتي كانت تُعرف باسم "المستغلات"⁽⁶⁾.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 429.

(2) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص 111.

(3) - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 881.

(4) - سرور، المرجع السابق، ص 119.

(5) - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 40.

(6) - الفقي، المرجع السابق، ص 134.

أما اصطلاحاً فيستخدم مصطلح "المكوس" للإشارة إلى الضريبة والجباية والرسوم والعشور وكذا الخراج، ويعرفها ابن خلدون بأنها ضرائب تُفرض عادةً في أواخر عمر الدولة عندما تزيد نفقاتها ومتطلبات السلطان بشكل يفوق ما تحصله من الجباية، فتضطرب الأوضاع الاقتصادية وتندهور، نتيجة لذلك يلجأ السلطان إلى فرض المكوس في الأسواق، ويرى ابن خلدون أن فرض هذه الضرائب يُعد عاملاً هاماً في زعزعة استقرار الدولة وأحد عوامل انهيارها⁽¹⁾.

ولقد أوكلت مهمة الإشراف على هذه الموارد وجمع الضرائب والمكوس إلى ديوان الخراج⁽²⁾.

5. 2. الهدف من المكوس:

نظراً لحاجة السلالة إلى الأموال لتغطية نفقاتهم مثل رواتب الجند وغيرها لجأ السلاطين والأمراء السلجوقيون إلى فرض المكوس والمصادرات وأنواع أخرى من الضرائب⁽³⁾، وكانت تفرض بشكل خاص على عمليات البيع والشراء في الأسواق، كما تفرض على القوافل عند مداخل المدن للسماح لها بالمرور⁽⁴⁾، ولقد كانت هذه الضرائب تُفرض على جميع الأراضي الواقعة تحت السلطنة السلجوقية⁽⁵⁾.

أما في حالة استقرار الوضع المالي في الدولة السلجوقية فإن السلاطين يسعون إلى إعادة الأمور إلى نصابها بإلغاء المكوس والضرائب أو إلغائها بالكامل⁽⁶⁾، وفي الواقع فإن أول ما يتأثر بزيادة المكوس أو إلغائها هو الأسعار، فعندما تُلغى المكوس تفتح مجالات التجارة من خلال تشجيع التجار على زيادة نشاطهم⁽⁷⁾، مما يؤدي إلى زيادة

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 470.

(2) - سرور، المرجع السابق، ص 123.

(3) - حاتم فهد هنو الطائي، المكوس والمصادرات في العصر السلجوقي 447هـ-590هـ / 1055م-1192م، ج 4، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع 41، 2020م، ص 136.

(4) - ناصر خسرو، المصدر السابق، ص 37.

(5) - ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 118.

(6) - الطائي، المرجع السابق، ص 143.

(7) - الحنبلي، المصدر السابق، ج 3، ص 295.

السلع وتنوعها في الأسواق، نتيجة لذلك تنخفض الأسعار ويزداد الإقبال عليها، مما يعزّز حركة البيع والشراء كما يُقال: "ما من شيء كثر إلا رخص..."⁽¹⁾.

تفرض هذه الضرائب في أماكن محدّدة تُعرف باسم "الماسد" أو "المراسد"⁽²⁾، وكان جباة الضريبة يقيمون في هذه النقاط على طرق التجارة البرية والتهرية، والتي تُعرف اليوم بنقاط التفتيش⁽³⁾.

لقد كانت الضرائب تُفرض على جميع السّكان بدون استثناء، فأصحاب الأملاك الخاصّة كانوا يدفعون الضرائب مباشرة إلى الخزينة، والأفراد المقيمون في المدن كانوا يدفعون الضرائب للإدارة المدنية، أما ملتزموا الأوقاف ورجال الدّين فكانوا يسدّدون الضرائب إلى ممثلي المؤسسات الدّينية التي ينتمون إليها، في حين كان الإقطاعيون العسكريّون يدفعون حصصهم لقادّتهم، بالإضافة إلى ذلك كانت الضرائب تُفرض على قطعان الماشية والمحاصيل الزراعيّة وغير المتزوجين، ومع ذلك كانت المؤسسات الدّينية بمختلف أديانها وطوائفها معفاة من هذه الضرائب⁽⁴⁾.

ومن الضرائب التي اعتمد عليها السّلاجقة في الدّخل ضريبة التّركات حيث ووفقاً للشرعية الإسلامية كانت الدولة ترث من لا وارث له، فالأموال والعقارات التي يموت أصحابها دون وريث شرعي تُحول مباشرة إلى بيت المال تحت إشراف ديوان المواريث⁽⁵⁾، وقد طبق السّلاطان طغرلبيك هذه الضّريبة عند دخوله العراق، حيث أمر بإعادة توزيع التّركات في عام 455هـ/1063م، وبموجب هذا الأمر كانت أموال التّركات تُودع في خزينة الدّولة السلجوقية، وظلّت هذه السياسة معمولاً بها طوال فترة حكم السّلاطان ألب أرسلان⁽⁶⁾.

5. 3. جبايتها:

(1) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 9.

(2) - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 56.

(3) - أبو يوسف، المرجع السابق، ص 137.

(4) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 131.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 76.

(6) - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ط2، مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، قطر، 2013م، ص 420.

ولقد تميّزت الضرائب في فترة الحكم السلجوقي بعدم الاستقرار، حيث كانت جبايتها تعتمد على أهواء السلاطين السلاجقة، فلم تكن الضرائب محدّدة بدقة، بل كانت تُفرض حسب حاجة السلطان السلجوقي للأموال، واعتُبرت ثقيلة على حد سواء، هذا أثر سلبيًا على أرباح التجار والصناع مما أدّى إلى تقليص مكاسبهم⁽¹⁾، كما كان يتم تحصيل المكوس مرة واحدة في السنة ويُمنح التاجر إيصالاً يثبت دفع الضريبة، ويكون ساريًا لمدة معينة⁽²⁾.

5. 4. قيمتها:

لم تكن مقادير المكوس ثابتة على الناس بل كانت تتغير حسب الظروف الاقتصادية والتجارية، وفي هذا السياق أشار ابن الجوزي إلى أنّ الضرائب المفروضة على التجار سنة 515 هـ/1121 م كانت تُعادل ثلث أرباحهم من بيع بضائعهم، بالإضافة إلى فرض ضرائب على جميع السلع التي تُباع في الأسواق⁽³⁾، كما كانت قيمة الضرائب تُحسب بنسبة 20/1 على بضائع التجار المقيمين في البلاد الإسلامية، بشرط أن تتجاوز قيمة بضائعهم عشرين دينارًا أو مائتي درهم، أما بالنسبة للتجار القادمين من خارج الدولة الإسلامية⁽⁴⁾ فكانت تُفرض عليهم ضريبة بنسبة 10% من قيمة بضائعهم، كما كانت هناك ضريبة مخصصة لبيت المال السلجوقي بنسبة 1% تُفرض على دار سك النقود في العراق وفقًا لما قرره الفقهاء، وقد تم تطبيق هذه الضريبة خلال فترة حكم السلطان ألب أرسلان⁽⁵⁾.

عندما دخل السلطان السلجوقي طغرل بك بغداد في عام 447 هـ/1055 م لم يفرض المكوس فورًا، إلى أن دخلت سنة 456 هـ/1063 م فبدأ بفرض المكوس وضرائب أخرى لضمان تدفق الأموال إلى خزانة السلطان، وكانت هذه المكوس تُشكّل مصدرًا هامًا للإيرادات إذ شملت جميع الأراضي الخاضعة للسلطة السلجوقية⁽⁶⁾، ودفعتها

(1) - الديلمي محمد حسن سهيل، الإقطاع في الدولة العباسية 447 هـ/656 هـ، ط1، مكتبة المهتدين، العراق، 2010 م، ص218.

(2) - إبراهيم فؤاد، المرجع السابق، ص210.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج17، ص198.

(4) - عصام عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص133؛ إبراهيم فؤاد، المرجع السابق، ص210.

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص303.

(6) - عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، لبنان، (د.ط)، 1980 م، ص463.

الفئات المختلفة مثل التجار والباعة وأهل الصناعات، وحتى العامة عن ممتلكاتهم⁽¹⁾، كما كان لهذه الضرائب تأثير كبير على خزينة السلطان، واستمر العمل بها خلال حكم السلطان ألب أرسلان. وفي السنوات الأولى من حكم السلطان ملكشاه كانت الضرائب مرتفعة بما في ذلك المكوس، مما أثقل كاهل الناس إلا أنه في عام 479هـ/1086م قرّر تخفيف هذا العبء عن رعيته، فألغى المكوس في جميع أنحاء البلاد وشمل القرار إلغاء الضرائب المفروضة على البضائع في أسواق العراق وخراسان⁽²⁾، وقد قوبل هذا الإجراء بترحيب واسع وارتفعت الدّعاوات للسلطان بالخير⁽³⁾، غير أنّ هذا القرار رغم آثاره الإيجابية كانت له تبعات مالية سلبية على خزينة الدولة إذ أدى إلى خسائر كبيرة في الإيرادات، ووفقاً لما ذكره ابن الجوزي فقد قام أحد الجبابرة بمخاطبة السلطان قائلاً "يا سلطان العالم لقد خسرت خزائنك ستمائة ألف دينار وأكثر بسبب هذا القرار" فأجاب الملك: "المال مال الله، والعبيد عبيده، والبلاد بلاد الله، وما بقي في ذلك الأمر فإني سأكون على استعداد لقطع عنق من يتحدث عنه"⁽⁴⁾.

واستمر السلاطين السلاجقة في إلغاء المكوس فعند تعيين إبراهيم نبال تمّ إعفاء الناس من المكوس، وهو ما شكّل خطوة مهمّة في تخفيف العبء المالي على المواطنين، وفي عصر السلطان محمد بن ملكشاه غياث الدنيا والدين (499هـ-512هـ/1105م-1118م) شهدت البلاد التي كانت تحت حكمه تقلّبات متكرّرة في فرض المكوس، فأحياناً تُفرض وأحياناً تُلغى حسب الظروف، ففي سنة 501هـ/1107م فرض السلطان محمد بن ملكشاه المكوس والضرائب على المبيعات التجارية والعقارات، بالإضافة إلى ضريبة على الحيوانات مثل الأغنام والخيول والأحصنة، وقام بنشر لوائح بذلك في الأسواق⁽⁵⁾، إلاّ أنّه في نفس السنة وعند قدومه إلى بغداد قام بإلغاء المكوس ورفعها عن التجار والمسافرين في كافّة أنحاء بلاده ومنع فرض أي مقدار منها، كما يذكر ابن القلانسي أنه في سنة 501هـ/1107م عند وصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد إلى بغداد أصدر أوامره

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16؛ ص82، ابن العماد، المصدر السابق، ج9، ص17.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص313-357.

(3) - ابن القلانسي، المصدر السابق، ص118.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص311؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج16، ص132.

(5) - ابن القلانسي، المصدر السابق، ص259.

برفع المكوس وإلغائها على التجار والمسافرين في جميع أراضيه⁽¹⁾، وفي سنة 511هـ/1117م عمّ عدل السلطان محمد بن ملكشاه الأقاليم التي كانت تحت حكمه حيث أصدر مرسوماً يلزم نوابه بإلغاء المكوس والضرائب في جميع الأراضي وقد بقي هذا القرار ساري المفعول حتى وفاته.

وفي عهد السلطان محمود بن محمد عادت سياسة فرض الضرائب والمكوس إلى الظهور، حيث فرض أنواعاً متعدّدة من المكوس على سكان بغداد لتلبية نفقات جيشه، وفي عام 515هـ/1121م أعاد فرض ضريبة "البيعة" للسلطان الجديد، إلاّ أنّه في العام التّالي 516هـ/1122م قرّر إلغاء جميع الضرائب بما في ذلك مكوس البيع قبل مغادرته المدينة⁽²⁾.

كما كان للوزير نظام الملك إسهام بارز في تعزيز الاقتصاد عبر دعم الفلاحين وإلغاء المكوس المفروضة على البضائع، وقد أسفرت هذه السياسات عن تأثير إيجابي ملحوظ في المجتمع، حيث انعكس ذلك في تحسين الحالة المعيشية للناس، وانخفاض الأسعار وانتشار الرفاهية في البلاد⁽³⁾.

وعند وصول السلطان سنجر إلى الحكم حرص على ضمان امتلاء خزانة الدولة بالأموال التي تأتي من المكوس والضرائب الأخرى، كما ذكر الراوندي فقد كلّف سنجر موظفيه بجمع الضرائب من جميع مدن العراق والأقاليم الرئيسية، ممّا عزّز من نفوذه وسلطته في ذلك الوقت⁽⁴⁾، ومع ذلك قام بإلغاء تلك الضرائب عند انتقاله من بغداد إلى خراسان عام 516هـ/1122م، وعندما شفي ابن البكري الذي كان يشغل منصب "مستوفي" أو المسؤول عن تحصيل الضرائب والمكوس في عهد السلطان مسعود من مرضه عام 545هـ/1150م قام أيضاً بإلغاء المكوس.

5.5. المكاس:

كان الشّخص المكلف بجمع وتحصيل المبالغ المفروضة من الناس يُعرف بـ "المكاس"⁽⁵⁾، ويعمل وفقاً لأوامر السّلطة الحاكمة، وكان المكاس يؤدي دوراً إدارياً حساساً يتطلب الدّقة والالتزام لضمان عدم التلاعب أو التجاوز في

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 481-482.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج17، ص ص 192-204.

(3) - نظام الملك، المصدر السابق، ص38.

(4) - الراوندي، المصدر السابق، ص260.

(5) - ابن منظور، المصدر السابق، ص110.

تحصيل الأموال، يُلقب المكاس أيضًا بـ"مختص الحضرة"، وذلك نسبة إلى الحضرة السلطانية السلجوقية التي كانت تمنحه دعمًا كبيرًا من السلطان، لكن هذه المكانة لم تكن دائمًا في مصلحة الناس، إذ كان المكاس في كثير من الأحيان يُسيء استخدام سلطته، ويبالغ في مضايقة الناس أثناء جمع الضريبة⁽¹⁾، مما كان يسبب لهم الأذى ويجعلهم عرضة للاستغلال.

6- المصادرات:

ومن الموارد التي اعتمد عليها السلجوق في إدخال الأموال لخزينة الدولة المصادرات ويعود أصل الكلمة في اللغة إلى الفعل "صادر"، والذي يعني الاستيلاء أو أخذ شيء بالقوة. وتُعرّف على أنها عملية استيلاء الدولة على ممتلكات الأفراد أو الجهات الخاصة في أوقات الحاجة أو الأزمة، مثل استيلائها على أراضي الإقطاع أو مطالباتها بشيء بقوة وإلحاح⁽²⁾، هذه الإجراءات قد تُفرض عندما تكون الدولة في حاجة ماسة للأموال أو الموارد وبالتالي تقوم بسدّ العجز المالي سواء لدعم الحملات العسكرية أو لتغطية النفقات العامة، في بعض الأحيان قد تُستخدم المصادرات كعقوبة للأفراد أو الجماعات التي تُعتبر معارضة أو غير متعاونة مع السلطة.

عادةً ما يكون للمصادرات أساس قانوني أو تشريعي يسمح للسلطة التنفيذية بمصادرة الممتلكات لأغراض معينة، وفي العصر السلجوقي كانت المصادرات تُستخدم كوسيلة لتوفير الموارد المالية أو السيطرة على أراضي أو ممتلكات كانت ذات قيمة استراتيجية أو اقتصادية، لكنّها قد تؤدي أيضًا إلى توترات اجتماعية أو سياسية إذا لم تُتبع بإجراءات قانونية واضحة أو إذا كانت تُستخدم بشكل مفرط أو تعسفي.

ولقد كانت الأسواق أيضًا تخضع لتكاليف مالية تُدفع للسلطنة السلجوقية مقابل السماح لها بالعمل⁽³⁾.

وتأخذ المصادرات شكلين رئيسيين: الأول هو المصادرة للأراضي أو الممتلكات الخاصة، حيث تُستولى على الأصول المملوكة لأفراد أو أسر معينة، والثاني هو مصادرة الموارد المالية أو السلع التجارية، والتي يمكن أن تشمل الضرائب غير المدفوعة أو ممتلكات تمّ الاستيلاء عليها خلال عمليات تفتيش أو تحقيقات.

(1) - المسري، المرجع السابق، ص 148

(2) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 8، ص 210.

(3) - ابن العبري، المصدر السابق، ص ص 101-102.

ولقد كانت المصادر تُشكّل مصدرًا هامًا للإيرادات في مدينة مرو خلال العصر السلجوقي، حيث لم تُستخدم فقط كأداة للردع والعقاب، بل أيضا كوسيلة لتعزيز خزانة الدولة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به السلطان السلطان سنجر حيث صادر كل ممتلكات وزيره "مخير الملك" بعد أن بلغه عن تصرفاته السيئة، وقد استغل فخر الملك بن نظام الملك هذه الفرصة فنشر تلك التصرفات ليتمكن من تولي الوزارة مكانه. وفي بعض الأحيان اعتمدت الدولة السلجوقية على التجار باعتبارهم مصدرا ماليا يمكن الاعتماد عليه في وقت الأزمات، فكانت تلجأ إليهم للحصول على قروض لتغطية العجز المالي أو تمويل النفقات الطارئة⁽¹⁾.

المبحث الثاني: النفقات في الدولة السلجوقية:

(1) - الأصفهاني أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1935م، ج23، ص48.

نبحث السياسة المالية لسلاطين السلجقة العظام في تحقيق التوازن بين الموارد والتفقات خلال فترة طويلة، وذلك لضمان استدامة الاستقرار المالي والاقتصادي، ومع ذلك عانى هذا التوازن من الاضطراب في أواخر العصر السلجوقي نتيجة الحروب والتورات التي شهدتها بعض مدن الدولة، مما أثر على الاستقرار المالي⁽¹⁾.

وتألف النظام المالي للسلجقة من خزينتين رئيسيتين، الأولى هي الخزانة الرئيسية التي تُستخدم لتمويل العمليات العسكرية وتعتبر المصدر الأساسي للأموال الحكومية، أما الثانية فكانت خزانة النفقات اليومية التي تُخصص لتلبية احتياجات الحياة اليومية والأنشطة اليومية للسلطة⁽²⁾.

ولقد صرفت أموال الدولة السلجوقية في مجالات ودواوين مختلفة، والدواوين وفقاً للماوردي هو الهيئة المسؤولة عن ضبط شؤون السلطنة، وحفظ الحقوق المتعلقة بالأعمال والأموال، إلى جانب الإشراف على الجيوش والموظفين، كما يتولى تقدير الأرزاق وصرف الأعطيات للعساكر⁽³⁾ مما يضمن استقرار الدولة وتنظيم مواردها، وكان السلطان السلجوقي على رأس هذه الدواوين، يليه الوزير ثم رؤساء الدواوين، مما عزز هيكل السلطة وأحكم إدارة شؤون الدولة.

ازدادت أهمية الدواوين في العصر السلجوقي بسبب توسع الدولة وكثرة الولايات، مما استدعى تنظيمًا إداريًا أكثر كفاءة، وقد شهدت تلك الفترة تزايدًا في أعداد الموظفين وارتفاع مكانتهم ونفوذهم داخل الدولة، حتى أصبح العمل في الدواوين الحكومية وظيفة مرموقة يتنافس عليها الناس⁽⁴⁾.

ولقد أنفقت الأموال في العصر السلجوقي بعناية لتأمين استقرار الحكم وتعزيز قوة الجيش والإدارة، فقد وُجّهت موارد الدولة إلى تجهيز الجيوش ودفع رواتب القادة والجنود والموظفين، إلى جانب الإنفاق على المشاريع العمرانية كالمدارس والمساجد والخانات، كما خُصّص جزء كبير من الأموال للأعمال الخيرية مثل الأوقاف والمستشفيات، مما ساهم في ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولم تقتصر النفقات على الداخل بل شملت كذلك تأمين طرق التجارة مما جعل الاقتصاد السلجوقي أكثر تماسكًا، ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

(1) - الوزنة، المرجع السابق، ص 89.

(2) - محمد إدريس، المرجع السابق، ص 65؛ الدليمي، المرجع السابق، ص 86.

(3) - الماوردي، المصدر السابق، ص 259.

(4) - عبد النعيم حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، المرجع السابق، ص 169.

1- رواتب الموظفين:

كان الوزراء يتلقون تعويضات متنوعة تشمل الرواتب التقدية، حيث يتم تخصيص جزء من الصّرفيات لدفع رواتب الموظفين⁽¹⁾ في مختلف الدّواوين والوظائف، مع التّأكيد على أن تكون هذه الرواتب كافية ومجزية لضمان تحقيق رضاهم وكفاءتهم في العمل، كما يتم منحهم الإقطاعات التي توفر مصادر دخل بديلة عن الرّاتب المباشر، وكان راتب الوزير يعادل نحو عشرة بالمئة من الإيرادات التي تجنيها الدولة من الإقطاعات.

ومن أمثلة الإقطاعات التي منحت لهم الإقطاع الذي منحه السّلطان طغرلبيك للوزير ابن المسلمة بعد دخوله بغداد والذي يقدر بخمسة آلاف دينار وخمسين كراً⁽²⁾، كما في عام 463هـ / 1070م منح السّلطان ألب أرسلان الوزير أبو العلاء محمد بن الحسين نصف إقطاع الوزير فخر الدّولة بن جهير⁽³⁾، وفي عام 465هـ / 1072م منح السّلطان ملكشاه وزيره نظام الملك إقطاعاً بمدينة طوس وهي مسقط رأس الوزير، كما قام السّلطان محمد بن ملكشاه بتوسيع الإقطاع لوزيره سعد الملك أبي المحاسن (ت 500هـ / 1106م)⁽⁴⁾.

2- الهدايا:

في إطار تعزيز العلاقات مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله أرسل السّلطان طغرلبيك كميات كبيرة من الهدايا القيّمة، بما في ذلك خمسون ألف دينار، ومجموعة من الجواهر والأعلاق النفيسة والثّمينية⁽⁵⁾ بالإضافة إلى الأسلحة والخيول والمراكب والعطور والتّحف القيّمة والخيام الفاخرة، هذا بالإضافة إلى الثّياب الفاخرة، ممّا يبرز مدى كرمه واهتمامه بالخليفة، كما أرسل خمسة آلاف دينار إلى الحاشية وألفين ديناراً إلى رئيس الرّؤساء⁽⁶⁾.

3- الإنفاق على المرافق العامّة:

(1) - أبو يوسف، المرجع السابق، ص 187؛ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ص 121.

(2) - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 190.

(3) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص 42.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 437.

(5) - المصدر نفسه، ص 651.

(6) - جميل بيضون، المرجع السابق، ص 60.

كما شملت النفقات الإنفاق على المرافق العامة حيث خصّصت مبالغ ضخمة لتلبية احتياجاتها المتعددة⁽¹⁾ وخاصة في بناء قصور الأمراء، وعمارة الأسوار، وتشبيد الأبنية كالمساجد فلقد أعطى سلاطين السلاجقة اهتماماً بالغاً لبناء وصيانة المساجد، حيث تمّ تشييد العديد منها وتجديدها بانتظام، ففي عهد السلطان طغرل بك تمّ بناء عدد كبير من المساجد، وكان السلطان دائماً يعبر عن حرصه قائلاً "أشعر بالخل إذا شيدت منزلاً دون أن أبنى مسجداً"⁽²⁾، كذلك في عام 448 هـ - 1093 م أمر السلطان ملكشاه بتجديد جوامع بغداد، وعهد بهذه المهمة إلى منجمه⁽³⁾، كما شهدت المساجد توسعات ملحوظة مثل توسيع جامع القصر في سنة 483 هـ - 1090 م حيث جرى إدخال الماء إلى قنوات تحت الأرض، مما مكّن الناس من الاستفادة منها بشكل كبير، وفي عام 502 هـ - 1108 م بدأ السلطان محمد بن ملكشاه في عمارة جامع السلطان الذي أكمله بهروز الخادم⁽⁴⁾.

كما تمّ صرف الكثير من الأموال على تشييد القناطر والجسور والأسوار والحصون فلقد قام السلطان ملكشاه بإنشاء سور ضخّم حول مدينة مرو بلغ طوله 12300 مكعب (12,300 متر)⁽⁵⁾، مما عزز من دفاعاتها وأمنها بشكل ملحوظ.

إلى جانب تشييد الحصون والجسور خصّصت نفقات على الأسواق وتطويرها ولبناء القنوات وحفر الترع، ففي عصر السلطان ملكشاه شهدت البلاد توسعاً كبيراً في البنية التحتية حيث تمّ تجديد الطرق وشقّ القنوات بفعالية، فضلاً عن تطوير المنشآت التجارية وبنائها⁽⁶⁾.

4- نفقات الأوقاف:

لقد أسهم السلاجقة في تشييد وتطوير العديد من المراكز الطبية والمنشآت الاجتماعية⁽¹⁾، فأنفقت عليها الأموال الطائلة مما يعكس اهتمامهم الكبير برعاية المجتمع وتحسين جودة الحياة، بالإضافة إلى ذلك دعمت أموال الأوقاف

(1) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 327.

(2) - الحسيني، المصدر السابق، ص 65.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 213.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 17، ص 112.

(5) - لسترنج، المرجع السابق، ص 445.

(6) - الوزنة، المرجع السابق، ص 89.

بعض المؤسسات مثل الخانات والبيمارستانات التي قدمت خدمات مجانية من طعام وعلاج⁽²⁾، مما خفف من تأثير الأزمات على الناس⁽³⁾، وفي عهد السلطان ملكشاه اعتنى السلجوقية بشكل خاص بعمارة البيمارستانات فعملوا على بناء العديد منها، كما عمدوا إلى تأهيل وتجديد ما لحق بها من أضرار.

5- الإنفاق على العلم والمدارس:

خصّص السلاطين السلجوقية من خزينة الدولة الكثير من النفقات على العلم والعلماء فكان السلطان ألب أرسلان سخياً في دعمه للعلماء، حيث أنفق الكثير من أمواله لتعزيز العلم والأدب، كما قام الوزير نظام الملك بدعم العلماء مادياً ومعنوياً وكان ذلك بتخصيص موارد كبيرة لدعم التعليم فخصّص رواتب منتظمة لهم، وبهذا يُعدّ أول من وضع نظاماً جديداً في مجال التعليم، حيث خصّص الرواتب للطلاب ووَقَّر لهم مساكن ملائمة، كما اعتنى بتأمين مأوى للمدرسين ونفقاتهم⁽⁴⁾ لضمان استمرار العملية التعليمية بشكل فعال، كما قام بإنشاء المدارس الكبرى بما في ذلك النظاميات مثل نظامية بغداد ونظامية⁽⁵⁾ مرو، وخصّص منحا ونفقات ثابتة للمعلمين والطلاب بها، ممّا ساعد على تأمين استقرارهم وتفرغهم للعلم والتدريس فتّم بذلك تعزيز مكانة هذه المؤسسات التعليمية وتطوير العلم.

كما أصدر الوزير نظام الملك تعليماته بصرف عشرة بالمئة من أموال السلطان المخصّصة للوزير في إنشاء المدارس⁽⁶⁾.

وبهذا أصبحت المدارس في العهد السلجوقي وخاصة بعد عهد الوزير نظام الملك تتلقى الدعم الحكومي الكامل حيث خصّصت الدولة لها ميزانية لتلبية كافة احتياجاتها⁽¹⁾، بعد أن كانت المدارس في العصور السابقة تعتمد على التمويل الأهلي.

(1) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 118.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 91.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 4، ص 306.

(4) - الطوسي، المصدر السابق، ص 21.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص 59.

(6) - القزويني، المصدر السابق، ص 421.

6- الإنفاق على الجيش والجند: (الإقطاع العسكري)

شهدت الدولة السلجوقية نظام الإقطاع كأحد الركائز الأساسية لإدارتها، حيث اعتمدت على منح الأراضي لكبار القادة والعسكريين مقابل التزامهم بتوفير عدد محدد من الجند وإدارة شؤون المناطق الممنوحة لهم، ولقد ساهم هذا النظام في تعزيز الولاء للسلطنة، وضمان استقرار الولايات، وتأمين الموارد اللازمة للجيش، ومع مرور الزمن تطور الإقطاع ليصبح جزءاً من الهيكلة السياسية والعسكرية، مما عزز نفوذ القادة الإقطاعيين وأثر في توازن القوى داخل الدولة، وقد تجلّت أهمية استثمار الأراضي وعدم إهمالها في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه "من امتلك أرضاً ثم تركها دون إعمار لثلاث سنين، فقام غيره بإحيائها فقد أصبح أحق بها منه"⁽²⁾.

6.1. تعريف الإقطاع:

الإقطاع في مفهومه اللغوي يعني المنح والعطاء، حيث يُقال: "استقطع فلان الإمام قطيعة من عفو البلاد فأقطعه إياها"⁽³⁾، أي طلب قطعة من الأرض فمنحها له الحاكم، واقتطع طائفة من الشيء أي أخذها⁽⁴⁾. كما عرّف قدامة الإقطاع بأنه "نظام يقوم فيه الأئمة بمنح جزء من الأراضي لمن يرون استحقيقه، بحيث يُصبح للممنوح حق تملك الأرض واحتكارها، مع التزامه بدفع العشر كواجب مالي مقابل ذلك".

6.2. اعتماد السلاجقة على النظام الإقطاعي:

عندما وصل السلاجقة إلى خراسان في القرن الحادي عشر الميلادي تبوّأوا نظرة قبلية تجاه الأرض، فاعتبروها غنيمة تستحق السيطرة، مستندين إلى المفهوم الساساني الذي يعزّز الحكم الاستبدادي المدعوم بالقوة العسكرية⁽⁵⁾، ولقد جلب السلاجقة معهم تقاليدهم الحربية وأساليبهم القتالية من صراعاتهم السابقة مع شعوب آسيا مما عزّز نفوذهم وسلطتهم.

⁽¹⁾ - ديورانت ول وايرل، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، ج13، بيروت، (د.د.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص339.

⁽²⁾ - أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، تح: محمد حامد الفقهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000م، ص669.

⁽³⁾ - ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص ص 280-281؛ الحموي، المصدر السابق، ج4، ص376.

⁽⁴⁾ - المقرئ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ص180.

⁽⁵⁾ - الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، المرجع السابق، ص 3-6.

ومع استقرارهم تأثروا بالحضارة الفارسية وتقاليدها⁽¹⁾، واستمروا في تبني النظم الساسانية حتى بعد سيطرتهم على بغداد، وهو ما أكدته المستشرق بارتولد بقوله: "إنَّ النظم الساسانية تركت بصمتها في تاريخ السلاجقة إذ أخذوا منها أسس الحكم المركزي"⁽²⁾، وبعد استقرار السلاجقة في خراسان بدأت السلطة القبلية تنعكس بشكل واضح على الحياة العامة في العراق وخراسان، حيث أدت بداوتهم وفكرة الحكم المطلق إلى تأثير كبير على استقرار المجتمعات.

مع مرور الوقت وفي الفترة التي تلت انهيار حكم البويهيين، تولّى السلاجقة إعادة تنظيم أراضي الخلافة وفق أسلوب جديد يركز على نظام الإقطاع، وكان الوزير نظام الملك⁽³⁾ من أوائل من طبّقوا هذا النظام ورسخوا هذا النهج⁽⁴⁾، إذ تشير روايات تاريخية منها ما ذكره المقرئزي إلى أنَّ نظام الملك كان أول من استبدل الرواتب النقدية بتوزيع الأراضي الزراعية على قادة الجند⁽⁵⁾ محوّلًا بذلك الإقطاع إلى نظام اقتصادي⁽⁶⁾، وذلك خلال توليه الوزارة للسلطان ألب أرسلان ثم لابنه ملكشاه، ولم يقتصر دور نظام الملك على ترسيخ هذا النظام، بل امتد تأثيره إلى تطويره والإشراف على إدارته، إلى جانب إسهاماته في تعزيز الاقتصاد، إذ قام بمسح شامل للأراضي وإعادة توزيعها كإقطاعات وفقاً لجودة التربة وخصوبتها⁽⁷⁾، وبمرور الوقت أصبحت الإقطاعات عوضاً عن الرواتب المالية

(1) - الباشا، المرجع السابق، ص 131.

(2) - بارتولد، المرجع السابق، ص 105.

(3) - الحسن بن علي الطوسي المولود سنة 408هـ، من أسرة دهاقين في طوس، خدم في ديوان خراسان كان وزيراً للسلطانين ألب أرسلان وملكشاه وكانت مدة وزارته 30 سنة، وعُرف بلقب "تاج الحفرتين"، وترك بصمته في بناء المدارس النظامية ببغداد ومدن أخرى مثل نيسابور ومرو، من أشهر مؤلفاته "سياسة نامه"، توفي سنة 485هـ، انظر: السبكي، المصدر السابق، ص 135-145.

(4) - الحسيني، المصدر السابق، ص 142.

(5) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص 55.

(6) - المقرئزي، المصدر السابق، ج 1، ص 95.

(7) - الطوسي، المصدر السابق، ص 67.

التقليدية والمباشرة⁽¹⁾، وتحوّلت إلى وسيلة لتقسيم البلاد بين أمراء الأسرة السلجوقية، ممّا أدّى إلى نشوء الإقطاع العسكري، وهو النظام الذي تبنّاه الزنكيون والأيوبيون لاحقاً، ليلبغ ذروته في عصر المماليك. كان الجيش هو العمود الفقري للدولة السلجوقية وهو ما شدّد عليه نظام الملك باعتباره العنصر الأهم في الحفاظ على نفوذ الدولة⁽²⁾، في ظل هذا النظام الإقطاعي كانت الأراضي المستولى عليها تعتبر ملكاً للأسرة الحاكمة⁽³⁾، ممّا أدّى إلى تآكل مفهوم الملكية القانونية لصالح سيطرة السلطة القبلية، وقد رسّخت فكرة الرّعاية التي تبنّوها في نظامهم العسكري اعتقاداً بأنّ جميع الأراضي التي استولوا عليها بالقوة تُعدّ خاضعة لحكمهم، ممّا منحهم الحقّ في فرض سلطتهم حيثما استقرت قبائلهم والتي كانت موزّعة بين المراعي تحت قيادة زعيم يُشرف على فروع القبيلة⁽⁴⁾.

وقد هيمن النظام الإقطاعي على بنية الدولة وانتشر بشكل واسع فلقد أعطى الوزير نظام الملك إقطاعات من الأراضي للأفراد من الأسرة السلجوقية⁽⁵⁾ فكان لكلّ فرد من أفراد الأسرة المالكة مدن ومناطق يُمارس فيها سلطته الإقطاعية، وذلك مقابل دفع جزية سنوية للسلطان، وكان من مسؤولياتهم تجهيز الجيوش بالموارد والأسلحة أثناء الحروب، ومن الجدير بالذكر أنّ الغالبية العظمى من الإقطاعيين لم يكونوا من العرب⁽⁶⁾، بل كانوا من أصول تركية تركية أو فارسية، وهو ما ساهم في ترسيخ الطابع العسكري للدولة السلجوقية.

ولقد كانت الإقطاعات الشّخصية في الدولة السلجوقية توزّع على الأمراء الكبار والمقربين الذين نشعوا في البلاط السلجوقي لضمان ولائهم ودعمهم للسلطان، فيمنحون حقّ السيطرة على مناطق معينة، فقد أُقطع تكش شقيق السلطان ألب أرسلان ولاية بلخ، بينما مُنح الملك عثمان بن داود ولاية خراسان، وسُلّمت هراة لشقيقه بوري برس، وهمدان لأخيه أرسلان أرغون، كما تمّ إقطاع الزّها والموصل للأمير جركمش، وبهذا التوزيع كان على كل

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 175.

(2) - الطوسي، المصدر السابق، ص 67.

(3) - بيّري أندرسون، دولة الشرق الاستبدادية، تر: بديع عمر نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 1، بيروت، لبنان، (د.ت.ن)، ص 62.

(4) - حسين أمين، العراق في العصر السلجوقي، المرجع السابق، ص 208.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 19.

(6) - سيد علي أمير، المرجع السابق، ص 371.

مقطع تأكيد ولائه للسلطان عبر ضرب العملة باسمه، والخطبة له في المنابر، بالإضافة إلى المشاركة في الحملات العسكرية، كما كان عليهم الحفاظ على استتباب الأمن وجمع الضرائب في مناطقهم.

6. 3. أهداف الإقطاع السلجوقي:

في العصر السلجوقي شهد الجيش توسعاً ملحوظاً أدى إلى زيادة كبيرة في نفقات السلطة والجنود، مما جعل من الصعب على الدولة تغطية هذه التكاليف، وقد أشار البنداري إلى أن الظروف التي شهدتها البلاد كانت تحول دون تحصيل الأموال كما يجب⁽¹⁾، بقوله "أن الأموال لا تحصل من البلاد لاحتلالها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلائها، ففرقها على الأجناد إقطاعات وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعاً، فتوفرت دواعيهم على عمارتها"⁽²⁾، وبذلك اتخذت الحكومة من نظام الإقطاع العسكري حلاً فعالاً لمواجهة هذه التحديات وتقليل المخاطر المالية⁽³⁾، حيث تم منح القادة العسكريين والجنود وغيرهم من الموظفين أراضي إقطاعية كمصدر دخل ثابت⁽⁴⁾، عوضاً عن الرواتب النقدية أو جزء منها ويُعد بمثابة تعويض عن خدماتهم سواء كانت مدنية أو عسكرية⁽⁵⁾، مع بقاء ملكية الأرض وعائداتها في يد بيت المال⁽⁶⁾، ويعني هذا الأسلوب أن الجند مُنحوا "حق الانتفاع" من عائدات الأرض والاستفادة من الضرائب المفروضة عليها، دون امتلاكهم للأرض ذاتها، وبالتالي يعتبر شكلاً من الاستغلال لا التملك⁽⁷⁾، فالمالك الحقيقي هنا هو السلطان، وأكد الوزير نظام الملك على هذا المفهوم بقوله: "فعلينهم أن يعلموا يعلموا أن الملك والرعية ملك للسلطان"⁽⁸⁾، وقد تم تقدير هذه العائدات بما يعادل الرواتب المحددة في الديوان،

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص 55.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص 60.

(3) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج 2، ص 128؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص ص 396-397.

(4) - البنداري، المصدر السابق، ص 55.

(5) - محمد حلمي محمد، المرجع السابق، ص 181؛ عبد العزيز الدوري، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مقال منشور بمجلة الجمع العلمي العراقي، مج 20، 1970م، ص 20.

(6) - الماوردي، المصدر السابق، ص ص 301-302.

(7) - إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في القرون العصور الوسطى، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1968م، ص 22.

(8) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 60.

إضافةً إلى بعض الزيادات التي قدمتها الدولة لتحفيز المستفيدين وضمان التزامهم العسكري⁽¹⁾، بذلك أصبح الإقطاع العسكري أداةً فعالة لتأمين رواتب الجنود والأمراء والموظفين، وتقليل الضغوط المالية على الدولة، إذ كان كل إقطاع يُخصّص بمبلغ معين مقابل الخدمات المقدمة للسلطة⁽²⁾.

وقد أدرك نظام الملك بالتعاون مع السلطان ألب أرسلان أنّ التفقات الضخمة المخصصة لمرتبات موظفي الدولة كانت تثقل كاهل الإدارة المالية، خاصّة مع توسع حدود الدولة وصعوبة السيطرة عليها حيث شملت أراضي شاسعة⁽³⁾، من هنا سعى الاثنان إلى تحقيق أهداف اقتصادية وتعزيز الثروة الزراعية من خلال منح وتوزيع الإقطاعات⁽⁴⁾، فكان الهدف الرئيس منها هو استصلاح الأراضي غير المستغلة وإعمارها والحفاظ عليها⁽⁵⁾ بالإضافة إلى تحويل الأراضي التي كانت بور أو مهجورة نتيجة لسياسات البويهيين التي أهملت محاسبة القادة المقطعين⁽⁶⁾، الذين كانوا يُركّزون على زيادة إيراداتهم على حساب الأراضي وحقوق الفلاحين، وقد أشار البنداري إلى هذه الظروف قائلاً⁽⁷⁾ "قد بُدِّلَتْ أحكام الدّين في أواخر دولة الديلم، واندثرت الممالك بين الإقبال والإدبار مما أفقر البلاد واستولت الأيدي العادية عليها"، إلى أراضي زراعية أكثر إنتاجاً⁽⁸⁾، ومن خلال هذا النظام ارتبطت

(1) - الأزدي أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن الحسين، أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام مصطفى هزيمية محمد محافظة، ط1، دار الكندي، الأردن، 1999م، ص12.

(2) - أبو النصر محمد عبد العظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، المهرم، 2001م، ص382.

(3) - المقرئزي، المصدر السابق، ج1، ص183.

(4) - بارتولد، المرجع السابق، ص41.

(5) - نظام الملك، المصدر السابق، ص60 - 70.

(6) - محبوب، المرجع السابق، ص329.

(7) - البنداري، المصدر السابق، ص55.

(8) - السبكي، مصدر سابق، ج4، ص371.

حقوق المقطع بعائدات الأرض لا بملكيتها مما حَقَز على ازدهارها وتنميتها⁽¹⁾، وساهم في تعزيز الإنتاج الزراعي وضمان الاستدامة الاقتصادية.

كما كان يهدف إلى تخفيف الأعباء الإدارية على الدولة، حيث تُلقَى على عاتق رجال الإقطاع مسؤولية إدارة وتطوير قطاع الزراعة، بما في ذلك تنفيذ الإصلاحات الزراعية والتوسع في الإنتاج ضمن مناطق نفوذهم⁽²⁾، إضافة إلى ذلك الهدف من هذا الإقطاع هو زيادة إيرادات بيت المال من خلال فرض ضريبة الخراج على الإنتاج الزراعي، ممّا يساهم في دعم الاقتصاد الوطني، كما يلتزم المقطع بتوفير الأمن في مناطق نفوذه، وتسهيل وسائل النقل والمواصلات بين مختلف أقاليم الدولة، وفي حال عدم التزامهم بهذه الشروط، يمكن انتزاع الأراضي منهم⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك كان يهدف إلى تخفيف الأعباء المالية عن خزانة الدولة عبر جمع الإيرادات من الأقاليم التي توسعت تحت حكم السلاطين العظام ألب أرسلان وملكشاه⁽⁴⁾ فقد كان من واجب المقطع العسكري تخصيص جزء من إيرادات الأرض لصالح الخزينة، من خلال تحمل مسؤولية دفع رواتب الجنود والموظفين في مناطق نفوذهم وتوفير العتاد والمثونة للجنود، مما يُسهّل حركة القوات ويؤمن احتياجاتها، وإحباط النزعات الانفصالية عن السلطة المركزية.

وكان الغرض من الإقطاع العسكري هو تحقيق الاستقرار العسكري من خلال توطين قبائل الجيش وربطهم بالأرض لتأمين موارد ثابتة، كما سعى نظام الملك أيضًا إلى إنشاء قوات عسكرية منظمة تكون جاهزة للدفاع عن الدولة ومواجهة التهديدات الخارجية، بالإضافة إلى تحقيق الأمن الداخلي، كما يتعهد كل مقطع بتقديم عدد من القوات المدربة للحرب تحت قيادة السلطان⁽⁵⁾، كما يتم بالإقطاع تعزيز شعور المواطن والاندماج والولاء لدى الجنود الجنود تجاه الدولة والبيت السلجوقي وارتباطهم بالأرض⁽⁶⁾.

(1) - الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، المرجع السابق، ص 97؛ الزهراني محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1980م، ص 181.

(2) - أبو النصر، المرجع السابق، ص 382.

(3) - المرجع نفسه، ص 382.

(4) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 60-68.

(5) - المصدر نفسه، ص 26.

(6) - الزهراني، المرجع السابق، ص 181.

عند انتهاء المهام العسكرية للمستفيدين من الإقطاعات سواء بسبب الوفاة أو التّقدم في السّن، كان من المفترض أن تسترجعها الدولة⁽¹⁾ دون إمكانية توريثها لذويهم، ومع ذلك اختلف التطبيق العملي عن القواعد الرسمية حيث تمكّن الإقطاعيون من الاحتفاظ بسيطرتهم على الأراضي عبر وكلائهم، ممّا أدّى تدريجيّاً إلى تحول النظام من إقطاع مؤقت إلى إقطاع وراثي⁽²⁾ عزّز نفوذ الطبقة العسكرية وأثر على هيكله السّلطة في الدولة.

6. 4. قواعد حيازة الإقطاع السلجوقي:

كان الوزير السلجوقي الجهة الرئيسية المسؤولة عن نظام الإقطاع إذ أشرف على توزيعه ومراقبته لضمان كفاءة الإدارة، وقد فوّض السلطان ألب أرسلان وزيره نظام الملك بتنظيم الجيش، باعتبار أن نظام الإقطاع أحد أبرز نظم هذا الوزير⁽³⁾ فقام الأخير بتقسيم أراضي السّلاجقة إلى أربعة وعشرين إقليمًا إقطاعيًا، يتولى قيادة كلّ منها قائد عسكري مسؤول عن إدارة الإقطاع وتجهيز الجنود بالأسلحة والمؤن⁽⁴⁾، وبلغت ثقة السلطان ملكشاه بوزير نظام الملك حدّ تفويضه المطلق في إدارة شؤون الدولة قائلاً: "قد رددت الأمور كلّها كبيرها وصغيرها إليك"⁽⁵⁾، وبناءً على ذلك كان نظام الملك يُوزّع الإقطاعات ويُشرف على عائداها لضمان حسن إدارتها، فخلال فترة حكم السلطان ملكشاه وصل عدد الجنود المسجلين في ديوان الجيش إلى حوالي ستة وأربعين ألف فارس، تم تخصيص إقطاعات لهم في مختلف أنحاء السّلطنة السلجوقية.

سعى الوزير أيضًا إلى زيادة إيرادات الإقطاعات إذ كانت مرتبطة بشكل مباشر براتبه، الذي شهد تقلبات مستمرة صعودًا وهبوطًا وفقًا للعائدات التي تُحقّقها الدولة منها⁽⁶⁾، وقد تطور نظام الإقطاع فيما بعد بشكل ملحوظ حيث حيث طبّق الوزير نظام الملك نموذجًا إقطاعيًا يتماشى مع أهدافه الاستراتيجية، حيث وزّع أراضي الجندي الواحد

(1) - كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، تر: بدر الدين القاسم، ط1، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1972م، ص247.

(2) - مرزبان سعيد عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د.ط)، 1987م، ص102-104.

(3) - الطوسي، المصدر السابق، ص26.

(4) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص69؛ كلود كاهن، المرجع السابق، ص246.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص115.

(6) - حلمي، المرجع السابق، ص201.

على مناطق متفرقة بدلاً من تركيزه في مكان واحد ، ممّا حال دون تركّز التّفوذ في يد فئة معينة⁽¹⁾ هذا التوزيع المدروس كان يهدف إلى تجنب تكوين قوة قد تُشكّل تهديداً لسيادة الدولة واستقرارها، وقد ساهم هذا النظام في توسيع نفوذ الدولة، ممّا استدعى تنظيم توزيع الأراضي والقرى بما يتناسب مع حجم الإقطاع⁽²⁾، ولتفادي مخاطر هيمنة وسيطرة أصحاب الإقطاعات على السلطة حرص نظام الملك على الحدّ من نفوذهم عبر إجراء تغييرات دورية⁽³⁾، حيث شدّد على ضرورة استبدال المستقطعين كلّ سنتين أو ثلاث، مؤكّداً أنّ هذا الإجراء يضمن عدم تثبيت أقدامهم أو استغلال سلطتهم، كما يُحفّزهم على معاملة السّكان بعدل، ممّا يُسهم في ازدهار الولاية واستقرارها وبقائها عامرة⁽⁴⁾.

6. 5. خصائص الإقطاع السلجوقي:

اتّسم الإقطاع السلجوقي بكونه "إقطاع استغلال"⁽⁵⁾ حيث اعتمد على عائدات الأرض كمصدر دخل ثابت للجنود، ممّا عزّز مواردهم⁽⁶⁾، كما خضع لإشراف مباشر من السلطان، إذ تمّ منحه عبر منشور رسمي يحمل توقيعه، لضمان السيطرة المركزية على توزيع الأراضي وإدارتها، وكان من الممكن انتزاع الإقطاع في حال إساءة استخدامه أو الإخلال بشروطه، ليُعاد تخصيصه لشخص آخر، وتميز أيضاً بالتنظيم والدقة حيث وُزعت الإقطاعات بشكل مدروس لتجنب سوء الاستغلال، ممّا ساهم في تحقيق توازن وفعالية في إدارة الأراضي.

6. 6. التوزيع الإقطاعي في العراق:

(1) - طرخان، المرجع السابق، ص ص 24-25.

(2) - المقرئزي، المصدر السابق، ج 1، ص 95.

(3) - طرخان، المرجع السابق، ص 25.

(4) - الطوسي، المصدر السابق، ص 20.

(5) - الماوردي، المصدر السابق، ص 195.

(6) - البنداري، المصدر السابق، ص 55.

من بين الإقطاعات التي منحها سلاطين السلاجقة إقطاع السلطان طغرل بك مدينة البصرة إلى هزارسب بن ينكير بن عياض الكردي⁽¹⁾ بمبلغ سنوي مقداره ثلاثمائة ألف دينار، وفي عام 449هـ/1057م منح طغرل بك حاكم الموصل قريش بن بدران منطقة نهر الملك، وهي منطقة واسعة تضم 360 قرية تقع غرب بغداد⁽²⁾. كما خصّص ألب أرسلان جزءاً من الإقطاعات لأمرائه وأبنائه⁽³⁾، حيث منح مدينة واسط والبصرة إقطاعاً سنوياً بقيمة عشرة آلاف دينار⁽⁴⁾، وفي عام 456هـ/1068م منح البصرة للأمير أبي علي بن أبي كاليجار بعد تدهور علاقته مع هزارسب، المقطع السابق للمدينة الذي طُلب منه دفع مليون دينار⁽⁵⁾، كما منح في عام 458هـ/1065م شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران، حاكم الموصل مناطق الأنبار وهيت والبوزيج⁽⁶⁾ تقديراً لتقديره لخدماته وإدارته لشؤون الموصل.

في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان شهد نظام الإقطاع توسعاً ملحوظاً، حيث خصّص إقطاعات للجند في جميع المواقع التي ينزلون بها حرصاً منه على عدم الإضرار بالفلاحين وإرهاقهم، ولقد بلغ عدد الفرسان الذين رافقوا السلطان ملكشاه في سجلات الديوان حوالي 46 ألف فارس، وقد وزّعت إقطاعاتهم على مختلف أقاليم المملكة⁽⁷⁾ لدعم استقرارهم وضمان جاهزيتهم العسكرية وعندما استقروا في تلك المناطق، كانت نفقاتهم وعلوفة دوابهم متاحة لهم⁽⁸⁾، كما خصّصت أراضٍ للأمرء تُستخدم عائداً لتغطية نفقات الجيش⁽⁹⁾، ولقد بلغ عدد

(1) - هو تاج الملوك هزارسب (ت 463هـ) كان متزوج من أخت السلطان لذلك علت أموره، انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 168-169.

(2) - المصدر نفسه، ج 9، ص 19.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 20.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 260.

(5) - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 120-130.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 377.

(7) - اليزدي، المصدر السابق، ص 60-61؛ الراوندي، المصدر السابق، ص 205.

(8) - الطوسي، المصدر السابق، ص 124.

(9) - البنداري، المصدر السابق، ص 55-76.

الأمراء المقطعين في العراق إلى أربعين أميراً إقطاعياً وكان من بينهم عدد قليل ينتمي إلى أصول عربية⁽¹⁾، ففي عام 469هـ/1076م منح ملكشاه محمد بن مسلم بن قريش العقيلي⁽²⁾ مناطق الموصل وحران والرحبة وما يتبعها من أعمال، ثم في عام 479هـ/1086م منحه مناطق الرحبة وسروج والرقّة وحران⁽³⁾، ممّا عزّز نفوذه في المنطقة، وبعد ذلك بثلاث سنوات في 482هـ/1089م وهب ملكشاه مدينة بلد لصفية، زوجة مسلم بن قريش⁽⁴⁾ في إطار سياسته لتوطيد العلاقات مع القادة والأمراء.

وفي عام 497هـ/1103م منح بركياروق بن ملكشاه مدينة واسط للأمير صدقة بن مزيد في عام 488هـ/1056م، طلب السلطان بركياروق من الأمير صدقة بن مزيد تسديد مبلغ المقاطعة البالغ مليون دينار، لكنّه رفض الامتثال⁽⁵⁾، ورغم ذلك في عام 497هـ/1103م منحه السلطان مدينة واسط ممّا يعكس تحولات العلاقة بين الطرفين وتغير الموازين السياسية آنذاك⁽⁶⁾.

في عام 498هـ/1105م منح السلطان محمد مدينة واسط للأمير صدقة بن دبّيس⁽⁷⁾ الذي قدّم ضماناً للمدينة لصالح صاحب البطيحة مهذب الدولة بن أبي الخير بمبلغ قدره خمسين ألف دينار، وفي نفس العام قام السلطان محمد بتخصيص مدينة الكوفة للأمير مجاهد الدين قايمار، كما تولّى الأمير صدقة إمارة الحلة بعد أن عينه السلطان ملكشاه وكرّمه بالخلع السلطانية.

6. 7. التوزيع الإقطاعي في خراسان:

(1) - علي سيد أمير، المرجع السابق، ص ص 374-375.

(2) - ابن الوردي زيد الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ج2، ط2، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م، ص5.

(3) - سُرُوج: هي بلدة تقع بالقرب من مدينة حران من ديار مضر، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص43.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص488.

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص124.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص72.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص134.

كذلك منح السلطان ألب أرسلان إقطاعات في خراسان لتعزيز نفوذ أسرته مثلما فعل في العراق حيث وهب مدينة بلخ لأخيه سليمان بن داود⁽¹⁾، وأسند حكم مرو لابنه أرسلان شاه مما ساهم في ترسيخ السيطرة السلجوقية على تلك المناطق الاستراتيجية.

كما منح السلطان ملكشاه لوزيره نظام الملك مدينة طوس ولقبه بـ"أتابك" وهو مصطلح يعني الأمير أو الوالد أو مربّي الأمير⁽²⁾، بوزلك تقديرًا لدوره البارز في إدارة شؤون الدولة وانتصاره على عمه الذي تمرد عليه في كرمان في معركة حاسمة.

توسعت الإدارة العسكرية السلجوقية في تنظيم شؤون الجيش من خلال إنشاء "ديوان العرض"⁽³⁾، وهو ديوان خاص يشرف عليه موظف يُدعى "العارض"⁽⁴⁾، وقد تولّى العارض عدّة مسؤوليات، من بينها إدارة نفقات الجند وتوزيع أرزاقهم، بالإضافة إلى تسجيل رواتبهم في السجل الخاص بالديوان⁽⁵⁾، وفي هذا الإطار تمّ لأول مرة تصنيف تصنيف الجنود بناءً على لياقتهم البدنية وكفاءتهم العسكرية، كما أصبح نظام الإقطاعات العسكرية خاضعًا لإشراف مباشر من "ديوان الجيش"، الذي تولّى تحديد قيمة كل إقطاع وخصائصه بدقّة، وكان الديوان مسؤولًا أيضًا عن إعادة توزيع الإقطاعات الشاغرة لضمان استمرارية النظام ودعمه لاحتياجات الجيش بفعالية.

6. 8. نتائج الإقطاع في الدولة السلجوقية:

نتائج إيجابية:

كان لنظام الإقطاع تأثيرات إيجابية عديدة على الاقتصاد، من أبرزها زيادة الإيرادات حيث شهدت إيرادات الدولة ازدهارًا ملحوظًا خلال فترة حكم السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك 455هـ - 485هـ، حيث ساهم هذا النظام بشكل فعال في تعزيز قوة الدولة المالية، فقد ساعد في تحقيق التوازن الاقتصادي من خلال تنظيم عمليات

(1) - أبو النصر، السلاجقة المرجع السابق، ص 385.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 29-30؛ جميل بيضون، المرجع السابق، ص 63-64.

(3) - البنداري، المصدر السابق، ص 129-197.

(4) - المصدر نفسه، ص 64-169-178.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 204-205.

تحصيل الأموال وضمان تدفقها المستمر إلى خزينة الدولة⁽¹⁾، مما عزّز استقرارها المالي ومكّنها من تمويل المشاريع العسكرية والإدارية بكفاءة.

نتائج سلبية:

شهد نظام الإقطاع العسكري في عهد السلّاجقة تحولاً كبيراً حيث أصبح أحد العناصر الأساسية في النشاط الزراعي، ممّا مكّن الجنود من السيطرة على الأراضي واستغلالها، غير أنّ هذا التّغيير انعكس سلباً على الفلاحين والمزارعين الذين كانوا يعملون في تلك الأراضي، حيث أدّى إلى تدهور أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. ساهمت سياسة السلّاجقة في منح الجند إقطاعات واسعة في استيلائهم على هذه الأراضي ومعاملتهم لأصحابها كأتباع، فامتنعوا عن دفع الأموال لخرينة الدولة، ممّا تسبّب في إفلاسها، ومع تراجع الإيرادات فرضت الدولة ضرائب باهظة على الفلاحين⁽²⁾ والعامة ما أدّى إلى ارتفاع دائم في الأسعار وتفاقم معاناة الشعب، وانتشرت موجة من التّدمر والاستياء بين الفلاحين.

كما تسبّب الإقطاع العسكري في خراب الأراضي الزراعية وإهمال نظام الري⁽³⁾، إذ لم يكن المقطعون يهتمون سوى بمصالحهم الخاصة، فاستغلوا الأراضي دون مراعاة استدامتها أو تطويرها، ومع تزايد الصّراعات بين السلاطين بعد وفاة ملكشاه ونظام الملك تزايدت الفوضى، ما أدّى إلى تفاقم الأوضاع الزراعية والاقتصادية، وفرض المزيد من القيود على حركة الفلاحين لمنعهم من الهروب، وأمام هذه الضّغوط اضطر الكثير من المزارعين إلى التّخلي عن أراضيهم وهجرها أو منحها بالضّمان لأحد المتنفذين فأصبحت لا قيمة لها⁽⁴⁾، ممّا أدّى إلى انهيار القطاع الزراعي وأثر سلباً على استقرار الدولة بأكملها.

حقّق نظام الإقطاع نجاحاً ملحوظاً بفضل قوة السلاطين وحرصهم على مراقبة الأمور بشكل دائم، فقد أدت سلطة الحكام ودورهم الرقابي دوراً أساسياً في ضبط الإقطاعات وضمان التزام المقطعين بواجباتهم، مما حال دون

(1) - مازن صباح عبد الأمير الأعرجي، الإقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق في العصر السلجوقي (447هـ-590هـ/ 1055م - 1169م) العراق وأوضاعه الاقتصادية، الإقطاع السلجوقي، جامعة المستنصرية، كلية التربية، العراق، 2013م، ص ص 11-12.

(2) - الدليمي، المرجع السابق، ص 230.

(3) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 213.

(4) - الدليمي، المرجع السابق، ص 234.

تركز النفوذ في يد فئة معينة، وحافظ على استمرارية النظام وفعاليته في دعم الدولة عسكريًا واقتصاديًا رغم ما ترتب عنه من سلبيات.

7- نفقات خاصة:

إضافة إلى النفقات التي يتحملها السلاطين في المدينة من أجل الاحتفالات والأعياد والمراسم والمواكب، تشمل هذه النفقات أيضاً تنظيم مناسبات أخرى متنوعة⁽¹⁾.

حيث تميز سلاطين السلجقة بسبقهم في فعل الخير وحبهم للعتاء والتصدق سعيًا لنيل الأجر والثواب، فقد خصّصوا أموالهم للإنفاق في سبيل الله، ومن أبرزهم السلطان طغرل بك الذي اشتهر بسخائه وكثرة صدقاته إلى جانب عبادته وتقواه⁽²⁾، وفي عام 465هـ/1073م قام السلطان ملكشاه بإنفاق مبالغ طائلة على الفقراء في خراسان⁽³⁾، كما عُرف بعبادته في التصدق على الفقراء والدراويش أثناء رحلات الصيد إذ كان يمنحهم دينارًا من الذهب الأحمر⁽⁴⁾.

8- الدواوين:

شكّلت الدواوين في العصر السلجوقي حجر الأساس في إدارة شؤون الدولة، حيث نظّمت الجوانب المالية والإدارية والعسكرية بكفاءة عالية، كانت هذه المؤسسات مركزًا لصنع القرار وضبط الموارد ومن أهم هذه الدواوين:

8.1. ديوان بيت المال:

ويسمى أيضا الديوان السّامي وهو الهيئة المسؤولة عن تسجيل وإدارة جميع الأموال السلطانية مثل القِيء والغنائم والأخماس والمكوس، مهمته الإشراف على تدفق الأموال إلى بيت المال ومراقبة النفقات التي تخرج منه، كما يحلّ المسئول في هذا الديوان ختمًا أو علامة مميزة على الصّكوك والوثائق، ويخضع لرقابة الوزير ونوابه لضمان الشفافية والإدارة السليمة⁽⁵⁾.

(1) - د. طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج 17، 1963م، ص ص

13-14.

(2) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص 26.

(3) - الحسيني، المصدر السابق، ص 58.

(4) - اليزدي، المصدر السابق، ص 65.

(5) - عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ط)، 2008م، ص 178.

8. 2. الديوان السلطاني:

يُدير شؤون الديوان السلطاني الوزير أو الصدر أو السيد الأكبر، حيث يتلقى هذا الديوان الأوامر المباشرة من السلطان والتي تُعطى شفهيًا للوزير.

ديوان الإشراف: يتولى إدارته المشرف، ويُعنى بضبط الحسابات المتعلقة بالمعاملات وأبوابها المفصلة، مع تدقيق الإيرادات والمصروفات وإعداد موازنة دقيقة بينهما. يُعدّ هذا الديوان مكملًا لديوان الاستيفاء⁽¹⁾.

8. 3. ديوان التفقات:

كان هذا الديوان مسئولًا عن متابعة حسابات الدواوين الأخرى، حيث يتلقى تقاريرها المالية ويطلبها بالمبالغ المستحقة، وكان القائم على هذا الديوان يجب أن يكون متمكنًا من الحساب والمكايل والأسعار والضرائب، فضلاً عن معرفة شاملة بأنواع الملابس والمطاعم والرسوم السلطانية⁽²⁾.

8. 4. ديوان الأوقاف:

يُعنى بالإشراف على الأموال الموقوفة التي خصّصها أصحابها لدعم المنافع العامة المستدامة، مثل تشييد المدارس والمستشفيات أو تقديم العون للفقراء، ويتولى الوزير مسؤولية تعيين المشرفين على إدارة هذه الأوقاف⁽³⁾.

8. 5. ديوان المصادرات:

كان هذا الديوان مسئولًا عن تسجيل جميع الأموال والممتلكات التي تمت مصادرتها من الوزراء والقادة والأعيان بناءً على قرارات الدولة، كما كان يتولى إدارة هذه الأموال والأبنية التي صودرت لأسباب متنوعة، بما في ذلك الأزمات المالية التي قد تواجهها الدولة⁽⁴⁾.

في فترات الاستقرار السياسي اتخذت الدولة بعض الإجراءات للتخفيف عن الناس خلال الأزمات، ومن أبرزها تسعير المواد الأساسية كالطعام في أوقات الغلاء⁽⁵⁾، وإلغاء الضرائب في بعض الأحيان لجذب التجارة إلى

(1) - الطوسي، المصدر السابق، ص 57.

(2) - الدوري، المرجع السابق، ص 179.

(3) - النرخشي، المصدر السابق، ص 24.

(4) - إبراهيم علي القلا، نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، (د.م.ن)، (د.ط)، 2007م، ص 107.

(5) - محمد مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ - 590هـ، العهدان البويهى والسلجوقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1980م، ص 167.

الأسواق⁽¹⁾، وزيادة التّصدق على الفقراء ومساعدتهم في أوقات الحاجة⁽²⁾، مما ساهم في منع الأزمات والحفاظ على الأمن والاستقرار.

⁽¹⁾ - المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص205؛ المقدسي، المصدر السابق، ص174-214.

⁽²⁾ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج4، ص167.

المبحث الثالث: النقود في العصر السلجوقي:

في العصور الإسلامية تجاوزت النقود وظيفتها الاقتصادية لتصبح رمزاً للسلطة وأداة توثيق لحالة الدولة سياسياً واجتماعياً⁽¹⁾، وفي العصر السلجوقي جسدت العملات توجهات السلاطين فعكست نفوذهم واستقلالهم، كما حملت النقوش دلالات اجتماعية من خلال الأسماء المحفورة عليها، وكشفت المعادن المستخدمة عن الأوضاع الاقتصادية، بينما أظهرت التصميم ملامح الفن السائد، مما جعلها وثيقة تاريخية نابضة تعكس تطور الدولة وتحولاتها عبر الزمن.

رغم أن لفظ "النقود" لم يرد صراحة في القرآن الكريم، إلا أنه تم استعمال لفظي الذهب والفضة للدلالة عليها في عدة آيات، منها قوله تعالى "رُئِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ"⁽²⁾، كما تم ذكر الدينار في قوله تعالى "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ"⁽³⁾.

أما الدرهم فقد ذكر في قوله تعالى "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"⁽⁴⁾، ونظراً لشيوع استعمال الدينار والدرهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁾ فقد ذكرت في العديد من الأحاديث النبوية وخاصة الفعلية، وكمثال عن ذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بتزويج ابنته فاطمة بمهر قدره أربعمئة وثمانين درهماً وستة دنانير، كما اشترى الرسول صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملاً بأوقية⁽⁶⁾، وذكر بعض الروايات أنه اشتراه بأربعة دنانير⁽⁷⁾.

(1) - ميرفت رضا أحمد حسنين، الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م.ن)، (د.ط)، 2014م، ص 471

(2) - سورة آل عمران، الآية 14.

(3) - سورة آل عمران، الآية 75.

(4) - سورة يوسف، الآية 20.

(5) - فؤاد عبد الله العمر، المرجع السابق، ص 257

(6) - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر المسمى بصحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شري الدواب والحمير، رقم: 2097، ص 1019.

(7) - المصدر نفسه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئاً ولم يبين كم يعطي، رقم: 2309، ص 1102.

1- اعتماد السلاجقة على النقدين:

ولقد استخدم المسلمون هذين النّقدين منذ العصور المبكرة، كما يتجلى في كتاب الله واستمراراً لما كان عليه العرب المسلمون استخدم السّلاجقة نفس النظام النقدي، حيث كانت الوحدة النقدية المعتمدة في العراق وخراسان هي الدينار الذهبي والدرهم الفضي⁽¹⁾، يخبرنا ابن جبير خلال زيارته لأسواق بغداد أنهم كانوا يتعاملون بالذهب في صفقاتهم التجارية⁽²⁾.

وفي العصر السلجوقي كانت العملة المتداولة في خراسان والعراق تشمل الدنانير والدرهم ممّا يشير إلى نظام تبادل مزدوج إلا أنّ الدينار كان الأكثر شيوعاً خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين في خراسان، حيث كان يُستخدم على نطاق واسع في المعاملات المالية، وخاصة الدينار الفضي الذي كان في العراق وخراسان هو العملة الرئيسية رغم أن العملة الذهبية بدأت في الانتشار، بينما استمر أهل بخارى في استخدام الدينار الفضي⁽³⁾، ولقد أشار المقدسي في وصفه لمدينة بنجهير⁽⁴⁾ في إقليم خراسان إلى أنها تُعرف بـ "جبل الفضة"، حيث كانت الدراهم هناك منتشرة بشكل واسع⁽⁵⁾.

2- سك السلاجقة للنقود:

ولقد كانت للسلاجقة إسهامات كبيرة بشأن عملية السك أو السكة⁽⁶⁾، فقد بدأت النقود السلجوقية بالضرب لأول مرة في عام 432هـ (1040م) بعد انهيار الدولة الغزنوية وصعود الدولة السلجوقية بقيادة السلطان

(1) - إدريس، المرجع السابق، ص 223.

(2) - زيدان جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 561.

(3) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 3، ص 513.

(4) - ويؤكد ذلك ياقوت الحموي بقوله "إن بنجهير مدينة بناوحي بلخ فيها جبل الفضة والدراهم بها واسعة كثيرة والفضة في أعلى أعلى جبل مشرق على البلدة، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 498-499.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص 236.

(6) - "السكة" هي عملية ضرب النقود وختم الدنانير والدراهم بطوابع وقوالب لتشكيل العملة تحمل نقوشاً أو كلمات تظهر واضحة ومستقيمة عند ضربها، وأوضح أن معيار النقد يعتمد على نقاء المعدن ودقة الوزن، حيث يُتبع الوزن إن كان مضبوطاً، وإلا فيُعتمد العدد، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 261.

طغرل بك، الذي أمر بقراءة الخطبة باسمه وضرب النقود باسمه أيضاً⁽¹⁾، مُعلنًا بذلك بداية عصر جديد للدولة السلجوقية، ولقد كانت النقود السلجوقية تحتوي على بعض الرسوم أو النقوش وحتى الحروف والرموز والزخارف الهندسية الدقيقة⁽²⁾.

واستمر الحال حتى بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ/1092م حيث تمّ سكّ الدنانير في مدن مختلفة من الدولة السلجوقية مثل نيسابور والأهواز والري ومرو وغيرها وكانت تحمل نقوشًا مستوحاة من الأسلوب العباسي، ولاحقًا قام السلاجقة الكبار بتشكيل نقوش جديدة وزخارف هندسية رائعة على هذه العملات⁽³⁾، كما تمّ ضرب العملة أيضًا في العاصمة العباسية بغداد، وكان السلطان السلجوقي يُشرف عليها هو أو من يُعيّنه من القضاة⁽⁴⁾. ولقد تميزت النقود في العصر السلجوقي بتصاميمها الزخرفية المتقنة التي عكست الهوية السياسية والعسكرية للدولة، حيث احتوت على العديد من الرموز والعناصر الفنية التي جسدت مكانة السلاجقة وقوتهم، ومن أبرز هذه الزخارف شعار القوس والسهم⁽⁵⁾ الذي لم يكن مجرد عنصر تزييني بل كان يحمل دلالات عميقة مرتبطة بالتراث العسكري السلجوقي، إذ كانا رمزًا للقوة والمهارة القتالية التي اشتهر بها السلاجقة في حروبهم وتوسعاتهم. بالإضافة إلى ذلك كانت النقود تزين برسومات الحيوانات وكذا الإنسان وبشكل خاص وكبير على نقود سلاجقة آسيا الصغرى⁽⁶⁾، ولقد اختار سلاجقة العراق وخراسان رسومات للحيوانات المستخدمة للصيد مثل الغزال والخيول والأسود، وتجنبوا الحيوانات الأسطورية مثل التنين أو العنقاء التي كانت مخصصة لتزين التحف الأخرى⁽⁷⁾، أمّا التصوير الآدمي فكان يظهر عادةً في شكل فارس على حصان أو شخص جالس ورجلاه متقاطعتان.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص241.

(2) - تمارا تالبوت، المرجع السابق، ص134.

(3) - المرجع نفسه، ص133.

(4) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص226.

(5) - بلسم محمد تركي علي، تطور السياسة المالية والنقدية في خراسان وبلاد ما وراء النهر: دراسة في التأريخ الإسلامي، ط1، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، 2022م، ص296.

(6) - الحسيني محمد باقر، تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1969م، ص67.

(7) - تطور المرجع نفسه، ص240.

3- أسماء النقود في العصر السلجوقي:

عندما دخل السلاجقة بغداد في عهد السلطان طغرلبيك، قاموا بإصدار عملة خاصة بهم من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية التي تحمل اسم سلطانهم⁽¹⁾، وقد تم تداول هذه العملة في بغداد وجميع الولايات الخاضعة لحكمهم، ومع اندلاع ثورة أبو الحارث البساسيري ودخوله بغداد، أُبطلت تلك العملة وأصدر بدلاً منها دنانير عرفت بـ"المستنصرية"، نُسبت إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، حملت هذه الدنانير على أحد وجهيها نقش "لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله عليّ وليّ الله"، وعلى الوجه الآخر "عبد الله ووليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"⁽²⁾، وبعد القضاء على ثورة الخاتون تم إلغاء التعامل بالدنانير التي أصدرتها، وعاد التعامل مرة أخرى بالعملة السلجوقية، كما اعتمد السلاجقة على الدرهم "الأيقوني"⁽³⁾ في تعاملاتهم.

وكان في تلك الفترة دينار سلجوقي يُعرف باسم "العوالي"، والذي يعادل اثني عشر درهماً في بغداد يعتمده العباسيين وبلغ وزنه 4.50 غرام⁽⁴⁾، بينما كان هناك دينار آخر يُسمى "المرسل" وكان مصنوعاً في الغالب من الذهب الخالص وأهم ما يميزه خلوه من اسم الحاكم أو السلطان والذي يعادل عشرة دراهم⁽⁵⁾، وفي خراسان اعتمدوا على نوع خاص من الدراهم يُعرف بـ"الغطريفية" وهي دراهم مصنوعة من خليط من الحديد والنحاس ومعادن أخرى ومُزخرفة بألوان متنوعة هذه الدراهم كانت مقبولة فقط في بخارى، بالإضافة إلى ذلك كان هناك دراهم تُعرف بـ"المحمدية"، والتي كانت تحمل نقوشاً وصوراً ذات حروف غير قابلة للقراءة، ولكن علاماتها كانت معروفة⁽⁶⁾، وفي عام 526هـ/ 1131م قام وزير السلطان طغرلبيك بسك عملة جديدة تتماشى مع عملة خراسان خراسان والعراق، وسميت بالدينار الركني، وتم ضربها في همدان خلال الصراع بين السلطان داود بن محمود وعمه

(1) - ابن العربي، المصدر السابق، ص 99.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 37.

(3) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 133.

(4) - بلسم محمد تركي علي، تطور السياسة المالية والنقدية في خراسان وبلاد ما وراء النهر: دراسة في التأريخ الإسلامي، ط 1، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، 2022م، ص 298.

(5) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 224.

(6) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104.

طغرل، وبعد أن استقرت الأمور لصالح طغرل قام بمصادرة مائتي ألف دينار من هذه العملة⁽¹⁾، ثم شاع استعمال هذا الدينار بشكل أكبر في عهد السلطان سنجر، وبالنسبة للدينار التيسابوري فكان يساوي أربعة دراهم.

4- ألقاب السلاطين السلاجقة على النقود:

استُخدم الخط الكوفي والنسخي في نقش الكتابات على نقود السلاجقة، خاصّة الذهبية والفضية، التي تميزت بتنوع طرزها وصعوبة حصرها في أنماط محددة، ومع ذلك اتفقت جميعها على نقش اسم السلطان السلجوقي المعاصر وألقابه⁽²⁾، مما يعكس مكانته وسلطته في ذلك العصر.

لذلك حرص السلاجقة على سكّ النقود بأسمائهم لتأكيد شرعيتهم وسلطتهم⁽³⁾، خصوصاً في دنانير السلاطين البارزين كطغرلبك وألب أرسلان وملكشاه، حيث عكست ولاء الدولة وطاعتها لهم⁽⁴⁾.

ولقد كانت تُضرب النقود باسم السلطان، وكان نقش الألقاب مرتبطاً بديوان الطغراء والذي كان يرأسه الطغراني، المسؤول عن المكاتبات الرسمية، ولم تختلف نصوص دنانير السلاطين السلاجقة كثيراً عن سابقاتها، إلا أنّ هناك زيادة واضحة في استخدام الألقاب التي نُقشت بشكل بارز في مركز الوجه أو الظهر⁽⁵⁾، مثل "السلطان المعظم ركن الدّين ملك الإسلام والمسلمين" للسلطان بركياروق، و"السلطان المعظم غياث الدّنيا والدّين شاهنشاه" للسلطان محمد بن ملكشاه، حيث يشير لقب "السلطان المعظم" إلى العظمة والسلطة المطلقة، بينما يعكس لقب "شاهنشاه" السيطرة على مجموعة من الملوك والحكام.

كان من الشائع أن تُنقش الألقاب والكنى على النقود إشارة إلى وراثة العرش ولإظهار نفوذ السلاجقة وقوتهم فهي لم تكن مجرد ألقاب فخريّة، مما يعكس توسع سيطرتهم في المنطقة⁽⁶⁾.

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص ص 148-149؛ بروكلمان، المرجع السابق، ص 180.

(2) - ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 472.

(3) - الحنبلي، المصدر السابق، ج 4، ص 244.

(4) - الحسيني محمد باقر، المرجع السابق، ص ص 38-39.

(5) - حسن باشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1989م، ص 63.

(6) - المرجع نفسه، ص 63.

كما حملت الدنانير والدراهم أسماء الخليفة والسلطان، مما منحها أهمية سياسية وشرعية، في حين لم يكن هذا التقليد يُطبق على النقود النحاسية⁽¹⁾.

وقد شهدت النقود السلجوقية تطوراً ملحوظاً في فترة حكم سلاطين بارزين مثل طغرلبيك، ألب أرسلان، وملكشاه، خاصة بعد انتصارات كبرى مثل معركة ملاذكرد حيث أضيفت إليها ألقاب مثل "المؤيد المنصور المظفر" و"تاج الملة سلطان ديار المسلمين" و"ضياء الدين غياث المسلمين"⁽²⁾، و"السلطان الأعظم" ويرمز لقب "الأعظم" إلى الكبرياء ويعكس اتساع السلطة والطغيان والقدرة على فرض السيطرة على الشؤون العامة⁽³⁾، وقد تجلّى هذا اللقب بشكل بارز على معظم النقود التي تم سكّها في العصر السلجوقي.

كان السلطان طغرلبيك عند دخوله بغداد قد أمر بقراءة الخطبة باسمه وضرب النقود بلقب "السلطان الأعظم"، فيما تنوعت ألقاب السلاطين بين "سلطان الإسلام" و"سلطان المسلمين" و"سلطان البر والبحر" و"السلطان الشهيد"، كما نُقشت الكنى على النقود مثل "أبو طالب" لطغرل بن سلجوق⁽⁴⁾، و"ركن الدين" لبركياروق⁽⁵⁾، و"جلال الدولة" لملكشاه⁽⁶⁾.

راعى السلاجقة الظروف المحلية عند تسجيل الألقاب على النقود، حيث اختلفت نقوش نقود خراسان عن تلك التي سُكّت في بغداد، نظرًا لكونها مقر الخلافة العباسية واحترامًا لمكانة الخليفة، وأيضًا للحفاظ على هيبة السلطان الدنيوية في العصر السلجوقي، مما يعكس التوازن بين السلطة الدينية والسياسية، كما اهتم السلاطين بتوثيق مكان سك النقود، حيث حملت كل منطقة نقشها الخاص، مما يعكس التنوع الإقليمي داخل الدولة السلجوقية.

والجدير بالذكر أن الولايات التي كانت تعترف بالسلطان السلجوقي والخليفة العباسي كانت تقوم بسك عملاتها الخاصة، مع ذكر اسم السلطان السلجوقي والخليفة العباسي عليها، في هذا السياق يُروى أنّه في عام

(1) - الحسيني محمد الباقر، المرجع السابق، ص 63.

(2) - الحسيني، المصدر السابق، ص 53.

(3) - باشا، المرجع السابق، ص 162.

(4) - الكرمللي أنستاس ماري، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، (د.ط)، 1939م، ص 134.

(5) - الحسيني، المصدر سابق، ص 33.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 69-142.

530هـ/1135م وصل إلى بغداد أحد أمراء صاحب دمشق طالباً الإذن بسك عملة خاصة بالولاية، وافق الخليفة العباسي الراشد بالله على هذا الطلب بشرط أن يكون نصف وربع ثمن الدينار مصنوعاً من الذهب الخالص، بينما يُصنع الباقي من الفضة والنحاس، وأن يُنقش على العملة اسم الإمام الراشد بالله أمير المؤمنين والسلطان المعظم مسعود⁽¹⁾.

ومن أشهر النقود الذهبية التي ضربت في العصر السلجوقي نذكر الدينار الذي ضرب في عام 433هـ/1041م بنيسابور والذي قُدِّر وزنه بـ4.055 غرام وقطره 22.9 ملم وكانت كتاباته على النحو التالي⁽²⁾:

الوجه	الظهر
فتح	الله
لا إله إلا	محمد رسول الله
الله وحده	القائم بأمر الله
لا شريك له	الأمير الأجل
	طغرل بك
هامش	بسم الله ضرب الدينار
	هامش
	بالحدى ودين الحق
	ليظهره على الدين كله
	ولو كره المشركون
	بنيسابور سنة ثلاث وثلاثين وأربع مائة
	هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
	ومن دنانير السلاجقة المضروبة بمدينة السلام سنة 496هـ
	لا إله إلا الله
	مركز الوجه: وحده لا شريك له
	المستظهر بالله

⁽¹⁾ - ابن القلانسي، المصدر السابق، ص410.

⁽²⁾ - بلسم محمد تركي، المرجع السابق، ص300.

أمير المؤمنين

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام سنة ست وتسعين وأربعمائة⁽¹⁾.

قام طغان شاه بسكّ النقود في دور السكّ الواقعة في وسط خراسان، ومن بين الأمثلة التي تم سكّها في مرو كان الدينار الذي وزن 3.94 غرام وقطره 25 ملم⁽²⁾، وقد ظهرت النصوص المنقوشة عليها بالطريقة التالية:

الوجه	الظهر
زخرفة	الله
لا إله إلا	محمد رسول الله
الله وحده	المقتدي بأمر الله
لا شريك له	سلطان دين الله
فخر الأمر	معز الدنيا والدين
طغان شاه	معين خليفة الله
	ملكشاه

الهامش بسم الله ضرب هذا الدينار بمرو محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [....] وأربعمائة.

كما تم ضرب دينار باسم السلطان طغرل بك بوزن 3.44 غرام، وقطره 22 ملم ويتميز هذا الدينار بكتابات مركزية أفقية بالخط الكوفي المورق، تحيط بها كتابات هامشية ضمن دائرة واحدة على الوجه والظهر، يحيط بالهامش دائرتان متحدتا المركز، بينما تحيط بالمركز دائرة واحدة، وتفاصيل الكتابات والزخارف جاءت كما يلي⁽³⁾:

الوجه

الظهر

⁽¹⁾ - القيسي ناهض عبد الرزاق، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديماً وحديثاً، بيت الحكمة، بغداد، (د.ط)، 2011م، ص26.

⁽²⁾ - أبو حشيش أحمد محمد دسوقي، نقود طغان شاه حاكم السلاجقة في وسط خراسان (564هـ - 475هـ / 1072م - 1082م)، مجلة مركز المسكوكات الإسلامية، مصر، ع2، 2019م، ص27.

⁽³⁾ - رويدا رأفت محمد محمد النراوي، دينار سلجوقي فريد ضرب دياروار سنة 447هـ / 1055م باسم السلطان طغرل بك، مجلة مركز الدراسات البردية، كلية الآثار، جامعة عين شمس، مصر، مج 39، 2022م، ص735.

لا إله إلا الله	الله	
الله وحده	محمد رسول الله	
لا شريك له	السلطان المعظم	المركز
القائم بأمر الله	شاهنشاه	
	طغرلبك	
	أبو طالب	
بسم الله ضرب هذا الدينار	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على	الهامش
بديراور سنة سبع وأربعين وأربع	الدين كله ولو كره المشركون	
مائة		

كما تم سك دينار ذهبي بمدينة هراة عام 450هـ / 1058م للسلطان ألب أرسلان كانت كتاباته كالتالي⁽¹⁾:

الوجه	الظهر	
عدل	محمد	
لا إله إلا الله وحده	رسول الله	
لا شريك له	عليه السلام	مركز
ألب أرسلان	القائم بأمر الله	
	جعفري بك	
بسم الله ضرب الدينار بهراة	محمد رسول الله أرسله	هامش
سنة خمسين وأربع مائة	بالهدى ودين الحق ليظهره	
هامش خارجي: الله الأمر من	على الدين كله ولو كره	
قبل ومن بعد ويومئذ يفرح	المشركون	
المؤمنون بنصر الله		

كما تم ضرب دينار بهراة من قبل طغان شاه سنة 465هـ وزن 3.82 غرام قطره 25 ملم⁽²⁾.

⁽¹⁾ - بلسم محمد تركي علي، المرجع السابق، ص 306.

⁽²⁾ - دسوقي، المرجع السابق، ص 30.

الوجه	الظهر
الله	نجمة خماسية
لا إله إلا	محمد رسول الله
الله وحده	صلى الله عليه وسلم
لا شريك له	معز الدين
طغان شاه	ملكشاه
الهامش	بسم الله ضرب هذا الدينار بهرة محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
	سنة خمس وستين وأربعمائة الدين كله ولو كره المشركون
	كما تم سكّ دينار باسم السلطان ملكشاه في مدينة السلام عام 485 هـ/1092م، بوزن 3.68 غرام ⁽¹⁾ ، وقد
	نُقشت عليه النصوص التالية:
الوجه (داخل دائرة)	الظهر (داخل دائرتين)
مركز	مركز
لا إله إلا الله	الله
وحده لا شريك له	محمد رسول الله
الإمام المقتدي	صلى الله عليه وسلم
بأمر الله	جلال الدولة
أمير المؤمنين	ملكشاه
هامش داخلي:	هامش:
بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
سنة خمس وثمانين وأربعمائة	ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
هامش خارجي:	
لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله	

(1) - أحمد توني رستم توني، نقود مدينة السلام ودورها في الصراع السلجوقي العباسي بعد وفاة ملكشاه، كلية الآثار، جامعة الفيوم، مصر، 2014م، ص02.

ومن أمثلة التّقود التي ضربت في العصر السلجوقي من قبل السّلاجقة دينار ضرب بمرو الروذ سنة 474هـ/1081م⁽¹⁾.

الوجه	الظهر
زخرفة	الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
الله وحده	المقتدي بأمر الله
لا شريك له	سلطان دين الله
فخرا الأُمرا	معين خليفة الله
طغان شاه	ملكشاه

الهامش بسم الله ضرب هذا الدينار بمرو محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الروذ سنة أربع وسبعين وأربعمئة الدين كله ولو كره المشركون

كما تم ضرب دينار باسم السلطان بركيارق ببغداد عام 487هـ وزنه 4.59 غرام، وكتب فيه⁽²⁾:

الوجه (داخل دائرة) الظهر (داخل دائرتين)

مركز	مركز
الإمام	الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لا شريك له	صلى الله عليه
المستظهر بالله	معز الدولة
أمير المؤمنين	القاهر

هامش داخلي: هاشم: بركيارق

بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

(1) - دسوقي، المرجع السابق، ص28.

(2) - توني، المرجع السابق، ص8.

سنة سبع وثمانين وأربعمائة
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
هامش خارجي:

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. (انظر الملحق رقم: 05).

5- مراحل تطور الدينار السلجوقي ودور الضرب:

5. 1- مرحلة الازدهار النقدي:

تنقسم فترة الدينار السلجوقي إلى مرحلتين رئيسيتين: المرحلة الأولى، الازدهار النقدي أو ازدهار الدينار الذهبي 429هـ - 525هـ / 1037م - 1130م خلال هذه الفترة، كان الدينار الذهبي متوفرًا بكثرة حيث سك السلاجقة دنانير ذهبية ودراهم فضية، ففي سنة 449هـ / 1057م، قدّم السلطان طغرل بك للخليفة القائم بأمر الله خمسين ألف دينار بعد زيارته بغداد⁽¹⁾، كما دفع السلطان نفسه ثلاثمائة ألف دينار عند زواجه من ابنة الخليفة القائم⁽²⁾، كما تميزت هذه المرحلة بزيادة الازدهار النقدي حيث فرض السلاجقة بما في ذلك طغرل بك على صاحب الدّيلم مائة ألف دينار⁽³⁾، وفي سنة 462هـ / 1070م منح ألب أرسلان ثلاثين ألف دينار لرسول من مكة وأجرى له عشرة آلاف دينار بعد أن أخبره بقطع خطبة الحاكم الفاطمي لصالح السلطان⁽⁴⁾، كما فرض ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانوس جزية قدرها ألف دينار وخمسمائة ألف دينار بعد معركة ملاذكرد في سنة 463هـ / 1071م⁽⁵⁾.

5. 2- دور الضرب:

اهتم سلاطين السلاجقة كثيرًا بسلامة دنانيرهم لذلك شدّدوا الرّقابة على دور الضّرب⁽⁶⁾ التي كانت تحت الإشراف المباشر للسلاطين أو من ينوب عنهم، خاصّة الوزير السلجوقي الذي أحكم سيطرته على هذه الدّور.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص8؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص272.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص86.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص92.

(4) - السيوطي، المصدر السابق، ص421.

(5) - ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج3، ص471؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص311.

(6) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص224.

في تلك الفترة انتشرت عملية سكّ الدنانير والدراهم في العديد من المدن نظرًا لتوسّع الأراضي الخاضعة للسيطرة السلجوقية بما في ذلك نيسابور وبغداد⁽¹⁾.

في البداية كانت دور الضرب تُعنى بتجهيز النقود والسكة لتلبية احتياجات الحكومة والناس وكانت هذه الدور تعمل كهيئات إدارية ومالية متخصصة في استبدال النقود القديمة أو التالفة أو التي لم يعد يتم التعامل بها، وإصدار العملة الجديدة لتلبية احتياجات المجتمع⁽²⁾.

وفي خراسان ظهرت العديد من دور ضرب النقود حيث أنشئت أكبرها في الري وشيراز كما تأسست دور ضرب في نيسابور وجرجان وبلخ وبغداد، وكانت هذه الدور تحت إشراف مباشر من السلطان السلجوقي أو من ينوب عنه من رجال القضاء، وقد سُكّت نقود ذهبية في أصفهان والأهواز باسم السلطان طغرلبيك وملكشاه⁽³⁾، ومع مرور الوقت انتشرت نقود غير شرعية مثل الدراهم القراضة أو المكسورة، مما دفع الأهالي لتقديم شكاوى إلى السلطان السلجوقي، الذي استجاب وأمر بضرب دراهم سليمة للتعامل، بالإضافة إلى ذلك استخدم العراقيون صنجات زجاجية على شكل دراهم أو دنانير لضبط أوزان النقود بدقة.

كما كان الوزير السلجوقي مسؤولاً عن الإشراف على دور الضرب ودار السكة⁽⁴⁾، وحرصًا على سلامة المعاملات المعاملات المالية تمّ تكليف أفراد ذوي نزاهة واستقامة برئاسة هذه المؤسسات، وكان الوزير نظام الملك يؤكد على أهمية إمام الوزير بوجوه المعاملات المالية والتجارية⁽⁵⁾، كما ساهم العديد من أفراد البيت السلجوقي، بما في ذلك الأمراء ونساء القصر في بناء دور الضرب أو دعمها، على سبيل المثال في عام 485هـ / 1092م، قامت تركان

(1) - تمارا تالبوت، المرجع السابق، ص 134.

(2) - البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، الدرهم الأموي، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، 1403هـ، ص 20.

(3) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 226.

(4) - دار السكة: هي التي يسك فيها النقد باختلاف أنواعها وتكون تحت إشراف ناظر أو مشرف خاص تعيينه الحكومة، انظر: طاهر راغب حسين، النقود الإسلامية الأولى، المطبعة التجارية الحديثة، بيروت، (د.ط)، 1984م، ص 13-15.

(5) - الطوسسي، المصدر السابق، ص 216.

خاتون زوجة السلطان ملكشاه، ببناء حجرة لدار الضرب⁽¹⁾. كما تمّ تسجيل ونقش اسم الخليفة على نقود السلجوقية لإضفاء الشرعية على حكمهم⁽²⁾.

إضافة إلى هذا فلقد أصدر الوزير الدرکيني الذي خدم كل من طغرل بن محمد بن ملكشاه والسلطان سنجر، أمراً بضرب ألف دينار همذاني لتنفيذ صفقات تجارية بها، وكان الهدف من ذلك دمج العملة العراقية والخراسانية في نظام نقدي متكامل ومتوافق⁽³⁾.

ولقد قامت ترکان خاتون بضرب نقود ذهبية تحمل اسم ابنها السلطان محمود بن ملكشاه، الذي كان في الرابعة من عمره، وكان ذلك في عام 426هـ / 1093م، كما نُقِشت على الدينار عبارة "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون".

ومن هنا فإن النقود التي ضربت خلال حكم السلطان محمود ملكشاه حملت عبارات تعكس الأحداث السياسية والعسكرية، مثل نقش كلمة "فتح" على الدينار، للدلالة على فتح ترکان خاتون مدينة أصفهان عام 485هـ / 1092م وطرد أتباع برکیاروق⁽⁴⁾ منها بمساعدة الأمير قوام الدولة كربوقا⁽⁵⁾، ولقد كانت مدينة أصفهان هي مقر مقرر ضرب هذه النقود.

وخلال فترة حكم السلطان برکیاروق بن ملكشاه استمر استخدام الدينار الذهبي في عدة مناطق من الدولة السلجوقية، فعلى سبيل المثال وفي أصفهان عام 487هـ / 1094م تم ضرب دينار يحمل اسم السلطان برکیاروق على الوجه، واسم الخليفة المقتدي بأمر الله على الجهة الأخرى، كما نُقِشت ألقاب السلطان برکیاروق مثل "رکن الدين والدنيا" على الدينار، وهي الألقاب نفسها التي كانت تُطلق على السلطان طغرلک⁽⁶⁾.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص298.

(2) - محمد باقر الحسيني، المرجع السابق، ص32.

(3) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص83.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص ص 214-215.

(5) - ابن الحوزي، المصدر السابق، ج9، ص643.

(6) - الباشا، المرجع السابق، ص306.

وهذا الأمر ينطبق على النقود في عهد السلطان محمد بن ملكشاه حيث كان الدينار الذهبي والدرهم النحاسي من العملات الشائعة في التعاملات المالية، ويروى أن الأمير الحاجب علي بن عمر بن سرمة، خلال مرض السلطان ملكشاه الذي أدى إلى وفاته، أعلن عن توليه الوصاية على الدولة نيابةً عن السلطان. وادّعى أن السلطان أمر بإخراج مائتي ألف دينار من الخزانة لتسوية النزاعات وطلب العفو من الفقراء والأغنياء على حد سواء، غير أن الأمير استحوذ على هذا المبلغ، وتصرف فيه وفق مصالحه الشخصية⁽¹⁾.

لقد تمّ ضرب دينار ذهبي في بغداد عام 500هـ / 1106م، وقد نُقش عليه عبارة "غياث الدنيا والدين"، كما تمّ ضرب دينار ذهبي في مدينة أصفهان عام 507هـ / 1113م حيث نُقش اسم الخليفة العباسي المستظهر على الوجه واسم السلطان محمد علي الظاهر، وقد زُين الدينار بعبارة "غياث الدنيا والدين" في المركز، بينما جاء في الهامش الخارجي "ولله الأمر من قبل ومن بعد".

تمّ ضرب نقود في مدن أخرى بجانب أصفهان وبغداد، مثل الدينار الذي ضرب في مدينة الأهواز حمل الدينار على الوجه كلمة "العدل" تحتها اسم المستظهر بالله بينما جاء اسم السلطان محمد بن ملكشاه على الظهر، مرفقاً بعبارة "السلطان المعظم أبو شجاع محمد بن ملكشاه" أسفله، على الجوانب نُقشت عبارة "غياث الدنيا" إلى اليمين و"الدين" إلى الشمال⁽²⁾.

كان الدينار الذهبي شائع الاستخدام بين الناس وأصحاب الحرف في الأسواق، مثل الصاغة والصيارفة والحرفيين كالحدادين والنجارين، كما كانت هذه العملات بيد الوزراء الذين استخدموها للحصول على مناصب رفيعة، على سبيل المثال قام الوزير فخر الملك بن نظام الملك بإرسال مبلغ كبير للسلطان بركياروق في عام 488هـ / 1095م للحصول على موافقته لتعيينه في الوزارة⁽³⁾، كما تمّ سكّ العملات النحاسية كعملات مساعدة لدعم العمليات التجارية وتسهيل شراء الاحتياجات اليومية، دون الالتزام بذكر اسم الخليفة عليها، منح ذلك السلاجقة

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص 108.

(2) - قازان وليم، المسكوكات الإسلامية: مجموعة خاصة، بنك بيروت، بيروت، (د.ط)، 1983م، ص 421.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 217 - 253.

حرية أكبر في تصميمها واستخدامها⁽¹⁾ بما يلبي احتياجات السوق، وجاءت هذه العملات أحياناً بألقاب مميزة، وأحياناً أخرى خالية من أي نقوش أو ألقاب⁽²⁾، تبعاً للظروف والمتطلبات.

يبدو أن قيمة النقد السلجوقي قد تراجعت بمرور الزمن نتيجة خلطه بمعادن رخيصة، ففي عام 464هـ/1071م تقدمت مجموعة من المواطنين برفقة الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بطلب إلى الخليفة لضرب دراهم جديدة يتم التعامل بها بدلاً من "القراضة" وقد وافق الخليفة على طلبهم⁽³⁾.

5. 3- مرحلة التدهور النقدي:

ولقد شهدت هذه الفترة تراجعاً ملحوظاً في انتشار الدينار السلجوقي، بل والدينار الإسلامي بشكل عام، وكان السبب الرئيسي في هذا الانحسار هو تسرب كميات كبيرة من النقود إلى خارج المنطقة عبر آسيا الوسطى والخليج العربي والبحر الأحمر والمتوسط⁽⁴⁾، كما انخفض وزن الدينار السلجوقي إلى نصف وزنه السابق، حيث أصبح يزن 2.796 غراماً بعد أن كان 4.450 غراماً⁽⁵⁾.

ومن الخلفاء العباسيين الذين عاصروا هذه المرحلة الخليفة المقتفي لأمر الله 530-555هـ/1135-1160م الذي كان له الدور في اضمحلال الدينار النقدي حيث استغل الصراعات بين أمراء السلاجقة لضرب نقود ذهبية في نيسابور سنة 542هـ-1147هـ، كما أصدر نقوداً أخرى سنة 548هـ-1153م خالياً من أي إشارة سلجوقية منتهزاً الصراعات بين أمراء السلاجقة، ومع وفاة سنجر شاه بن ملكشاه 552هـ/1157م، تدهور وضع السلاجقة في خراسان والعراق، مما مهد لاستقلال الخلافة العباسية سياسياً ونقدياً بشكل تدريجي وسط صعود الدولة الخوارزمية والأتابكة واستمرار الحروب الصليبية.

ومع مرور الوقت بدأت الدراهم في التناقص تدريجياً خاصة في عهد السلطان السلجوقي طغرل الثالث بن أرسلان شاه 571هـ-1176م/590هـ/1194م رغم ذلك استمرت بعض الدراهم والفلوس السلجوقية في حمل

(1) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 225.

(2) - الحسيني محمد الباقر، المرجع السابق، ص 59.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 139.

(4) - تمارا تالبوت، المرجع السابق، ص ص 121-122.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 271.

اسم الخليفة الناصر لدين الله 575هـ - 1180م / 622هـ - 1225م⁽¹⁾ ولقبه في الدول المجاورة التي كانت تابعة له، هذا يبرهن على اعتراف هذه الدول بالخليفة الناصر لدين الله كخليفة للمسلمين ويعكس ولاءها واعترافها بسلطته.

6- قيمة الدينار السلجوقي والدّرهَم:

في العراق كان مثقال الذهب يعادل 20 قيراطاً، حيث يحتوي كل قيراط على 3 حبات، بينما كان مثقال الفضة يتألف من 12 قيراطاً، كل قيراط يحتوي على 4 حبات، إذا كان المثقال الواحد في هذه الحالات يزن 4.223 غرام، فإن قيراط الذهب في العراق يزن 0.212 غرام، وقيراط الفضة يزن 0.247 غرام، وبذلك تزن حبة الذهب 0.706 غرام، بينما تزن حبة الفضة 0.62 غرام⁽²⁾.

الدينار الخراساني كان يُعادل أربعة دراهم تساوي ثمانية فلوس، بالإضافة إلى دراهم أخرى بقيمة أربعة فلوس، فضلاً عن دراهم فضية نقية غير مغشوشة، ورغم أنّ وزنها كان أقلّ مقارنةً بنظيراتها في مصر والشّام، إلّا أنّها كانت متداولة بنفس القبول والقيمة في المعاملات⁽³⁾.

الدّراهم بكسر الهمزة وفتحها هي لفظة فارسية معرّبة، وجمعها درهم ودراهم يُقسّم الدّرهَم إلى ستّين عشيراً، والعشير يُعادل القفيز، في حين يساوي القفيز عشر الجريب، أمّا الجريب فيُقَدَّر بستة دوانق، وكل عشرة دراهم تعادل سبعة مثاقيل، وكانت الدّراهم الفضية هي العملة المتداولة في المعاملات⁽⁴⁾.

بلغ وزن الدينار السلجوقي في عهد السلطان ألب أرسلان 4.450 جرام⁽⁵⁾، بينما كان الدينار النيسابوري يعادل يعادل أربعة دراهم، وقد أجريت تعديلات عديدة على أوزان الدراهم، حيث تم استخدام كسور منها مثل الدانق⁽¹⁾.

(1) - بشار عبد الجبار شبيب، النقود في الفترة 447هـ - 656هـ / 1055م - 1258م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج 6، العدد 3، إنساني، 2008م، ص 31.

(2) - قالتزنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، (د.م.ن)، (د.ط)، ص 10.

(3) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 4، ص 418.

(4) - الشرياصي، المرجع السابق، ص 151.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 271.

وقد تباينت قيمة الدينار من بلد إلى آخر، فتارة يعادل عشرة دراهم، وأحياناً ثلاثة عشر درهماً، وأحياناً أخرى خمسة عشر درهماً.

7- الصَّكوك في العصر السلجوقي:

إلى جانب استخدام النقود في العمليات التجارية، ظهرت الصَّكوك⁽²⁾ كوسيلة معتمدة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وسرعان ما أصبحت شائعة في التعاملات المالية، حيث كانت تُوقع من شاهدين وتُختَم رسمياً، ولقد استخدمت الصَّكوك في دفع الأجور والرواتب خاصّة المتعلقة بالجنود⁽³⁾، كما كانت أداة لسداد الديون، ممّا جعلها شبيهة بالشيكاكات الحديثة، ومثال على ذلك عند عبور جيوش السلطان ملكشاه نهر جيحون عام 485هـ/1092م، أصدر وزيره نظام الملك صكوكاً للملاحين تُصرف من أموال أنطاكية⁽⁴⁾، مع ضمان دفعها نقدًا عند الحاجة أي عمولة محددة تقدّر بدرهم واحد عن كل دينار⁽⁵⁾، مما يعكس دور الصكوك في تيسير المعاملات المالية داخل الدولة، وكان الهدف من ذلك إظهار عظمة السلطان وسلطته في التواريخ حيث قال نظام الملك "أردت أن تُسجل في التواريخ عظمة ملكك ونفاذ كلمتك، ليتم تسليم الوصّلات للنائب في أنطاكية، الذي سيدفع المبالغ المستحقة للملاحين"⁽⁶⁾.

مع اتساع أراضي الدولة السلجوقية ساهمت الصكوك في تنشيط التجارة بين مدنها، حيث استخدمها التجار لتحديد السلع المطلوبة وأسعارها، ليتم إرسال البضائع مقابل وثائق مالية يمكن تحصيلها لاحقاً، مما سهّل عمليات البيع والشراء بين الأفراد والحكومة⁽⁷⁾، كما اعتمد التجار على الحوالات الماليّة، فكانوا يودعون أموالهم لدى

(1) - الدائق: يساوي سدس الدرهم وكان هناك نصف الدرهم، وهو كلمة فارسية الأصل ومعناها حبة، والدائق ثمان حبات وخمس الحبة من حبات الشعير المتوسط التي لم تقشر، انظر: الشرباصي، المرجع السابق، ص 149.

(2) - الصك هو: الكتاب والجمع صكاك، وهو أشبه بال شيك الآن، انظر: المرجع نفسه، ص 255-256.

(3) - بلسم محمد تركي علي، المرجع السابق، ص 371.

(4) - أنطاكية: مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام، انظر: الاضطخري، المصدر السابق، ص 140؛ القزويني، المصدر السابق، ص 150.

(5) - حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج 4، ص 418.

(6) - الحسيني، المصدر السابق، ص 145.

(7) - المصدر نفسه، ص 145.

الصّرافين مقابل صكوك، تُستخدم لاحقاً في شراء السلع، محولاً الثّمن إلى الصّراف عبر الصّك⁽¹⁾ وبالتالي لا يحتاجون إلى التّعامل بالتّقود الفعلية.

إدارياً كانت الصّكوك تُستخدم لضبط توزيع الأموال، حيث تُسجّل أسماء المستحقين والمبالغ المخصّصة لهم، ويشهد على الصّك شخصان، ثمّ يقوم السّلطان أو الأمير أو الحاكم بتوقيع الصّك لتأكيد صرف هذه الأرزاق أو الرّواتب⁽²⁾، وكانت هذه الوثائق تُختّم رسمياً أو يتعهّد ضامن بدفع قيمة الصّك في حال عجز المدين عن السّداد⁽³⁾، ممّا عزّز موثوقيتها في المعاملات التجارية والإدارية على حدّ سواء، وأسهم في ترسيخ سلطة الدّولة الماليّة الماليّة وتنظيم مواردها.

8- السّفاتج⁽⁴⁾ في العصر السلجوقي:

ومن الطرق التي اعتمد عليها السّلاجقة في المعاملات التجارية هو نظام "السّفاتج"، حيث انتشر استخدامه في خراسان والعراق بين الأفراد والولاة والتّجار، وكانت بمثابة أداة تُمكن التّجار من تسوية معاملاتهم الماليّة مع نظرائهم خارج خراسان⁽⁵⁾، ولقد أسهم هذا النظام في زيادة عدد الصّيارفة والجهايزة وتعزيز النشاط التجاري وتطوير المعاملات الماليّة، نتيجة لذلك ظهرت "بيوت المال" في مدن مثل بغداد والكوفة والبصرة، والتي كانت بمثابة مؤسسات مالية تشبه البنوك، واكتسبت ثقة الناس تحت إشراف الحكومة لضمان كفاءة عمليات الصّرافة⁽⁶⁾.

(1) - المسيري، المرجع السابق، ص154.

(2) - ابن جبّير، المصدر السابق، ص174.

(3) - الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، المرجع السابق، ص 199

(4) - السّفاتج: مفرد سفتجة وهي كلمة فارسية ومعربة لكلمة "سفت إيست"، معناها ورقة أو خطاب ضمان يبعثه صاحب المال لوكيله بأن يدفع مالا قرضاً يامن به من خطر الطريق، وأن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه انظر: سرور، المرجع السابق، ص163؛ الزبيدي محي الدين أبو الفيض محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، مصر، (د.م.ن)، (د.ط)، 1306هـ، ص156

(5) - بلسم محمد تركي علي، المرجع السابق، ص372.

(6) - الشرباصي، المرجع السابق، ص221؛ محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص288.

وكانت السّفاتج عبارة عن أوراق مالية محررة من قبل الصرافين أو الجهابذة، تحدد مبالغ مالية قابلة للصرف في أماكن متعددة باستخدام العملة المحلية⁽¹⁾.

والمميز في السّفتجة أنّها تصرف مجاناً عند صرفها في الموعد المحدد، لكن إذا تأخر صرفها تُفرض عليها عمولة⁽²⁾، وعادةً كانت السّفتجة تُصرف بعد أربعين يومًا من تحريرها، مع إمكانية صرف قيمتها دفعة واحدة أو على أقساط.

ومن أبرز المدن التي شهدت رواج هذا النظام مدينة مرو، حيث استخدمه التّجار لتسوية حساباتهم بمرونة مع نظرائهم.

ولقد أصبحت السّفتجة خلال العصر السلجوقي ركيزة أساسية في النّشاط الاقتصادي، حيث ساهمت في تسهيل المعاملات المالية بين مختلف المدن وعزّزت ازدهار التّجارة.

وبفضل هذه السياسات المالية المتوازنة نجح السّلاجقة في إرساء نظام اقتصادي قوي دعم نفوذهم السّياسي، وأسهم في استقرار العراق وخراسان، ممّا جعلهم أحد أبرز الفاعلين في إدارة الخلافة العباسية وضمن استمرارها.

⁽¹⁾ - متز، المرجع السابق، ج2، ص278.

⁽²⁾ - عصام الدين، المرجع السابق، ص151.

الفصل الرَّابِع: أثر السّلاجقة في الحياة الاجتماعية.

المبحث الأوّل: تركيبة المجتمع السّلاجقي.

المبحث الثّاني: مظاهر الحياة الاجتماعية للسّلاجقة.

المبحث الثّالث: المنشآت الاجتماعية في العصر السّلاجقي

الفصل الرابع: أثر السّلاجقة في الحياة الاجتماعية:

تجسّد الحياة الاجتماعية في الدولة السلجوقية تفاعلاً واضحاً بين عناصر ثقافية متعددة ونظم حكم متغيرة. فقد شهدت العراق وخراسان تطوراً ملحوظاً في العادات والتعليم، وتأثر المجتمع بمزيج من الموروثات التركية والإسلامية والفارسية والعربية، مما أسهم في تشكّل هوية مميزة. وبرزت فيه طبقات مختلفة، من السلاطين والعلماء إلى التجار والحرفيين، بينما تحولت مدن كبرى مثل بغداد ونيسابور إلى مراكز نشطة للحياة الثقافية. كما أدت المؤسسات الدينية والتعليمية، مدعومة بالأوقاف، دوراً مهماً في نشر العلم وتقديم الخدمات، وهو ما يعكس ازدهاراً اجتماعياً وثقافياً خلال هذه المرحلة.

المبحث الأول: تركيبة المجتمع السلجوقي:

1- الأجناس:

كان للأجناس في العصر السلجوقي دور مهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ممّا ساهم في إغناء التراث الثقافي للدولة، فقد أثر الأتراك في الهيكل السياسي والعسكري، بينما ساهم الفرس في الفلسفة والأدب، وكان للعرب دور بارز في نشر الإسلام والعلم.

1.1. الأتراك :

ينحدر الأتراك من المناطق الجنوبية لنهر جيحون⁽¹⁾ فلقد تمّ استقدامهم من مناطق الصّعد وسمرقند والشّاش⁽²⁾، واستقدمهم الخليفة المأمون إلى العراق في القرن الثالث للهجرة، حيث برز دورهم في الجيش والإدارة. ازداد نفوذهم مع مرور الوقت، وبلغ أوجه في عهد المعتصم حتى أصبحوا القوة المسيطرة في العصر العباسي الثاني 232-334هـ/ 846م-945م الذي عُرف بعصر النفوذ التركي⁽³⁾، وأُطلق عليهم بعد ذلك اسم بدو العجم.

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص87؛ عباس إقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، تر: أحمد كمال الدين حلمي، مطبوعات الجامعة، الكويت، (د.ط)، 1984م، ص29.

(2) - المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ط2، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1990م، ص9.

(3) - محمد حلمي محمد أحمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، القاهرة، (د.ط)، 1959م، ص99-210.

ولقد اعتنق الأتراك الدين الإسلامي على المذهب السني، ثم انضموا إلى السلاجقة الذين سمّوا بالترکمان⁽¹⁾ وباعتبار أنّ السلاجقة أحد فروع الأتراك⁽²⁾ الغزيين فقد انحازوا إلى التعامل مع الأتراك بصفة خاصّة⁽³⁾، وهذا ما زاد من عددهم وتضاعف بشكل كبير، كما دُمج العديد منهم في الجيش السلجوقي، سواء عبر التجنيد أو كأسرى حروب، فتدرّجوا في الرتب العسكرية⁽⁴⁾، ونظرًا لقوتهم وشجاعتهم، وأيضًا خشية من تمردهم، اعتمد عليهم السلاجقة في صراعاتهم الداخلية والخارجية⁽⁵⁾، وحول ذلك قال عنهم الجاحظ " كانت لهم قابلية عسكرية كبيرة فكانت الشجاعة والبطولة في الحرب أهم صفاتهم"⁽⁶⁾ وبهذا جعلوا الحرب وظيفة لهم وكرّسوا جهودهم لخدمة الدولة السلجوقية وهذا ما أيده الوزير نظام الملك بقوله " إنّ للأتراك فضل كبير على الدولة حيث قدّموا خدمات جليلة وما لقّوه من معاناة حسيمة لأجل ذلك"⁽⁷⁾، وهكذا كسب الأتراك ثقة السلاطين وارتقت مكانتهم وصار لهم كلمة في البلاد وتولّوا شؤون الدولة⁽⁸⁾ والمناصب الهامة فيها⁽⁹⁾ فساهموا بذلك في تثبيت أركانها.

(1) - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقلها للعربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص272.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص473؛ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج18، ص447.

(3) - المصدر نفسه، ج9، ص148؛ تمارا تالبوت، المرجع السابق، ص17.

(4) - أرشاك بولايدان، الأكراد في حقبة الخلافة العباسية في القرنين 10-11م، تر: الكسندر كشيشيان، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2009م، ص211.

(5) - زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، نشر دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص54؛ محمد حلمي، المرجع السابق، ص58.

(6) - زكرياء كتاجي، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م، ص93.

(7) - الطوسي، المصدر السابق، ص139.

(8) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص158.

(9) - محمد حلمي محمد أحمد، المرجع السابق، ص77-79.

ورغم قسوة طباع الأتراك فقد سعى السلاجقة إلى تهذيبها وسقلها من خلال تربية أبنائهم واتخاذهم غلمانا في القصر، بالإضافة إلى تعليمهم آداب السلاح والخدمة⁽¹⁾.

1. 2. الفرس:

وهم من الفئات الأساسية التي تَشَكَّلَ منها المجتمع السلجوقي، وينحدرون من ما وراء النهر وبلاد فارس، ولهم حدود مع العراق⁽²⁾، ولهذا ظهورها فيها كما تواجدوا في بلاد المشرق وكان ذلك مع بداية العصر العباسي الأول⁽³⁾، الأول⁽³⁾، حيث اتخذهم العباسيون موالى لهم في شؤون الحكم، غير أن اتساع نفوذهم أثار غضب العرب، فاضطر الخلفاء إلى جعلهم خدما للدولة سعيا لتحقيق نوع من التوازن بينهم⁽⁴⁾.

كما كان يوجد في العراق مجموعة من الفرس المتحضرين⁽⁵⁾ فحدث تقارب بينهم وبين المسلمين في مختلف المدن واندمجوا معهم وتعرفوا على أخلاق المسلمين وحقيقة الدين الإسلامي الذي ينبذ الاختلاف ويدعوا إلى التعارف⁽⁶⁾، كما اختلطوا مع العرب وتآلفوا معهم.

لقد اهتم بهم السلاجقة فدرّبوهم وفهموهم مبادئ وأساسيات الحكم والسياسة لقيامهم بالمهام الموكلة إليهم بمهارة كبيرة⁽⁷⁾، فكان منهم الوزير والقاضي والعالم والتاجر، فاتخذهم السلاجقة مصدرا ودعما أوليا لبناء المنشآت الحضارية المختلفة لأن لهم خبرة كبيرة في هذا المجال، كما كان لهم دور كبير وأهمية بالغة في الجانب الثقافي

(1) - الطوسي، المصدر السابق، ص 139.

(2) - الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 226.

(3) - إدريس محمد، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ط)، 1985م، ص 234؛ سرور، المرجع السابق، ص 169.

(4) - محمد حلمي محمد أحمد، المرجع السابق، ص 69-71.

(5) - الدوري، المرجع السابق، ص 36.

(6) - المصري حسين، المرجع السابق، ص 218.

(7) - محمد حلمي محمد، المرجع السابق، ص 53-64-79.

والفكري⁽¹⁾ والعلمي وخير دليل على ذلك الوزير نظام الملك وتأسيسه للمدارس النظامية في كافة مدن الدولة، إضافة إلى العالم عمر الخيام والغزالي⁽²⁾.

لم يقتصر تأثير الفرس في المجتمع السلجوقي على بناء المنشآت والقصور والمنازل فقط، بل تعداه إلى مجالات أخرى فنجد أنّ الوزراء والأثرياء قلّدوهم في موائد الطعام⁽³⁾ والآنيات المصنوعة من الفضة والذهب⁽⁴⁾، وحتى المرأة السلجوقية تأثرت بنساء الفرس خاصة في نوعية ملابسهم، ومجوهراتهم وحليهم ومختلف أدوات الزينة⁽⁵⁾.

1. 3. العرب:

من أهم الفئات الجنسية التي تكوّن منها مجتمع السّلاجقة نجد العرب إذ يُعتبرون الأغلبية الساحقة من سكان العراق⁽⁶⁾ وقد أقاموا فيه قبل مجيء الإسلام، ونظرا لطبيعة حياة العرب التي تميزت بالبداوة والبساطة فقد اندمجوا بسهولة في هذا المجتمع وتأثّر بهم السّكان وكان السبب الرئيسي في هجرتهم هو البحث عن الكأ وتميزوا عن غيرهم بصفات نبيلة أبرزها المروءة والكرم والبسالة.

كان لهم إسهام وفضل على الدولة اقتصاديا واجتماعيا من خلال امتهائهم للزراعة والفلاحة، إضافة إلى ممارستهم للتجارة والصناعة⁽⁷⁾، كما كان لهم دور في رفع راية الإسلام⁽⁸⁾ وانتشاره في الكثير من المدن حيث جاهدوا بكل

(1) - الدوري، المرجع تلسابق، ص36.

(2) - محمد حلمي محمد أحمد، المرجع السابق، ص185.

(3) - الصابئي أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ)، الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار أحياء الكتب العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1958م، ص ص215-216.

(4) - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1939م، ص16.

(5) - ابن عبد ربه أبي عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج8، القاهرة، (د.ط)، 1940م، ص135.

(6) - حسين أمين، المرجع السابق، ص15.

(7) - الدوري، المرجع السابق، ص39.

(8) - عبد الرؤوف عصام الدين، الدول المستقلة في المشرق، ط2، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة، 1986م، ص273.

قوتهم وفتحوا مدناً عدة مثل خراسان وخوارزم التي فتحوها في القرن 8م⁽¹⁾، كما فتحوا مرو وبلخ وأصفهان ومدن من ما وراء النهر⁽²⁾.

ولقد برزت في العصر السلجوقي عدة قبائل كان لها نفوذ كبير مثل قبيلة مضر⁽³⁾، وقبائل خفاجة جنوب الفرات، ووجدت بالكوفة قبائل عبد قيس وهذل وقبائل بني تميم التي استوطنت في البصرة في جزئها الغربي، إضافة إلى قبيلة ربيعة بالبصرة، أما بالموصل فسكنت قبائل بنو وائل وبنو قيس من قبائل مضر.

1. 4. الديلم:

من بين الأجناس التي عاشت في كنف الدولة السلجوقية الديلم والذي يعود أصلهم إلى خوزستان وبسبب فقر أراضيهم⁽⁴⁾ وبجثا عن حياة كريمة ارتحلوا إلى جنوب شرق بحر قزوين⁽⁵⁾ ومنه إلى العراق فدخلوا تحت سلطة العديد من الحكام وفي القرن الرابع الهجري دخلوا الإسلام على المذهب الشيعي في عهد النفوذ البويهى فسيطروا على مقاليد الحكم⁽⁶⁾ وبقوا على هذا الحال حتى العهد السلجوقي فصاروا من أكبر قادة الجيش وتملكوا أكبر الإقطاعات، إلا أنه يؤخذ عليهم عدم التزامهم بأداب المسلمين وانتهاكهم لحرماتهم وتدنيس شعائهم خاصة شهر رمضان والمجاهرة بالفواحش⁽⁷⁾.

1. 5. الأكراد:

(1) - أرشاك بولاديان، المرجع السابق، ص 210.

(2) - محمود حسن، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ط 1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1972م، ص 13.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 226.

(4) - المصدر نفسه، ج 8، ص 123.

(5) - الدوري، المرجع السابق، ص 32.

(6) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 15.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 123.

من الأقليات التي برزت في العصر السلجوقي الأكراد ويعود أصلهم إلى شمال الجزيرة⁽¹⁾ بالإضافة إلى العراق حيث تركز تواجدهم في الموصل وما جاورها من المدن⁽²⁾، واستوطنوا أيضاً همدان، وعرفوا بالبداوة حيث اشتهروا بتربية المواشي والرعي بها⁽³⁾.

1. 6. الأتابكة:

كما كان للأتابكة إسهام كبير في مساعدة السلاجقة حيث أوكلت لهم الإشراف على تربية أبناء السلاطين والأمراء، والخدمة في القصور، الأمر الذي أدى بهم إلى تولي أعلى المراتب في الدولة بمختلف أنواعها فوصلوا في الأخير إلى القيادة⁽⁴⁾.

ومن هنا يبرز لنا التنوع الحاصل في الفئات المشكلة للمجتمع السلجوقي، وكل فئة لها خصائص وأدوار تتماشى مع طبيعة الإنتاج والعمل⁽⁵⁾.

2- الطبقات:

لقد كان لكل طبقة من طبقات المجتمع خصائصها ومميزاتها التي تتصف بها عن غيرها ولقد تربعت على قمة الحكم طبقة الأسرة الحاكمة⁽⁶⁾ والتي تكونت من:

1. 2. طبقة الخاصة:

1. 1. 2. السلاطين:

(1) - الدوري، المرجع السابق، ص 37.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 217.

(3) - الدوري، المرجع السابق، ص 37.

(4) - محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط 3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 2009م، ص 247.

(5) - الدوري، المرجع السابق، ص 39.

(6) - عبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1975م، ص 165.

ولقد لقب رئيس الدولة السلجوقية بلقب السلطان⁽¹⁾ اختص بهذا اللقب الحاكم السيد، ويعتبر السلطان المدافع عن حدود الله والحامي لحرماته باعتباره خليفته في الأرض⁽²⁾ وباعتراف الخليفة به يصبح سلطاناً بصفة رسمية في حدود دولته.

ويشترط على السلطان أن يكون من العائلة السلجوقية⁽³⁾ حتى يحظى بهذا المنصب، ولقد عاشت هذه الطبقة حياة الترف والرفاهية والرغد وذلك بسبب وفرة الأموال وكثرتها وغنى الخزانة السلطانية السلجوقية بمختلف الكنوز الثمينة⁽⁴⁾، فعزموا على أن يظهر مستواهم المعيشي بشكل لائق وملفت للانتباه وبسبب انبهارهم بالمدن العامرة والقصور التي شيدها الفرس، فإنهم ساروا على ذلك المنوال في بناء قصورهم ومدنهم⁽⁵⁾، التي ضرب بها المثل في الأبهة والروعة والبهاء، وكان لتصميمها نمط خاص إذ أحاط بقصر السلطان قصر الأمير.

وبسبب تواضع السلطان السلجوقي كان يستقبل السكان في أي وقت دون حاجة إلى وساطة⁽⁶⁾ الأمر الذي أدى بالأهالي إلى الالتفاف حوله فكسب محبتهم وثقتهم.

مهامه: كان هو حاكم الدولة وسيد باقي الطبقات والمسؤول عنهم⁽⁷⁾، فاهتم بتعيين أصحاب المناصب المختلفة ورؤسائها، أما بالنسبة لإدارة الشؤون في الدولة فتقاسمها السلطان مع الخليفة العباسي.

(1) - السلطان: قيل أن اللفظ مشتق من التسلط وهو القهر والغلبة لقهر الرعية وانقيادهم له، ومعناه: الحجة، قال الله تعالى " وما كان له عليهم من سلطان " سورة سبأ، 21. يعني حجة، وسمي السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 447.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص 197.

(3) - حسنين، المرجع السابق، ص 175.

(4) - حسنين، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص 165؛ إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط 1، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العلمي، بيروت، لبنان، 1989م، ص 254.

(5) - إدريس محمد محمود، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، ج 2، ط 1، القاهرة، (د.د.ن)، 1983م، ص 139.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص ص 179 - 207.

(7) - حسنين، المرجع السابق، ص 175.

ألقاب السلاطين: إنّ لقب السلطان يتلاءم بشكل كبير مع فكرة السلطنة السياسية التي أرادوا تأسيسها⁽¹⁾ فعُرف كل سلطان بلقب مميّزه عن باقي السلاطين، فعند دخول طغرلبيك إلى مدينة نيسابور وتولي زمام الأمور فيها أطلق عليه لقب السلطان المعظم ركن الدنيا والدين⁽²⁾.

وفي سنة 440هـ - 1048م أطلق عليه الخليفة القائم بأمر الله لقب ركن الدولة أبو طالب طغرلبيك ثم غيّر لقبه إلى ركن الدين وكان ذلك في سنة 451هـ - 1059م⁽³⁾.

2. 1. 2. الأمراء:

ويأتي في المرتبة الثانية بعد السلاطين الأمراء وهم أقاربه وأشقائه وأبناءؤه وأحفاده⁽⁴⁾، وكان للأمير نظام خاص به حيث ينشأ في بداية الأمر في قصر والده ويتولى تربيته وتعليمه أحد القادة المخلصين أو أحد الوزراء المقربين ويطلق عليه لقب "أتابك الأمير"، وإذا ما كبر استقل بحياته في قصره الخاص به الذي يكون في المدينة أو خارجها⁽⁵⁾، ثم يتولى بعد ذلك إمارة منطقة كبيرة لأجل إعداده للحياة السياسية⁽⁶⁾، وهذا ما كان مع الوزير نظام الملك الذي تولى تولى تربية وتعليم ملكشاه⁽⁷⁾ أمور الشريعة الإسلامية وما يتعلق بها، إضافة إلى اللغة والبلاغة، وكانت من عاداتهم أيضا أن يتقن الأمير فن الصيد والرماية⁽⁸⁾.

وبالإضافة إلى الأمير كانت طبقة السلاطين تضم نساء السلاطين ونساء الأمراء وكن يعرفن بالحریم السلطاني⁽⁹⁾.

(1) - إدريس محمد محمود، المرجع السابق، ص 25.

(2) - الحسيني، المصدر السابق، ص 9؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 457.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص 175.

(4) - المصدر نفسه، ص 167.

(5) - البيهقي، المصدر السابق، ص 115.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 145.

(7) - الحسيني، المصدر السابق، ص 66 - 67.

(8) - الراوندي، المصدر السابق، ص 578 - 591.

(9) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 241.

2. 1. 3. الوزراء⁽¹⁾:

لقد انتقل الوزراء من الخلافة العباسية إلى الإدارة السلجوقية، فاتخذ السلاطين السلاجقة الوزراء لتسيير شؤون الدولة وأمورها بكثرة واختلف الوزراء في العصر السلجوقي عن غيرهم في العصور السابقة، فوطدوا أقدامهم في الحكومة بسبب خبرتهم الكبيرة ومعرفتهم الواسعة الأمر الذي ميّزهم عن الآخرين الذين كانوا أميين لا معرفة لهم بالتسيير⁽²⁾، وذلك راجع إلى محدودية المستوى التعليمي للسلاطين السلاجقة المتأثرين بحياة البداوة وافتقارهم للخبرة⁽³⁾، فكان لزاماً عليهم اللجوء إلى الوزراء لمساعدتهم في إدارة شؤون دولتهم المتزامية الأطراف وتحمل الأعباء الأعباء معهم، ولعلّ أبرز مثال عن ذلك هو السلطان سنجر الذي كان أميناً وبحاجة لمن يعينه في الإدارة. كما حظي الوزراء في ذاك الزمن بمكانة مرموقة لم يحظى بها وزراء بني بويه ومن سبقهم⁽⁴⁾ وتمتعوا بسلطة كبيرة، وشغلوا مناصباً رفيعة في الإدارة⁽⁵⁾.

ف نجد أنّ كلّ السلاطين قد اتخذوا وزراء لهم⁽⁶⁾ فكانت الوزارة تعدّ إحدى الوظائف الإدارية الرئيسية بعد السلطان⁽¹⁾، فالوزير يلي السلطان في الحكم والإدارة في الدولة السلجوقية فاعتبر نائباً للسلطان فكان يهتم بوضع

(1) - يرتبط هذا اللفظ بمعنيين رئيسيين: الأول مشتق من كلمة "الأزر"، والتي تعني الظهر، حيث يُعد الوزير سنداً للملك يقويه ويدعمه، والثاني مأخوذ من كلمة "الوزر" بفتح الواو والزاي، والتي تعني الملجأ، فيكون الوزير ملاذ الملك في المشورة والمساعدة، أما "الوزر" فيأتي بمعنى الثقل، ويُجمع على "أوزار" كما ورد في قوله تعالى "وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم" سورة الأنعام، الآية 31 أي يحملون أثقال ذنوبهم، ويقال: "وزر" بمعنى حمل، ومن هنا جاء لقب "وزير السلطان" للدلالة على من يحمل أعباء الحكم ومسؤوليات الدولة انظر: الماوردي، المصدر السابق، ص 28؛ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، ج 29، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ص 181؛ القرطبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج 10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1985م، ص 230.

(2) - بارتولد، المرجع السابق، ص ص 308-309.

(3) - شلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية 3، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م، ص 424.

ص 424.

(4) - بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص 455.

(5) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص 139.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، 159.

بوضع سياسة الدولة بالتشاور مع السلطان، الذي كان يأخذ برأيه في كل صغيرة وكبيرة وبشكل مباشر على عكس رؤساء الدواوين الآخرين⁽²⁾.

كان الوزير في الدولة السلجوقية يقوم بدور فعال في عملية صنع القرار فكان يجلس إلى جانب السلطان ويشارك في التشاور وتحديد السياسات ووضع الخطط لإدارة الدولة بشكل فعال وكان لهذا التعاون المتواصل بين الوزير والحاكم دور كبير في توجيه السياسات الداخلية والخارجية للدولة وضمان استقرارها ونموها⁽³⁾، كما كان الوزير أساس الإدارة والمسؤول عن الأمور القضائية التي تدخل في نطاق حكمه⁽⁴⁾.

كما تولى زمام الأمور الداخلية للدولة⁽⁵⁾، فهو الحاكم والمالك الذي يحكم الرعية ويخضع لحكم السلطان بالطاعة والولاء، فيجمع بذلك بين سطوة تابع وانقياد متبوع⁽⁶⁾.

ولقد تميز العصر السلجوقي بتجديدات لافتة في نظام الوزارة من أبرزها إطلاق لفظ الصدارة على منصب الوزير وقد شهد هذا العصر تنوعاً في الألقاب الوزارية بخلاف ما كان معمولاً به في العصور التي سبقتة، فلم يقتصر على لقب واحد فقط بل تعددت التسميات فُلِّقَ الوزير بـ "السيد الأعظم" أو خواجه بزرگ⁽⁷⁾، كما عرف بلقبى الصدر⁽⁸⁾ أو الدستور⁽⁹⁾.

(1) - حسنين عبد النعيم، المرجع السابق، ص 138.

(2) - حلمي، المرجع السابق، ص 210.

(3) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 193.

(4) - محبوبه، المرجع السابق، ص 429.

(5) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 138.

(6) - الماوردي، أدب الوزير، تحقيق: محمد سليمان داود، فؤاد عبد المنعم أحمد، ط 1، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1976م، ص ص 47-48.

(7) - شلي أحمد، المرجع السابق، ص 424.

(8) - الصدر في اللغة أعلى كل شيء وأوله، والصدر أيضاً هو رئيس وحدة إدارية أو رئيس أحد الدواوين، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 8، ص 209.

(9) - حلمي، المرجع السابق، ص 210؛ قبال، المرجع السابق، ص 43.

كان هناك تقليد متبع في منح الألقاب التي تشير إلى فضل الوزراء والمسؤولين الحكوميين، وعادة ما كانت هذه الألقاب مرتبطة بكلمة "الدين"، مما يعكس الاحترام والتقدير للشخص ولدوره في الحكم، على سبيل المثال: كنظام الدين ومعين الدين وفخر الدين وغيرها من الألقاب⁽¹⁾.

ووصف الوزراء بعدة أوصاف لعل أشهرها وصف الماوردي لهم قائلًا "هم حازة الأموال وساسة الأعمال"⁽²⁾، فالوزير يُعدُّ ناصحًا ومرشدًا، يحرص على حماية السلطان من الوقوع في الأخطاء والآثام⁽³⁾ ويوجهه نحو الخير، كما يتولى إدارة أموال السلطان ويسعى لتحقيق مصالح الدولة، إضافة إلى ذلك يستطيع الوزير إلهام الناس وإثارة طموحاتهم مما يعزز الرخاء والاستقرار في المملكة.

مهامه: يُشرف الوزير على الدواوين المختلفة مثل: ديوان الاستيفاء⁽⁴⁾، ويعد الوزير عماد الدين أبو سعد شرف الملك محمد بن منصور بن محمد الخوارزمي من أشهر وزراء ديوان الاستيفاء فضلًا وثروة⁽⁵⁾، ولقد شغل هذا المنصب في عهد ألب أرسلان، وديوان الإشراف وديوان الأوقاف.

وتتحلى مهام الوزير في الدولة السلجوقية في رعاية جانب الله والسلطان وحاشيته وسائر الخلق، حيث يجب أن يكون مخلصًا في دينه، داعمًا للقيم الدينية، ومنفذًا لأوامر السلطان بحكمة وعدالة، عليه أيضًا الاهتمام بشؤون الحاشية وضمان ولائهم، بالإضافة إلى تلبية احتياجات الرعية وتحقيق العدالة والمساواة بينهم، ويُتوقع من الوزير أن يتحلّى بالاستقامة والنزاهة في جميع تصرفاته، متجنبًا الفساد، وأن يكون مثالًا للأخلاق الفاضلة مثل الصدق والأمانة، ويُطلب منه أن يُكرّس وقته وجهده لتصريف أمور الدولة⁽⁶⁾، ساعيًا لتحقيق تطورها وازدهارها.

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 403-406.

(2) - الماوردي، المصدر السابق، ص 9.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص 176.

(4) - ديوان الاستيفاء: من الوظائف المهمة في الدولة السلجوقية، ولصاحبها النظر في الأمور المالية والإشراف على حسابات الدولة وتدقيقها، انظر: إقبال، المرجع السابق، ص 44-50؛ حسنين، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص 147.

(5) - إقبال، المرجع نفسه، ص 82.

(6) - محبوب، المرجع السابق، ص 429.

كانت المصاريف والمداخيل في يد الوزير فهو من يُسيّر النفقات الخاصة بالسلطان والأسرة الحاكمة وأمور القصر من مؤن وأرزاق وألبسة، ومن أشهر من تولى هذا الأمر وزير السلطان مسعود كمال الدين محمد الخازن.

لم يقتصر عمل الوزير في تسيير النفقات على القصر السلطاني بل تعدّاه إلى النظام العسكري فكان يدفع أرزاق الجنود وكان الموظف المسؤول عن هذه العملية يطلق عليه اسم عارض الجيش⁽¹⁾، كما كانت مهمة الوزير تجنيد وحشد الجنود لخدمة السلطان خاصة الوزراء الذين جاؤوا بعد فترة حكم السلطان ملكشاه مثل وزير السلطان محمد ملكشاه الوزير "سعد الملك"⁽²⁾.

والسبب في تطور الحالة المادية والاقتصادية في الدولة السلجوقية هو الوزير لأنه كان رئيس الإدارة المالية، وذلك من خلال فرض الضرائب على الأقاليم والمدن الكبيرة، ولعل أشهر وزير فعل ذلك هو نظام الملك⁽³⁾.

ونظرا لما لمنصب الوزارة من أهمية بالغة ومكانة رفيعة في هرم الدولة فقد أصبح محل تنافس بين الطامحين من رجال الدولة⁽⁴⁾.

وقد تعاقب على هذا المنصب في العصر السلجوقي الكثير من الرجال الأفذاذ الصالحين كان للوزراء إسهام كبير في علو شأن سلاطينهم حيث سعوا إلى جعل سيرتهم طيبة بين الأقاليم⁽⁵⁾ ومن أشهر الوزراء السلاجقة وعلوهم منزلة بسبب إسهاماته الكبيرة والذي تولى كل المهام الوزير أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي المعروف أيضاً بلقب "نظام الملك"، والذي كان واحداً من أبرز الوزراء في تاريخ الإسلام، كما كان له دور بارز في تطوير الإدارة والسياسة في الدولة السلجوقية، وكانت له تأثيرات كبيرة على الساحة السياسية في زمنه، واستطاع بذكائه ومهارته الإدارية تعزيز سلطة الدولة وتنظيم شؤونها وإرساء دعائم السلطنة السلجوقية ووطّد أركانها⁽⁶⁾، بالإضافة إلى إنشائه

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص44.

(2) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص85.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص117.

(4) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص255.

(5) - الطوسي، المصدر السابق، ص ص 216-217.

(6) - إقبال، المرجع السابق، ص69.

إنشائه للمدارس النظامية والتي قضى من خلالها على خطر الحركة الإسماعيلية وخطر الشيعة، ولعل أهم دور قام به أن وضع نظام الإقطاع العسكري وتوسع فيه كما رفع من مرتبات الجنود في عهد ملكشاه إلى سبع مائة ألف دينار الأمر الذي عاد بالفائدة والنفع الكبيرين على الدولة السلجوقية، كما تولى مهمة قيادة الجنود بنفسه فقضى على بعض التمردات التي حدثت داخل البيت السلجوقي كل هذه الجهود التي قام بها نظام الملك أدت إلى استمرار الدولة السلجوقية ودوامها، وسار على نهجه أولاده وأحفاده من بعده⁽¹⁾ حيث تقلدوا منصب الوزراء كذلك.

ومن الوزراء السلاجقة كذلك نذكر: الكندري أبو نصر بن منصور والذي كان وزيرا لدى السلطانين طغرل بك وألب أرسلان تولى الوزارة في عهد السلطان طغرل بك في الفترة ما بين عام 448هـ - حتى 455هـ / 1056م - 1063م ولقد بلغت الدولة السلجوقية في فترة وزارته أوج اتساعها⁽²⁾ بفضل حنكته وسياسته، وكذا الوزير تاج الدين أبو الغنائم وزير السلطان ألب أرسلان، والوزير شرف الدين القاشاني الذي وُزر للسلطان محمود بالعراق⁽³⁾.

ومن أشهر وزراء السلطان أرسلان بن طغرل بك: جلال الدين بن قوام الدين⁽⁴⁾، وشهاب الدين بن ثقة الدين عبد عبد العزيز وكمال الدين أبو شجاع الزنجاني.

والوزير فخر الملك أبو الفتح مظفر بن خواجه نظام الملك⁽⁵⁾، والوزير الطغرثي الذي تولى الوزارة لدى السلطان مسعود بن محمد.

والوزير أبو الحسن صدر الدين محمد قوام الملك الذي وُزر للسلطان سنجر وكانت فترة وزارته طويلة بالمقارنة مع فترة الوزراء الآخرين حيث امتدت من 500هـ إلى عام 511هـ / 1106م - 1117م⁽¹⁾.

(1) - شليي أحمد، المرجع السابق، ص 424.

(2) - إقبال، المرجع السابق، ص 60-67.

(3) - شليي أحمد، المرجع السابق، ص 424.

(4) - الراوندي، المصدر السابق، ص 403.

(5) - إقبال، المرجع السابق، ص 284.

والوزير ابن هبيرة الذي تم تعيينه وزيرا سنة 544هـ/1139م وكان له إسهام كبير في المجال الثقافي بحبه للكتب ومعرفته الواسعة للعلوم الدينية⁽²⁾. (انظر الملحق رقم: 04).

شروط تعيينه: اتخذت الدولة السلجوقية جملة من التدابير والشروط لتعيين الوزير في منصبه، فليكني يكون أهلا لذلك يجب أن تكون عقيدته إسلامية ثابتة وقوية، حنفي المذهب أو شافعي، تقيا عارفا بكل ما يتعلق بالتعاملات مع الناس يسعى للقضاء على الفتن المذهبية السيئة والمحدث⁽³⁾ محبا للسلطان يتصف بصفات الكرم والجود، ذا خبرة كبيرة بالعادات والتقاليد ويضع الأمور في مواضعها الصحيحة، يستحسن للوزير أن يكون من بيت الوزارة فذلك يرفع من مقامه ويزيد من وقاره وهيبته⁽⁴⁾ بين الناس بالإضافة إلى أن ابن الوزير يكون كفؤا ذو خبرة ودراية واسعة بشئون الدولة والتسيير.

مطلعا على كل المجالات الدينية والعلمية وأمور الحساب والتاريخ⁽⁵⁾، كما يجب على الوزير أن يكون قد تقلد منصبا إداريا في الدواوين وغيرها، كل هذه الأمور تجعل منه سبيلا للتقدم كما أنه يزود الملك بالاطمئنان والراحة بسبب استقامته وبعده عن الانحراف⁽⁶⁾.

كان الوزراء في الدولة السلجوقية شغوفين بالعلم والأدب بشكل كبير، حيث شجعوا العلماء والأدباء ومنحهم الدعم والحماية لممارسة أعمالهم، كما أن الوزراء السلاجقة كانوا علماء وأدباء⁽⁷⁾، حيث كانوا يتمتعون بالمعرفة والثقافة في مختلف المجالات بما في ذلك العلوم، الفلسفة، الأدب والشعر...

(1) - المرجع نفسه، ص 223

(2) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص 127.

(3) - محبوب، المرجع السابق، ص 429.

(4) - الطوسي، المصدر السابق، ص 217.

(5) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص 125.

(6) - الطوسي، المصدر السابق، ص 59.

(7) - كربي خالد، الحركة العلمية في بغداد خلال العهد السلجوقي وعوامل ازدهارها 447هـ-590هـ / 1055م، 1194م، الجزائر، ص 215.

2. 2. طبقة العامة:

في عهد السلاجقة كانت المدن والقرى مكتظة بحشود من العامة أو السواد الأعظم⁽¹⁾ كما أُطلق عليها عدة تسميات منها الدهماء⁽²⁾ والأوباش والسفهاء والسوقة والجهلاء وغيرها من الألفاظ⁽³⁾ ولقد مثلت هذه الطبقة الأغلبية من الشعب وتشكّلوا من مختلف الأعراق والأديان حيث كان معظمهم مسلمين أما أهل الذمة فكانوا أقلية في هذه الطبقة⁽⁴⁾، كما كان منهم العرب والأتراك والفرس والديلم والروم⁽⁵⁾.

كانت طبقة العامة في المجتمع السلجوقي تختلف عن طبقة الخاصة، إذ وُضعت في أسفل الهرم الاجتماعي⁽⁶⁾ دون أن تحظى بأهمية تُذكر لدى السلاجقة، ويرجع ذلك إلى افتقارها للمعرفة الدينية، وابتعادها عن العقيدة والشرعية الإسلامية، إضافة إلى تمسكها بعبادات بعيدة عن الدين، كما أن جهلها بمعاني الفلسفة والكلام حال دون وصول أفرادها إلى المناصب في السلطة.

ورغم انتمائهم إلى طبقة واحدة، إلا أن المستوى المعيشي للعامة كان متفاوتًا تبعًا لاختلاف أعمالهم⁽⁷⁾، فقد كانت حياتهم أقل رفاهية من الخاصة والموظفين، ويتجلى ذلك في ملابسهم البسيطة، ومساكنهم المتواضعة البعيدة عن الأحياء الراقية⁽⁸⁾، وطبيعة غذائهم المحدودة وبحثًا عن لقمة العيش امتنوا عدة مهن، فعمل بعضهم في الزراعة

(1) - فهد، المرجع السابق، ص 12.

(2) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 3، ص 76؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج 11، ص 378.

(3) - الماوردي، المصدر السابق، ص 278-288؛ الشيرازي، المصدر السابق، ص 65.

(4) - البغدادي، المصدر السابق، ج 3، ص 304.

(5) - جورج، المرجع السابق، ج 5، ص 51؛ مليحة رحمة الله، الحالة الاجتماعية في العراق، مطبعة الزهراء، بغداد، 1970م، ص 13.

(6) - فهمي سعد، العامة في بغداد، المرجع السابق، ص 65-68.

(7) - الخالدي فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، ط 1، دار الأديب، بغداد، 1969م، ص 144.

(8) - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 255؛ مواهب عبد الفتاح صبري، التطور الاقتصادي والاجتماعي في العراق خلال القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه آداب، القاهرة، 1989م، ص 198.

والصناعة، بينما اشتغل آخرون بالحرف المختلفة والتجارة، حيث تنوع نشاطهم بين بيع التوابل والعطور⁽¹⁾ وتجارة السيوف والحيوانات كالبغال، وانتشر بينهم الباعة المتجولون في الطرقات الذين يبيعون السلع الرخيصة، كما وُجد الباعة الثابتون⁽²⁾، الذين وُصف بعضهم بالتدليس والغش⁽³⁾.

ولم تقتصر هذه المجالات على الرجال، بل أسهمت النساء أيضاً في التّجميل وصناعة العطور وبيعها، كما اهتمت العامة بتجارة الأدوية⁽⁴⁾ وكذا اللّوازم الحربية كالسيوف والدروع، كما كان منهم من يُتاجر في الحيوانات كالأحصنة كالأحصنة والبغال، إلى جانب ذلك خدم بعض العامة في القصور ومنازل الأغنياء، وعانوا من حياة شاقّة مليئة بالمشقة والتعب⁽⁵⁾، غير أنّ هذه الطبقة لم تخلُ من أفراد اهتموا بالعلم والثّقافة فكان منهم الأدباء والمعلّمون⁽⁶⁾ الذين نقلوا العلوم خاصّة الشرعية، أمثال أبو المحاسن محمد بن أحمد الأصبهاني الذي جمع بين التجارة وتدريس الحديث في بغداد⁽⁷⁾، كما برع بعضهم في الطب⁽⁸⁾؛ فكان منهم الفصّادون وأطباء العيون المعروفون بالكحالين، والمتخصّصون في العلاج بالحمامة، إضافة إلى الصّيادلة الذين أتقنوا صناعة الأدوية من الأعشاب⁽⁹⁾.

وامتدت ظاهرة العامة في مدن العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى وفارس وبلاد ما وراء النهر، حيث ضمت المنجمين وكتبة الرسائل الذين اتخذوا الطرقات مجلساً لهم⁽¹⁰⁾، إلى جانب اللصوص والعيارين⁽¹⁾ والشرطار⁽²⁾،

(1) - النويري، المصدر السابق، ج 12، ص 23.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 44-229.

(3) - الشيزري، المصدر السابق، ص 158.

(4) - ابن العماد، المصدر السابق، ج 5، ص 10.

(5) - سرور، المرجع السابق، ص ص 6-7.

(6) - ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 2، ص 142.

(7) - الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح: شاكّر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975م، ص 236.

(8) - الطبري، المصدر السابق، ج 2، ص 448-496.

(9) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 250، الشيزري، المصدر السابق، ص ص 108-109.

(10) - ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 183.

وارتبط بهم أيضاً بعض الرقيق والمتصوفة، مما جعلهم مصدراً للاضطرابات والفتن، ولذلك سعت الدولة إلى استقطابهم واحتوائهم تجنباً لشهرهم⁽³⁾، ورغم وضعهم الاجتماعي المتدني، فإن هذه الطبقة كانت عصب الحياة الاقتصادية، حيث عمل أفرادها في مختلف الميادين، فشكّلوا قوة إنتاجية أساسية في المجتمع.

2.2. 1- طبقة التجار:

احتلّ التجار مكانة بارزة في المجتمع السّلاجقي، حيث أدرك السّلاجقة أهمية دورهم وعملوا على دعمهم من خلال محاولة استيعابهم في الطبقة الحاكمة قدر الإمكان⁽⁴⁾، ممّا أدّى إلى تكوينهم لطبقة اجتماعية متميزة داخل الهرم السّلاجقي⁽⁵⁾، وبفضل جهودهم الدؤوبة تمكّن بعضهم من بلوغ أرفع المناصب في الدولة فاختيروا وزراء⁽⁶⁾، كما حظوا بدعم وتأييد شخصيات بارزة مثل الوزير الدهستاني أعز الملك أبو المحاسن، وزير السلطان بركياروق، الذي أولى التجارة وأهلها اهتماماً خاصاً⁽⁷⁾.

(1) - العيّارون، مفردها عيّار، وهو لفظ يشير إلى الشخص كثير الحركة والتنقل، الذكي سريع البديهة، وقد استخدم العرب هذا الوصف بمدح وذم؛ فمن جهة يدل على الفطنة والنشاط، ومن جهة أخرى يصف من يتبع هواه بلا رادع، فيقال: "غلام عيّار" لمن اعتاد الطواف وارتكاب المعاصي دون وازع، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص 301-302؛ الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص153.

(2) - الشاطر هو من ابتعد عن الخير واتجه نحو الشر، ويُجمع على شُطّار ويُوصف بالمكر والدهاء والقدرة على الخداع، ويُطلق هذا الوصف أيضاً على اللص الذكي الذي يوظف الحيلة حين تستلزم المكر، والقوة حين يتطلب الأمر المواجهة، انظر: الأنباري، المصدر السابق، ج1، ص626؛ النجار محمد رجب، الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م، ص12.

(3) - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص255.

(4) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص106.

(5) - حلمي، المرجع السابق، ص204.

(6) - الألوسي، المرجع السابق، ص22.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص91.

ومع توسع نفوذهم في الدولة السلجوقية أصبح التجار من طبقة الأثرياء، فعاشوا حياة فاخرة بفضل الثروات التي جمعوها من تجارتهم، إلى جانب تميزهم بثقافة واسعة اكتسبوها من مخالطتهم للعلماء⁽¹⁾، كما حرص عدد من الوزراء والسلاطين على إلغاء الضرائب المفروضة عليهم، مما ضمن لهم بيئة اقتصادية آمنة ومستقرة⁽²⁾.

ومع ذلك لم يكن طريقهم خاليًا من التحديات، إذ تعرضوا أحيانًا لاستغلال بعض الوزراء الجشعين، الذين استهدفوا أموالهم، مما دفع بعضهم إلى ترك مهنتهم تجنبًا للمضايقات المالية التي أثقلت كاهلهم⁽³⁾.

أطلق على التجار المتخصصين في بيع السلع الفاخرة والتمينة مثل المجوهرات والأقمشة النفيسة⁽⁴⁾ اسم البرّازين وقد وقد تميز هؤلاء التجار بشراقتهم الكبيرة، مما جعلهم ينتمون إلى طبقة الخاصة⁽⁵⁾، خاصة عند مقارنتهم بالفقراء وأصحاب الدّخل المحدود⁽⁶⁾.

كما تمتع البرّازون والتجار الأثرياء بعلاقات قوية مع نظرائهم في مختلف مدن خراسان وغيرها، مما منحهم اطلاعًا واسعًا على أحدث المنتجات وسهولة الوصول إلى الأسواق الكبرى، في المقابل انشغل صغار التجار بتوفير المستلزمات الضرورية للناس، فكانوا أكثر ارتباطًا بالأسواق المحلية، حيث تواجدوا بكثرة لتلبية احتياجات العامة⁽⁷⁾. العامة⁽⁷⁾.

(1) - مليحة رحمة الله، المرجع السابق، ص 50.

(2) - كارلا آل كلاوسنر، المرجع السابق، ص 107.

(3) - صفى علي محمد عبد الله، النشاط التجاري في إقليم خراسان خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، كلية البنات، جامعة عين شمس، ص 15.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 362؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 115 - 125.

(5) - فهد، المرجع السابق، ص 63.

(6) - علاوي عمار مرضي، فئة التجار في العصر العباسي المتأخر 447هـ - 656هـ، كلية الآداب، قسم التاريخ، مجلة الجامعة العراقية، ع 88، ج 1، ص 290.

(7) - العمادي، المرجع السابق، ص 182.

ونظرًا لانتماء التجار إلى طبقة الأثرياء، فقد استقروا في أفخم المساكن والفنادق المنتشرة في أقاليم الدولة السلجوقية لا سيما في بغداد وخراسان، كما امتلكوا أسواقًا خاصة بهم، تضم أماكن مخصصة لإقامتهم، مما وفر لهم بيئة تجارية ومعيشية متميزة.

2. 2. 2. طبقة الحرفيين والصّناع:

تألّف المجتمع السلجوقي كذلك من فئات شملت الحرفيين والعمال والفلاحين والمهنيين وصغار البائعين، إضافةً إلى الجنود والصوص كما ضم مجموعات هجرت الريف إلى المدن، بحثًا عن فرص لتحسين أوضاعهم المعيشية وصنع ثرواتهم⁽¹⁾.

ولقد شكّل العمال شريحة مهمة من المجتمع، حيث سعوا لكسب المال وتحسين ظروفهم المادية من خلال ممارسة مهن متعددة، اختلفت تبعًا لخلفياتهم وانتماءاتهم، فقد امتهن بعضهم أعمالًا يدوية مثل التجارة، والخياطة، والتجارة⁽²⁾، والعطارة، والصّبّاعة، كما امتهن البعض الآخر صناعات أخرى معتمدين على مهاراتهم وأدواتهم مثل التصوير والحفر والنقش على الخشب والحجارة والأشكال المختلفة سعيًا للحصول على مقابل يضمن لهم سبل العيش الكريم⁽³⁾، في المقابل استقر الفلاحون والزّراع في القرى بمختلف مدن العراق وخراسان معتمدين على زراعة زراعة الأراضي كمصدر رئيسي لدخلهم⁽⁴⁾.

لم تكن هذه الفئة على مستوى واحد من العلم والمعرفة، فمنهم من برز في العلوم الدينية كالقراءات والحديث، ومنهم من تولّى القضاء وساهم في الحياة الفكرية والقضائية⁽⁵⁾، بينما بقي آخرون أميين، مما يعكس التنوع الاجتماعي وإمكانية الترقّي العلمي داخل هذه الفئات.

(1) - الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، المطبعة الكاثوليكية، 1961م، ص91.

(2) - الصابي، المصدر السابق، ص22.

(3) - إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، اعتناء: خير الدين الزركلي، ج1، القاهرة، 1928م، ص217.

(4) - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص255.

(5) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص101-133.

وبالنسبة لحالتهم الاقتصادية فلقد عاش معظمهم حياة متوسطة في المدن، فلم يبلغوا ثراء السلاطين والوزراء والتجار ولم يعانون الفقر المدقع، بل توازن مستواهم المعيشي بين هذين الحدين⁽¹⁾، فتمكّنوا من توفير احتياجاتهم الأساسية دون الوصول إلى رفاهية الطبقات العليا⁽²⁾.

على مستوى التنظيم المهني كانت كل طائفة من أهل الصناعات والحرف تتجمع في حي أو منطقة تحمل اسمها مثل النساجين والحلاجين والبنّائين والحدادين والورّاقين، وغيرهم وقد ساعد هذا النظام على حماية مصالحهم المشتركة وضمان حقوقهم، إضافةً إلى تنسيق أعمالهم وتعزيز مكانتهم داخل المجتمع. أما الصناع فقد انقسموا إلى فئتين؛ الأولى ضمّت العاملين بالأجرة، الذين اشتغلوا في المؤسسات الخلافية، ودور الضرب، والمحلات التجارية الكبرى، أما الفئة الثانية فكانت تضم من يعملون لحسابهم الخاص، بمن فيهم المبتدئون الذين بدؤوا مسيرتهم المهنية بشكل مستقل⁽³⁾.

2. 2. 3. طبقة العيارين والشطّار:

ومن العامة الذين شكّلوا خطراً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة السلجوقية العيارين والشطّار، إذ وُصفوا بأنهم "لصوص شرفاء"، ثائرون على أوضاعهم، لكنهم في الوقت نفسه متشردون بلا مهنة، يعملون في وظائف متواضعة⁽⁴⁾، وقد عُرفوا بأسماء متعددة مثل الزُّعار⁽⁵⁾ والغوغاء، واللّصوص، وجاء تمرد العيارين كنتيجة مباشرة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى معاملة السلطة والتجار لهم بجفاء، كما ساعدت الصّراعات بين السلاجقة والطوائف الدينية في توسع نفوذهم، إذ استغلوا التوترات السياسية لتكثيف عملياتهم

(1) - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، 255.

(2) - الدمشقي، المصدر السابق، ص 43.

(3) - الدوري عبد العزيز، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 1، 1959م، ص 153.

(4) - العقيلي محمد أرشد، العيارين والشطّار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون، مجلة دراسات تاريخية، ع 49، السنة الخامسة عشر، بغداد، 1994م، ص 92.

(5) - الزُّعار: يُقال "زَعَر ريشه أو شعره" إذا قلَّ وتفرّق حتى انكشف الجلد وظهر، كما يُقال "زَعَر الرجل" إذا ندر خيره وقلّت مروءته، انظر: النجار محمد رجب، الشطّار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م، ص 12.

التخريبية⁽¹⁾، ولقد تمتع العيارين بتركيبة تنظيمية واضحة حيث كانوا يعملون تحت قيادة "العقيد"، الذي كان المسؤول عن توجيههم وتنظيم عملياتهم، واتخذوا منطقة الجبل ملاذاً لهم، ينطلقون منه لشن هجماتهم وقطع الطرق مما أثقل كاهل الدولة وأرهق الأهالي بأعمال النهب والاعتداء على الأسواق والمحال التجارية، ولقد اعتمد العيارين على السرقة والنهب كأسلوب للعيش نظراً لفقرهم المدقع، فلهجؤوا إلى مدهمة المتاجر والاستيلاء على البضائع⁽²⁾ مستخدمين مختلف أنواع الأسلحة، ولم تقتصر جرائمهم على السرقات المتفرقة بل توسعوا في عمليات التخريب المنظم لابتزاز التجار والحصول على الأموال⁽³⁾، كما حدث في بغداد عام 456هـ - 1064م حيث اجتاحتها الأسواق وعاثوا فيها فساداً وألحقوا الأذى بالعامّة⁽⁴⁾.

كما وسّعوا نشاطهم ليشمل منازل الأثرياء، حيث اعتدوا عليها ونهبوا محتوياتها، ناشرين الرعب والفوضى في الأحياء الغنية⁽⁵⁾، وأمام تفشي جرائمهم وتصاعد خطرهم، ساد القلق بين الأهالي الذين خشوا على أرواحهم وممتلكاتهم⁽⁶⁾، ولم يجد السكان بداً من مواجهتهم والتصدي لهم، فتسلّحوا بمختلف الأسلحة ودافعوا عن أنفسهم⁽⁷⁾ في محاولات يائسة لكبح جماح العيارين وحماية أحيائهم من الفوضى والنهب.

وفي المقابل اتخذ السلاطين السلاجقة إجراءات صارمة لكبح جماحهم فور دخولهم إلى العراق، فبادروا إلى ملاحقتهم وتشديد الرقابة على تحركاتهم وفرض الأمن للحدّ من خطرهم⁽⁸⁾، ممّا أدى إلى تراجع نشاطهم بشكل

(1) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 97.

(2) - الجبوري إسماعيل محمد علي الجاموس، حركة العيارين والشرطة في العصر السلجوقي (447هـ - 590هـ / 1055م - 1193م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 15، ع 2، 2020م، ص 327.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 15، ص 33.

(4) - المصدر نفسه، ج 10، ص 71؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 378.

(5) - عبد المولى محمد أحمد، العيارون والشرطة البغدادية في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1986م، ص 137 - 139؛ إدريس، المرجع السابق، ص 244.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 40؛ الذهبي، المصدر السابق، ص 21.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 234.

(8) - الجبوري، المرجع السابق، ص 328.

ملحوظ مقارنة بفترات الحكام السابقين⁽¹⁾ لا سيما داخل العراق حيث فقد العيارين جزءا كبيرا من نفوذهم نتيجة لهذه السياسات الحازمة، ففي عهد السلطان ملكشاه 484هـ / 1091م بدأت إجراءات جادة ضدهم، إذ استجاب السلطان لشكاوى التجار، حتى أنه تدخل بنفسه لإعادة بطيخة مسروقة إلى صاحبها⁽²⁾، في خطوة رمزية للحد من الفوضى، غير أن الأوضاع تغيرت بعد وفاته، إذ شهدت الدولة نزاعات على العرش بين ابنه بركياروق وأخيه محمد، مما أضعف السلطة المركزية، وأدى إلى اضطراب الأوضاع وفي خضم هذه الفوضى بلغ نفوذ العيارين والشطّار ذروته خلال عهد بركياروق 487هـ-498هـ / 1094م-1104م، والخليفة العباسي المستظهر بالله 487هـ-512هـ / 1094م-1118م، مستغلين حالة الفوضى وتدهور الأوضاع الاقتصادية، فاتّسع نطاق نشاطهم وانتشرت تحركاتهم في مختلف المناطق خاصة في بغداد والمدن الكبرى.

وبعد وفاة السلطان بركياروق تولى السلطان محمد الحكم، وتمكّن من الحد من تحركات العيارين بفضل سياسته الحازمة وحكمه العادل غير أنّ خطرهم عاد للظهور بقوة في بغداد ففي عام 449هـ / 1057م قاموا بكسر أقفال المحلات في الأسواق مثل سوق العطارين ونهبوا ما فيها من أموال⁽³⁾، كما تصاعدت هجماتهم في بغداد، تحديداً في جانبها الغربي عام 493هـ / 1100م⁽⁴⁾، مما دفع السلطات إلى مواجهتهم دون نجاح يُذكر، ثم اشتدت اشتدت أنشطتهم بعدها في سنة 495هـ / 1101م فقاموا بإيذاء أصحاب المحال ببغداد⁽⁵⁾، وامتد فسادهم إلى نيسابور في خراسان بحلول عام 497هـ / 1104م نهبوا أموال الأهالي بها واستباحوا دماءهم وانتهكوا حرماهم⁽⁶⁾.

وبعد استمرار تجاوزاتهم تقدّم صاحب الشحنة ببغداد عام 515هـ / 1121م بشكوى إلى الديوان، مطالباً بالتدخل للقضاء عليهم، وبناءً على ذلك تمت الموافقة على اتخاذ إجراءات صارمة، شملت القبض على مرتكبي هذه الأعمال والمشتبه بهم، مما أدى إلى تراجع نشاطهم بشكل ملحوظ لمدة خمسة عشر عاماً.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج15، ص349.

(2) - المصدر نفسه، ج9، ص70.

(3) - المصدر السابق، ج16، ص16.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص301.

(5) - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ص37؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص88.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص242.

لكن مع احتدام الصراع بين السلاجقة والخلافة العباسية خاصة في عام 520هـ / 1126م، وجد العيارين فرصة جديدة لإعادة تنظيم أنفسهم، فانحازوا إلى الخليفة العباسي الراشد⁽¹⁾، ووقفوا ضد السلطان السلجوقي محمود الثاني عام 521هـ / 1127م، مما أدى إلى مزيد من النهب والتخريب، ورغم أفعالهم التخريبية إلا أن ضغطهم على السلاطين ساهم في تغيير بعض الأوضاع المتدهورة داخل الدولة السلجوقية، مما جعلهم جزءاً من المشهد السياسي والاقتصادي في تلك الحقبة.

ولم تقتصر غاراتهم على البر بل امتدت إلى البحر، حيث هاجموا ليلاً السفن المحملة بالسلع والأموال والرجال القادمة من بغداد إلى واسط والموصل مستحوزين على كامل حولتها، مما زاد من سيطرتهم على بغداد وكان ذلك عام 531هـ / 1136م⁽²⁾.

2. 2. 4. طبقة الرقيق⁽³⁾:

شكلت طبقة الرقيق إحدى الفئات الاجتماعية الأكثر انتشاراً في عصر السلاجقة⁽⁴⁾، فتواجدوا في مختلف مدن الدولة السلجوقية في العراق وغيرها من المدن بشكل ملموس وواضح⁽⁵⁾، ولقد ازدهرت تجارتهم بشكل واسع بسبب حياة الترف والبذخ التي سادت في ذلك الوقت، وقد تنوع الرقيق إلى نوعين رئيسيين، الرقيق السود الذين تم جلبهم من بلاد السودان وإفريقيا والحبشة، والرقيق البيض الذين استقدموا من بلاد الترك والأكراد وصقلية⁽⁶⁾.

ولقد ساهم الطلب المتزايد من السلاطين والأمراء والأغنياء في تنشيط سوق الرقيق، حيث تم اقتناؤهم لأجل الاستعانة بهم في مختلف الأعمال في قصورهم، فكان منهم الغلمان والجواري الذين عملوا في قصور السلاطين

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 17، ص 232.

(2) - المصدر نفسه، ص 323.

(3) - الرّق هو حالة قانونية تنشأ عندما يقع الفرد أسيراً في حرب مشروعة، فيفقد حريته ويصبح مملوكاً لمن يستحوذ عليه، غير أن هذا الوضع يظل مؤقتاً، إذ يمكن إنقاؤه من خلال الفداء أو العتق، انظر: عبد السلام الترمائني، الرق ماضيه وحاضره، سلسلة عالم المعرفة، ع 23، نوفمبر، 1979م، ص 32-36.

(4) - حسنين عبد النعيم، المرجع السابق، ص 177.

(5) - المرجع نفسه، ص 178.

(6) - حسنين عبد النعيم، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص 163.

والأمراء⁽¹⁾، وكذا الخصيان الذين خُصِّصوا لخدمة نساء القصر، كما وُجد بالقصر الفَرَّاشون وهم الرقيق المكلفون بحراسة القصور⁽²⁾.

وتُعتبر الحروب من أهم الأسباب التي أدَّت إلى تواجد هذه الطبقة في المجتمع السَّلجوقي وتزايد أعدادها حيث يتمُّ جلبهم كأُسرى من المعارك، وكان في أكثر الأحيان يتم إرسالهم من بلدانهم إلى السلاطين والأمراء كهدايا من ملوكهم، ما عزَّز وجودهم في مختلف مدن الدولة السَّلجوقية، سواء في العراق أو الأقاليم الأخرى.

أسواق الرقيق:

شهدت أقاليم الدولة السَّلجوقية انتشارًا واسعًا لأسواق العبيد، وكانت سمرقند واحدة من أبرز مراكز بيعهم وتدريبهم حيث كانت تُوفَّر بيئة مناسبة لتربيتهم⁽³⁾.

ولقد وُجدت أماكن مخصَّصة لتجارة الرقيق في مختلف المدن، من أبرزها دار الرقيق⁽⁴⁾ في العراق⁽⁴⁾، التي كانت مركزاً رئيسياً لهذه التجارة وكذلك الحال في بلخ بخراسان⁽⁵⁾ حيث كان بها شارع خاص بهم أطلق عليه "شارع النحاسين"⁽⁶⁾، ازدهرت فيه عمليات البيع والشراء ممَّا جعلها إحدى المخطات المهمة في تجارة الرقيق خلال تلك الفترة.

وتفاوتت مكانة الرقيق وفقاً لأصلهم ومهاراتهم، حيث فضَّل السلاطين بعض الفئات لصفات معينة؛ فاعتبر الرقيق الصقل⁽⁷⁾ من أفضل الأنواع بسبب أخلاقهم وسهولة انقيادهم إضافة إلى حسن مظهرهم، كما تميَّز الرقيق

(1) - الكروي إبراهيم سلمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م، ص 42-47.

(2) - العمادي، المرجع السابق، ص 192.

(3) - حسنين عبد النعيم، إيران والعراق في عصر السلاجقة، المرجع السابق، ص 177.

(4) - الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 420.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص ص 272-273.

(6) - العروضي السمرقندي، المصدر السابق، ص 62.

(7) - الصقالبة هم سكان المناطق المحاذية لبحر الخزر، الممتدة بين القسطنطينية وبلاد البلغار، تعني كلمة "صقلب" الرجل الأبيض الأبيض أو الأحمر، ويقال إنها تشير أيضاً إلى العبد أو الرقيق، تميز الصقالبة بجسامة صدورهم ورؤوسهم العريضة، وشعرهم

المجلوب من بلاد ما وراء النهر بالذكاء والجمال⁽¹⁾ إضافة إلى الطاعة وإتقانهم لأعمالهم، ولقد كانوا يدرّبون على ذلك في سمرقند مسبقاً⁽²⁾، كما عُدّ الرقيق التركي من أفضل الأنواع⁽³⁾، وكان أهل تركستان يتّخذون تجارة الرقيق حرفة رئيسية لكسب معيشتهم⁽⁴⁾.

كما تفاوتت أسعار الرقيق تبعاً لمواصفاتهم وقدراتهم، حيث بلغ سعر الرقيق التركي بين 100 إلى 200 ألف درهم، وكان التقييم يعتمد على معايير دقيقة مثل الفطنة وسرعة البديهة⁽⁵⁾ وكذا القدرة على تنفيذ المهام بكفاءة.

دور المحتسب وسلطة الرقيق:

ونظراً لأهمية تجارة الرقيق، تولّى المحتسب الإشراف المباشر عليها في الأسواق⁽⁶⁾، لضمان تنظيم عمليات البيع والشراء، ولم يقتصر عمل البعض من الرقيق كخدم فقط إنما تدرّجوا في سلم الحكم وتبوّأوا المناصب العليا مثل الحجابة والإمارة⁽⁷⁾، كما حدث مع استر خوارزمشاه حفيد أنوشتكين، الذي كان مملوكاً لملكشاه ثم أصبح حاكماً قوياً سعى للانفصال عن السلاجقة في عهد سنجر، مؤسساً الإمارة الخوارزمية، كما تمكّن البعض منهم من التأثير في شؤون الحكم حيث استغل بعضهم نفوذهم في عزل السلاطين أو دعمهم⁽⁸⁾، مما منحهم قوة سياسية غير مسبقة.

الكستنائي المجمع، مع عيون رمادية غالباً وعسلية أحياناً، تراوحت قاماتهم بين المتوسطة والطويلة، واشتهروا بطول أعمارهم، انظر: الهمداني، البلدان، المصدر السابق، ص 190.

(1) - متز، المرجع السابق، ج 1، ص 282.

(2) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 387.

(3) - المصدر نفسه، ص 398؛ سرور، المرجع السابق، ص 171.

(4) - متز، المرجع السابق، ج 1، ص 285-318.

(5) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص 286؛ أحمد شلي، المرجع السابق، ج 5، ص 198.

(6) - حسنين، دولة السلاجقة، ص 164.

(7) - حلمي، المرجع السابق، ص ص 199-200.

(8) - الراوندي، المصدر السابق، ص 140.

3- الطوائف الدينية:

شكّلت الطوائف الدينية جزءاً أساسياً من المجتمع في العراق وخراسان خلال العصر السّلاجقي، حيث ضمت الإسلام إلى جانب اليهودية والمسيحية والمجوسية، وتفاعلت هذه الطوائف مع السلطة مما خلق بيئة ثقافية متنوعة، ولقد سعى السلاجقة لضمان الاستقرار والحد من التوترات، مما عزز التعايش الديني.

فأقام بين المسلمين وفي كنف الدولة السّلاجقية العديد من أهل الذمة⁽¹⁾ فكانوا يقدمون الجزية⁽²⁾ مقابل دخولهم في ذمة الإسلام والمسلمين⁽³⁾ فيأمنون بذلك على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم⁽⁴⁾، قال تعالى "حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون"⁽⁵⁾ كما يشترط عليهم احترام تعاليم وأحكام الإسلام⁽⁶⁾.

فتمتّعوا بالحرية والطمأنينة والحياة المستقرة كما عوملوا على قدم المساواة مع المسلمين⁽⁷⁾.

(1) - الذّمة لغة: العهد والأمان والذّمامة بالكسر الحقّ والحرمة، رجل ذمي معناه: رجل له عهد، انظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج12، ص221؛ الفيروز أبادي مجد الدّين يعقوب، القاموس المحيط، ج4، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص115.

(2) - أبو يوسف، المرجع السابق، ص123.

(3) - ابن سلام أبي عبيد القاسم، الأموال، تح: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1989م، ص35؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العام، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1953م، ص578.

(4) - أحمد الشنتناوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مج9، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص390.

(5) - سورة التوبة، الآية29.

(6) - أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مج7، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص112.

(7) - آرثر ستانلي ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1967م، ص98؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العام، المرجع السابق، ص538؛ عبد النعيم حسنين، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص164.

فكانوا يُقيمون طقوسهم وشعائهم الدينية في أمن واطمئنان⁽¹⁾، في كنف الدّولة السّلاجقية فلم تتدخل في شعائهم⁽²⁾ ولم تجبرهم على ترك دينهم لدرجة مشاركتهم أعيادهم بِنِيَّةِ التّنزه واللّهُو، كما تسامحوا معهم لدرجة أن بعضاً من اليهود استنجدوا بالسّلاجقة لتخليصهم من الحكام البيزنطيين⁽³⁾.
وتألّف أهل الدّمة من اليهود والنّصارى والمجوس⁽⁴⁾ والصّابئة وغيرهم، ولقد تمّ ذكرهم في القرآن الكريم وأدرج اسمهم اسمهم مع أهل الكتاب⁽⁵⁾ مصداقاً لقوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ"⁽⁶⁾.

3. 1. اليهود:

كان المجتمع السّلاجقي يضم اليهود ضمن تكوينه⁽⁷⁾، وذلك مع إنشاء الخليفة أبو جعفر المنصور لمدينة بغداد سنة 145هـ/762م، حيث استقر اليهود فيها متجاورين مع المسلمين، كما كانت بغداد موطن زعيمهم⁽⁸⁾

(1) - التّطيلي، المرجع السابق، ص135

(2) - حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج3، ص424

(3) - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة عصر الإيمان، تر: محمد بدران، ج13، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص322.

(4) - متز، المرجع السابق، ص58

(5) - أهل الكتاب نسبة للكتاب المقدس التّوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى ويجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية وإن حرم أكل أكل ذبائحهم والزواج بنسائهم، وتؤخذ من الصّابئة والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم، انظر: الشافعي محمد بن إدريس، الأم، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص245؛ الماوردي، المصدر السابق، ص183.

(6) - سورة الحج، الآية17.

(7) - اليهود هو التوبة: هاد، يهود، هودا: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص439؛ وقيل أنّ سبب التسمية نسبة لقوله تعالى " إنا هدنا إليك" سورة الأعراف، الآية 156 أي تبنا ورجعنا.

(8) - الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، المرجع السابق، ص38.

المعروف بـ "رأس الجالوت"⁽¹⁾ أو "رأس المنيية اليهود"، وتمتاز هذه الشخصية بنقل منصب الرئاسة إلى أبنائها بشكل وراثي، حيث يتولى الورثة المسؤولية بعد وفاته⁽²⁾، كما نال رأس الجالوت احترام السلاطين الذين كانوا يلتصقون نصائحه في بعض القضايا الدينية المتعلقة باليهود⁽³⁾ وذلك بسبب سلطته ونفوذه عليهم، كما يُعتبر تعيين القضاة للجاليات في مختلف المدن من بين مهامه الرئيسية⁽⁴⁾.

ومن أشهر الرجال التي تقلدوا منصب رأس الجالوت هو أبو الطاهر بن شبر⁽⁵⁾، ومن أهم المناطق التي تركز اليهود فيها هي الجانب الشرقي لبغداد خاصة في منطقة الكرخ⁽⁶⁾، كما خصصوا لأنفسهم شارع في بغداد أطلقوا عليه اسم "درب اليهود"⁽⁷⁾، ولقد تواجدوا بكثرة في بغداد حيث يذكر الرحالة بنيامين أن عددهم قارب أربعين ألف شخص⁽⁸⁾.

(1) - رأس الجالوت: هو رئيس الجالية الذين جلوا عن أوطانهم بيت المقدس عام 586 ق.م، وهو صاحب كل يهودي في الدنيا والمتملك عليه، مطاعا في جميع الأمصار نافذ الأمر عليهم في أكثر الأحوال، انظر: الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ط)، 1342هـ، ص 24.

3 (2) - التطيلي، المرجع السابق، ص 131-138.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 15، ص 264.

(4) - القدحات محمد عبد الله أحمد، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، دار البشير، عمان الأردن، (د.ط)، 2005م، ص 63.

(5) - ابن الساعي تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تح: مصطفى جواد، ج 9، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، (د.ط)، 1934م، ص 162.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 15، ص 214.

(7) - الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 1045؛ البغدادي، المصدر السابق، ج 5، ص 478.

(8) - التطيلي، المرجع السابق، ص 165؛ غير أن آدم متر قال بأن عددهم لم يتجاوز الألف يهودي، انظر: متر، المرجع السابق، ص 62.

ومن المدن العراقية التي تواجدوا بها مدينة واسط والتي قُدِّر عددهم فيها عشرة آلاف يهودي⁽¹⁾، وتقريباً نفس العدد في مدينة الحلة⁽²⁾، ولقد عاش اليهود في العراق في أمان وسلام وتمتّعوا بحرية مطلقة في إقامة شعائرهم الدينية⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك فلقد استوطن اليهود في إقليم خراسان خاصة في مدينتي مرو وبلخ⁽⁴⁾، وبسبب تزايد عددهم وبشكل كبير حيث فاقوا النصارى عدداً أطلقوا على المدينة الواقعة بين الغور وباميان اسم "ميمنة"⁽⁵⁾، وفيما يتعلق بتواجدهم في إقليم خراسان وصف المقدسي هذا الواقع بقوله "إن بإقليم خراسان الكثير من اليهود"⁽⁶⁾. بالرغم من وجود اليهود في إقليم خراسان ومنطقة ما وراء النهر، إلا أنّ عددهم وإسهامهم كانا أقل بكثير مقارنة بيهود العراق⁽⁷⁾.

وكان لليهود خلال تلك الفترة دور هام في الحياة الاقتصادية والثقافية، واهتمام كبير بممارسة الأعمال والمهن التي تجلب لهم الرّزق والثروة⁽⁸⁾، فأكثرهم اشتغلوا بالأعمال المالية كالصيرفة⁽¹⁾، حيث كانت معظم الأمور المالية تتواجد تتواجد في أيديهم⁽²⁾، ويُشير المقدسي إلى هذه الظاهرة قائلاً: "كان معظم أرباب البنوك والصيارفة يهود"⁽³⁾.

(1) - التّطيلي، المرجع نفسه، ص149.

(2) - جلو خضر إلياس، اليهود في المشرق الإسلامي دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية، للحقبة (11هـ - 923هـ/ 632م - 1517م)، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، (د.ط)، 2017م، ص48

(3) - سرور، المرجع السابق، ص108.

(4) - العمادي محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، (د.ط)، 1997م، ص187.

(5) - الحموي، المصدر السابق، ج5، ص245.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص322.

(7) - العمادي، المرجع السابق، ص188.

(8) - القزاز محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، 512-656هـ، مطبعة القضاء، النجف، (د.ط)، (د.ط)، 1971م، ص176.

كما تميز اليهود بنشاطهم في مجال التجارة، حيث كانت هذه المهنة الأكثر انتشاراً بينهم⁽⁴⁾، فكان اليهود من بين أكبر تجار الرقيق من الخدم والغلمان والجواري حيث كانوا مسؤولين على هذه التجارة⁽⁵⁾، كما شاركوا أيضاً في مختلف القطاعات الاقتصادية والأعمال⁽⁶⁾، فكانت لهم مهارات في الحرف والصناعات المختلفة، حيث كانوا من الصنّاع والحرفيين المميزين والبارزين⁽⁷⁾، وليس هذا فحسب، بل كانوا ملتزمين بممارسة مهن متنوعة كالطب⁽⁸⁾، ومن أشهرهم الطبيب علي بن بطلان الذي سافر عبر العديد من البلدان⁽⁹⁾، كما اشتغلوا في الحمامة⁽¹⁰⁾ وكانوا لهم دور في الدباغة والصباغة حيث امتنوها بشكل كبير، كما كان لهم مهارة في الجهبذة⁽¹¹⁾ والصياغة وكان

(1) - ماري بن سليمان، أخبار بطارقة كرسي المشرق من كتاب المجلد، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1899م، ص116؛ ابن الفوطي كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، (د.ط)، 1932م، ص68.

(2) - بارتولد، المرجع السابق، ص309.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص183.

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص33.

(5) - يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924م، ص133.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص30.

(7) - ابن الفوطي، المصدر السابق، ص66-68.

(8) - ترتون، المرجع السابق، ص100.

(9) - ابن العبري أبي الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطي، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص190.

(10) - الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، المختار في الرد على النصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص19.

(11) - الجهبذ هو النقاذ الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد، انظر: الدوري، المرجع سابق، ص157.

بعضهم موظفين إداريين، فتقلّدوا مراتب رفيعة في الدولة أمثال أبو علي بن فضلان⁽¹⁾، كما كان للسلطان ملكشاه ملكشاه والوزير نظام الملك وكيل يهودي⁽²⁾، وليس هذا فقط، بل تولّى أيضاً ابن علان مهمة جمع خراج البصرة. وقد استحوذ اليهود في بغداد على عدد كبير من الأماكن المخصّصة للعبادة، ولقد بلغت عدد الكنائس في بغداد 28 كنيسة و 10 مدارس⁽³⁾، وبلغ عدد الكنائس في المحلة أربعة⁽⁴⁾، كما كان لهم بنصيين كنيس الربّي يهوذا بن بثيرة⁽⁵⁾، وكان بالرّقة كنيس، وعندما وصل السّلاجقة إلى العراق، لم يتدخلوا في أماكن العبادة التي بناها اليهود، بل تركوها دون تغيير⁽⁶⁾.

3. 2. النّصارى:

إلى جانب اليهود كانت هناك أيضاً طوائف مسيحية تشكّل جزءاً من المجتمع السّلاجقي حيث تواجد النّصارى في مدن تكريت والرّها⁽⁷⁾، حيث كانت نسبة كبيرة من سكّانهم متّبعين للدّيانة المسيحيّة⁽⁸⁾، وكان لهم حضور ملحوظ

(1) ابن فضلان أبو علي بن فضلان كان كاتباً للخاتون زوجة الخليفة القائم، انظر: ابن الجوزي، ج 16، المصدر السابق، ص 30.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 338.

(3) المقدسي، المصدر السابق، ص 221؛ التّطيلي، المرجع السابق، ص 304.

(4) جلو خضر إلياس، المرجع السابق، ص 48.

(5) التّطيلي، المرجع السابق، ص 70.

(6) الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 362.

(7) الرّها: Edessa مدينة بالجزيرة بين الموصل والشّام، سميت باسم الذي استحدثها، هو الرّها ابن البلندي بن مالك بن دعر، وتعد من أقدم المدارس السّريانية النسطورية، التي كان يعلم فيها اللاهوت والثّقافة اليونانية، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 120؛ عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام بن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1972م، ص 155.

(8) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 204-205؛ الاصطخري، المصدر السابق، ج 1، ص 31.

ملحوظ أيضاً في بغداد حتى نهاية القرن السادس الهجري، فكانوا متجاورين مع المسلمين في مناطق مثل قطيعة النصارى⁽¹⁾ و محلة الروم⁽²⁾، وأسّسوا دور عبادة ومدارس خاصة بهم في هذه المناطق ومنطقة واسط⁽³⁾. وفي خراسان استوطن المسيحيون في مدينة بلخ ولكن كان عددهم أقل بكثير مقارنة باليهود⁽⁴⁾، كما انتشروا في العديد من المدن⁽⁵⁾ مثل جوزجان⁽⁶⁾ وهرارة، حيث شكّلوا جزءاً من التنوع الديني والثقافي في المنطقة. وكان للنصارى رئيس في بغداد يسمى الجاثليق⁽⁷⁾ يتولى الخليفة العباسي تعيينه وتنصيبه من خلال منشور أو عهد يوضح فيه الامتيازات التي تمنح له⁽⁸⁾، حيث يتم تلاوة هذا العهد في مقر الجاثليق بكنيسة درب دينار⁽⁹⁾ وذلك بعد أخذ مشورة ورأي الأساقفة⁽¹⁰⁾ والحصول على تأييدهم، أما نائبه في العراق فهو أسقف مدينة واسط،

(1) - محلة متصلة ببغداد بنهر طابق، من محلات بغداد، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص429.

(2) - وبها دبر الروم، وهو بيعة كبيرة حسنة البناء، وهي ببغداد بالجانب الشرقي منها، انظر: المصدر نفسه، ج2، ص58.

(3) - المعاضدي عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية، ط1، الدار العربية للموسوعات، (د.م.ن)، 2006م، ص ص 191-192.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص387.

(5) - الاضطحري، المصدر السابق، ص 117-150-153.

(6) - جوزجان: اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو والروز وبلخ، ويقال لقصبته اليهودية، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص182.

(7) - كلمة مقتبسة عن اليونانية، وتعني الأعلى مقاماً، وهو رئيس من رؤساء النصارى وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة عند النصارى ويليه في الرتبة المطران، ثم الأسقف، ثم القسيس، ثم الشماس، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص444؛ الشدر طيبة صالح، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء، القاهرة، (د.ط)، 1998م، ص563.

(8) - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1999م، ص142.

(9) - الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص74.

(10) - أسقف ويعني ناظر الكنيسة عند النصارى، أو من كان فوق الكاهن، وهي كلمة يونانية، بمعنى الرقيب والساخر والمخافظ، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص444.

والذي يتولّى منصب الجاثليق بصفة مؤقتة بعد وفاة الجاثليق وذلك إلى غاية انتخاب رئيس جديد عليهم⁽¹⁾، وقد تولّى الكثيرون منصب الجاثليق أشهرهم إيليا الثالث أبو حليم⁽²⁾.

وحظي النصارى بتقدير واحترام من قبل السلاجقة الأمر الذي مكنهم من شغل مناصب هامة مثل الكتابة في الدواوين السلطانية كما كان منهم الشعراء الكتبة مثل نصر بن عيسى بن بابي الواسطي الذي كان من ظرفاء واسط⁽³⁾، وفي ذلك أشار المقدسي بقوله "أكثر الكتبة كانوا من النصارى"⁽⁴⁾، كما عمل بعضهم فَرَّاشين لدى السلاطين، بالإضافة إلى ذلك اشتهروا بأعمال الصيرفة⁽⁵⁾ وبرعوا في مهنة الطب⁽⁶⁾، كما زاولوا الصيدلة⁽⁷⁾، وأتقنوا العديد من الحرف مثل الصناعة خاصة صناعة العطور والجلود والصباغة⁽⁸⁾، إضافة إلى ذلك امتهنوا أيضاً التجارة والنجارة والجزارة⁽⁹⁾، وكذا الخياطة والنسج والتطريز⁽¹⁰⁾.

(1) - المعاضدي، المرجع السابق، ص 192

(2) - القدحات، المرجع السابق، ص 62.

(3) - الأصبهاني عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بيجت الأثري، ج 4، مج 01، مديرية الثقافة العامة، سلسلة كتب التراث، العراق، (د.ط)، 1973م، ص 489.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 183.

(5) - ماري بن سليمان، المرجع السابق، ص 124.

(6) - الأصبهاني، المصدر السابق، ج 4، مج 01، ص 498.

(7) - الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، المصدر السابق، ص 116.

(8) - أبو يوسف يعقوب، المرجع السابق، ص 70.

(9) - المقدسي، المصدر السابق، ص 183.

(10) - الجاحظ، المصدر السابق، ص 19.

ولحاجة النصارى إلى أماكن للعبادة فلقد وجدت في العراق الكثير من الأديرة⁽¹⁾ والكنائس، مثل دير سمالو في الجهة الشرقية من بغداد في رقة الشّمسانية، وكذا الحال في الجانب الغربي من بغداد⁽²⁾ حيث كانت هناك بعض الأديرة مثل دير العذاري⁽³⁾ ودير الثعالب⁽⁴⁾ ومن أديرة النصارى الأخرى دير أشمونيني⁽⁵⁾، وتواجد على شاطئ دجلة بعض الأديرة التي جعلها الأهالي قبلة للتنزه مثل دير مارجرس⁽⁶⁾ وذلك بفضل موقعها المحاط بالبساتين. بالإضافة إلى هذه الأديرة كان هناك دير عمر كسكر في واسط⁽⁷⁾.

3.3. الصابئة:

من الطوائف الدينية كذلك التي تواجدت في مدن الدولة السلجوقية الصابئة⁽⁸⁾، ولقد تباينت آراء أهل التأويل والفقهاء حول دينهم بشكل كبير، فقد ذكر الحنفية أنهم يؤمنون بكتاب الزبور ويتلونونه، ولا يعبدون الكواكب بل

(1) - الدير: بيت يتعبد فيه الرهبان، وفيه مساكنهم وتحاط بالأديرة البساتين، انظر: صفى الدين عبد الله بن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - مختصر لمعجم البلدان لياقوت -، تح: علي محمد البجاوي، مج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص 549.

(2) - البغدادي، المرجع نفسه، مج2، ص 563.

(3) - سمي بذلك لأنه تكنسه الرواهب العذاري، وكانت كلما وهبت امرأة نفسها للتعبد سكنة الدير معهن، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 252.

(4) - الشابشتي أبو الحسن علي بن محمد، الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ط)، 1951م، ص 16-70؛ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 337.

(5) - سمي على اسم امرأة تدعى أشموني حيث دفنت فيه لما توفيت ويعتبر مكان جميل للتنزه، انظر: ابن عبد الحق، المصدر السابق، ج2، ص 552.

(6) - الشابشتي، المرجع السابق، ص 14-24-69.

(7) - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 154.

(8) - صبأ في لغة العرب: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها، والصابئون قوم يزعمون أنهم على على دين نوح - عليه السلام -، وقبلتهم نحو مهب الجنوب، ويقال الرجل إذا أسلم في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد صبأ، وصبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، ويقال: صبأ الرجل

يعظمونها بنفس الطريقة التي يعظم بها المسلمون الكعبة أثناء التوجه نحوها في الصلاة، واعتبرهم البعض كفاراً بسبب عقيدتهم في الكواكب وعبادتهم لها⁽¹⁾ إذ يعتقدون أنها آلهة فيؤمنون بأن الفلك حي ناطق⁽²⁾، ويقدسونها خصوصاً النجم القطبي الذي جعلوه قبلة في صلاتهم⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك فهم يعبدون الأوثان، وقد ذهب إلى هذا الرأي أبو سعيد الإصطخري⁽⁴⁾ أما مجاهد فقد وضعهم بين المجوس واليهود، ومن ثم حرم أكل ذبائحهم والزواج من نسائهم⁽⁵⁾، في المقابل أقر القرطبي بعكس ذلك حيث أباح الزواج من نسائهم وتناول لحم ذبائحهم⁽⁶⁾، ويعتقد البعض الآخر أنهم فرقة من أهل الكتاب وينتسبون إلى النصرانية⁽⁷⁾، وهناك من يرى أنهم بلا دين محدد، فقالوا: "ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوس"⁽⁸⁾، بل خلطوا عقائد الطوائف الأخرى بعقيدتهم، إضافة إلى الصابئة المشركين، يوجد نوع آخر منهم يُعرف بالصابئة الحنفاء، ويجب على معتنقي الصابئة دفع الجزية كما هو الحال بالنسبة لليهود والنصارى⁽⁹⁾.

إذا عشق وهوى، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 107؛ الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، ج 2، ط 2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1421م، ص 5.

(1) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 304؛ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج 2، ص 112.

(2) - القرطبي، المصدر السابق، ج 1، ص 435.

(3) - عزيز سباهي، أصول الصابئة المندائية، ط 4، دار المدى للثقافة والنشر، (د.م.ن)، 2008م، ص 222.

(4) - الإصطخري هو الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن سيار أحد أئمة الشافعية كان زاهداً وناكساً ولي القضاء بقم ثم الحسبة ببغداد لوه كتاب القضاء توفي سنة 328هـ، انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 15، ص 252.

(5) - الطبري، المصدر السابق، مج 1، ص 360.

(6) - القرطبي، المصدر السابق، ج 1، ص 434.

(7) - الفيومي، قاموس المصباح المنير، ج 1، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 332.

(8) - ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج 1، ص 242؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج 2، ص 7.

(9) - مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مج 2، ط 3، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، ص 317.

كما أطلق عليهم اسم "المغتسلة" لأنهم كانوا يمارسون شعيرة التعميد والتي تعتبر من أشهر طقوسهم الدينية⁽¹⁾ ويقومون بأداء هذه الشعيرة في يوم واحد وهو الأحد⁽²⁾، وتشمل التغطيس والاعتسال في المياه الجارية، ووفقاً لمعتقداتهم فإن الاعتسال في الماء يُعد توبة وغسلاً للذنوب، ويعتبر الصابئة هذه الشعيرة بمثابة محور حياتهم بأكملها⁽³⁾.

كما سُمّاهم البعض "الصابئة البطائية"، أو المندائيون الذين يقطنون في البطائح جنوب العراق⁽⁴⁾ وكسكر، كما أطلق عليهم "الصابئة الحرنانية" نسبة إلى مدينة "حران" في العراق⁽⁵⁾، والتي تعتبر دار الصابئة ومركزاً لهم. بالإضافة بالإضافة إلى ذلك، فقد استوطنوا في مدن عديدة مثل الرقة، الأهواز، بغداد، الكوت، الناصرية، البصرة، الموصل⁽⁶⁾، وانتشروا أيضاً في مدينة واسط⁽⁷⁾ وناصرية الأهواز⁽⁸⁾، وكذلك في المدن الساحلية بخراسان وغيرها من المدن.

تُعتبر مهنة الصياغة، وخاصة صياغة المينا، من المهن التي امتنها الصائغون الصابئة في مدينة واسط⁽⁹⁾ وغيرها وقد دفعتهم هذه المهنة إلى الهجرة للعمل في عدة دول مثل دمشق والإسكندرية⁽¹⁾.

(1) - أحمد عبد المنعم العدوي، الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص53.

(2) - الليدي دراوور، الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، (د.ط)، 1969م، ص185.

(3) - المرجع نفسه، ص183.

(4) - العدوي، المرجع السابق، ص52.

(5) - الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص55.

(6) - الليدي دراوور، المرجع السابق، ص39.

(7) - أبو يوسف، المرجع السابق، ص ص 123-124؛ الحموي، المصدر السابق، ج4، ص53.

(8) - الجهني، المرجع السابق، مج1، ص ص 325-326.

(9) - البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص317.

3. 4. المجوس:

من الطوائف الدينية كذلك المجوس⁽²⁾، الذين ينتسبون إلى قبيلة المجوس ببلاد فارس ويُعرفون أيضاً بالزردشتيين نسبة إلى زرادشت⁽³⁾ إذ كانوا من أوائل من آمنوا به. اعتبر السلاجقة المجوس طبقة من أهل الذمة⁽⁴⁾ منذ القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي، وطَبَّقوا عليهم أحكام أهل الكتاب مثل دفع الجزية⁽⁵⁾، لأنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قد أخذها منهم، فقد شهد الصَّحابي عبد الرحمن بن عوف أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر⁽⁶⁾، وقالوا "سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم"⁽⁷⁾.

ولقد عاش المجوس حياة حرة وآمنة تحت حكم الدولة السلجوقية، التي منحتهم حرية ممارسة شعائهم الدينية⁽⁸⁾ وبرز ذلك في أنَّ معظم البيوت في خراسان كانت تحتوي على بيوت النيران⁽⁹⁾، وهو أحد أهم طقوسهم الدينية.

(1) - الجهنّي، المرجع السابق، ص 325-326.

(2) - المجوس: كلمة فارسية تطلق على أمة من الناس تعبد النار، ويقال: تمجس الرجل إذا صار مجوساً، ومجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديننا ودعا إليه ومجسه تمجيساً صيره مجوسياً والنحلة المجوسية، انظر: الفيومي، المصدر السابق، ص 574، الفيروز أبادي، المصدر السابق، ج 2، ص 250.

(3) - زرادشت بن أسييمان ظهر في زمن كشتاسب بن الهراسب من ملوك الفرس أبوه من أذربيجان، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس، واسمه عند المجوس الأفستا ظهر قبل الإسكندر بنحو 300 سنة، توفي تقريباً عام 600 ق.م، انظر: المسعودي، المصدر السابق، ج 1 ص 235؛ البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص ص 89-90.

(4) - المقدسي، المصدر السابق، ص 126-421-429.

(5) - حسنين، إيران والعراق في عصر السلاجقة، المرجع السابق، ص 178.

(6) - هجر: قصبة بلاد البحرين، بينها وبين سرين سبعة، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 453.

(7) - البخاري، المصدر السابق، كتاب الجزية، الباب الأول، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، م 2، البشري للنشر، باكستان، (د.ط)، 2016م، ص 1473؛ ابن سلام، المرجع السابق، ص ص 39-40.

(8) - ابن سلام، المرجع نفسه، ص 40-42-44؛ حسنين، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص 165.

(9) - الاصطخري، المصدر السابق، ص 68.

كما تواجد المجوس في العراق وجنوب خراسان⁽¹⁾، خاصة في بلخ وقراها، حيث كانوا يُشكّلون تجمعات كبيرة نظراً نظراً لوجود مركز ملوكهم وأديانهم وكتبهم هناك⁽²⁾. كان كتابهم المقدس⁽³⁾ هو "الأفستا"⁽⁴⁾، وكان للمجوس رئيس يمثلهم في قصر الخلافة⁽⁵⁾.

تميزت فترة الدولة السلجوقية بالاستقرار والازدهار لأهل الذمة، حيث أظهرت الدولة تعاملًا حسنًا نحوهم، وهذا النهج الحاكم أدى إلى تفضيل بعض المناطق النصرانية في آسيا الصغرى لحكم السلاجقة على الحكومة البيزنطية التي كانت تعتبر ظالمة⁽⁶⁾، ويعكس هذا المنحى تسامحًا واسعًا من قِبَل الدولة السلجوقية تجاه أهل الذمة، حيث انتقل بعضهم إلى الإسلام⁽⁷⁾ بالإضافة إلى ذلك، شهدت مناطق بلخ وجنوب خراسان تواجدًا للبوذيين الذين كان كان لهم معابد وملاجئ في الأجزاء الجبلية من المنطقة.

3. 5. المسلمون:

في العراق كان الدين الإسلامي هو الدين السائد بوصفه الدين الرسمي، حيث يدين به معظم سكان البلاد بمختلف مذاهبهم السنية والشيعية، إلى جانب وجود أديان أخرى مثل المسيحية واليهودية، وقد شكّل المسلمون الغالبية العظمى من سكان العراق في مختلف أقاليم الدولة السلجوقية، حيث كانت السيادة الدينية تتبع مذهب

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 126.

(2) - النرشخي، المرجع السابق، ص 40.

(3) - أحمد راتب عرموش وآخرون، موسوعة الأديان (الميسرة)، دار النفائس، بيروت، (د.ط)، 2011م، ص 267.

(4) - الأفستا كتاب الزرداشتية المقدس، من أقدم الكتب الأدبية في بلاد فارس، وهو مجموعة أقوال قديمة ترجع إلى زرادشت، وهي وهي عبارة عن تراثيل دينية ترتل عند تقديم الذبائح وكذلك عند الصلوات الكهنوتية، وطقوس العبادة، انظر: محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط1، دار الجليل، بيروت، 1999م، ص 316.

(5) - متز، المرجع السابق، ص 73.

(6) - ترتون، المرجع السابق، ص ص 176-177.

(7) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص 480.

السنة، وكانت المدارس مخصّصة لتدريس الفقه الشافعي والحنفي، اللّذين كان يدين بهما غالبية الناس⁽¹⁾، بينما كان هناك وجود للشيعية ولكن بصورة أقل.

في إقليم خراسان كانت غالبية السكان يدينون بالمذهب الحنفي بكل ثقة وولاء، فقد وصل هذا المذهب إلى المنطقة عبر تلاميذ درّسوا وتخرجوا من المدرسة الحنفية في بغداد⁽²⁾، حيث اعتمدوا نظام الدراسة والمناظرة المستند إلى علم وفقه أبي حنيفة، كان الهدف من هذه الجهود هو تحقيق الخير لهذه الأمة، وتعزيز فهمهم وتطبيق قيم المذهب الحنفي في حياتهم اليومية.

ومن المدن الخراسانية التي عرفت انتشارا واسعا لمذهب أهل السنة نجد مدينة بلخ حيث ازدهرت المذاهب الحنفية والشافعية فيها على حد سواء⁽³⁾، وفي نيسابور أقيمت مدارس فقهية خاصة بالمذهب الشافعي بإشراف علماء متميزين بدأوا في المنافسة مع المدارس الحنفية، ووفقاً للمقدسي، كان المذهب الشافعي السائد في العديد من المناطق بإقليم خراسان، بما في ذلك طوس، نسا وبيورد، والشاش، هراة، سجستان، سرخس، نيسابور، إلا أنه شهد صراعات كثيرة بين الشافعية والحنفية، خاصة في سجستان وسرخس⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى انتشار المذاهب الحنفية والشافعية فقد انتشر المذهب الشيعي أيضاً في بلخ وخراسان⁽⁵⁾، ولقد كانت كانت هاتان المدينتان من المراكز الشيعية المهمة نظراً لبعدهما عن الخلافة السنية، بالإضافة إلى ذلك شهدت خراسان حركة الشيعة الإسماعيلية التي نشأت وتوسّعت في تلك المنطقة.

في فترة العصر السلجوقي، لم تشهد العراق تفشي الفتن المذهبية، وذلك بسبب السياسة التي تبناها الحكام السلاجقة، فقد كانت سياستهم مبنية على تعزيز المذهب الشافعي، ممّا سهّل عملية الحفاظ على الوحدة

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص126؛ ياقوت الحموي، معجم الأدياء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص154.

(2) - العمادي، المرجع السابق، ص265.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص322؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص323.

(4) - المقدسي، المصدر نفسه، ص236.

(5) - أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص22.

والاستقرار الديني في المنطقة، فبفضل هذه السياسة الحكيمة، تم تجنب أي نزاعات مذهبية في العراق، وتحقيق السلام والاستقرار بشكل دائم في تلك الفترة⁽¹⁾.

يرجع الراوندي في تفسيره لولاء السلاجقة للخلفاء العباسيين إلى بداوة السلاجقة وتعصبهم الشديد للإسلام بعد اعتناقهم له، فقد أثرت هذه البداوة في ميلهم المفرط نحو أهل السنة والجماعة بعد تبنيهم للمذهب السني، ومن هنا كان تصرف السلاجقة تجاه الخلفاء، حيث كانوا يُظهرون لهم الولاء ويدينون لهم بالطاعة والاحترام، نتيجةً لتأثير العوامل الدينية والثقافية على سلوكهم ومواقفهم السياسية⁽²⁾.

(1) - المعاضيدي، المرجع السابق، ص 187

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص 98.

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية للسّلاجقة:

1- المستوى المعيشي:

تختلف الظروف المعيشية باختلاف طبقات المجتمع السلجوقي فنمط المعيشة عند الطبقة الخاصة كالسلاطين والأمراء يختلف من الناحية الاجتماعية والاقتصادية عن الطبقة العامة، ممّا دفع بعامة الشعب إلى طلب تحسين أوضاعهم الاجتماعية وزيادة رواتبهم والتّمتع بحياة كريمة.

فكانت حياة التّرف والبدخ والنّعومة⁽¹⁾ هي السّمة الغالبة على حياة طبقة الحكام والسلاطين وكبار رجال الدّولة، إذ شاعت بينهم مجالس المجون من لهو وطرب ومعازف وقينات وشرب الخمر، ولقد قلّد الأمراء والوزراء السلاطين في ذلك⁽²⁾.

والجدير بالذكر أنه إلى جانب المرتبات التي كان ينالها الوزراء من خزينة الدولة فإن الجزء الهام من ثروتهم كان يأتي عن طريق الهدايا والهبات وكذا الإقطاعات⁽³⁾ وفي هذا الصّدّد يصف الرّاوندي ثراء فخر الدّين بن نظام الملك عندما تقلد السلطان بركياروق الحكم وراح يغدق عليه الهدايا والعطايا الجزيلة والمتمثلة في الأواني والتحف المرصعة بالجواهر، والأسلحة والدروع الجميلة⁽⁴⁾، إضافة إلى الأحصنة الأصيلة، والصقور لاستعمالها في الصيد، ومن الوزراء

(1) - حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، المرجع السابق، ص 181.

(2) - محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ط 7، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009م، ص 99.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 909.

(4) - الرّاوندي، المصدر السابق، ص 220.

الأغنياء نذكر وزير مسعود بن محمد ملكشاه عز الملك بن أحمد البروجردى⁽¹⁾ الذي تجاوزت ثروته أربعمئة قرية⁽²⁾.

بالإضافة إلى العلماء الذين عاشوا حياة مريحة ومترفة إذ أغدق عليهم السلاطين والأمراء والوزراء بالهدايا لتشجيعهم⁽³⁾ وخير دليل على ذلك الوزير نظام الملك الذي صرف عليهم في كل عام ما يزيد عن 600 ألف دينار⁽⁴⁾.

وخلال العصر السلجوقي شهدت طبقة العامة في العراق وخراسان تفاوتًا ملحوظًا في مستوى المعيشة تأثرًا بالاستقرار السياسي والتوسع الاقتصادي الذي حققه السلاجقة، أدت السياسات الإصلاحية للسلاجقة إلى تحسين ملحوظ في حياة السكان، خاصة في المدن الكبرى مثل بغداد ونيسابور، ومع ذلك ظلت الأحوال الاقتصادية للعامة رهينة لتقلبات الأسواق وأعباء الضرائب التي فرضتها السلطات، مما زاد من معاناتهم لا سيما خلال فترات الأزمات، وقد عانت الطبقة الكادحة من احتقار المجتمع مما أدى إلى تفاقم أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وترسيخ شعورهم بالهامشية والحرمان.

ولقد اعتمدوا على طرق متنوعة لكسب الرزق فكانت الزراعة أحد الأنشطة الأساسية، حيث انخرط كثيرون في زراعة الحبوب والفواكه مستفيدين من تطور شبكات الري وتحسن الطرق الزراعية، واعتمد البعض منهم على اقتناء المواشي وتربية الطيور كوسيلة لكسب رزقها وتحسين معيشتها⁽⁵⁾، كما عملوا في مختلف المجالات لكسب المال والرزق الزراعية والصناعية وفي الحرف اليدوية الصغيرة والمتدنية مثل النجارة والحدادة والنسيج، حيث أنتجت الورش المحلية سلعة تلبي احتياجات المجتمع وتستخدم في التجارة، وعمل البعض الآخر باعة متجولين في الأسواق

(1) - عز الملك أبو العز طاهر بن أحمد بن سعيد البروجردى الوزير كان شجاعا كان سمح الوجه حسن الأخلاق مات سنة 535هـ - 1140م، انظر: ابن الفوطي كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، ج4، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، 1416هـ، ص173.

(2) - المصدر نفسه، ج4، ص173.

(3) - حسنين، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص116-170.

(4) - الحسيني، المصدر السابق، ص67.

(5) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص76.

بسبب ازدهارها وذلك لترويج بضائعهم، في حين عمل آخرون في أعمال البناء وصيانة الطرق تحت إشراف السلطات، إضافة إلى ذلك، كان للخدمات دور مهم، حيث عمل بعض العامة كحمالين أو خدّام في منازل النخبة والمساجد والمؤسسات الدينية والخدم في البيوت، وكانوا يتلقون أجراً منخفضاً مقابل ذلك⁽¹⁾.

أما فيما يخص طريقة تقاضي الأجور فكانت مختلفة ومتفاوتة وفقاً لنوع العمل وظروف المنطقة، فكان العمال في المجال الزراعي والمهن الحرفية البسيطة يتلقون أجرهم غالباً بالعين، فالفلاحون مثلاً كانوا يحصلون على أجورهم من مشتري المحاصيل والمنتجات أو ملاك الأراضي الإقطاعيين عينا كالقمح والتمر وغيرها من المحاصيل مما يضمن لهم تأمين احتياجاتهم اليومية، كما نجد بعض العبيد تلقوا أربعة أرغفة من الخبز كأجر يوميهم، وكان الناسخون للقرآن يأخذون كواغد نظير عملهم⁽²⁾.

وبالنسبة للأعمال التي تتطلب مهارة عالية أو تلك التي ترتبط بالخدمات داخل الأسواق والمرافق العامة فكان بعض العمال والحرفيين يتقاضون أجورهم نقدًا، وفي ذلك يقول التنوخي "أنّ البائع المتجول يبيع بضاعته بدرهمين إذا وضعها وعرضها في الطرقات، وكذا الحال بالنسبة لأجرة المعلم حيث لا تتعدى ثلاثة دراهم يوميًا، في حين أن الطبيب بلغ أجره أربعة دراهم يوميًا"، ولقد بلغت أجرة الخياطين والصناع الذين تكفلوا بكسوة مسجد المنصور عام ثمان وخمسون وأربعمئة للهجري عشرين دينارًا⁽³⁾.

ومن دلائل تدهور المستوى المعيشي للعامة ما وصفه ابن العبري عن حال بغداد عشية دخول السّلاجقة بقوله "بعد توغل قبائل الغزّ وإغائهم الحرث تراجع سعر ثور الفدان إذ بيع ب20 درهما وبيع الجحش ب10 دراهم..."⁽⁴⁾.

(1) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص195-199.

(2) - التنوخي القاضي أبو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالحي، ج2، ط1، دار صادر، بيروت، 1971م، ص97-118؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج7، ص525.

(3) - المصدر نفسه، ج8، ص242.

(4) - ابن العبري، تاريخ الزمان، تر: إسحاق أرملة، قدم له: جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، (د.ط)، 1986م، ص99.

وكان للمرأة دور مهم في كسب المال خلال العصر السلجوقي، حيث شاركت زوجها في كسب المعيشة، فبالإضافة إلى أعمالها في البيت وتدير شؤون الأسرة، ساهمت في النشاطات الاقتصادية المنزلية والحرفية إلى جانب دورها الاجتماعي، فلقد شاركت في الحِرَف اليدوية مثل الغزل والنسيج وصناعة الملابس، مما يساعد في كسب بعض المال للأسرة⁽¹⁾، كما شاركت النساء في الأعمال الزراعية خاصة في القرى حيث عملن في زراعة الأرض ورعاية المواشي إلى جانب أفراد الأسرة.

وفي المدن ساعدت بعض النساء في إدارة محال صغيرة داخل الأسواق، أو عملن كبائعات متجولات في الحارات، يبعن منتجاتهن أو منتجات عائلتهن، وكانت هناك نساء يعملن في خدمات خاصة كالطب التقليدي أو تقديم الرعاية الصحية، حيث اكتسبت بعضهن مهارات التطبيب بالأعشاب أو تقديم الرعاية للنساء والأطفال، مما أتاح لهن دورًا اقتصاديًا واجتماعيًا معتبرًا داخل المجتمع السلجوقي.

بالإضافة إلى أجور العامة المتدنية التي سببت سوء الأحوال المعيشية لهذه الطبقة نجد أن الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والفيضانات والزلازل وكذا الأوبئة قد أثروا سلبيًا على توافر الغذاء ومستوى المعيشة:

في عام 431هـ - 1039م انخفض سعر الدرهم ولم يعد له أي قيمة⁽²⁾، فسعر الخبز وصل ثلاثة دراهم والبن من الخبز يبع ب13 درهما فعانى الأهالي من الجوع الأمر الذي اضطرهم إلى بيع أسطح منازلهم لسد رمقهم وتوفير الغذاء، إلا أن ذلك لم يكن كافيا فتوفي الكثير من السكان في نيسابور بسبب ذلك⁽³⁾، وزادت الأحوال سوءا فوصل ثمن الجريب من الأرض المزروعة ثلاثة آلاف درهم وعرض ملاك الأراضي الجريب من الأرض بمن واحد من القمح ورغم ذلك لم يبتاعه أحد، وبلغ سعر الجريب من الأرض غير المزروعة 1000 درهم.

وفي بغداد عام 448هـ - 1056م ارتفعت أسعار الأغذية بشكل كبير بسبب السرقة التي تعرضت لها الطرق الأمر الذي أدى إلى نقص نقل البضائع وانعدام الغذاء، فوصل سعر الرطل من الشراب إلى دينار⁽⁴⁾، في حين تم

(1) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص76.

(2) - البيهقي، المصدر السابق، ص ص 668-669.

(3) - المصدر نفسه، ص 370-372.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص631.

بيع اللحم بغيراط، وبلغ سعر الذرة 8 دنانير والكاراة⁽¹⁾ من الدقيق 13 دينار، فمات العديد من الناس بسبب الجوع الأمر الذي أدى إلى انتشار الأوبئة بشكل واسع في المنطقة بكثرة، حتى باتت الجثث تدفن جماعيا دون غسل ولا كفن⁽²⁾.

وفي نفس السنة بالموصل نقصت كميات الأمطار الأمر الذي أدى إلى نقص المحاصيل الزراعية فغلت الأسعار التي لم يستطع العامة شرائها خاصة الفقراء منهم، حيث وصل كيلو القمح إلى تسعين دينارا، كما انتشرت المجاعة والأمراض بالمنطقة وقضت على الكثيرين، ويصف ابن الجوزي سوء الأحوال آنذاك قائلا "قلة الأشربة وازداد عدد الذباب ففسد الهواء فبلغ عدد المتوفين يوميا ألف شخص"⁽³⁾.

كما انتشرت الأوبئة في نفس العام في نيسابور وجاعت الأهالي نتيجة لارتفاع الأسعار، حيث بلغت تكلفة الأوقية من الخبز خمسة دراهم، وازدادت أسعار الفاكهة بسبب لجوء المرضى إلى تناولها كعلاج⁽⁴⁾، مما أدى إلى ارتفاع سعر البطيخ إلى سبعين درهماً أو أكثر، كما بلغ سعر الكمثرى سبعة دراهم، بينما بيعت الرمانة الواحدة بدينار⁽⁵⁾.

ازداد عدد الوفيات بسبب الجوع وانتشار الأمراض في خراسان، ففي عام 449 هـ / 1057 م أصبح الموتى يُدفنون في البيوت وبعضهم الآخر في الطرقات⁽⁶⁾، حيث لم تعد المقابر تسعهم.

(1) - كارة: حزمة كبيرة من الحطب أو مقدار كبير من التمر عند أهل البصرة وبغداد، انظر: الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية العثمانية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص360.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص636.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص ص 170-171.

(4) - المقرئ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص377.

(5) - الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص167؛ القزويني، المصدر السابق، ص317.

(6) - الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1327هـ، ص928.

استمر الوضع على حاله لسنوات عديدة ففي بغداد من العام السابع والخمسين بعد المائة الرابعة للهجري تراوح سعر الحمار ما بين القراطين إلى خمسة قرايط⁽¹⁾، وبلغ سعر الثور خمسة قرايط⁽²⁾.

في عام 458 هـ / 1066م ضرب زلزال مدمر خراسان ونيسابور، استمر لبضعة أيام ممّا أدّى إلى تدمير القرى بشكل كليّ، أسفرت هذه الكارثة عن فقدان العديد من الأرواح وتدمير المحاصيل الزراعية، ممّا ترك السّكان في مواجهة أزمة غذائية خانقة، فلم يجدوا ما يقتاتونه، ممّا أجبرهم على الهجرة إلى المناطق الصّحراوية بحثاً عن مأوى وسبل للعيش⁽³⁾.

واستمر تأثير الكوارث الطبيعية سنوات عديدة ففي عام 464هـ / 1071م شهدت خراسان فيضانات دمرت المحاصيل الزراعية واقتلعت الأشجار وقلّ القوت واحتكرت السّلع لقلتها فغلت الأسعار وانتشرت الأوبئة والأمراض وفي ذلك يقول ابن الجوزي "وفي ذلك الوقت كانت الأسعار ترتفع فبات من المستحيل شراء اللحم وماتت جميع الحيوانات" حيث في يوم واحد هلك 500 رأس من الغنم، وقال "وأتلقت الكثير من المحاصيل بسبب قوّة الرّيح التي نسفت بـ 3 آلاف وخمسمائة جريب من الشّعير والحنطة ووصلت قوتها إلى درجة اقتلاع الأشجار العظيمة كشجرة التّوت وكذا أشجار التّخيل⁽⁴⁾".

ومن الكوارث الطبيعية التي وقعت في بغداد كذلك الحرائق خاصة التي تعرضت لها الحوانيت في الأسواق وكانت سنة 465هـ / 1072م من أكثر السنوات التي وقعت فيها الحرائق، حيث تعرض باب البصرة و الكرخ وأسواقهما للحريق بسبب كثرة الفتن بين أهلها⁽⁵⁾.

وتوالى انتشار الأمراض في كافة أقاليم الدّولة السّلاجقية فلقد مات الكثير من السّكان في خراسان عام 467هـ - 1074م بسبب الوباء الذي أصابهم⁽⁶⁾، وكذا نفس الحال حدث في الموصل عام 469هـ - 1067م ونجد ابن

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص613.

(2) - القرايط هي معيار في الوزن والقياس يساوي من الفدان 175 متر، انظر: الخطيب مصطفى، المرجع السابق، ص357.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص377؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص52.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص277.

(5) - المصدر نفسه، ج16، ص145.

(6) - ابن كثير، المصدر السابق، ج2، ص67.

الأثير يصف الوضع قائلاً "انتشر وباء عظيم ومات الكثيرون حيث بقيت الكثير من الغلات والمحاصيل ليس بها من يعملها لارتفاع الموت بين الناس⁽¹⁾".

ومن الأمراض التي فتكت بالسكان كما ذكر ابن الجوزي الطاعون والذي انتشر عام 478هـ - 1086م في بغداد فكثر الموتى، كما انتشر مرض الصفراء⁽²⁾ والطّحال والأورام⁽³⁾ وكذا الجدري الذي ظهر بين الصغار وانتقلت العدوى للكبار⁽⁴⁾، كما شهدت خراسان ذلك حيث ماتت الحيوانات بأنواعها كوحوش البرية والمواشي.

وفي عام 485 هـ - 1092 م شهدت بغداد حريقاً مروّعاً استمر من الظهيرة حتى العصر⁽⁵⁾ أسفر الحريق عن تدمير العديد من المحلات التجارية، مما ألحق أضراراً جسيمة بالمدينة وأثر على حياة سكانها.

وفي عام 489هـ تعرضت الموصل للخراب وأثر ذلك على الزراعة ومواردها فنقصت المحاصيل الزراعية في الموصل خاصة الفواكه ويرجع سبب ذلك إلى انشغال السلاطين السلاجقة بالحروب والأمور العسكرية وإهمالهم للجانب الاقتصادي في تلك الفترة.

ولقد تعرضت أسواق أصفهان للخراب في سنة 495هـ - 1101م حيث تم نزع أبواب المحلات كما أغلق بعضها فنقصت السلع وقل الغذاء⁽⁶⁾ وكان سبب ذلك القتال المحتدم بين السلطانين بركياروق ومحمد⁽⁷⁾، وفي سنة

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص413.

(2) - الحمى الصفراوية: من أعراضها شدة العطش والأرق والقلق والغثيان وحرارة الفم والصداع، انظر: ابن سينا أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م، ص44.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص114.

(4) - المصدر نفسه، ج4، ص114.

(5) - اليافعي، المصدر السابق، ج3، ص103.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص334.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص67.

501هـ - 1107م هدأت الأوضاع واستقرت بفضل ما قام به السلطان محمد الذي أمر بإلغاء المكوس والضرائب على التجار والمحلات فانتعشت التجارة بفضل ذلك⁽¹⁾.

وفي العراق عام 502هـ - 1108م ارتفعت الأسعار فتأثر عامة الناس بذلك وعانوا من الجوع حيث لم يجدوا ما يقتاتون به طيلة شهر رمضان الكريم إلا التوت والحشائش.

في عام 510هـ - 1116م، اندلع حريق كبير في المدرسة النظامية في بغداد، حيث التهمت النيران خزانة المدرسة بالإضافة إلى الحظائر المجاورة لها، أسفر هذا الحادث عن خسائر فادحة في الممتلكات وأثر سلبيًا على العملية التعليمية، مما جعل إدارة المدرسة تواجه تحديات كبيرة في استعادة النشاط الدراسي وإعادة بناء ما دمرته النيران.

كما ارتفعت أسعار السلع والمحاصيل بسبب القحط الذي حدث في الموصل عام 518هـ - 1124م بسبب توقف المطر عن النزول⁽²⁾ في أشهره حيث استمر قراية عام لم ينزل ففسدت الزروع⁽³⁾ وانعدمت، فأصاب الناس المجاعة وعانوا كثيرا واستمر الأمر إلى السنة الموالية⁽⁴⁾، ونفس الأمر حدث عام 532هـ - 1142م حيث جفت العيون والآبار من المياه بسبب انحباس الأمطار⁽⁵⁾.

وفي خراسان من نفس العام ارتفعت الأسعار وساءت أحوال الناس أيما سوء⁽⁶⁾، كما ارتفعت الأسعار وحدث شح في الغذاء في العراق وخراسان عام 543هـ - 1148م، ثم ساءت الأوضاع أكثر عام 548هـ - 1153م وتبدلت أحوال الناس بعد أن أسر السلطان سنجر حيث انعدمت حياة الرخاء التي كانت من قبل⁽¹⁾.

(1) - النويري، المصدر السابق، ج26، ص213؛ القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص15.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص230.

(3) - ابن القلانسي أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، تاريخ أبي يعلي المعروف بتاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2007م، ص212.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص230.

(5) - السرياني، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تعريب: مارغريغوريس، صليبا شمعون، ج3، ط1، ماردين، 1996م، ص252.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص50.

توالت الحرائق في العراق، حيث شهدت مناطق مثل سوق السلطان وباب الأزج ودرب اللبان في عام 551 هـ - 1156 م اندلاع حرائق دمرت العديد من المحلات التجارية والمنازل، مما أحدث فوضى في الأسواق وأثر بشكل كبير على حياة السكان، وكانت الخسائر المادية كبيرة، إذ فقد العديد من التجار مصادر رزقهم، بينما عانت العائلات من تبعات هذه الكوارث، مما دفعهم إلى البحث عن ملاذات آمنة وإعادة بناء حياتهم من جديد وسط ظروف اقتصادية قاسية.

في عام 557 هـ - 1161 م اندلع حريق مروع في المنازل المحيطة بسوق الطيورين، حيث انتشرت النيران بسرعة لتصل إلى داخل السوق، لم يتوقف الحريق عند هذا الحد بل طال أيضاً سوق الصفر الجديد.

كما أتلقت الكثير من المحاصيل وأشجار الفواكه والزيتون بسبب الانخفاض الكبير في درجة الحرارة التي تسببت فيها الثلوج الكثيفة التي تساقطت على بلاد الجزيرة وما بين النهرين عام 567 هـ - 1172 م⁽²⁾.

كما تكررت حوادث الحرائق في بغداد ففي عام 567 هـ - 1172 م احترقت حوانيت أسواق كل من الدرب الجديد والعقد الجديد⁽³⁾.

في عام 574 هـ - 1179 م اجتاحت بلاد الجزيرة الفراتية والموصل مجاعة طويلة نتيجة تأخر هطول الأمطار في وقتها، مما أدى إلى ندرة الغذاء وارتفاع كبير في الأسعار، اضطر السكان إلى أكل الميتة، مما أسهم في انتشار الأمراض والأوبئة، وعلى رأسها السرسام⁽⁴⁾ الذي أودى بحياة العديد منهم لدرجة أنهم لم يجدوا من يدفن موتاهم⁽⁵⁾، واستمرت هذه المجاعة حتى عام 575 هـ - 1179 م⁽¹⁾، بعد ذلك شهد العراق سلسلة من الكوارث الطبيعية، بما في ذلك حرائق وزلازل وأوبئة خاصة بعد عام 590 هـ - 1193 م⁽²⁾.

(1) - المصدر نفسه، ج9، ص 384-385؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص428.

(2) - السرياني، المرجع السابق، ج3، ص309.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص197.

(4) - السرسام: ذكر ابن سينا أن السرسام لفظ فارسي، فالسر هو الرأس، والسام هو الورم، أي: أورام الرأس، وهو أحد أنواع الصداع نتيجة ورم في أحد حجاي الدماغ، انظر: ابن سينا، المصدر السابق، ج2، ص26.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص316.

ارتفعت الأسعار عام 621هـ-1224م بالموصل بسبب ندرة الأمطار حيث استمرت سنوات طوال إلى غاية 624هـ-1226م الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعة في المنطقة فارتفع سعر الشعير إلى ديناراً وقيراطين⁽³⁾ كما ماتت الحيوانات جوعاً فلم تجد ما تأكله، وبسبب قلة المنتجات الفلاحية اضطر بائعوا الماشية والفلاحين إلى ترك مهنتهم حيث قلّ بيع المواشي فرموا يبيعون خروفاً في اليوم ولربما 5 أغنام أو يقاربها.

كما شهدت بغداد مرة أخرى ارتفاعاً في السلع عام 643هـ-1245م بسبب هطول الأمطار بغزارة مما أدى إلى فيضان نهر دجلة، ولقد تسببت هذه الفيضانات في إتلاف المحاصيل والسلع، وأغرقت منطقة الرصافة⁽⁴⁾، وحدث نفس الأمر في السنة الموالية، حيث شهدت منطقة السّلامية بالموصل فيضانات شديدة دمرت الأسواق وأفسدت الحرث كما غرقت الكثير من الحيوانات⁽⁵⁾ الأمر الذي أثر سلباً على المستوى المعيشي للسكان في المنطقة.

تسببت الكوارث والأوبئة في آثار اجتماعية جسيمة منها التغيرات السكانية في الموصل، أدى ذلك إلى نزوح بعض السكان إلى مناطق أخرى نتيجة الأزمات الاقتصادية أو الأوبئة، وبسبب كثرة الأوبئة مات الكثيرون من الأهالي.

سعت الدولة السلجوقية إلى تخفيف الأعباء الاقتصادية عن المواطنين وتحسين معيشتهم من خلال إلغاء الضرائب، ممّا خفّف عنهم بعض الضغوط المالية⁽⁶⁾، كما أسهم السلاجقة إسهاماً كبيراً في مواجهة الكوارث الطبيعية، حيث أصدر السلاطين أوامر بخفض أسعار السلع وفرض رقابة صارمة على الأسواق للحفاظ على استقرار الأسعار، وقد أسهمت هذه الجهود في تحسين المستوى المعيشي للسكان، ووفرت فرصاً أفضل للربح والكسب لعامة الناس⁽⁷⁾.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص271.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص138.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج12، ص457.

(4) - مؤلف مجهول، كتاب الحوادث وهو الكتاب المنسوب لابن الفوطي باسم الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تح: بشار عواد معروف، وعماد عبد السلام رؤوف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص277.

(5) - الذهبي، المصدر السابق، ص218.

(6) - ابن الجوزي، المنتظم، ج1، ص211.

(7) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص286.

2- الملابس:

كانت الملابس من أبرز المظاهر التي تُميّز الطبقات الاجتماعية في العصر السّلاجقي، إذ اتّسمت بتنوع واضح في الشّكل والألوان والخامات المستخدمة، كما كانت تدلّ على حضارة الأهالي في العهد السّلاجقي في مختلف الأقاليم⁽¹⁾ ومستوى معيشة الأفراد حيث كان لكلّ طبقة أو مهنة زيّ خاص بها يميزها عن غيرها، على سبيل المثال تميزت ملابس السّلاطين والأمراء عن تلك التي يرتديها رجال الدولة مثل القضاة⁽²⁾ والوزراء والشعراء، حيث كان لكل منهم زيه الخاص⁽³⁾، وبالمثل كان للتجار، وأفراد الطبقات الفقيرة والعامة⁽⁴⁾ ملابسهم الخاصة، ولأهل الدّمة كذلك أزياء خاصّة بهم تعكس مكانتهم وأوضاعهم الاجتماعية⁽⁵⁾، مما أتاح التمييز بينهم بمجرد النظر.

إلى جانب الوظيفة الأساسية للملابس في ستر الجسد، كانت تُعد أيضاً رمزاً للزينة والأناقة خاصة عند المرأة⁽⁶⁾، وأداة تبرز مكانة الشّخص ومهنته بالنسبة للرجل، فقد كان يمكن معرفة عمل الرجل ومكانته الاجتماعية من خلال زيه، حيث عكست الملابس مهن الأفراد وأدوارهم الاجتماعية بوضوح.

اهتم السّلاجقة بشكل كبير باختيار نوعية الأقمشة وبرعوا في تمييزها، فمنهم من ارتدى أفخر الأقمشة الناعمة البهية الألوان⁽¹⁾ المطرزة بالذهب والفضة والحريز⁽²⁾، ومنهم من ارتدى الألبسة المصنوعة من الديباج والبعض الآخر الآخر ارتدى الملابس المصنوعة من الأقمشة السوقية العادية مثل الصوف.

(1) - الوزن، المرجع السابق، ص 225.

(2) - الصابي أبو الحسين هلال بن المحسن، رسوم دار الخلافة، تح: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، لبنان، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 91.

(3) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 3، ط 7، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 114.

(4) - ابن الهبارية محمد بن محمد بن صالح العباسي، ديوان الصادح والباغم، تر: عزت العطار، مصر، (د.د.ن)، (د.ط)، القاهرة، 1936م، ص 29.

(5) - متز، المرجع السابق، ج 1، ص 84.

(6) - صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، ط 1، مؤسسة المعاهد الفنية، بغداد، 1980م، ص 10.

2. 1. ملابس السلاطين:

ومن الذين تميزت ملابسهم بالفخامة عن باقي الناس السلاطين فكانوا يظهرون في أحسن حلة وأرقى وأبهى صورة فلبسوا أغلى ملابس الحرير المزين بألوان جذابة وزاهية⁽³⁾ والمرصعة بالجواهر الغالية والدرر والمزينة بخيوط الذهب والفضة⁽⁴⁾، وغيرها من الأثمان والآلئ المستوردة من مناطق مختلفة كالصين⁽⁵⁾.

ولبس السلاطين القباء المرصعة بالجواهر الثمينة⁽⁶⁾، كما كانوا يرتدون العمامات والقلنسوات والسرراويل والطيلالس والجوارب⁽⁷⁾، وكانوا يرتدون تحت ملابسهم الداخلية القميص ويحرصون على ذلك، وكانوا يلبسون الدروع التي تتسع أطرافها وتكون أكمامها عريضة بالإضافة إلى ذلك فقد ارتدوا الجبة السوداء، وتميز السلطان السلجوقي بلبس تاج على رأسه ثلاثي الفصوص مزين بمجموعة من الآلئ والجواهر⁽⁸⁾.

اشتهر طغرل بك بلبس البياض والواذاري⁽⁹⁾ أو الوازاري خاصة عند استقبال الناس، أما السلطان ألب أرسلان فكانت القلنسوة التي يرتديها عالية وطويلة، وكان السلطان سنجر يرتدي ثوبا حريريا عاديا لا يحتوي على رسومات ولا نقوش فهو لم يتصنع كثيرا في ملابسه⁽¹⁾.

(1) - الوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، الموشى أو الظرف والظرفاء، تح: فهمي سعد، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1953م، ص178.

(2) - الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحيى مراد، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، ص180.

(3) - الوزنة، المرجع السابق، ص222.

(4) - زكي محمد حسن، المرجع السابق، 156.

(5) - طقوش، تاريخ الدولة العباسية، المرجع السابق، ص244.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص259.

(7) - سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية: رياض رأفت، مطبعة لجن التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1938م، ص388.

(8) - الراوندي، المصدر السابق، ص217.

(9) - البنداري، المصدر السابق، ص28.

كانت مهمة اختيار وتجهيز ملابس السلطان اليومية وتنظيمها في خزانته موكلة إلى شخص يُعرف بالجامه دار أو الخازندار، الذي كان يشرف أيضًا على ملابسه في المناسبات المختلفة، وكانت هذه الملابس تُحاط وتُطرز في مكان مخصص لهذا الغرض، تحت عناية خاصة لضمان الفخامة والأناقة، ومن أشهر من تولى مهمة الإشراف على ملابس السلطان ملكشاه الشيرازي تاج الملك أبو الغنام⁽²⁾ الذي تميز بدقة إشرافه وحرصه على أدق التفاصيل في ملابس السلطان.

2.2. ملابس نساء السلاطين:

أبدعت نساء السلاطين السلاجقة في اختيار ملابسهن، فكانت غاية في الفخامة والأناقة، مصنوعة من أفخر الأقمشة كالخزّ والحريز والديباج والإبريسم⁽³⁾ ومرصعة بالجواهر والذهب، وتميزت هذه الملابس بألوان زاهية ومتنوعة تلفت الأنظار وتبعث السرور في النفوس، وقد وضعن على رؤوسهن عصابات مرصعة بالأحجار الكريمة والجواهر الثمينة⁽⁴⁾، وأكملن زينتهن بحلي فاخرة مثل التيجان والأكاليل، وقلائد حول أعناقهن، وخواتم في أيديهن، وحتى أقدامهن زُينت بخلاخل ثمينة أضافت لمسة من البهاء إلى إطلالاتهن.

2.3. ملابس القضاة والعلماء:

تميز القضاة والفقهاء والعلماء في العصر السلجوقي بملابس خاصة تميزهم عن باقي فئات المجتمع وخصوصًا عن عامة الناس⁽⁵⁾، فقد كان القضاة يرتدون الطيلسان، كما وصفهم المقدسي بقوله "كانوا يتطيلسون"، أي يلبسون الطيلسان⁽⁶⁾ فوق العمام، إلى جانب ارتدائهم القلانس الكبيرة كان الفقهاء يلتزمون بهذا الزي أيضًا، بينما اختار

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص260.

(2) - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص431.

(3) - المقدسي، المصدر السابق، ص128.

(4) - الوشاء، المصدر السابق، ص116؛ ناجي عبد الجبار، الدولة العربية في العصر العباسي، البصرة، دار الكتب والوثائق، (د.ط)، 1989م، ص414.

(5) - العبيدي صلاح حسن، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط)، 1980م، ص61.

(6) - المقدسي، المصدر السابق، ص323.

العلماء في الشتاء ارتداء الطيالس فوق العمام، وعليها دراعة لا تغطي الرأس، أما الكتّاب فكانوا يرتدون الدراعات⁽¹⁾ مع قلانس مغطاة بالكامل بالعمامة⁽²⁾، في حين تميز الشعراء بالأردية السوداء والمقطعات، ما أضفى عليهم مظهرًا خاصًا يعكس مكانتهم في المجتمع.

2. 4. ملابس العامة:

وتميزت ملابس باقي طبقات المجتمع كالعامة بالبساطة ولم تكن موحدة بل كانت مختلفة باختلاف فئات الناس⁽³⁾، فاختلقت كثيرًا عن ثياب السلاطين والأثرياء وأعيان الدولة فصنعت معظمها من الكتان⁽⁴⁾ والصّوف الخشن والفرو والقطن الغليظ، فلبسوا المدرعة المصنوعة من الكتان والصّوف⁽⁵⁾، كما ارتدوا القباء والقلنسوة والإزار⁽⁶⁾ والطيلسان⁽⁷⁾ وكذا الأقمصة البيضاء⁽⁸⁾، والسرّاويل المذيلة والواسعة المصنوعة من القطن الأبيض، وارتدوا صدرية

(1) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 314.

(2) - المقدسي، المصدر السابق، ص 323.

(3) - بدري فهد، المرجع السابق، ص 141.

(4) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 8، ص 82.

(5) - المصدر نفسه، ص 58.

(6) - الجبة والدراعة والإزار: الجبة تلبس فوق الثياب فيها حشمة ووقار لها أكمام وجيوب، وهي لباس عام لجميع فئات المجتمع، الدراعة هي جبة مشقوقة من المقدمة، ومنها الصوف التي تسمى المدرعة، الإزار لباس شاع منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن قطعة فماش كبيرة تلف حول الجسم، تعقد على وسطه من تحت السرة، وربما فيها آزار، لمزيد من التفاصيل انظر: مليحة رحمة الله، المرجع السابق، مج 13، ص 191-209؛ محمد فارس الجميل، اللباس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حوليات آداب الكويت الحولية 14، 1994، ص 69-87.

(7) - الطيلسان هو كساء غير مخيط يوضع على الرأس، ويرسل طرفاه على الصدر ثم يلف حول الرقبة، واتخذ أشكالاً متعددة منها منها المربع، والمدور، والمثلث، وهو قريب الشبه بالوشال المعروف حديث في مصر، انظر: مليحة رحمة الله، المرجع السابق، ص 197.

(8) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 11، ص 334.

مصنوعة من الصّوف والمنزخرفة فوق القميص في البرد، ووضعوا العمامة على الرأس والتي كانت مختلفة الأشكال بحسب رغبة كل شخص، فكانت القصيرة وكانت الطويلة والتي تتدلى على جوانب الرأس والملونة⁽¹⁾.

كان أهل المدينة يلبسون القمصان والسرّويل البيضاء المذيلة⁽²⁾ والدراعات، ويزينون رؤوسهم بالعمائم الملونة. كما كما كانوا ينتعلون الخف والنعال.

أما الخدم فانتعلوا الأحذية والنعال والخفاف وكانت متنوعة ذات أشكال مختلفة، بالإضافة إلى الجوارب والألّكة⁽³⁾، والألّكة⁽³⁾، وفي فصل الشتاء وبسبب البرد ارتدى سكان الريف الملابس الثقيلة والمعاطف والسترات المصنوعة من الصوف والجلد والفرو⁽⁴⁾، ولبس المزارعون العمام المصنوعة من الصوف الغليظ ويطلق عليها الفوط وتكون هذه القطعة ملونة⁽⁵⁾، كما انتعلوا الجمجمان.

أما الخارجون عن طاعة السلطان السلجوقي والذين تسموا بالعيارين والشطار فكانوا يرتدون إزاراً أحمر ورداء معصفاً⁽⁶⁾،

وتتميز التجار في العراق وخراسان بأناقة ملابسهم وتشابه زيهم، حيث ارتدوا أجمل الملابس وتفنّنوا في تنسيق الألوان فارتدوا القمصان والبذلّات⁽⁷⁾ والحبّاب والطيلّاس والعمائم والنعال الخاصة التي تميزهم في الأسواق عن غيرهم⁽⁸⁾،

(1) - محمود شاكر، أفغانستان، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص71.

(2) - الحموي، المصدر السابق، ج3، ص ص 254-255.

(3) - اللائكة: كلمة فارسية وهي نوع من الأحذية لبسها الرجال والنساء على السواء من العامة، وتكون مختلفة الألوان منها الحمراء وهي لباس الخلفاء الخاص وتسمى الملائكة، والسوداء وهي لباس الأمراء والقادة، والجوارب لباس للرجال والنساء، انظر: الصابي، المصدر السابق، ص492.

(4) - محمود شاكر، المرجع السابق، ص72.

(5) - ابن الطقطقا، المصدر السابق، ص228؛ رونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م، ص220.

(6) - الصابي، المصدر السابق، ص75.

(7) - الاصطخري، المصدر السابق، ص138.

(8) - المصدر نفسه، ص138.

واختص الأهالي في خراسان وبلخ بألبسة في كل فصل فجعلوا لباسا للصيف ولباسا للشتاء، وإذا دخلوا للحمام ارتدوا الميازر⁽¹⁾.

أما الأفراد الذين كانت حالتهم المادية ميسورة فكانوا يختارون ارتداء رداءين⁽²⁾ مما يعكس وضعهم الاجتماعي وثرائهم مقارنة بالآخرين.

وغلبت على ملابس نسائهم الوقار والحشمة فلبسن الجباب والأقبية⁽³⁾ والسرراويل والدراعات، ولبسن المطرف والأقمصة وغطين وجوههن ورؤوسهن بالنقاب⁽⁴⁾ والمقنعة⁽⁵⁾ والعمامة وغطين رؤوسهن بالخممار⁽⁶⁾، وسترن جسدن بملاءة عريضة عند خروجهن من البيت لكي لا يظهر من بدنهن شيء⁽⁷⁾، وارتدت النساء من العامة المطرف - رداء له طرف يكون طويل، وانتعلن الخفاف مثل الزراويل والقباقيب⁽⁸⁾، وكان اللون الأخضر والأحمر الغالب في ملابس زوجات الفلاحين وبناتهن⁽⁹⁾.

وكان للحزن والعزاء في العصر السلجوقي ملابس خاصة ولون محدد يُعبر عن المشاعر المرتبطة بهذه المناسبات، حيث سكان خراسان وبلخ وبشكل خاص يرتدون اللون الأبيض في أوقات الحزن، عكس هذا اللون رمزية النقاء والفراق، مما جعل الملابس البيضاء تُعتبر تعبيراً عن الحزن والمواساة في أوقات العزاء.

(1) - المقدسي، المصدر السابق، ص 327-328.

(2) - مليحة رحمة الله، المرجع السابق، ص 210.

(3) - سعد فهد، المرجع السابق، ص 161-164.

(4) - مليحة رحمة الله، المرجع السابق، ص 200-201.

(5) - المقنعة هي البرقع فيه خرقان للعينين، انظر: الجميل، المرجع السابق، ص 35.

(6) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 74.

(7) - سيد أمير علي، المرجع السابق، ص 389.

(8) - عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط 7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996م، ص 121.

(9) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 165.

2. 5. ملابس أهل الذمة:

لقد فرضت الدولة السلجوقية على أهل الذمة لباساً خاصاً وألزمهم بذلك فكانت الملابس أداة ووسيلة تبين دين الشخص الذي يرتديها في تلك الفترة، ولقد كان هذا القانون معمولاً به من قبل منذ عهد الخلفاء الراشدين وذلك حتى يتم التمييز بينهم وبين المسلمين والعرب⁽¹⁾.

فكان الواجب عليهم أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم فقلانسهم ميزوها بالحدق، وكانوا يشدون الأحزمة على صدورهم، ويمنع عليهم لبس الطيلسان والعمائم⁽²⁾، كما كانوا يضعون حول أعناقهم خاتم أو جرس يدخلون به إلى الحمام، ويستثنى الجالوت بوضع العمامة على رأسه وتكون مرصعة بالجواهر⁽³⁾، كما يلبس الثياب المصنوعة من من الحرير المنقوش والمطرز.

وأرغم اليهودي بارتداء الغيار والبراطل الطويلة⁽⁴⁾، كما كانوا يضعون خيطاً أصفر أو أحمر على أكتافهم.

ونفس الحال بالنسبة للنصارى إلا أنهم اختلفوا عن اليهود في الخيط المعلق على أعناقهم حيث علقوا الصليب، وارتدوا الغيار وربطوا الزنانير⁽⁵⁾ حول صدورهم، كما ارتدوا القلانس الملونة حتى تختلف عن القلانس التي يرتديها المسلمون⁽⁶⁾.

في غالب الأوقات لم يرتدي اليهود والنصارى الغيار⁽¹⁾، لأن السلاجقة لا يحاسبونهم على ذلك دائماً حيث كانوا متساهلين معهم⁽²⁾، إلا أنه في بعض الأحيان وبسبب غضب الأهالي عليهم وشكايتهم وتحميلهم للسلطان

(1) - ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ج2، ص135.

(2) - الطروشى أبو بكر، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، ج2، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م، ص547.

(3) - يحيى أحمد الكعكي، معالم النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1992م، ص188.

(4) - ترتون، المرجع السابق، ص205.

(5) - الزنار: كلمة يونانية الأصل وتعني الحزام، ولقد أصبح علامة مميزة لأهل الذمة، انظر: المرجع نفسه، ص130.

(6) - متز، المرجع السابق، ص84.

مسئولية هذه التجاوزات⁽³⁾ التي تصدر من أهل الذمة يضطر السلاطين إلى إصدار أوامره بضرورة التزامهم بهذا اللباس.

ويمكن القول أن أهل الذمة كانوا لا يجبون لبس الغيار حيث كانوا يقدمون مبالغ مالية للسلطان السلجوقي وللخليفة العباسي حتى يسمحوا لهم بعدم لبسهم ولا يعاقبهم كما حدث عام 515هـ - 1121م مع السلطان محمود بن محمد حيث قدموا له 20 ألف دينار للسلطان محمود وكذلك دفعوا 4 آلاف دينار للخليفة العباسي المسترشد⁽⁴⁾.

وكان في بعض الأحيان يتوسط لهم لدى السلطان رجال الحكم في الدولة ليعفوا عنهم ويسمحوا لهم بألا يلبسوا الغيار⁽⁵⁾، كما حدث مع السلطان ملكشاه الذي عفا عنهم.

وبالنسبة لملاابس النساء النصرانيات فكن يرتدن الحزام أو الزنار فوق الإزار، ويعلقن الصليب على رقابهن، و ينتعلن نعالاً مختلفة اللون حيث يكون أحد الخفين أبيض والآخر أسود حتى يتم التمييز بينهن وبين باقي النساء⁽⁶⁾.

وتفعل اليهودية نفس الشيء في لبس النعال، وارتدت المرأة اليهودية الأزر العسلية، وكان من عادتهن عند دخولهن للحمام أن يضعن طوقاً من الحديد على رقابهن.

أما المجوس فاختصوا بانتعال الخفاف السندية كما ذكر المقدسي⁽⁷⁾.

(1) - الشيرازي عمر عمر عثمان، عامة بغداد من ظهور السلاجقة حتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراه آداب، عين شمس، 1991م، ص 282

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 6؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 87.

(3) - ترتون، المرجع السابق، ص 135.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 228؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 211.

(5) - ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 16، ص 6-30.

(6) - الطروشني، المصدر السابق، ج 2، ص 547؛ ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1976م، ص 40-42.

(7) - المقدسي، المصدر السابق، ص 128.

3- القصور والمنازل:

3. 1. قصور الطبقة الخاصة:

بعد أن انتقل السلاجقة من حياة البداوة والتنقل في الخيام إلى الاستقرار، أبدعوا في بناء القصور والمنازل الفخمة وتفننوا في ذلك، خاصة مع اتساع دولتهم وازدياد مصادر أموالهم، فتميزت قصور السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة بالشساعة والشموخ، ما عكس ثراء الدولة وعظمتها، فكانت قصور السلاطين تحف معمارية فنية قمة في الإبداع والتنسيق والتزيين والجمال⁽¹⁾.

فكانت أشبه بالمدن يحيط بها سور عظيم، وكانت قصورهم غير متصلة ببعضها البعض حيث كان يربطها بهو ويتوسط هذه القصور مجلس للاستقبال⁽²⁾، وزينت جدرانها الداخلية والخارجية بنقوش وزخرفات نباتية وحيوانية ومنمنمات هندسية متداخلة ومتراصة⁽³⁾، وأحيطت هذه القصور بحدائق غناء وبساتين فسيحة الأرجاء⁽⁴⁾ صُممت الأرجاء⁽⁴⁾ صُممت بأسلوب هندسي متقن وزُينت بمهارة فائقة لتضفي لمسة من الأناقة والبهاء على الفناء يعكس روعة وجمال الطبيعة⁽⁵⁾، ولقد غرست في هذه البساتين مختلف أنواع الزهور والورود والأشجار التي يتم إحضارها من أنحاء مختلفة.

احتوت هذه القصور على أماكن للخزانة ومعدات للأسلحة، بالإضافة إلى المطابخ والمقاصير المخصصة لملايس السلطان وحاجياته، كما تضمنت مقاصير مخصصة للأقمشة والحلي التي كان يهديها السلطان لضيوفه، ووزعت بين هذه المقاصير حدائق صغيرة ونوافير مياه⁽⁶⁾، مما أضفى على المكان جوًا من الفخامة والرّفاهية.

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 276؛ حسنين، سلاجقة إيران، المرجع السابق، ص 189.

(2) - جورج مقدسي، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، تر: صالح أحمد العلي، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1984م، ص 80-81.

(3) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 3، ص 441.

(4) - المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 369.

(5) - الجميلي رشيد عبد الله، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، بغداد، دار الكتب العربية، (د.ط)، 1989م، ص 70.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص 379.

في سنة 447هـ - 1055م شيد طغرل بك مدينة أطلق عليها اسمه احتوت على مجموعة من القصور المجاورة لبعضها البعض⁽¹⁾، حيث تشير المصادر التاريخية أنه وبعد سقوط ملك البويهيين بيد السلاجقة أمر طغرل بك بهدم أزيد من 170 قصرا بويهيا وبنى في الجهة الغربية مدينته التي توسطتها دار السلطنة أو مدينة طغرل بك كما لقبت⁽²⁾ وفي العام الموالي أمر ببناء أبراج تحيط بدار السلطنة، واحتوت دار السلطان على خزانتي مال الدولة، الأولى هي الخزانة الأصلية التي لا ينفق منها إلا عند الحاجة⁽³⁾، أما الثانية فخصّصت للنفقات اليومية للسلّاطين والأمراء، بالإضافة إلى ذلك وجد بالدار حجرات خاصة بتناول الطعام، وقاعات خصّصت للاستقبال والجلوس، كما خصّص السلاجقة للنساء والحريم قصورا خاصة بهن، لها كامل الاستقلالية لا تقل جمالا وروعة عن قصور السلّاطين والأمراء.

كذلك بنى السلطان سنجر عدّة قصور في نيسابور ومرو، بالإضافة إلى أقاليم أخرى ضمن أراضي السلاجقة⁽⁴⁾، مما جعل هذه القصور رموزاً للنفوذ والسلطة في أنحاء الدولة.

3. 2. منازل العامة:

حرص السلاجقة على التمسك بتقاليدهم العريقة، فكان العامة يقيمون في خيام مستديرة ذات سقوف مدببة، مصنوعة من أغصان شجر الصفصاف ومغطاة باللباد⁽⁵⁾، وتجسد هذه الخيام الطراز التقليدي والروح البدوية التي اعتزوا بها.

ثم أقاموا بعد ذلك في بيوت شديدة التواضع لا تمنع عنهم حرارة الصيف وشمسها ولا برودة الشتاء وصقيعه في معظم الأوقات⁽⁶⁾، وبسبب الظروف المعيشية الصعبة وفقر البعض عجز الكثيرون عن شراء مسكن أو تأجيره،

(1) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص402.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص164.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص224؛ نظام الملك، المصدر السابق، ص93.

(4) - الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص260.

(5) - إدريس محمد، المرجع السابق، ص243.

(6) - التنوخي، المصدر السابق، ج2، ص144.

فاضطروا إلى بناء الأكواخ والاحتفاء بها⁽¹⁾ مثلما كان في بغداد عام 466هـ - 1073م بسبب الفيضانات والسيول سكن أهل بغداد الأكواخ⁽²⁾، أما البعض الآخر فقد سكن في بيوت غلب عليها طراز القباب⁽³⁾، ممّا أضاف لمسة معمارية مميزة إلى مساكنهم، أمّا المشردون الذين لا منزل لهم ولا كوخ فقد اتخذوا المساجد مأوى لهم، والبعض منهم كانوا يبيتون في الشوارع والأسواق⁽⁴⁾.

تميّزت دور السّلاجقة في تشكيلها وتصميمها بالبساطة فأغلبيتها بنيت من طابق واحد، وكانت هناك منازل مكوّنة من طابقين.

ولقد استخدم السّلاجقة في بناء منازلهم مواد البناء المتوفرة في ذلك العصر، مثل الجص⁽⁵⁾ والآجر والكلس.

وكانت الجدران تُطلى بالنورة⁽⁶⁾ (الجير) لإضفاء لمسة بيضاء ناعمة، بينما كانت أسطح المنازل تُغطى بالأخشاب، بالأخشاب، وخاصة أغصان الأشجار وجذوع النخيل⁽⁷⁾، ثمّ بعد ترتيبها يضعون عليها القصب ويشبّونها بطبقات من الطين حتى لا تتلف وتتسرب منها الأمطار⁽⁸⁾، وتُغلف الجدران بالكلس⁽⁹⁾ مما وفر حماية جيدة ومتانة للبناء، للبناء، كما تطلّى بأجمل الأصباغ لإضفاء لمسة نهائية متينة وجميلة⁽¹⁰⁾.

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص189.

(2) - ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج8، ص286.

(3) - ناصر خسرو، سفر نامه، تح: يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م، ص10.

(4) - الثّعالبي، المرجع السابق، ص325.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص202.

(6) - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص107؛ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص634.

(7) - الماوردي، المصدر السابق، ص255.

(8) - ابن الفوطي، المصدر السابق، ص119.

(9) - التنوخي، المصدر السابق، ج1، ص92.

(10) - البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص318.

وبالنسبة للأغنياء من العامة فقد استخدموا الخشب الباهظ الثمن فغطوا الأسقف بخشب الساج وزيّنوا منحنياتها بالعاج والأبنوس وبعد ذلك يقومون بتبييض الحيطان ودهنها بمختلف أنواع الأصباغ والبقع لتزيينها⁽¹⁾، كما اعتمدوا على خشب الساج في بعض الأحيان لتغليف الجدران حتى يزيد ذلك من جمال المنزل⁽²⁾.

لم تكن الأسقف غطاء للمنزل فقط وحماية أهلها ومفروشات من المطر وحزّ الصّيف، إنما اعتبره السّلاجقة مكانا للنوم خاصّة في فصل الصّيف وذلك بسبب الحرارة التي تكون داخله، بخلاف فصل الشّتاء ووقت البرد فإنهم ينامون في الغرف⁽³⁾.

كانت المنازل متقاربة مع بعضها جدرانها عالية وكانت هناك حلقة نحاسية في الباب الخشبي تدور على مسمار ليدق عليه عند الفتح ويسحبه عند الإغلاق، وكانت هناك نوافذ مغلقة بألواح زجاجية متعدّدة الألوان⁽⁴⁾.

كان للمنزل من الدّاخل تصميم خاص فبمجرد الدّخول من الباب الرئيسي نجد ممر طويل يقود إلى باب الدّار وعند الدخول نجد باب الصّحن⁽⁵⁾ ثم مجموعة من الغرف التي تطل على هذا الصّحن وفيه قسم لاستقبال الضيّوف وللجلوس فيه، وجزء مخصّص للخدم، وذلك حسب الوضع المالي لصاحب المنزل⁽⁶⁾.

كانت بيوت الأغنياء من العامة مزينة بحديقة⁽⁷⁾ فيها مختلف أنواع الأشجار والأزهار، كما احتوى على مكان مخصص للرحي⁽⁸⁾.

(1) - المصدر نفسه، ج 1، ص 318.

(2) - التنوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 85.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 262.

(4) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 226؛ فهمي سعد، المرجع السابق، ص 229-233.

(5) - التنوخي، المصدر السابق، ج 8، ص 134.

(6) - الصّابي، المصدر السابق، ص 43.

(7) - التنوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 92.

(8) - الماوردي، المصدر السابق، ص 255.

كما يبنى السّكان سرداب تحت الأرض يكون باردا ليتمكنوا من النوم فيه في الصيف لتفادي الحرارة الشديدة، بالإضافة إلى الغرف ومكان الاستقبال والمطبخ، احتوت الدّور كذلك على مرافق صحية لقضاء حاجتهم كالحمام وبيت الخلاء والذي خصصت له حجرة بغرض التخلص من الفضلات⁽¹⁾، وتميزت مسرّحات الأغنياء بالخصوصية فكانوا يغلقونها عند الخروج منها تجنباً من استعمالها من قبل غيرهم كالخدم.

وكانت دور الأغنياء أيضاً تحتوي على آبار ومجاري تحت الأرض⁽²⁾ تميزت بالنّظافة بخلاف آبار الفقراء حيث لم تكن مياهها نظيفة دائماً، ولم تكن لهم حمامات داخل المنزل إنما كانوا ينظفون أنفسهم ويتطهرون بجانب البئر والذي يكون متواجداً أمام البيت، إلا أنّ البعض منهم قد خصّص مكان داخل الدّار فيه حمّام ومسراح غير منفصلين عن بعضهم البعض امتاز بعدم النّظافة في معظم الأحيان⁽³⁾.

أما وسائل الإنارة فقد أضاء العامة منازلهم بالاعتماد على الشّموع المعلّقة أو الموضوعّة على الحامل وكذا القناديل⁽⁴⁾ أو السّرج، وكانت تشتعل بالزّيوت أو الدّهون⁽⁵⁾.

وبحسب المستوى الاجتماعي والمادي يتم تجهيز المنزل بالمستلزمات المختلفة كالأثاث والأفرشة الصّورية التي يحتاجها الأهالي في معيشتهم اليومية، فالفقراء جعلوا من الحصر والحلفاء فراشا لهم⁽⁶⁾، والغضائر والمخاد فكانت أفرشتها على العموم بسيطة جداً⁽⁷⁾، وجّهز المطبخ بمختلف الأواني كالإبريق والقدر والملاعق⁽⁸⁾، والجرات التي يضعون فيها الماء لغرض تبريده، ويحتوي المنزل كذلك على رحي للطحين، وعادة ما يضع الفقراء خارج المنزل كلب للحراسة ويغرسون الأشجار كذلك.

(1) - ابن الطقطقا، المصدر السابق، ص 235.

(2) - التنوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 15؛ ابن الفوطي، المصدر السابق، ص 181.

(3) - التنوخي، المصدر نفسه، ج 2، ص 342.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 44.

(5) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص 233.

(6) - يعقوبي، المصدر السابق، ص 226.

(7) - التنوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 300.

(8) - الحنبلي، المصدر السابق، ج 5، ص 134.

اختلفت منازل أثرياء العامة عن الفقراء حيث تميزت بالجمال والترتيب واحتوت على الكثير من الأثاث والمفروشات، حيث تم فرشها بالمطارج والدجاج المذهب وبالبسط والوسائد المختلفة والمخاد الذهبية، وزينت الجدران بأنواع الستائر الملونة والمزخرفة بالتصاوير والنقوش، وجُهِز المطبخ بتجهيزات رائعة فالأواني صنعت من الذهب والفضة والجواهر الكريمة، ووضع ماء الورد في قماقم مزينة بالذهب والفضة كذلك، كما يقوم البعض بتأثيث وفرش المقاعد الموجودة أمام المنزل ليتمكن الناس من الاستلقاء عليها.

4- الطعام:

4. 1. طعام الطبقة الخاصة:

لقد تميزت موائد الطعام في العصر السلجوقي بالتنوع نظرا لتباين الحياة الاجتماعية ومستوى المعيشة حسب كل طبقة وفئة، فتفنن الأهالي في إعداد المطعومات وطريقة طهيها وتحضيرها ليسر الناظر إليه وليكون لذيذا طيب المذاق، ونظرا لحياة الترف والبذخ التي اتسم بها السلاطين والأمراء فلقد كانت الموائد التي يستعملونها للطعام فاخرة ومصنوعة من الذهب والفضة⁽¹⁾ وكانت أرجل الموائد مصنوعة من الخرسانة الخلنجية بدون فواصل ولا شقوق محتمرة باللون الأبيض كأنها صفيحة منشورة أو قطعة من البلور، أو ثوبا مطرزا يجعل الإنسان متأملا في روعته وينسى الأكل الموضوع عليه كما قاله أبو المطهر⁽²⁾، كما ولع السلاجقة بتزيين موائد طعامهم بالرياحين والورود الجميلة ولقد أفضت هذه الطبقة حياتها في الترف وتميزت معيشتهم بالبذخ، وكان طعامهم متنوعا حيث تفننوا في إعداد أطيبه وألذّه⁽³⁾، فطغربلك كان يقوم بإعداد الخوان وينصبها في الصباح الباكر لتخصيص وإعداد أفضل الأطعمة، ومن عادة السلاطين السلاجقة في رحلة صيدهم أن يجهزون الطعام ويقدمونه في الصحراء⁽⁴⁾، ولقد اهتم السلطان السلطان ألب أرسلان بالفقراء وتوزيع الطعام عليه بشكل متكرر حيث كان يأمر بطهي أزيد عن 50 رأسا من الماشية⁽⁵⁾، ونفس الأمر حدث في زمن السلطان سنجر الذي أمر بطبخ 24 ألف رأس من الماشية حيث يقدم

(1) - الأزدي أبو المطهر محمد بن أحمد، حكاية أبي القاسم البغدادي، مطبعة كرل ونتر، هيدلبرج، (دط)، 1902م، ص41.

(2) - المصدر نفسه، ص42.

(3) - حسنين، سلاجقة إيران، المرجع السابق، ص189.

(4) - نظام الملك، المصدر السابق، ص165.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص45.

كخارجا سنويا عن الأتراك الغز لمطبخ السلطان⁽¹⁾، كما خصّص السلاطين أموالا لطعام الجنود والعسكر وتجهيز موائدهم.

كان طعام السلاطين يرتكز بالدرجة الأولى على اللحوم المتبلّة بأفخر أنواع التوابل وأطيبها ليكون طيب المذاق عن الطهي وأشهرها "الديكبريكة"، حيث كان هذا الطبق يحظى بشعبية كبيرة بين كبار القواد والوزراء، ويتميز بغناه بالدهون⁽²⁾ ويتم طهيه باللحم والبصل والكراث والكزبرة، ثم يضاف إليه الخل، أو السكر حسب ذوق من يتناوله، كما تناولوا السكبا⁽³⁾ واعتبروه سيد المرق.

اهتم السلاطين كذلك بتناول الدجاج والفراخ المشوية والمطبوخة⁽⁴⁾، كما كانوا يفضلون أكل الدجاج مع ماء التفاح أو حبّ الرمان، وتعتبر الأسماك من الأطعمة المحببة عندهم حيث كانت تطبخ بعدة طرق أهمها المشوية حيث كانت تنزع القشرة منه بالسكين ويغسل جيّدا ثم يدقّ ويتبل بالثوم الناعم⁽⁵⁾، كما تناولوا السمك المقلي والمملح.

ومن المأكولات المحببة عندهم الأرز الذي يطبخ بالسمن، وكذلك تناولوا الحساء كحساء الفطائر المشوية والمطبوخة وحساء الطيور والشعيرية، ولا تخلو موائد السلاطين والأمراء من أصناف الحلوى الملونة كالصابوني والهاشمي⁽⁶⁾ وغيرها من الحلويات، كما اشتملت موائدهم على ألذ الأشرية والعصائر مثل نقاع الجزر.

(1) - الراوندي، المصدر السابق، 268.

(2) - ابن الكرمي البغدادي محمد بن الحسن بن محمد، كتاب الطبخ، مطبعة أم الربيعين، الموصل، (د.ط)، 1934م، ص 12.

(3) - السكبا: طعام يصنع من اللحم السمين المقطع والخل مع إضافة التوابل والبهارات كالكمسيرة الخضراء وبعض الإضافات الأخرى كالبصل الأبيض والجزر فعندما يقترب نضجه يصب فوقه الخل والدبس أو العسل واللوز المقشر والزبيب، المصدر نفسه، ص 9-10.

(4) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص 265.

(5) - ابن الكرمي البغدادي، المرجع السابق، ص 60.

(6) - الصابوني: نوع من الحلوى يصنع من عصير الفاكهة والسكر والزيت والسمن والدقيق وبعد تماسكه يوزع فوقه بعض اللوز المقشر الرطب ويبسط وينثر عليه السكر الناعم ويصب في قوالب تشبه قطع الصابون، انظر: المصدر نفسه، ص 75.

لقد حرص السلاطين على تنظيم الولائم في المناسبات خاصة الدينية كشهر رمضان والأعياد، كما نظموا ولائم للأهالي في حفلات الزفاف وفي الانتصارات العسكرية⁽¹⁾.

اهتم السلاطين السلاجقة بالمطابخ داخل قصورهم فلا بد للطباخ ومن يتولى إدارة شئون المطبخ السلطاني أن يكون نظيف الجسد والهيئة خاصة يديه من الأوساخ كما يهتم بنظافة المطبخ ويكون ماهرا بفن الطبخ وأصوله يتصف بالاحتشام والاحترام حتى يتمكن من القيام بعمله ويؤدي مهمته بشكل جيد⁽²⁾.

4. 2. طعام الأغنياء:

كانت موائد الأمراء والأغنياء من الخاصة تتضمن أنواعاً متنوعة من الأطعمة والأشربة، وكان لكل مناسبة طعام خاص بها مما يعكس قدرتهم الاقتصادية الكبيرة.

فاعتبرت اللحوم طعاماً أساسياً عندهم تكون حاضرة في وجباتهم اليومية وذلك نظراً لفائدتها وطيب مذاقها كلحم الغنم والبقر كما شاع تناول لحم الدجاج والبط بكثرة كما تناولوا السمك وقاموا بتجفيف السمك المملح المعروف باسم النمكود⁽³⁾، كما اشتهروا بتناول لحم القديد، وجعلوا الخبز ضرورياً في غذائهم خاصة المصنوع من السميد، وتفننوا في طبخ الخبز خاصة المحشو بالعسل أو اللوز أو السكر أو اللبن.

من الأطعمة المفضلة عندهم كذلك الثريد⁽⁴⁾ وهو عبارة عن خبز مفتت ويسقى بالمرق كما احتوت موائدهم على على مختلف أنواع الخضار كالباذنجان⁽⁵⁾ والبقلاء والبصل واللوبياء.

كما كانوا يحبون أكل الفاكهة وخاصة الرمان والتفاح والعنب⁽⁶⁾، وشربوا مختلف أنواع العصائر.

4. 3. طعام العامة:

(1) - ابن الأثير، ج 9، المصدر السابق، ص 167؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج 6، ص 235.

(2) - الطوسي، المصدر السابق، ص 121.

(3) - الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء، منافع الأغذية ودفع مضارها، ط 1، المطبعة الخيرية، مصر، 1305هـ، ص ص 24-25.

(4) - الاضطحري، المصدر السابق، ص 141؛ ابن سيده، المرجع السابق، ج 5، ص 13.

(5) - ابن الساعي، المصدر السابق، ص 66.

(6) - فهد، المرجع السابق، ص 121.

ويختلف عامّة النّاس في المجتمع السّلاجقي عن الأغنياء والطبقة الحاكمة في طعامهم في الحياة اليومية وكذا في المناسبات والاحتفالات، وكذا في مواعيدهم والأواني المستخدمة للأكل، فمواعيد وطاولات الأكل كانت مصنوعة من الرّحام أو الخشب، ومن أشهر أسماء طاولات الأكل المصاوص وكذا اللّكام وكان من عادات السّلاجقة قبل جلوسهم على المائدة وتناول الطعام غسل أيديهم فلقد اتصفوا بالنظافة⁽¹⁾، ذكر الجاحظ أحوال الناس المعيشية وخاصة الفقراء من السّلاجقة فقال "الفقير مرقته سلقه وغطاؤه علقه وسمكته شلقه"، ونظرا لتوسط حالتهم المادية فقد خلت معظم مواعيدهم من اللّحم فكان طعامهم خالٍ من الدّهون في الغالب⁽²⁾، ولقد اقتصر غذاؤهم على الأطعمة النباتية لأنّها أرخص ويمكنهم اقتناؤها، إلّا أنّ البعض منهم تناولوا اللحوم البيضاء ورؤوس وأكارع وأمعاء الأغنام خاصة رؤوس الضأن لأنّها كثيرة الشحم واللحم ورخيصة، وكانت اللحوم في فصل الصّيف أرخص⁽³⁾. إضافة إلى لحم البقر الغليظ حيث كان الأغنياء لا يتناولونه لأنّه صعب الهضم⁽⁴⁾، كما أكلوا لحم الجمال إذا توفرت عندهم وهكذا يمكن القول أنّهم تناولوها بشكل غير مستمر⁽⁵⁾، وتناول السّكان في المناسبات الدّجاج المشوي والسّميط والبيض المسلوق، وتناولوا كذلك الأسماك كالسمك النهري مثل السلق والسبوط والروبيان وغيرها.

وكان غذاؤهم الأساسي الخبز لأنّه كامل ومشبع، خاصّة خبز السّميد حيث يخبزونه من الطّحين الخالي من النّخالة، كما تناولوا خبز الشعير⁽⁶⁾ وخبز الذرة، وكان خبز الحنطة أو القمح من أحسن أنواع الخبز عندهم⁽⁷⁾،

(1) - التنوخي، المصدر السابق، ج2، ص167.

(2) - سعد، المرجع السابق، ص266.

(3) - الجاحظ، البخلاء، المصدر السابق، ج2، ص111-112.

(4) - الأزدي، المصدر السابق، ص42.

(5) - التنوخي، المصدر السابق، ج1، ص21-67.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص11.

(7) - الحبشي أبو عبد الله محمد، البركة في فضل السعي والحركة، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، 1308هـ، ص237.

وتناولوا الخبز المعجون بالسمن، ومن الأطعمة التي تناولوها مع الخبز بكثرة الجبن حيث اعتبروه من الدهون⁽¹⁾، ومن الأغذية الأساسية عند العامة التمر والدبس والخل والزعفران.

ولقد اعتمد الفقراء على البقوليات كغذاء لهم مثل العدس والبقلاء والتي كانت شائعة عندهم حيث يصنعون منها ثريد الباقلاء مع دهن الجوز، كما اشتهرت عندهم المجردة وهي عبارة عن خليط من الأرز والعدس واللبن، واللوبياء تشبه الأرز المفلفل إلا أنه لا يوضع فيها الزعفران⁽²⁾ واحتوت موائد العامة على الخضروات كالباذنجان والخيار والكرب والقثاء والخس والكرفس، ولقد كانت الفواكه حاضرة في موائد العامة مثل الموز والكمثري والتّفاح والعنب وغيرها⁽³⁾.

أمّا الحلويات فلم يتمكن كل العامة من اقتنائها حيث وجدت على بعض الموائد⁽⁴⁾، مثل حلوى الخبيص المصنوعة المصنوعة من دقيق القمح ودهن اللوز حيث يتم طهيها حتى تتجمد وتقدم للأكل⁽⁵⁾، وصنعت كذلك من القرع ومن اللوز والجوز⁽⁶⁾، وتناولوا العصائد والكعك الأبيض.

ولقد تميّز بعض السّكان بشراء الطّعام الجاهز من السّوق والطّرق وعدم طهيهِ في منازلهم⁽⁷⁾.

إلا أنّ بعض السّكان لا يُنوّعون في غذائهم إنّما كانوا يكتفون بنوع واحد من الطّعام في اليوم⁽¹⁾ نظرا لظروفهم المادية، ولقد تلقى عامة الفقراء الصّدقات من السّلاطين ومن الأغنياء ورجال الدّولة كذلك في المناسبات الخاصّة⁽²⁾.

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 522.

(2) - البغدادي، المرجع السابق، ص 29.

(3) - الأزددي، المصدر السابق، ص ص 45-46.

(4) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص ص 268-269.

(5) - الشيزري، المصدر السابق، ص 41.

(6) - البغدادي، المرجع السابق، ص 74.

(7) - سعيد عبد الفتاح عاشور وسعد زغلول عبد الرحيم والعبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د.ط)، 1996م، ص 272.

5- المناسبات المختلفة:

لقد حافظ السلاجقة وبشكل كبير على نظم حياتهم وتقاليدهم الاجتماعية بالرغم من مغادرتهم لموطنهم الأصلي⁽³⁾.

5.1. الخطبة:

ومن العادات الاجتماعية التي حافظ عليها السلاجقة الزواج وما يسبقه كالخطبة والتي تعتبر من ممهّدات الزواج ومقدماته ولم تكن هناك طريقة واحدة للخطبة فنجد في بعض الأحيان تعرف الخاطبين على بعضهما البعض وتفاهمهما على الارتباط مباشرة دون أي وساطة إلا أن ذلك غالباً ما يحدث بسبب تمسك السلاجقة بالدين الإسلامي وبضوابطه في الزواج خاصة المرأة البكر، ونجد أن الأم هي التي تتكفل باختيار زوجة ابنها وكانت هذه عادتهم في ذلك وفي معظم الأحيان لا يلتقي الزوج بزوجه إلا ليلة الزواج⁽⁴⁾، وهناك من العائلات من يعتمد إلى الخطبة والتي تعتبر وسيط بين الرجل والمرأة وعائلتهما فتتقدم هي لخطبة الفتاة وزيارة بيت أهلها حيث يكون لها دور كبير لإتمام مهمة الخطبة، وتتخذ عدة حيل لتتمكن من دخول منزل الفتاة فتتظاهر بأنها تاجرة تباع البخور والطيب وغيرها⁽⁵⁾، وقد تتكفل بذلك الدلالة التي تسعى إلى التوفيق بين الرجل والمرأة التي يرغب في الزواج بها، ومقابل ذلك كانت تؤخذ أجرة على عملها، وقد يلجأ الرجل إلى إرسال أو تكليف إحدى قريباته لاختار له الزوجة الصالحة⁽⁶⁾، وهناك من النساء من تختار زوجها بنفسها إذا رأت أو سمعت بأنه مناسب، ونجد كذلك في

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص 136.

(2) - المصدر نفسه، ج7، ص162.

(3) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص155.

(4) - ابن الجوزي، ذم الهوى، تح: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص632.

(5) - سعيد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص273.

(6) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص253.

بعض العائلات أنّ وليّ المرأة هو من يختار لها زوجها دون أخذ موافقتها باعتبار أن الكلمة في ذلك ترجع له⁽¹⁾، وقد تشارك الأم الأب في اختيار زوج ابنتهم.

وكانت المرأة في بعض الأحيان تشتترط في عقد النّكاح ألاّ يتزوج عليها زوجها ولا يتسرى بجارية ويتم لها ذلك.

وبمجرد أن يتقدم الرجل لطلب المرأة من وليها تبدأ عائلاتها بالسؤال عليه وعلى أخلاقه وحالته الاجتماعية وكل ما يتعلق به من أقاربه أو جيرانه للتأكد من أنه مناسب للزواج من ابنتهم، وإذا ما تمت الموافقة تتفق العائلتان على عقد القران وكل ما يتعلق بالزواج ونفقاته والمهر، ويتم إعلان الخطوبة وقراءة سورة الفاتحة كعلامة على الموافقة، وكان من عاداتهم عقد الزواج في المساجد لنيل البركة⁽²⁾، وكان يحضر عقد الزواج حسب عاداتهم قاضي القضاة ورئيس ديوان الطغراء والمشرف كما يحضره السلطان أو وكيله إذا كان الزوج هو السلطان، ويتم ذلك حسب الشريعة الإسلامية.

ثم بعد ذلك يتم إلقاء خطبة الزّواج مثلما خطب ابن المسلمة وزير الخليفة العباسي القائم خطبة زواج السلطان طغرل بك على ابنة الخليفة، وكانت هذه الخطبة تختلف بحسب منزلة صاحب العقد، فإن كان له منزلة كبيرة ومن ذوي الجاه والسلطان تكون الخطبة طويلة، وأما إن كان ميسور الحال فتكون الخطبة قصيرة.

كما كان السلطان يرسل لعروسه أثنى الهدايا وأنفسها وقت عقد القران كما فعل السلطان طغرل بك حيث أرسل لابنة الخليفة القائم قلادتين ثمينتين وفرجية⁽³⁾ منسوجة بالذهب متوجة بالحَبّ⁽⁴⁾.

وكان من عاداتهم ألا يذهب السلطان بنفسه لخطبة المرأة التي يرغب في الزّواج بها إنما يبعث وفد إلى الأمراء والخلفاء الذين يرغبون في مصاهرتهم⁽⁵⁾، كما يحضر وزيره أو أحد خواصه، فالوزير الكندري كان من تولى إتمام

(1) - عاشور سعيد، المرجع السابق، ص 273.

(2) - المرجع نفسه، ص 273.

(3) - ابن تغري، المصدر السابق، ج 5، ص 76.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 451.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص 32.

عقد زواج طغرل بك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله⁽¹⁾ فتكفل بكل ما يتعلق بالنكاح، أما السلطانين ألب أرسلان وملكشاه فكانا يرسلان الوزير نظام الملك لإتمام المصاهرات التي حدثت بينهم وبين أمراء وملوك الدول المجاورة حسب عادتهم في إرسال الوزراء للخطبة⁽²⁾.

أما بالنسبة لزواج أفراد البيت السلجوقي فكان يتم داخل دار السلطنة السلجوقية وبحضور السلطان ويكون ذلك في مدينة الري أو مرو أو أصفهان، وإذا تزوج السلطان من خارج دار السلطنة فإنه يسافر بنفسه ويحضر مراسم الزفاف مثلما فعل السلطان طغرل بك⁽³⁾.

ولقد حرص السلاجقة وخاصة السلاطين على أن تكون زوجاتهم تركيات نظرا لتقاليدهم، كما تزوجوا من بنات ملوك الدول المجاورة لهم⁽⁴⁾، فطغرل بك مثلا تزوج أولا من الترنجان خاتون التركية والتي كانت حاضرة معه عندما دخل العراق سنة 447هـ - 1055م⁽⁵⁾، كما تزوج السلطان ملكشاه من ترکان خاتون التركية⁽⁶⁾، وتزوج كذلك كذلك من ابنة عمه زبيدة خاتون، كما حافظ السلاطين على نسبهم فتزوجوا من نساء أخوتهم بعد وفاتهم وهذا ما فعله طغرل بك لما تزوج زوجة أخيه بعد وفاته حتى يترعرع ابنهما وينشأ في البيت السلجوقي.

5. 2. الصّدّاق:

ولأن الزواج عند السلاجقة يسير على الطريقة الشرعية فيجب على الزوج أن يقدم لزوجته المهر أو ما يسمى بالصدّاق مصداقا لقوله تعالى "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة"⁽⁷⁾، ويعتبر الصّدّاق ركن من أركان الزواج ولم يكن له قدر محدد فكان يقدم بحسب حالة الزوج المادية وطبقته الاجتماعية، يتم منحه مالا أو عينا، ولقد كان السلاطين

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص239.

(2) - البنداري، المصدر السابق، ص22.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص216.

(4) - حسنين، المرجع السابق، ص5 - 10.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص12.

(6) - الراوندي، المصدر السابق، ص207.

(7) - سورة النساء، الآية 04.

والأمراء يقدمون صداقا غاليا من الجواهر والياقوت والذهب، وحرص الأغنياء على أن يكون المهر كبيرا يتوافق مع حجم أموالهم وثروتهم، بينما كان العامة يسعون إلى تقديم الصداق بقدر ما يستطيعون.

ولقد قدم الخليفة العباسي القائم بأمر الله صداقا لأرسلان خاتون خديجة⁽¹⁾ بنت جغري بك قدره مائة ألف دينار⁽²⁾، ويعتبر كبيرا إذا ما قورن بصداق النساء الأخريات في ذلك الوقت.

أما السلطان طغرل بك فقد قدّم لابنة الخليفة القائم بالله مهرا قدره ثلاثمائة ألف دينار⁽³⁾، وكان قد عقد القران في تبريز، وهناك من يقول أنه كان دينارا ذهبيا وأربعمائة درهما فضيا، وقيل أنه صداق فاطمة ابنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

وقدم الخليفة المقتدي بالله لمهملك خاتون ابنة السلطان ملكشاه صداقا بلغ أربعمائة ألف دينار، وقيل مائة وخمسون ألف دينار⁽⁵⁾، وقيل أن مهرها كان خمسون ألف دينار معجلا عجل أربعون ألف دينار والباقي اتفق مع والدها ملكشاه على أن يدفع مؤخرا فوافق على ذلك⁽⁶⁾.

وتزوجت سيدة عصمة خاتون أخت السلطان محمد بن ملكشاه من الخليفة المستظهر بالله وكان مهرها 100.000 دينار⁽⁷⁾، وقيل أنه خمسون ألف دينار⁽⁸⁾ بقدر مهر مهملك خاتون ابنة ملكشاه، كما نشرت الدنانير الدنانير والجواهر على كل الحاضرين⁽⁹⁾.

(1) - الصفدي، المصدر السابق، ص 198.

(2) - البنداري، المصدر سابق، ص ص 13-14.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 92؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 86.

(4) - الراوندي، المصدر السابق، ص 177؛ البنداري، المصدر السابق، ص 20.

(5) - الطوسي، المصدر السابق، ص 292.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 2.

(7) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 172؛ الحسيني، المصدر السابق، ص 172.

(8) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 289.

(9) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 178-183.

أما عند الطبقة الوسطى فقد بلغ المهر مئات من الدينانير، بينما لم يتجاوز مهر الطبقة الفقيرة الخمسون دينار.

5. 3. الجهاز:

كان للعروس جهاز خاص بها تأخذه معها لبيت زوجها ويتحدد بالنظر للحالة الاجتماعية التي ينتمي إليها العريسان، فالسلاطين والأمراء والأغنياء كان حجم الجهاز كبيرا وربما مبالغاً فيه، فمثلاً احتوى جهاز خديجة خاتون عندما تزوجت الخليفة العباسي القائم بأمر الله على الآلاف من الجواهر والثياب المنسوجة باللؤلؤ والأواني المرصعة بالجواهر والمصنوعة من الذهب⁽¹⁾.

وقدّر جهاز ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله لما تزوجت السلطان طغرل بك مع الصداق حوالي مائة ألف دينار إضافة إلى اللآلئ والجواهر الثمينة قدرت بـ 2250 قطعة وزن الواحدة أكثر من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل⁽²⁾، هذا بالإضافة إلى الحلي، حيث أرسل لها السلطان قلادتين فاخرتين وياقوتة حمراء في غاية الروعة، والذهب والفضة وأحلى الثياب، ولما وصلت إلى دار السلطنة وجدت السلطان قد جهز لها سريراً مكللاً بالذهب، أما هو فجلس على سرير ملبس بالفضة⁽³⁾، وبقي يرسل لها الهدايا والجواهر الغالية قرابة سبعة أيام وهو يدخل عليها ويلقي التحية التحية والسلام، ثم ينصرف ويخرج دون أن يرى وجهها لأنها كانت ترتدي البرقع على وجهها ولم تنزعه إلى أن مات بالري⁽⁴⁾.

وقد كان جهاز ابنة السلطان ملكشاه مهملاً خاتون في غاية الروعة ففاق الوصف، حيث تم حمله على أزيد من مائة وثلاثين جملاً مزينة بالديباج الرومي وتكون من الذهب والفضة، وقرابة 33 فرساً من الخيل والتي كانت تحمل مراكب الذهب مرصعة بالياقوت واللالئ والجواهر⁽⁵⁾، أما البغال فكان عددها أربعة وسبعين بغلة حمل عليها الحلي والجواهر، وكانت مزينة بالديباج الملكي وعلى أعناقها قلائد ذهبية، ووضع في الجهاز كذلك مهد عظيم

(1) - ابن العبري، المصدر السابق، ص 105؛ الصفدي، المصدر السابق، ج 13، ص 198.

(2) - فتحي عبد الفتاح أبو سيف، المصاحرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، (دط)، (د.ت.ن)، ص 8.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 452.

(4) - المصدر نفسه، ج 10، ص 10.

(5) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 141.

مطلي بالذهب، ولقد ركبت على محفة مزخرفة بالجواهر والذهب كما رافقتها ما يزيد عن 100 جارية تركية وهن يركبن أفخم المراكب إلى دار الخلافة⁽¹⁾، كما سار مع مركب الزفاف هذا رئيس الشحنة في بغداد⁽²⁾.

وتدل ضخامة وفخامة موكب العروس السلجوقية على الجاه والقوة والنفوذ الذي تبلغه الأسرة السلجوقية، وقوة الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية⁽³⁾.

أما نساء الطبقة الوسطى فكانوا يحرصون على أن يكون فخما نسبيا يليق بمكانتها، خلاف رجل أو جهاز العروس من الطبقة الدنيا أو الفقيرة حيث لا يتعدى في الغالب بعض الثياب والفرش والأثاث وغيرها من المستلزمات العادية.

وكانت من عادات السلاجقة في ليلة الزفاف خروج ولي العروس إلى الصيد مثلما فعل السلطان ملكشاه الذي ذهب للصيد ليلة زفاف ابنته ولم يعد إلى بيته إلا بعد 3 ليالي، كما جرت العادة عندهم أن يبعث السلطان بخاتمه إلى عروسه عندما يعزم على أخذها وهذا ما فعله السلطان طغرلبيك الذي أرسل خاتمه المصنوع من الذهب والمرصع بالماس لعروسه⁽⁴⁾ عندما أراد أن ينقلها إلى الري من بغداد.

5. 4. حفلة الزواج:

كانت مراسيم الزواج وحفلات الأعراس تعبر عن عاداتهم⁽⁵⁾ ولقد وضع أسسها طغرلبيك وتبعه في ذلك بقية السلاطين من بعده، فتميزت حفلات الأعراس عند السلاطين والأمراء بالإسراف والبذخ وحب الظهور⁽⁶⁾ حيث أنفقوا أموالا طائلة فيها، وجهزوا أشهر الأطباق والولائم الفاخرة، بالإضافة إلى ذلك فلقد حضر المغنون حفلات الزواج.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص ص 59-60.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص229.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص451.

(4) - الحسيني، المصدر السابق، ص58.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص73.

(6) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص610.

فحفل زواج السلطان طغرلبيك مع ابنة الخليفة القائم بأمر الله كان رائعا⁽¹⁾، فَرِحَ فيه كلّ الحاضرين، فرقصوا ومرحوا في تلك الليلة، وكذا الحال عندما زوّت ابنة السلطان ألب أرسلان خاتون السعدية بالخليفة العباسي المقتدي بن القائم أقيم حفل بهيج زُيِّنَتْ فيه الخيول والفيلة، وبعد انتهاء عقد النكاح والزفاف تم نشر النشارة والتي تمثلت في الجواهر المختلفة وكانت هذه عادة سلاطين السلاجقة.

ولقد كان للمرأة السلجوقية مكانة خاصة عند آبائهم فلقد سبق السلطان ملكشاه ابنته إلى بغداد ليحضر لانتقال ابنته إليها⁽²⁾، ويحضر ليلة زفافها من الخليفة العباسي المقتدي بالله، وكان حفل الزفاف بهيجا والموكب ضخما⁽³⁾، لم يسبق وأن شهدت بغداد مثله فكانت الطرقات والشوارع مضيئة بالشموع والأنوار ومزينة بالأعلام ولقد نشر السلطان ملكشاه في صباح الزفاف نثارا كلف أموالا باهضة فلم تشهد بغداد قبله ولا بعده مثل ذاك النثر⁽⁴⁾، وقام أهالي بغداد أيضا بنثر الدراهم والثياب أثناء حفل الزفاف وبعد انتهائه.

ولقد كانت فرحة الأهالي كبيرة عند زواج السلطان محمد بن محمود بابنة ملك كرمان الخاتون الكرمانية عام 554هـ - 1159م حيث زفت إلى همدان من موطنها في موكب ضخم وبحضور عدد كبير من المغنيات والمغنيين⁽⁵⁾، كما زفت فاطمة ابنة السلطان ملكشاه والتي اشتهرت بالتدبير الجيد وحسن التسيير⁽⁶⁾ إلى الخليفة العباسي المقتفي في موكب جميل سنة 534هـ - 1139م.

من أبرز مظاهر الترف والبذخ في العراق في العصر السلجوقي هي عادة "تعليق بغداد"، ويظهر هذا التقليد في مناسبات السلاجقة مثل حفلات الزواج والختان، فتُعلّق الزينات وتُعلّق بغداد لعدة أيام احتفاءً بالمناسبة، ففي سنة

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 177؛ البنداري، المصدر السابق، ص 24.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 259.

(3) - البنداري، المصدر السابق، ص 65.

(4) - ماري بن سليمان، المرجع السابق، ص 133.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص 387.

(6) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 4، ص 611.

532هـ/1137م تزوّج السلطان مسعود من ابنة الأمير ديبس سفري خاتون وأصدر أوامره بإغلاق بغداد لمدة سبعة أيّام⁽¹⁾ شهدت هذه الفترة مظاهر متنوّعة من الاحتفال مثل شرب الخمر وضرب الطبول⁽²⁾ وغيرها.

أمّا بالنسبة لحفلات الزّواج عند العامّة فكانت بسيطة حيث كانت عندهم عادة استعارة الملابس والمجوهرات خاصّة عند الفقراء وذلك ليظهروا بمظهر جميل يليق بهذه المناسبة⁽³⁾، وفي يوم الزّفاف تحضر وليمة العرس يحضرها الأقارب والأصدقاء كما تُحضّر وليمة في بيت العريس يحضرها الرجال، ثم يتوجه العريس إلى منزل عروسته في المساء في موكب من الأصدقاء والأهل وبوصوله إلى هناك ينطلق حفل الزواج الذي يشهد فرحا كبيرا من زغاريد النساء وضرب الطبول.

5. 5. حقّ الرّضاع:

كان من عادة السّلاجقة عندما يزوجون بنتهم أن يقدم الزّوج للعروسة حقّ الرّضاع وهو مبلغ مالي بمثابة ثمن إرضاع الأم ابتنتها، ويُقدم عند توقيع العقد، وهذه العادة جلبها السّلاجقة للعراق عندما دخلوها، فنجد أن الخليفة المقتدي بالله قد قدّم لتركّان خاتون والدة عروسه مهملك خاتون حق الرضاع والذي كان خمسين ألف دينار لكي تقبل هذا الزواج⁽⁴⁾.

5. 6. المولود:

وكان إذا ولد مولود في الأسرة السّلاجقية يحتفل الأهل به، حيث يجهزون مستلزماته أيّاما قبل ولادته، فأول ما يقومون به تزيينه بالملابس المجهزة له ثمّ يتقدم رجل تقي من أهله فيقوم بالآذان في أذنيه، وبعد الانتهاء من ذلك يعطى له اسم، وجرّت العادة عندهم أن يُحنّك المولود بالتمر أو الحلوى حيث توضع في فمه اقتداء بسنته عليه الصّلاة والسّلام⁽⁵⁾، كما تزيّن المنازل في هذه المناسبة.

(1) - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص164-173.

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص72.

(3) - فهد، المرجع السابق، ص247.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص2؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص451.

(5) - الغزالي، المصدر السابق، مج3، ص215.

وإذا ما ولد مولود للأسرة الحاكمة فإن الوزراء يجلسون لاستقبال المهنيين مع كبار رجال الدولة، خاصة إذا كان المولود ذكراً فيفرحون به كثيراً⁽¹⁾، فالسلطان ملكشاه احتفل لَمَّا ولد له ولده محمود من خاتون، حيث حضر الكثيرون من المهنيين في الصباح حاملين معهم الهدايا والأموال للسلطان وللمولود⁽²⁾ وكان السلطان جالساً لتقبل التبريكات والتهاني، كما زُين سوق الصيارفة بالجواهر والأواني الذهبية والفضية لما ولدت ابنة ملكشاه ولدا من الخليفة المقتدي بالله.

كما يوزع والد المولود الحلوى والهدايا على الناس ويتلقى منهم التبريكات والتهاني على ذلك⁽³⁾، وكان لأهالي بغداد عادات خاصة في هذه المناسبة حيث تعلق بغداد أيضاً، وهذا ما قام به السلطان مسعود بن محمد عندما ولد له ولد حيث أمر بتعليق الأعلام والزينات في بغداد لمدة 7 أيام كاملة⁽⁴⁾.

ومن عاداتهم كذلك أن والد المولود في ليلة الأسبوع أو السابعة تلبس ملابس جديدة ويقام حفل لذلك وتدور الأم حول البيت المحاط بالشموع وبحضور الضيوف، كما من عاداتهم في هذا اليوم أن يحرق البخور لطرد الجن والعين والحسد⁽⁵⁾، ثم يُحضّر الأهل للعقيقة وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم عند ولادة المولود فإذا كان ذكراً يذبح الأب شاتين ويمكنه أن يذبح شاة واحدة⁽⁶⁾ إذا لم يستطع ذلك، وإذا كانت فتاة فتذبح شاة واحدة.

5. 7. الختان:

ومن المناسبات التي يفرح فيها السلاجقة والتي تعتبر عادة من عاداتهم ختان الأطفال، حيث يُقدّم الأب بهذه المناسبة الدعوة لأقاربه وأصدقائه وجيرانه لحضور حفل ختان ابنه، في جو سعيد وبهيج مملوء بالغناء والموسيقى حتى

(1) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص269.

(2) - المصدر نفسه، ج16، ص269.

(3) - القدحات، المرجع السابق، ص202.

(4) - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص173.

(5) - عاشور سعيد عبد الفتاح وآخرون، المرجع السابق، ص274.

(6) - الغزالي، المصدر السابق، مج3، ص214.

لا يسمع صوت بكاء الطفل وهو يتألم⁽¹⁾، ويتم ختان الطفل وهو صغير السن وهناك من يقوم بذلك بعد ولادة الطفل بأيام قليلة، وبعد الانتهاء من ختان الطفل يجهز أهله مأدبة ووليمة يتم فيها دعوة الأقارب والجيران⁽²⁾ وتحضر فيها ألد الأطعمة⁽³⁾ والمأكولات والحلويات المختلفة وذلك حسب قدرة أهل المادية واستطاعتهم. فالسلاطين والأمراء كانوا ينفقون الكثير من الأموال في هذه المناسبة، وكانوا يقومون بختان مجموعة من الأبناء مع بعضهم البعض فيكره الأب أن يختن ابنه منفرداً⁽⁴⁾، على خلاف العامة حيث كان كل أب يختن ولده منفرداً، وأحياناً يقومون بها في مجموعات حسب قدرتهم⁽⁵⁾، ومن عاداتهم كذلك أن يقدم الحاضرون لأهل الصبي القنوط. القنوط.

6- المأتم والوفاة:

كما كان للسّلاجقة عادات في الأفراح كان لهم عادات في الأحزان خاصة في العزاء والمأتم إلا أنّ هذه العادات لا تخرج عن الضوابط الشرعية الإسلامية باعتبارهم مسلمين، فيقبلون ذلك بكل صبر ورضا بقضاء الله وقدره، حيث ومباشرة بعد وفاة أي أحد يقومون بالإعلان عن ذلك للأقارب والجيران فينتشر الخبر، أمّا إذا كان الميت من السلاطين أو الأمراء أو الخلفاء فيتم الإعلان عن ذلك في مأذن المدينة ليتمكن الجميع من سماع الخبر، بعد ذلك يقومون بغسل الميت وتكفينه، ثم يخرج الأهل والأقارب والجيران للمقبرة لدفنه ويسيرون خلف الجنازة، ويشارك في تشييع الميت كل من مرت عليه الجنازة إما بالسير خلفها أو بحمل الميت لمساعدة أهله حتى يصلوا للمقبرة ويضعون الميت في قبره.

(1) - لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2012م، ص378

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص243.

(3) - الغزولي علاء الدين علي بن عبد الله البهائي، من مطالع البدور في منازل السرور، ط1، مطبعة إدارة الوطن، 1300هـ، ص107.

(4) - متز، المرجع السابق، ج2، ص349.

(5) - المقدسي، المصدر السابق، ص996.

ونجد بعض النساء تخرجن كذلك للخارج منشورات الشعر وهنّ بأكات خلف الجنّازة⁽¹⁾ ويلطمن خدودهن من شدّة الحزن.

وعندما يرجعون من الدفن يبدأ الناس بزيارة أهل الميت لمواساتهم وتقديس التعازي والوقوف بجانبهم في حزنهم فيصبرونهم على مصيبتهم، واتخذ السّلاجقة لباساً محدداً ولونا في العزاء يدل على الحداد وحزنا على الميت فارتدوا اللون الأسود لذلك⁽²⁾، وكانوا يقرئون القرآن في المقابر خاصة أهالي بغداد⁽³⁾ فهذه عادتهم.

ومن عادة السلاطين في الوفاة أن يُخصّصوا مجالس عزاء خاصة وهذه دلالة منهم على اهتمامهم بالميت وكانت مدة العزاء تتحدد بالنظر لمكانة الميت ما بين ثلاثة أيام أو سبعة أيام⁽⁴⁾.

فعندما مات ألب أرسلان سنة 465هـ - 1072م أقامت الخاتون زوجته العزاء وجلست على التراب⁽⁵⁾، وتم غلق غلق دكاكين بغداد وأسواقها طيلة أيام العزاء، ونفس الحال عندما توفي ابن السلطان ملكشاه داود عام 474هـ - 1081م حيث دام العزاء أسبوعاً كاملاً⁽⁶⁾ فأقيمت المآتم في كل المنازل والأسواق تقريباً. ولما وافت المنية ابنته مهملك خاتون حزن عليها أيما حزن⁽⁷⁾ ورثاها الشعراء رثاء خاصاً بأمر من والدها⁽⁸⁾.

كما أن السلطان سنجر قد حزن كثيراً لوفاة أخيه محمد فأمر بإغلاق البلاد أسبوعاً كاملاً ومكث فوق الرماد لعزائه، كما قام الخليفة المسترشد بإرسال موكب يحتوي على الكثير من الخلع إلى دار السلطان سنجر بمرور لما

(1) - المصدر نفسه، ص 996.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص 275.

(3) - الحنبلي، المصدر السابق، ج 3، ص 9.

(4) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص 155.

(5) - ابن الجوزي، ج 16، المصدر السابق، ص 145.

(6) - ابن تغري، المصدر السابق، ج 5، ص 113.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 460.

(8) - الراوندي، المصدر السابق، ص 216.

توفيت والدته⁽¹⁾، ولقد حضر جنازتها الكثيرون من العلماء، وحزن على وفاتها حفيدها السلطان محمود بن محمد ببغداد الذي أقام عزاء لم تشهده بغداد من قبل حيث ارتدى لباس العزاء ثلاثة أيام ولم يغيره وجلس في صحن دار المملكة رفقة أتباعه وكبار رجال الدولة والعساكر⁽²⁾، وأمر بإحضار العلماء والأئمة لتقديم دروس الوعظ مدة العزاء كلها كما جهّز لهم كرسي لأجل ذلك، ومن هؤلاء الفقهاء أحمد بن حمد الغزالي⁽³⁾.

7- الأعياد الدينية:

تباينت العادات والتقاليد في مختلف أقاليم الدولة السلجوقية نتيجة لاختلاف عناصر السكان وتنوع فئاتهم، بما في ذلك العرب والفرس والأتراك وأهل الذمة والمسلمين، بالإضافة إلى تباين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بين الأغنياء والفقراء، وعلى ضوء هذا التنوع الثقافي والديني، اختلفت الأعياد والمناسبات التي شارك فيها المسلمون وأهل الذمة، فكل مجموعة احتفلت بأعيادها الخاصة، استناداً إلى تقاليدها وعاداتها الفريدة، مما أثر على تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات في ذلك الزمان.

اهتم السلاجقة بالأعياد والمناسبات الدينية في كافة أنحاء الدولة، فحرصوا على أن يظهروا فيها وهم في أحسن حلة ومظهر، ومن أهم الأعياد الدينية :

7. 1. يوم الجمعة:

ويعد يوم الجمعة أحد الأعياد الدينية التي كانت لها أهمية مميزة ومكانة عند السلاجقة شأنه شأن كل المسلمين، ولأهمية هذا اليوم خصه الله سبحانه وتعالى بذكره في كتابه العظيم بسورة الجمعة، فيعتبر هذا اليوم عيداً أسبوعياً وعطلة عندهم، حيث يستريحون فيه وتقام فيه صلاة الجمعة في المساجد يحضرها الجميع، ومن أهم عاداتهم في هذا اليوم الاغتسال والطهارة والتطيب وارتدائهم أجمل الثياب عند ذهابهم للمساجد⁽⁴⁾.

(1) - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 9، ص 222.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 210.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 222.

(4) - التنوخي، المصدر السابق، ج 8، ص 269.

أما عن موعد دخول وقت الصلاة في السلطنة السلجوقية فكان يقوم أشخاص مكلفون بهذه المهمة عن طريق قرع الطبول، ولأهمية هذا اليوم أسند السلاطين وظيفة إلقاء الدروس والخطبة لمن تتوفر فيه مجموعة من الشروط كالثقة والفصاحة ويطلق عليه لقب الخطيب.

وكانت صفوف المصلين في مساجد العراق ممتلئة ففي جامع المدينة وصلت هذه الصفوف إلى الشاطئ، ومن أهم المساجد الأخرى في البلد التي كانت تقام فيها صلاة الجمعة جامع السلطان الذي أمر السلطان ملكشاه بن محمد بعمارته⁽¹⁾ وكذا جامع الرصافة.

وباعتباره يوم راحة وعيد فلقد استغله السلاجقة في التمتع والتنزه حيث يخرج جميع الأهالي بما فيهم السلاطين والأمراء للتجول، وكان أهالي بغداد قد اتخذوا من جامع المنصور قبلةً للتنزه والترفيه والفرجة كل جمعة⁽²⁾، أما بعض السكان فاكثفوا بالبقاء في المنازل في هذا اليوم، ونجد البعض الآخر يتجولون رفقة أصدقائهم⁽³⁾.

7. 2. شهر رمضان:

ومن أعظم الأعياد عند السلاجقة شهر رمضان والذي تبدأ التحضيرات له بنهاية شهر شعبان وكان رمضان أطول عيد عندهم، ويتغير نمط معيشة الأهالي فيه فكل أيامه كانت عيد وأيام طاعة وعبادة⁽⁴⁾ حيث يحيونه بالصوم في النهار والقيام والصلاة في الليل.

وكان للسلاجقة عادات يقومون بها في هذا الشهر فينتهجون احتفالاً به ويهتمون بتزيين المساجد والجوامع بالمصاييح، كما تنار دار السلطنة بالأنوار والأضواء وتعالى منها التكبيرات، واهتم الأهالي بتزيين الدروب والطرق بالفوانيس فكانت الأجواء جميلة ومدهشة تدل على عظمة هذا الشهر المبارك.

(1) - ابن الجوزي، مناقب بغداد، تعليق: محمد بحجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، (د.ط)، 1342هـ، ص23.

(2) - المصدر نفسه، ص23.

(3) - فهمي سعد، المرجع السابق، ص247.

(4) - الكازروني ظهير الدين، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تح: كوركيس عواد وميخائيل عواد، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، 1962م، ص25.

وباعتباره شهر عبادة فكان السّلاجقة يتلون فيه القرآن في دورهم ويسمعون القرآن⁽¹⁾ وبعد صلاة العصر يُرتّلون القرآن في المساجد ويصلون صلاة التّراويح⁽²⁾ في اللّيل، كما يكثرون من الذّكر والتّهلّيل وقيام اللّيل والتّضرع والدّعاء خاصّة في العشر الأواخر منه إحياءً لسنة النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

استغلّ السّلاجقة الشّهر الفضيل للتّراحم فيما بينهم والتّعاون فإذا ما قارب الشّهر على نهايته وزّع السّلطان من خزينة السّلطة الهدايا والعطايا على كبار رجال الدولة وعلى عامة الناس، كما نجد الأغنياء والأثرياء أيضا يوزعون الصّدقات والهدايا على الفقراء⁽³⁾، كما يفتحون منازلهم لاستقبال الجميع، مجسدين روح الكرم والتّراحم في هذا الشهر المبارك.

7. 3. العيد:

كان السّلاجقة يحتفلون بعيدي الفطر والأضحى وعلى الطريقة الإسلامية حيث كان لهذين العيدين مكانة كبيرة في نفوسهم⁽⁴⁾.

عيد الفطر:

هو فرحة الإفطار للصائم يتمّ التحضير له في أواخر شهر رمضان ففي آخر ليلة منه يراقبون هلال شهر شوال ويشهد رجال مختصون بذلك⁽⁵⁾، وبمجرّد رؤية الهلال تبدأ الاحتفالات بالإعلان عن يوم العيد، وكان من عادات السّلاجقة تخصيص نفقات للعيد ولعائلاتهم، واحتفالا بهذه الليلة يقومون بقرع الطبول⁽⁶⁾ وتزيين الشوارع والممرات

(1) - القدحات، المرجع السابق، ص176.

(2) - الكازروني، المصدر السابق، ص437.

(3) - سبط ابن التعاويذي أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله، ديوان، تصحيح: د.س مرجليوث، مطبعة المقتطف، مصر، (د.ط)، 1903م، ص294.

(4) - متر، المرجع السابق، ص298.

(5) - القدحات، المرجع السابق، ص180.

(6) - التنوخي، المصدر السابق، ج1، ص198.

والممرات حيث يعلقون فيها الأعلام الملونة المصنوعة من الأقمشة الحريرية⁽¹⁾، كما يُخرج الأهالي زكاة الفطر قبل يوم العيد، وكان السلاجقة يُظهرون الفرحة والسرور فيرتدون الجديد من الثياب والجميل منها، ثم يتجهون صوب المساجد والمصليات وهم متعطين لأداء صلاة العيد⁽²⁾.

وتزين قصور السلاطين بالفروض الجميلة احتفالاً بهذه المناسبة فيحتفل السلطان بها في قصره ويبقى فيه لاستقبال التهاني والتبريكات من أفراد البيت ومن كبار رجال الدولة⁽³⁾.

ويتزين السلطان بأبهى الحلل وأفخم الملابس التي تعد خصيصاً لهذه المناسبة، ومن عادة سلاطين السلاجقة أداء صلاة العيد في الصحراء وفي العراء برفقة الأمراء والحاشية إذا كان الجو صافياً، أما في حالة سوء الأحوال ونزول الأمطار فإنهم يؤدونها في المساجد، وكان الموكب المتجه إلى دار السلطنة بهيجا حيث يخرج الناس للتفرج عليه ففي مقدمته يكون الوزير برفقة رجال يحملون الشموع الضخمة بالإضافة إلى الجنود⁽⁴⁾.

وبما أنه يوم تراحم وتزاور فلقد اهتم السلاطين بتقديم مساعدات للفقراء والمحتاجين واليتامى تتمثل في الكسوة والفطرة.

وكان عاقمة المسلمين بعد فراغهم من أداء صلاة العيد يتبادلون التهاني والتبريكات فيما بينهم بمناسبة العيد وانقضاء شهر الصيام⁽⁵⁾، ثم يوزعون صدقاتهم على الفقراء والمساكين، ويأكلون ما لذ وطاب من الطعام والحلويات⁽⁶⁾ التي قاموا بتحضيرها خصيصاً بهذه المناسبة⁽¹⁾ كما يتبادل الأهالي والجيران أطباق الحلويات والمأكولات ويقوم الآباء بتقديم الهدايا لأولادهم في هذا اليوم.

(1) - ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج10، ص58؛ التطيلى، المرجع السابق، ص133.

(2) - ابن النجار محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن، ذيل تاريخ بغداد، صححه: قيصر فرح، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص5.

(3) - الصابي، رسوم دار الخلافة، المصدر السابق، ص11.

(4) - المصدر نفسه، ص9؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص329.

(5) - ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج10، ص ص 157-158.

(6) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص460.

في يوم العيد، تبرز مظاهر البهجة والسرور مع خروج العائلات للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة حيث يتوجه الناس إلى المتنزهات والحدائق للاستمتاع بجو العيد، فتنشر بذلك أجواء الفرح والبهجة بين الجميع. ومن أهم ما يميز العيد عندهم احتفالهم بهذه المناسبة بعقد حلقات في الجوامع والقصور والمنازل والاستماع إلى الخطب التي يلقيها العلماء والأئمة.

7. 4. الحج:

ثم يلي عيد الفطر موسم الحج الذي يعتبر حلم كل سلجوقي مسلم وأكبر مؤتمر عالمي يجتمع فيه كل المسلمين في مختلف الأقاليم والأقطار لأجل إعلاء كلمة الله وبمجرد دخول شهر ذي القعدة يبدأ السلاجقة بالاحتفال به والتحضير له⁽²⁾، فيأتي الحجاج من مدن مختلفة في العراق من البصرة وواسط والكوفة، وكذا من خراسان وغيرها من المدن.

ولقد وُفّر السلاجقة للحجاج كل ظروف الراحة حيث توجد منشآت وخيام تتوفّر على الشراب والطعام وكل ما يحتاجه الحجاج غرب بغداد⁽³⁾، ولكرم أهالي بغداد فإنهم يخرجون لاستقبال وفود الحجاج والترحيب بهم.

وفي أيام مغادرة الحجاج بغداد تزين الطرقات والمحال التجارية فرحا بهذه المناسبة وتمتلى الشوارع بالعامّة ويرتدي السكان ملابس ملونة جميلة وزاهية ويخرجون للتفرّج على موكب الحجاج من البلاد المختلفة على اختلاف أجناسهم وأعمارهم⁽⁴⁾.

ومن إسهامات السلاجقة كذلك وقت موسم الحج خاصة السلاطين أنهم كانوا يبعثون بعثة للحج يترأسها السلطان أو الأمير أو شخص ينوب عنه لأجل تأمين الطريق إلى مكة من اللصوص والعيارين ووفروا فيه كل المستلزمات والمأكولات، كما اهتم السلاطين بتعبيد الطرقات المؤدية للحج وبناء مراكز الراحة والأسبلة والبيمارستانات الخاصة بذلك، كما فعل السلطان طغرلبيك الذي صرح أنه يريد إصلاح طريق مكة عندما دخل

(1) - العمادي، المرجع السابق، ص 194.

(2) - القدحات، المرجع السابق، ص 184.

(3) - الكازروني، المصدر السابق، ص 437.

(4) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 609.

بغداد⁽¹⁾، كما مَهَّد السلطان ملكشاه طريق مكة، وشيَّد منارة القرون بالسبيعي كذلك، ووضع المياه على طول طريق الحجاز، ومن إسهاماته في هذا المجال كذلك هو رفعه للضرائب ورسوم الحفارة على طريق الحجاج⁽²⁾، إضافة إلى ذلك فلقد بعث السلاطين كسوة من حرير للكعبة الشريفة.

ومن إسهاماتهم الأوقاف على طول طريق الحج وكذا سقي الماء، حيث أن زوجة السلطان ملكشاه خاتون السفيرية كانت ترسل القوافل صدقة ووقفا على طريق مكة لشدة التزامها وتدينها.

وعند عودة الحجاج من زيارة بيت الله وآداء مناسك الحج يحتفل الأهالي بهم فيخرجون لاستقبالهم مهنيين إياهم على سلامتهم.

7. 5. عيد الأضحى:

ثم يقترب عيد الأضحى المبارك والذي يحتفل به السلاجقة تقريبا بنفس طريقة احتفالهم بعيد الفطر⁽³⁾، ففي شهر ذي الحجة من كل عام يتهيئون لاستقباله فيقومون بتزيين الدروب بالأعلام الملونة بطريقة تسر الناظرين فتصبح المدن كلها زينة وأنوار، فيلبسون أجمل الثياب وأجدها ويخرجون من المنازل في الصباح الباكر متجهين للمساجد لأداء صلاة العيد.

وبعد انقضاء الصلاة يرجعون مباشرة إلى منازلهم لإحياء سنة سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام بذبح أضحية العيد متقربين بها إلى الله سبحانه وتعالى كما كان السلاطين يذبحون الأضحية، ويوزعون لحمها على المساكين والفقراء⁽⁴⁾ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان السلطان يعطي أوامره بتجهيز ما لذ وطاب من المأكولات في المطبخ السلطاني ليتناولها كل من يدخل للقصر لتهنئة السلطان بالعيد⁽⁵⁾، ولم يقتصر توزيع اللحوم على الفقراء والمحتاجين على السلاطين فقط بل كان

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص239.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص205.

(3) - الفدحات، المرجع السابق، ص191.

(4) - الكازروني، المصدر السابق، ص26؛ التطيلي، المرجع السابق، ص146.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص167.

العامّة يفعلون ذلك أيضاً⁽¹⁾ فيكون اللحم بذلك في جميع المنازل وعند جميع الأهالي بكل طبقاتهم⁽²⁾، فتقام الأسمطة في كل مدن الدولة السلجوقية، ويقدم الأهالي التهاني والتبريكات في هذا اليوم ويتبادلون الحلويات المختلفة⁽³⁾ وبحلول عيد الأضحى ينتهز الصانع الفرصة لصنع تماثيل لحيوانات لأجل الأطفال⁽⁴⁾.

7. 6. المولد النبوي الشريف:

من المناسبات الدينية التي احتفل بها السلاطين السلاجقة شأنهم في ذلك شأن الخلفاء العباسيين في بغداد المولد النبوي، وهي ذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك في شهر ربيع الأول⁽⁵⁾ وربما تبدأ الاحتفالات به به بأيام من قبل حيث يعلقون الأعلام والزينات في الطرقات والأسواق، وتضاء الأنوار والقناديل فيزور السلاطين قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتعدّد جلسات ذكر في المساجد والأماكن المخصصة لذلك، فيتحدث فيها العلماء عن يوم ميلاده صلى الله عليه وسلم والبشائر التي وقعت بمجرد ولادته وكذا الحديث عن سيرته العطرة، فيُحْتَفَلُ بالأئمة الأهالي على استغلال هذا اليوم في الدعاء والذكر والإكثار من أعمال الخير والبر⁽⁶⁾.

7. 7. عاشوراء:

من الأعياد الدينية كذلك عند السلاجقة عاشوراء خاصة عند الشيعة الذين يحتفلون به ولهم عادات خاصة به حيث يجعلونه يوم راحة فلا يعملون فيه فيغلقون محلاتهم وأسواقهم، وتخرج النساء إلى الشوارع نائحات وهن يلطمن وجوههن مسودات الوجه منشورات الشعر ويقمن بشق ثيابهن حزناً على مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

(1) - متز، المرجع السابق، ج2، ص297.

(2) - ابن السّاعي، المصدر السابق، ج9، ص ص 202-203.

(3) - القدحات، المرجع السابق، ص191.

(4) - بدري فهد، المرجع السابق، ص160؛ حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ج4، ص603.

(5) - متز، المرجع السابق، ج2، ص299.

(6) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص426.

وفي هذا اليوم تتم قراءة قصّة مصرع الحسين بن علي في جماعات كبيرة في بغداد وفي مدن العراق كلها لتذكير الناس بها ويحتفل الأهالي في خراسان خاصة في بلخ بهذه المناسبة حيث يغلقون محلاتهم أيضا ويقيمون المآتم في هذا اليوم⁽¹⁾.

وكان الشيعة يقومون بالصلاة في يوم تاسوعاء⁽²⁾ وهو اليوم الذي يسبق يوم عاشوراء، ومن عادة العامة في هذا اليوم كذلك تغيير الثياب والأواني.

وكما كان للسلاجقة مراسم احتفالية مميزة، خصوصاً عند تتويج السلطان السلجوقي وولي العهد، حيث يُقام في دار السلطنة "الدركاه" احتفال ضخم يحضره الأمراء مع زوجاتهم وكبار رجال الدولة والموظفون، حاملين أواني ذهبية مملوءة بالعسل والحليب، وخلال الاحتفال ينثرون الذهب والفضة على السلطان احتفاءً به⁽³⁾، ويُوزع النثار على الأهالي⁽⁴⁾ في أجواء من الفرح.

كما اعتاد السلاجقة الاحتفال بالانتصارات الحربية، مثلما فعل السلطان ألب أرسلان عام 463هـ - 1070م بعد انتصاره الكبير على البيزنطيين في معركة ملاذكرد الشهيرة⁽⁵⁾.

7. 8. أعياد أهل الذمة:

وباعتبار أن المجتمع السلجوقي قد تألف من عدة فئات فلقد شارك أهل الذمة السلاجقة المسلمون احتفالاتهم كلها فكانوا يبادلونهم الزيارات⁽⁶⁾ ويخرجون معهم وفعل السلاجقة نفس الأمر في احتفال أهل الذمة بأعيادهم حيث سمح السلاطين للسلاجقة بالاحتفال معهم ومشاركتهم لها ومن أهم أعيادهم نذكر:

النيروز والمهرجان:

(1) - الذهبي، المصدر السابق، ص 291.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 71؛ البيروني، المصدر السابق، ص 329.

(3) - تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 106.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 268؛ تامارا تالبوت، المرجع السابق، ص 106.

(5) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 4، ص 603.

(6) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 175.

احتفلوا كذلك بالأعياد الفارسية كالنيروز والمهرجان⁽¹⁾، فكانوا يوزعون الحلويات والهدايا على الفقراء والمحتاجين، ويعلقون الزينات في الطرقات وتناثر الأسواق، وكان السلاطين يُشاركون أهل الذمة في هذه الاحتفالات خاصة عيد النوروز والذي يعتبر من أعظم أعياد الفرس، ومن مظاهر مشاركة السلاطين لهم احتفالهم بهذا العيد أن حافظوا على طقوسهم وتقاليدهم التي يقومون بها في هذا العيد⁽²⁾، كما أعطوا أوامرهم للشعراء بالتغني به مثل شعراء السلطان سنجر الذي أمرهم بذلك خاصة الشاعر الأنوري، كما كان الوزراء يقدمون للسلطان الهدايا احتفالاً بهذا العيد، أما عن مواعده فيأتي في مطلع الربيع من السنة الجديدة في 21 من آذار⁽³⁾ أي عند الانقلاب الصيفي، ولهذا سمي بالنيروز والذي يعني اليوم الجديد⁽⁴⁾، ويحتفلون به لمدة ستة أيام ويسمى اليوم الأخير النيروز الأكبر⁽⁵⁾، فيستقبلون به السنة الجديدة وتتم فيه الكثير من الأعمال والنشاطات حيث يفتتحون جباية الخراج، كما يستبدلون فيه العمال ويعينونهم، ويقومون بضرب الدنانير والدراهم⁽⁶⁾، كما يقوم الكتاب بالاحتفال به بإقامة بإقامة الولائم إضافة إلى ذلك يعقدون حلقات للغناء⁽⁷⁾.

ومن عاداتهم في هذا العيد أنهم يشعلون النيران في ليلة النيروز، كما أنهم يتبخرون بالشمع ويتدهنون بالزيت من أجل الشفاء من مختلف الأمراض حسب اعتقادهم، ومن طقوسهم أيضاً في صبيحة النيروز يلحق كل شخص لعقات العسل أو سكر، إضافة إلى ذلك أنهم يقدمون الهدايا والتي هي السكر تبركا به⁽⁸⁾ وعربون محبة منهم ولتألف القلوب بين الناس.

(1) - النويري، المصدر السابق، ج3، ص408.

(2) - أحمد عبد القادر الشاذلي، مظاهر الاحتفال بعيد النيروز عند الفرس والعرب، المنوفية، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص12.

(3) - فهد، المرجع السابق، ص200.

(4) - النويري، المصدر السابق، ج1، ص178؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص408.

(5) - القدحات، المرجع السابق، ص195.

(6) - الجاحظ، التاج، تح: أحمد زكي، طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1914م، ص146.

(7) - عمر الحيام، نوروز نامه، تر: رمضان رمضان متولي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م، ص204.

(8) - البيروني، المصدر السابق، ص215-218.

المهرجان:

وفي الانقلاب الشتوي يحتفلون بعيد المهرجان⁽¹⁾ حيث يبدأ البرد بدخول فصل الشتاء وبالتالي هو عكس النيروز⁽²⁾ يتم الاحتفال به 26 من تشرين الأول – أكتوبر - من شهور التقويم السرياني، ومدة الاحتفال به نفس مدة الاحتفال بالنيروز ستة أيام، ويطلقون على اليوم السادس اسم المهرجان الأكبر⁽³⁾، أما المدة بين العيدين - النيروز والمهرجان - فهي 177 يوما⁽⁴⁾، وقيل 174 أو 194 يوما⁽⁵⁾، ومن عاداتهم في هذا العيد تغيير أفرشتهم أفرشتهم وملابسهم كتغيير الفصول وتحضيرا للانتقال إلى فصل الشتاء فيفرحون به كثيرا⁽⁶⁾، كما أنهم يُشعلون النيران والشموع في ليلته ويتبادلون التبريكات والهدايا⁽⁷⁾.

كان أهل الذمة يتشاركون جميعا في احتفالاتهم رجالا ونساء يرتدون أجمل الثياب فالنصارى كانت ثيابهم مزينة بالشارات الصليبية، وتتوسط صفوف الذميين في الاحتفالات الرايات والأعلام، وهم يُشدون الأناشيد الدينية الخاصة بهم، ويخرجون في موكب كبير يحملون الشموع يتقدمهم الكهنة والرهبان⁽⁸⁾، وكان النصارى يحتفلون بأعيادهم في الأديرة.

(1) - القدحات، المرجع السابق، ص 195

(2) - العمادي، المرجع السابق، ص 200.

(3) - القلقشندي، المصدر السابق، ج 2، ص 448.

(4) - القدحات، المرجع السابق، ص 195

(5) - المسعودي، المصدر السابق، ج 1، ص 353.

(6) - النويري، المصدر السابق، ج 1، ص 178.

(7) - بدري محمد فهد، المرجع السابق، ص 201.

(8) - متز، المرجع السابق، ج 2، ص 132.

ومن أهم أعياد النصارى عيد الشعانين والفصح⁽¹⁾ حيث كان يقام بباب الشماسية في الجهة الشرقية من بغداد في دير سمالو⁽²⁾ بسبب المنتزهات المحاطة به فيقومون في هذا اليوم بتزيين كنائسهم وأمام الموكب يحملون سعف النخيل.

ويعتبر عيد الصوم الكبير من أهم أعياد النصارى أيضا ومدته 50 يوما يقسمونه على عدة أديرة⁽³⁾، وهناك من يقول أن عدد أيامه 48 يوما واليوم التاسع والأربعون وهو يوم فطرهم فيسمونه الشعانين وله شرط وهو أن يتوسط عيد الفصح بين الشعانين والفطر والذي يُعتبر آخر أسبوع من الصيام⁽⁴⁾.

كما احتفل النصارى بعيد الصليب في الجهة الشرقية من بغداد⁽⁵⁾ وبالضبط في دير قني، واحتفل أهل الذمة برأس السنة الميلادية⁽⁶⁾، واليهود احتفلوا بعيد رأس الشهر أو عيد رأس هيشا، ويحتفلون بعيد الصوم العظيم ويدوم 25 ساعة يسمونه عيد الكبور، ويقوم اليهود بعيد الفصح أو عيد الفطير والذي يدوم 7 أيام ومن عاداتهم فيه تناول الفطير غير المخمر وإخراج الخمير من المنزل وتنظيفه جيدا.

لم تقتصر مشاركة السلاجقة لأهل الذمة أعيادهم فقط بل واسوهم في أحزانهم كذلك وفي الجنائز، وخير مثال على ذلك أنه لما توفيت زوجة اليهودي ابن علان شاركهم كل أهل البصرة الجنازة سوى القاضي لم يخرج في جنازتها⁽⁷⁾.

8- مظاهر التسلية:

(1) - عيد الشعانين ويسمى أيضا بعيد الزيتونة ومعناه باللغة العربية التسبيح، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج4، ص454.

(2) - القدحات، المرجع السابق، ص195.

(3) - الحموي، المصدر السابق، ج2، ص519.

(4) - البيروني، المصدر السابق، ص303.

(5) - القدحات، المرجع السابق، ص195.

(6) - قزّي ذهبية عاشور أبو بكر، إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي في الفترة 429هـ - 558هـ / 1037م - 1162م، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، جامعة الرقازيق، 2008م، ص361.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص274.

لقد نظّم السلاجقة أوقاتهم بين العمل ورعاية شؤون الأسرة والدولة واحتياجاتهم وجعلوا لهم نظاماً ومظاهر اجتماعية خاصة بحياتهم، ومن هذه المظاهر الترفيه والتسلية حيث تعددت وتنوّعت عندهم فمارسوا الرماية ولعب السيف والصيد وسباق الأحصنة واللعب بالطيور، كما لعبوا الشطرنج والكرة وغيرها⁽¹⁾، كما عرفت أسواق الألعاب الرياضية في العصر السلجوقي ازدهاراً كبيراً، إضافة إلى ذلك استمتع السلاجقة في وقت فراغهم فحضروا حلقات الوعظ وبجالس القصص واستمعوا للموسيقى والغناء⁽²⁾.

ولم تقتصر هذه الأعمال على العامة والأغنياء فقط، بل حتّى السلاطين خصّصوا أوقاتاً للاستمتاع فيها مثل السلاطين طغرلبيك وملكشاه وسنجر⁽³⁾، ومن أشهر أنواع التسلية عندهم نذكر:

8. 1. الصيد:

حيث برع فيه السلاطين والأمراء⁽⁴⁾ بشكل خاص واعتبروه من أجلّ الهوايات والأنشطة لأنهم مارسوه لفترة طويلة باعتبار حياتهم البدوية وشساعة الصحراء التي كانوا متواجدين فيها فأصبحت لهم خبرة كبيرة في ذلك وعادة من عاداتهم، ولقد كان داعمهم في إتقان ذلك معرفتهم لركوب الخيل وشهرتهم بالفروسية.

فكانوا شغوفين بالصيد يخرجون له عند الفجر ويرجعون في المساء عند الفراغ والانتهاء منه⁽⁵⁾، وفي بعض الأحيان يمكنون أياماً في رحلاتهم⁽⁶⁾، وكان السلاطين يرتدون لباساً خاصاً بذلك، ويهتمون بتجهيز مستلزمات الصيد وما يحتاجون إليه⁽⁷⁾، كما وضعوا مراسم خاصة.

(1) - حسنين، المرجع السابق، ص 180.

(2) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 4، ص 612.

(3) - حسنين، المرجع السابق، ص 180.

(4) - سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، ج 1، ط 2، القاهرة، 1971م، ص 93.

(5) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 169.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 37.

(7) - الوزنة، المرجع السابق، ص 218.

ويتطلّب الصّيد عدّة مستلزمات أساسية، منها الحيوانات المدربة كالخيول القوية والطيور الجارحة، والأسلحة الخاصة مثل السهام⁽¹⁾، ولقد كانوا يعتمدون على أنواع معينة من الطيور بشكل خاص مثل العقاب والباز لما تمتاز به من دقّة في الانقضاض على الفريسة وسرعتها العالية⁽²⁾، مما يجعلهما مساعدين مميزين في مطاردة الصيد والإمساك به. ومن الحيوانات التي اعتمدوا عليها في الصيد الفهود⁽³⁾ والكلاب خاصة السريعة والتي تعرف بالكلاب السلوقية⁽⁴⁾، السلوقية⁽⁴⁾، ولأهمية الصيد كان السّلاطين حريصين على اختيار كلاب الصيد ويهتمون بأصولها⁽⁵⁾.

ومن الأسباب التي جعلت السّلاجقة شغوفين بهذه الرياضة هو شعورهم بالفخر والفرح عند اصطيادهم حيث يعتبرونه نصراً جديداً كما يعتبرونه تدريب للنفس⁽⁶⁾، ووسيلة للتنزه والترفيه بخروجهم للصّحراء الواسعة⁽⁷⁾.

وكان السلطان عند ذهابه للصيد يأخذ معه رجالاً مخصصين لتحضير مختلف أنواع المأكولات والأطعمة التي يندesh لرؤيتها أمراء وملوك الأتراك وبقية الأهالي لكثرتها وتنوعها⁽⁸⁾.

كان من أبرز السّلاطين الذين اتخذوا الصيد هواية مفضلة لديهم السلطان طغرل بك، الذي اعتاد الخروج مراراً للاستمتاع بهذه الرياضة. وسار على نهج السلطان ملكشاه، حيث كان كثير التردد على رحلات الصيد⁽¹⁾، مفضلاً إياها على سائر الملهيات الأخرى⁽²⁾، مما جعل الصيد نشاطه المفضل والأساسي.

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 597.

(2) - البنداري، المصدر السابق، ص 99؛ الوزنة، المرجع السابق، ص 218.

(3) - الراوندي، المصدر السابق، ص 597.

(4) - السلوقية: منسوبة على إلى سلوق وهي بلاد اليمن، ولإناث هذه الكلاب خاصية أنها أسرع تعلماً من الكلب الذكر، انظر: العمري ابن فضل الله أحمد بن يحيى، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: سمير الدروبي، ط 1، منشورات جامعة مؤتة، (د.م.ن)، 1992م، ص 341.

(5) - البنداري، المصدر السابق، ص 99.

(6) - القلقشندي، المصدر السابق، ج 14، ص 116.

(7) - الراوندي، المصدر السابق، ص 596.

(8) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 169.

ومن أحب الحيوانات له في الصيد الغزال حيث يقوم باصطيادها وتسميتها ثم يسرحها ويتركها تذهب في سبيل حالها⁽³⁾، وكما ذكرنا من قبل أنه خرج للصيد ليلة زفاف ابنته من الخليفة العباسي المقتدي بالله تاركاً الناس يحتفلون فاصطاد قرابة 70 غزالة في ذلك اليوم، وخرج في رحلة للصيد فتمكن من اصطياد عشرة آلاف فريسة في تلك الرحلة⁽⁴⁾، فكتسب مهارة وبراعة فائقة فأصبح مضرب المثل في الصيد⁽⁵⁾، وأصبحت سيرته على كل لسان. ولكثرة أعداد الحيوانات التي يصطادها قام ببناء منارة من جماجم الحيوانات وقرونها في مدينة السبعيني وهو يحتفل بذلك⁽⁶⁾، وكان للسلطان ملكشاه عادة عند الصيد حيث يتصدق بعدد ما يصطاده دنانير على الفقراء والمحتاجين، ومن شدة حبه للصيد أنه خرج بعدما صلى صلاة العيد للصيد فأصابته الحمى ومرض وتوفي بعدها⁽⁷⁾. ومن السلاطين الذين اهتموا بالصيد سنجر فكان مولعاً به لدرجة أنه يستدعي المَنَجَم ليحدد له الموعد المناسب للصيد فيخرج فيه.

واهتم بالصيد كذلك السلطان مسعود الذي ذهب للصيد ليلة زواج الخليفة المقتفي من ابنته فاطمة خاتون تطبيقاً لعاداتهم في ذلك⁽⁸⁾، وكان من عادة السّلاجقة ألا يذهبون للصيد في أيام العزاء والحداد إلا بعد مرور أشهر فعندما مات ابن السلطان ملكشاه داود لم يتوجه للصيد إلا بعد مرور شهر حزناً عليه⁽⁹⁾.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص58.

(2) - الأصفهاني، المصدر السابق، ص227؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج19، ص309.

(3) - ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج9، ص155.

(4) - الوزنة، المرجع السابق، ص218.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص205؛ ابن تغري، المصدر السابق، ج5، ص123.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص79؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص70.

(7) - ابن الطقطقا، المصدر السابق، ص296.

(8) - محمد محمود إدريس، المرجع السابق، ص134.

(9) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص33.

كان السلاطين يضعون على الضباء لَمَّا يصطادون ختمهم ليحدّدوا عدد ما اصطادوا فيتفاخرون بذلك، كما كانوا يقدمونها كهدايا للخليفة العباسي، وتعتبر الطيور والظبي⁽¹⁾ والحيوان الوحشي⁽²⁾ والسباع والغزلان من أكثر أكثر الحيوانات التي اصطادها السلاطين.

8. 2. الطيور:

ومن وسائل الترفيه كذلك تربية الحمام والطيور حيث كانت هواية عند الكثيرين⁽³⁾، فاقنى الأهالي الحمام الذي يسكن في المنازل واهتموا بتربيته، ولم يقتصر اللعب بالطيور على طبقة معينة في المجتمع السلجوقي بل شمل كل الطبقات على اختلاف مستوياتهم، كما اعتمدوا على الطيور في إرسال الرسائل كالزاجل والزاجر⁽⁴⁾، فالسلاطين اهتموا بالصقور لتدريبها للصيد.

اشتهر السلاجقة بسباق الخيل والفروسية للترفيه عن أنفسهم حيث توارثوا هذه الصنعة عن أجدادهم لأنهم أهل الشجاعة والفروسية، واهتم السلاطين باقتناء الجياد العربية الأصيلة والسريعة، فكان كل السلاطين مثل ملكشاه يجيدون ركوبها لحاجتهم إليها في الجهاد والغزو وخلاف ذلك لا يجوز اللهو إلا بالشيء المشروع كما وضحه الراوندي⁽⁵⁾، كما أتقنوا الرماية لأن فيها مصلحة ومنفعة لهم.

أتقن السلاطين اللعب بالكرة وضربها بالعصا وهم على الخيل⁽⁶⁾ ويطلقون عليها الصولجة، وتكون الكرة صغيرة بحجم البرتقالة، فكان السلطان ألب أرسلان يتقن اللعب بالجوكان⁽¹⁾ وبرع كذلك في لعبها السلطان ملكشاه⁽²⁾ ملكشاه⁽²⁾ الذي خرج إلى الحلبة لما زار بغداد ولعب بها وبالكرة⁽³⁾.

(1) - الظبي: هو من أشد الحيوانات نفورا يرعى الحنظل ويشرب من ماء البحر، انظر: الدُميري كمال الدين محمد بن موسى، حياة حياة الحيوان الكبرى، تهذيب وتصنيف: أسعد الفارس، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، 1992م، ص175.

(2) - الراوندي، المصدر السابق، ص505-596.

(3) - الدُميري، المصدر السابق، ج10، ص327، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص613.

(4) - ابن سيدة، المصدر السابق، ج10، ص170.

(5) - الراوندي، المصدر السابق، ص592-594.

(6) - الفقهي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص169.

اهتم بعض الأمراء السلاجقة بلعب النرد مثل الأمير طغانشاه ولد السلطان ألب أرسلان الذي كان مهتما باللعب به.

8.3. النزهة والاستجمام:

وكان السلاجقة يخرجون للتجول والتنزه فيقصدون الحدائق والبساتين الغناء، ولهذا اهتم السلاطين ببنائها في مختلف مدن الدولة السلجوقية، ولقد كان الأهالي في نيسابور يخرجون بكثرة للحدائق للترويح عن أنفسهم⁽⁴⁾ حيث كانت عامرة بالسكان.

ونفس الحال في العراق ففي بغداد يتوجه العامة للحدائق والبساتين ومزارع النخيل الكثيرة والرياض لقضاء الأوقات والتسلية والترفيه عن أنفسهم⁽⁵⁾ ويأخذون معهم ما يحتاجونه من أطعمة وأشربة، كما كانوا يجلسون في رحبة باب الغربة تحت الجسر.

كما يخرج الأهالي لصيد الأسماك في الأنهار⁽⁶⁾، فهي تعتبر عند السلاجقة من الأماكن التي كانوا يقصدونها للنزهة لروعة وجمال المنظر فيها ففي عام 484هـ - 1091م زار ملكشاه بغداد فوجدهم محتفلون بعيد السدق⁽⁷⁾ فاحتفل معهم حيث تم إشعال الشموع والنيران في السماريات⁽⁸⁾ التي زينت أنهار بغداد واستمتع الحاضرون بهذه المناظر⁽⁹⁾، ويعتبر فصل الربيع أحسن الفصول التي تكثر فيها النزوهات⁽¹⁰⁾.

8.4. الحمامات:

(1) - الراوندي، المصدر السابق، ص 185-189.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 448.

(3) - البنداري، المصدر السابق، ص 79.

(4) - اليزدي، المصدر السابق، ص 110.

(5) - الكازروني، المصدر السابق، ص 438.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 221.

(7) - عيد السدق: هو من الأعياد الفارسية التي انتقلت إلى المسلمين حيث كانت تشعل النيران والشموع في ليلته، وكان يستعمل لذلك أنواع مختلفة من الدهان، وهو ليلة الحادي عشر من شهر بهمن ويسمى هذا اليوم "أبان روز"، انظر: البيروني، المصدر السابق، ص 216، الفلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 2، ص 412.

(8) - السماريات: من أنواع السفن التي عرفت في العصر العباسي، لم يقتصر استعمالها على فئة معينة فقد استخدمها الملوك، وكبار رجال الدولة وعامة الناس والتجار، انظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط 2، دار المعارف، مصر، 1979م، ص 68.

(9) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 475.

(10) - القدحات، المرجع السابق، ص 219.

وصف ابن جبير حمامات بغداد قائلاً: "أما حماماتها فهي كثيرة جداً حتى يصعب حصرها، ومعظمها مطلية بالقار الذي غطى جدرانها، بحيث يبدو للناظر كأنه رخام أسود مصقول. حمامات هذه المناطق غالباً ما تكون بهذه الصفة نظراً لكثرة القار المتوفر لديهم، وهو مادة عجيبة تجلب من عين تقع بين البصرة والكوفة، أنعم الله عليهم بماء هذه العين الذي يتكون منه القار، حيث يتشكل على جوانبها كالصلصال فيُجرف ويُجلب بعد أن يتجمد⁽¹⁾".

المبحث الثالث: المنشآت الاجتماعية في العصر السلجوقي:

1- المدارس:

اهتم السلاجقة وخاصة السلاطين والوزراء بالجانب العلمي والثقافي بإنشاء المنشآت لما لها دور على الحياة الاجتماعية للدولة بالاعتماد على عدة موارد أهمها الوقف⁽²⁾ إذ يعتبر من أبرز أعمال الخير والبر التي قام بها السلاطين والعلماء والوزراء، فالسلطان ملكشاه أنشأ المدارس وألف الكتب، واهتم بعلم الفلك وكان مولعاً به⁽³⁾، ومن المدارس التي أنشأها ملكشاه مدرسة بأصفهان خاصة بالفقهاء الحنفية والتي دفن بها لما توفي⁽⁴⁾.

وكان للوزير نظام الملك الطوسي الفضل الكبير في تأسيس وإنشاء عدة مدارس⁽⁵⁾ في كل المدن السلجوقية في العراق وخراسان⁽¹⁾، والتي كانت تعرف بالمدارس النظامية⁽²⁾ نسبة لاسمه ولقد أنفق الأوقاف عليها وعلى صيانتها

(1) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 204.

(2) - الوقف لغة هو الحبس، وشرعاً: حبس المملوك وتسييل منفعتة مع بقاء عينه، انظر: ابن المناوي عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1990م، ص340.

(3) - البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص471.

(4) - ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص376.

(5) - القدحات، المرجع السابق، ص275.

صيانتها وتعميرها وإنشاء المكتبات فيها لوضع الكتب⁽³⁾، وكان نظام الملك كلما سمع بعالم في بلد من بلدان الدولة السلجوقية بنى له مدرسة ليستفيد الناس منها وجعل فيها دار كتب⁽⁴⁾، ولرغبته الشديدة في أن يكون لهذه المدارس مستوى علمي جيّد ورفيع اهتم بتعيين المعلمين الأكفاء فيها بنفسه فاختار كبار الفقهاء والعلماء لهذه المهمة ومنحهم أجورا نظير ذلك.

ومن شدة حرص السلاطين والوزراء على هذه المدارس قاموا برعايتها من كل الجوانب فأنفقوا على طلبة العلم لأجل دعمهم، ولقد كان لهذه المدارس إسهام كبير من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدولة، حيث تم تخريج الكثير من المدرسين السنيين وأحسن الطلبة الذين تكفلت بهم الدولة حيث قامت بتوظيفهم وقلدتهم المناصب الهامة والمختلفة في الدولة⁽⁵⁾ كالعمل في دواوينها بسبب مؤهلاتهم العلمية وكفائتهم ونجابتهم⁽⁶⁾.

وقد قدمت هذه المدارس جملة من الخدمات حيث تم بناء مساكن فيها للإيواء والمبيت وأماكن للراحة خاصة بالمدرسين والعلماء والطلاب الذين قصدوها من أماكن بعيدة⁽⁷⁾ كما شملت هذه الخدمات الموظفين والعمال في المدرسة⁽⁸⁾، ويُنْفَقون عليهم من الأوقاف التي وضعت خصيصا لها⁽⁹⁾، وعليه فإن مهمة هذه المدارس لم تكن تعليمية فحسب.

(1) - السبكي، المصدر السابق، ج 3، ص 137؛ حسين أمين، المرجع السابق، ص 224.

(2) - الحسيني، المصدر السابق، ص 142.

(3) - ابن جبير، المصدر السابق، ج 1، ص 164.

(4) - البنداري، المصدر السابق، ص 59؛ الطوسي، المصدر السابق، ص 5.

(5) - المدخلي محمد ربيع، المشرق الإسلامي في عهد السلاطين السلاجقة الأوائل، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ، ص 474.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 303.

(7) - شمس الدين عبد الأمير، المذهب التربوي عند ابن جماعة، دار اقرأ، بيروت، (د.ط)، 1986م، ص 41؛ القدحات، المرجع السابق، ص 275.

(8) - القدحات، المرجع نفسه، ص 275.

(9) - مصطفى جواد، المدرسة النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر ببغداد، ج 2، مج 9، 1953م، ص 321.

وبهذا كان لنظام الملك إسهام كبير بإنشائه للنظاميات في مختلف المدن حيث خصص للمعلمين المتدربين فيها ووضع أسلوباً ومنهجاً جديداً في مجال التعليم من خلال توفير الجو المناسب والعوامل التي تساعد على التفوق والرغبة في تحصيل العلم⁽¹⁾ بعدما استحدثت منحة يقدمها للطلبة كما ألحق بالمدرسة مسكن للطلبة وللمدرسين وأنفق عليهم.

ولقد تعددت العلوم والدروس في هذه المدارس فهناك مدارس خاصة بالعلوم الشرعية والفقهية وما يتعلق بها، كتحفيظ القرآن وترتيبه وتفسيره ومعرفة كل ما يتعلق بالفقه وأصوله، وعلم الحديث وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى اللغة العربية كالبلاغة والصرف وعلم التاريخ⁽²⁾، وأخرى مخصصة لتعليم الطب، وهناك مدارس تدرس فيها العلوم الفلكية فاتخذت مراصد فلكية⁽³⁾، ولقد أسس هذه المراصد السلطان ملكشاه وكلف أفضل علماء الفلك للعمل فيها مثل الواسطي وعمر الخيام⁽⁴⁾.

إلا أن الطابع الغالب فيها هو الديني والشرعي⁽⁵⁾، ولأهمية المدارس النظامية بالذات اعتبرها السلاطين وخاصة سنجر المكان الذي يستقر فيه العلماء والفقهاء ويتكثرون عليه كما أنها تعتبر المكان الذي يكتشف فيه المسلمون كل الحقائق، فتخرج منها خيرة الطلبة المثقفين الذين ساهموا في ازدهار الحياة العلمية والثقافية⁽⁶⁾ للدولة السلجوقية، ولقد كلفت المدرسة النظامية الكثير من الأموال في بنائها والتي بلغت 200.000 دينار⁽⁷⁾.

(1) - نظام الملك، المصدر السابق، ص 21.

(2) - عبد الهادي محبوب، الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية، مجلة الأستاذ، مج 11، 1382هـ، ص 365.

(3) - عبد الله عطية عبد الحافظ، الزخارف الخزفية بمدرسة صرحالي في قونية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع 24، ج 1، 1999م، ص 152.

(4) - عبد الهادي محبوب، المرجع السابق، ص 365.

(5) - الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 308.

(6) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 276.

(7) - حلمي، المرجع السابق، ص 233.

كما تم تأسيس الكثير من المدارس في بغداد في العصر السلجوقي ففي عام 580هـ - 1184م تواجد بها قرابة ثلاثين مدرسة⁽¹⁾، لكن يبقى أشهرها المدرسة النظامية والمعروفة بنظامية بغداد، والتي أنشأها نظام الملك عام 457هـ - 1064م⁽²⁾، وانتهى من بنائها عام 459هـ - 1066م⁽³⁾، وكانت هذه المدرسة مميزة عن غيرها من المدارس بتدريسها لكل العلوم والتخصصات والميادين الشرعية وكان الطلاب فيها مميزون كذلك حيث يتنافسون فيها على المراتب الأولى⁽⁴⁾، ومن أشهر وأجل العلماء قدرا ورفعة والذين درسوا بهذه النظامية أبي إسحاق الشيرازي⁽⁵⁾، وكان الطلاب مهتمين بالكتب وبهذه المكتبة لدرجة كبيرة، حيث أنه لما نشب حريق بداخلها عام 510هـ - 1116م أسرع الطلاب إلى إخراج الكتب من داخلها وأنقذوها من الحريق⁽⁶⁾.

ومن أشهر المدارس في بغداد كذلك المدرسة التي أسستها زوجة السلطان ملكشاه تركان خاتون في الجهة الشرقية للمدينة⁽⁷⁾ بجوار دار السلطنة السلجوقية والتي تعتبر من أقدم المدارس في بغداد، إلا أنها تعرضت للخراب في عام 496هـ - 1102م وتم إنقاذها حيث أنفق عليها الكثير من الأموال.

ولقد ساهم العلماء في العصر السلجوقي في نشر المذهب السني فأنشئوا عدة مدارس إضافة إلى المدارس النظامية مثل مدرسة مشهد أبي حنيفة التي أنشأها العالم أبو سعد محمد بن منصور في العراق سنة 459هـ - 1066م حيث بناها قبل المدرسة النظامية ببغداد بأكثر من أربعة أشهر⁽⁸⁾.

(1) - ابن جبير، المصدر السابق، ج 1، ص 183.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 16، ص 5؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 91.

(3) - ابن العماد، المصدر السابق، ج 5، ص 253.

(4) - الطوسي، المصدر السابق، ص 22.

(5) - هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز أبادي، الملقب بجمال الدين، ولد سنة 393هـ - 1002م بفيروز أباد نواحي بلاد فارس، كان يجيد كتابة الشعر، عمل مدرسا بالمدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي سنة 476هـ - 1083م، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 1، ص 29-30؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 18، ص 452-463.

(6) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 18، ص 617.

(7) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 84.

(8) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 161.

ومن النظاميات التي أنشأها نظام الملك بالبصرة نظامية البصرة عام 459هـ - 1066م⁽¹⁾، كما أنشأ بالموصل مدرسة قرب الجامع النوري⁽²⁾ مدرسة نظامية الموصل⁽³⁾، كما أنشأ الوزير نظام الملك الطوسي عام 476هـ - 1083م مدرسة على نهر المعلى⁽⁴⁾.

كما أنشأت ابنة السلطان ملكشاه الثانية عصمت خاتون مدرسة في سوق العسكر واعتبرت من أكبر المدارس، ولما توفيت دفنت فيها⁽⁵⁾، ومن المدارس كذلك مدرسة أبي حنيفة أو النعمانية التي أنشأها شرف الملك مستوفي ألب أرسلان في بغداد، والتي تعتبر من أولى المدارس التي أسست في العراق كذلك⁽⁶⁾.

كما أنشأ الوزير أبو الغنائم تاج الدين المدرسة التاجية ببغداد سنة 480هـ - 1087م وقام بوقفها على أتباع المذهب الحنفي⁽⁷⁾، وأنشأ تاج الملك المدرسة التاجية بباب أبرز عام 482هـ - 1089م وأوقفها على الشافعية⁽⁸⁾. الشافعية⁽⁸⁾.

بالإضافة إلى ذلك بنيت المدرسة الكمالية القضائية نسبة لمؤسسها كمال الدين أبو الفضل محمد أبي القاسم الشهرزوري بالموصل⁽⁹⁾ في العصر السلجوقي.

(1) - مصطفى جواد، المرجع السابق، ص 317.

(2) - ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج 1، ص 299.

(3) - مصطفى جواد، المرجع السابق، ص 317.

(4) - نهر المعلى: محلة ببغداد بعيدة عن دجلة، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج 8، ص 417.

(5) - ابن الساعي، المصدر السابق، ص 109.

(6) - مصطفى جواد، المدرسة النظامية ببغداد، المرجع السابق، ص ص 323-324.

(7) - الذهبي، المصدر السابق، ج 3، ص 287؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص ص 154-155.

(8) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 46.

(9) - الجميلي، المرجع السابق، ص 317.

وفي عام 535هـ - 1140م أنشأ كمال الدين أبو الفتوح طلحة الرازي المدرسة الكمالية بالموصل أيضا والذي قام بوقفها على الشافعية⁽¹⁾، كما أمر نظام الملك بإنشاء العديد من المدارس في جميع المدن الرئيسية كالبصرة والموصل⁽²⁾ لأنها راقّت رواجاً ونجاحاً كبيراً فتحقّق له ذلك وانتشرت في كل المدن السلجوقية⁽³⁾.

وفي خرسان أنشأ نظام الملك عدّة مدارس أهمّها نظامية مرو بمدينة مرو⁽⁴⁾ حيث أسند مهمة التدريس بها للعالم أبي المظفر بن السّمعاني عندما دخل للمدينة عام 468هـ - 1075م⁽⁵⁾.

كما قام نظام الملك بإنشاء نظامية نيسابور والتي تعتبر من أشهر النّظاميات، حيث أنّها تلي نظامية بغداد في الأهمية⁽⁶⁾ ولقد أنشأها قبل نظامية بغداد، وكلّف العالم أبو علي يحيى بن ربيع الواسطي التدريس بها والنظر في أوقافها⁽⁷⁾.

ولقد اعتبرت هذه المدرسة الدّعامة الأساسيّة لنظامية بغداد الأمر الذي أكسبها مكانة كبيرة ولقد تخرج منها العديد من الطلبة المتفوقين والمميزين في مجال العلوم، ومن أشهر من درّس فيها أبي المعالي الجويني والقشيري أبو سعيد بن أبي القاسم⁽⁸⁾.

(1) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج 9، ص 29؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 17.

(2) - كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 274.

(3) - ماهر سعاد، أثر الماوردي في الفن السلجوقي، مجلة المؤرخ العربي، ع 10، بغداد، 1975م، ص 50-51.

(4) - الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 112.

(5) - السّبيكي، المصدر السابق، ج 4، ص 98.

(6) - الدّهبي، المصدر السابق، ج 19، ص 94.

(7) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 53.

(8) - هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن أبا سعيد بن أبي القاسم القشيري، ولد سنة 428هـ - 1036م تميز منذ صغره بحب العلم توفي سنة 494هـ - 1100م، انظر: السّبيكي، المصدر السابق، ج 5، ص 225-228.

وأنشأ نظام الملك في بلخ نظامية بلخ وكلّف الفقيه أبي القاسم عبد الله بن شهور للتدريس فيها، وكان أبو حفص عمر بن أحمد معيدا بها⁽¹⁾، وأنشأ كذلك بهرة نظامية هرة ومن أشهر المدرسين فيها أبو بكر الشاشي، وأبو سعيد مجد الدين الذي درّس فيها حتى وفاته عام 548هـ - 1153م⁽²⁾ وكان هذا الحال في كل المدن.

وكان تسيير هذه المدارس يتم عن طريق الأوقاف حيث كان يخصص لها أموالا طائلة، إلا أنّها تتعرض للسرقة والنهب من بعض الأشخاص، فيذكر أنّ السلطان محمود السلجوقي قام بتحريات عن المدرسة الحنفية عام 523هـ - 1129م وكلّف قاضي القضاة الزيني بالحساب، فوجد أنّه ينفق عليها عشرة آلاف دينار بينما مبلغ الوقف الإجمالي قد كان 80 ألف دينار⁽³⁾.

كان للمدارس النظامية نظام خاصّ بها حيث فصلت عن المساجد بعدما كانت في العصور السابقة ملتصقة بالمساجد فكان التعليم به.

كما أنّها كانت مميزة في بنائها وشكلها حيث تم وضع ضريح ملحق بها لأحد السلاطين أو العلماء أو لمنشئها. كان للسلاجقة وخاصة الوزير نظام الملك الفضل في تنظيم المدارس فيما بعد في جميع أنحاء العالم⁽⁴⁾.

2- المكتبات:

في العصر السلجوقي ظهر الورق بكثرة فكان له بالغ الأثر على الحياة الثقافية والأدبية، حيث زاد إنتاج الكتب وتنوعت المؤلفات والتصانيف، وتيسرت عمليات النسخ والانتشار بشكل كبير، مما ساهم في تعزيز النشاط الأدبي والفكري وتبادل المعارف ونقلها وتحفيز البحث والاكتشاف، وتسببت زيادة إنتاج الكتب في ضرورة إنشاء المكتبات أو ما يمكن أن نسميه "خزائن الكتب"، فكان من الضروري توفير مساحات لحفظ الكتب وترتيبها

(1) - المصدر نفسه، ج3، ص285.

(2) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص359.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص11.

(4) - محمد عبد العظيم أبو النصر، الدولة العباسية نظمها الداخلية وعلاقتها الخارجية، مطبعة الزقازيق، مصر، (د.ط)، 1997م، 1997م، ص491.

وتنظيمها، وهذا ما أدّى إلى نشوء المكتبات التي أصبحت مراكز للمعرفة والبحث والتّعلم مما أسهم في توفر العديد من الكتب وأصبح كل شخص بإمكانه اقتناء الكتاب الذي يريده.

ولقد اهتم كل أفراد المجتمع السّلاجقي وخاصة السّلاطين والوزراء والأدباء بالمكتبات والكتب⁽¹⁾ بحيث انتشرت في عصرهم انتشارا كبيرا ولشدة حبهم للعلم وللكتب كانوا يشترونها، وأسّسوا لهم مكتبات خاصّة ليستفيدوا منها، كما أنّه وجدت تقريبا في كلّ مؤسسة ومدرسة علمية خزانة للكتب، فلا تكاد تخلو أي منها من هذه الكتب القيمة⁽²⁾، حيث جُعِلَ لكلِّ علَمٍ ولون خزانة خاصة، كما وَضِعَت تلك الكتب في هذه المكتبات فوق بعضها البعض ونظمت وجعل لها فهارسها⁽³⁾، وتولى الإشراف على إعداد هذه الفهارس خازن المكتبة أو كما يسمى متولي المكتبة⁽⁴⁾ الذي يتولى شؤونها ويشرف على مختلف جوانب إدارتها وكان يساعده في ذلك مشرف⁽⁵⁾ وبعض المسؤولين، ولقد كانت تخصص لهم أجزاء من الأوقاف التي توقف على المدرسة⁽⁶⁾، وممن تولّى مهمة خازن المكتبة أبو جعفر بن أبي بكر عبيد الله الدباس حيث استمر في مهمة الإشراف عليها إلى وفاته عام 601هـ⁽⁷⁾ - 1204م.

وكانت هذه المكتبات في العصر السّلاجقي ميزة خاصّة حيث تمّ تخصيص قاعات للمطالعة وضع فيها الحبر والورق للتّعليم والكتابة والنّسخ لمن أراد⁽⁸⁾.

كما كانت هذه المكتبات مُعدّة ومنظمة تنظيما دقيقا وجيّدًا، ويعود الفضل في ذلك إلى الوزير نظام الملك الذي ألحق بمدارسه النّظامية دار كتب⁽¹⁾، ولقد سعى إلى اختيار مسؤول لها بنفسه وكان حريصا على ذلك، ووفر أيضا

(1) - الحنبلي، المصدر السابق، ج 4، ص 85.

(2) - عسيري، المرجع السابق، ص 192.

(3) - القدحات، المرجع السابق، ص 290.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 16، ص 304.

(5) - حسين أمين، المرجع السابق، ص 234.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 66.

(7) - ابن الساعي، المصدر السابق، ج 9، ص 227.

(8) - عسيري، المرجع السابق، ص 192.

الكثير من الأوقاف والأموال على هذه الخزائن، كما كان يشتري أثمن الكتب وأندرهما ويضعها فيها⁽²⁾، فاحتوت هذه المكتبات على نواذر المؤلفات في علوم الدين والأدب وغيرها من العلوم، إضافة إلى أهم المخطوطات وأندرهما⁽³⁾ الأمر الذي إلى تطورها.

فلما أنشأ نظام الملك نظامية بغداد أنشأ معها المكتبة التي تم افتتاحها عام 459هـ⁽⁴⁾ - 1093م، وكان فيها الكثير من الكتب النفيسة والنادرة من مختلف المؤلفات، وبفضل الأوقاف عليها والاهتمام بها تطورت هذه المكتبة فيما بعد، وبعد وفاة الوزير نظام الملك أصبح بها الكثير من المصنفات والمجلدات وصلت قرابة 6 آلاف مجلد⁽⁵⁾ من مختلف العلوم والفنون، ومن أشهر الكتب النادرة التي وضعت في مكتبة نظامية بغداد كتاب المحيط في تفسير القرآن والذي ألفه القاضي عبد الجبار الهمداني وكان عدد أجزاءه مائة مجلد، ولقد اعتمد صاحبه لما صنّفه على كتاب أبو الحسن الأشعري "المختزن"⁽⁶⁾، إضافة إلى كتاب "غريب الحديث" لصاحبه الحرابي إبراهيم والذي يتكون من 10 مجلدات حيث وقفه نظام الملك على هذه الخزانة⁽⁷⁾ بعدما قدم له هدية من عبد السلام بن بندار القزويني.

وبالإضافة إلى خزانة نظامية بغداد وجد بالمدينة عدة خزائن أهمها خزانة زوجة الخليفة العباسي الناصر لدين الله السيدة سلحوقه خاتون حيث ألحقها برباطها وكان بهذه الخزانة أهم الكتب وأثمنها.

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص 59.

(2) - السبكي، المصدر السابق، ج 4، ص 383.

(3) - محبوبه، المرجع السابق، ص 393.

(4) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج 3، ص 218.

(5) - ابن الجوزي، صيد الخاطر، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 449؛ كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، ط 2، دار الرائد، بيروت، 1986م، ص ص 150-151.

(6) - المعاري، العواصم من القواصم، تح: الشيخ محب الدين الخطيب، ط 2، مكتبة السنة، (د.م.ن.)، 1412هـ، ص 72.

(7) - السبكي، المصدر السابق، ج 3، ص 230.

ووجد في نظامية مرو عشر خزائن للكتب احتوت على عدد كثير من الكتب الجيدة والنادرة⁽¹⁾، ولما زار ياقوت الحموي المدينة وجد بخزانة نظام الملك "الخزانة النظامية" أندر المؤلفات التي ساعدته في تصنيف كتابه معجم البلدان، فانداهش منها وانشغل عن أهله وهو متواجد بها لدرجة أنه نسي كل بلد زاره، وكانت في مرو كذلك خزانتان مهمتان أطلق على واحدة اسم "العززية" نسبة إلى واقفها عزيز الدين أبو بكر، الذي تولى منصب صاحب الشراب عند السلطان سنجر، ولقد احتوت تقريباً على اثني عشر مجلداً، والأخرى هي الخزانة "الكمالية".

وبنظامية نيسابور أنشأ نظام الملك خزانة للكتب احتوت على الكثير من أنفس المؤلفات وأندرها مثل ديوان أبي علي الكافي العماني، ووظف لهذه المكتبة الموظفين ومُشرفاً يهتم بها، كما أنشأ بنظامية بلخ مكتبة من أغنى الكتب والمجلدات وكان هذا الحال في كل نظاميات الدولة السلجوقية حيث اشتملت كل مكتبة على الكتب النادرة وكانت ممتلئة بها⁽²⁾.

وتم إنشاء المكتبات في المساجد كذلك حيث امتلأت بالكتب من مصادر ومؤلفات، التي يرغب رواد العلم في نهل العلم والعطاء منها⁽³⁾، فكان بعض العلماء ومحبا العلم يقومون بوقف مؤلفاتهم وكتبهم فيها حتى ينتفع منها الناس⁽⁴⁾، ففي عهد السلطان سنجر كان بمسجد عقيل بنيسابور مكتبة كبيرة من مختلف الكتب والعلوم فيها حوالي 5 آلاف مجلد.

كما ضمت البيمارستانات المكتبات فأصبح في كل بيمارستان كبير⁽⁵⁾ يحتوي على خزائن الكتب الطبية والمخطوطات ليستفيد منها المتعلمون في هذا الاختصاص حيث يتم فيها ذكر ما يتعلق بالأمراض والأدوية⁽⁶⁾.

(1) - الحموي، المصدر السابق، ج5، ص114.

(2) - المصدر نفسه، ج5، ص114.

(3) - حسين أمين، المرجع السابق، ص280.

(4) - متز، المرجع السابق، ج2، ص243.

(5) - ابن تغري، المصدر السابق، ص421.

(6) - حلمي، المرجع السابق، ص376.

وكان بأصفهان أيضا مكتبة نظام الملك حيث كان ينفق على أي طالب يرغب بالسفر إليها للانتقال من كتبها القيمة، ومن أهم كتبها كتاب التبصير في الدين لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني⁽¹⁾.

3- المساجد⁽²⁾:

وكانت المساجد محل اهتمام السلاجقة لأهميتها في حياتهم فقاموا ببنائها وإنشائها، واهتموا بشكلها وتصميمها، فالأئمة في المساجد ورجال الدين يقدمون فيها دروس إرشاد الناس إلى الطريق الصحيح وتوجيههم ووعظهم وتعليمهم مبادئ الشريعة الإسلامية⁽³⁾، فعلى الرغم من بناء المدارس إلا أن المسجد يبقى المكان المناسب والجيد للتعليم والتدريس⁽⁴⁾، كما أن السلاجقة يجتمعون فيها ويلتقون ببعضهم البعض فكثر المساجد في أقاليم ومدن الدولة السلجوقية.

ومن السلاطين الذين اهتموا ببناء المساجد وتشيدها طغرل بك فكان كلما يبنى بيتا يسعى لبناء جامع أو مسجد بجواره لشدة خجله واستحيائه من الله⁽⁵⁾، ولقد وصفه الذهبي بقوله "كان حليما محافظا على الصلوات في الجماعة الجماعة ويعمر المساجد ويصوم الخميس والاثنين"⁽⁶⁾، بينما السبكي فقال عنه "كان رجلا حنفيا سنيا محبا إلى أهل العلم"⁽⁷⁾.

(1) - حبوبة، المرجع السابق، ص 398.

(2) - لغة: المسجد ميم يفتح جيمه والمفعول من باب نصر بفتح العين اسما كان أو مصدرا إلا أحرفا، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، فهو كل موضع من الأرض، وهو في الأصل كلمة تدل على موضع السجود، انظر: الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص 287، الزركشي محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط 4، القاهرة، (د.د.ن)، 1996م، ص 27.

(3) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 76؛ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج 1، ص 177.

(4) - منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، تر: سامي الصقار، الصقار، نشر دار الميراث، الرياض، السعودية، (د.ط)، 1981م، ص 67.

(5) - السبكي، المصدر السابق، ج 3، ص 389.

(6) - الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 380.

(7) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 394.

وكان السلطان ألب أرسلان أيضا محبا للعلم وأهله، فكان يجلس مع المثقفين ويستمع لهم ويأخذ بنصيحة العلماء وتوجيههم، فكثيرا ما كان يستشيرهم فلا يخلو مجلسه منهم، ولشدة حبه لهم أنفق عليهم من أمواله الخاصة فنشأت في عهده طبقة الكتاب كما كان له الدور البارز في إيقاف الفتنة بين علماء السنة والأشعرية⁽¹⁾ التي حدثت في عهد طغرلبيك، ولقد اهتم بإنشاء المساجد فأشرف بنفسه على بنائها⁽²⁾ حيث بنى مسجد وأنفق عليه الأموال الكثيرة⁽³⁾.

ولقد حرص السلطان ملكشاه على بناء المساجد والجوامع فبنى مسجدا كبيرا في بغداد⁽⁴⁾، وكانت المساجد في عهده تحتضن حلقات العلم ودروس للتعليم، كما بنى الوزير نظام الملك جامعا عظيما في بغداد أطلق عليه اسم جامع السلطان.

ومن السلاطين الذين عُرفوا بحبهم للعلم والعلماء كذلك سنجر⁽⁵⁾ الذي كان كريما معهم فأنشأ إلى جانب المدارس والربط الكثير من المساجد وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة وأنشأ بها خزائن الكتب، كما قام السلطان محمد بتعمير وبناء جامع السلطان سنة 498هـ-1104م في بغداد مباشرة بعد توليه السلطنة، ولقد أوكل مهمة تعميره إلى بھروز الخادم ولقد دامت مدة بنائه أربع سنوات وذلك إلى غاية عام 502هـ-1108م⁽⁶⁾. وكان للمرأة السلجوقية إسهام كبير في بناء المساجد فزوجة ملكشاه السيدة ترکان خاتون أمرت ببناء المسجد الجامع الذي سمي جامع السلطان في الجانب الشرقي لبغداد سنة 485هـ-1092م، إلا أن بھروز الخادم هو من أكمل بنائه عام 524هـ-1130م⁽⁷⁾ لأنها توفيت قبل إكمال بنائه.

(1) - البنداري، المصدر السابق، ص45.

(2) - ابن العمراني، المصدر السابق، ص314.

(3) - ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص162.

(4) - الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص65.

(5) - المصدر نفسه، ج20، ص385.

(6) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص101؛ سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج2، ص27.

(7) - ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج16، ص298.

ومن المساجد التي بنيت في تلك الفترة في الموصل جامع العماد بن الجلادين والذي كان مركز إشعاع علمي ودّرس فيه محي الدين بن العربي الذي أخذ العلم عن ثابت بن قره الحايي، كما ضم المسجد مكتبة عظيمة من الكتب⁽¹⁾.

كما أن المساجد انتشرت في إقليم خراسان كثيرا ففي نيسابور أنشئ مسجد أبي عبد الله الخبازي وأيضاً الجامع المنيعي⁽²⁾، وفي مرو تمّ بناء الجامع الأقدم، كما تمّ بناء الجوامع بخراسان وغيرها من المدن السلجوقية.

كان للسلاجقة إسهام في بناء المساجد وتصميمها حيث ابتكروا نظاماً جديداً في بنائها والذي عُرف بالإيوان حيث كان هذا الطراز جديداً في تخطيط المساجد⁽³⁾.

ولقد كلفت المساجد ذات الإيوانات الأربع الأموال الباهضة، لهذا اتّبع هذا التخطيط في المدن الكبرى فقط⁽⁴⁾، كما أن السلاجقة قد أدخلوا فكرة في بنائهم للمساجد وهي الفناء المفتوح في الوسط، وتحيط به الأقواس والعقود المسقوفة والإيوانات المغطاة من جميع جوانب الساحة، وغرف الصلاة على جوانب كل إيوان، وكان شكل المئذنة أسطوانية، وكانت فخمة ومرتفعة كثيراً حتى تظهر من بعيد ويعرف الناس مكان المسجد ولقد تم طلاء الجزء العلوي منها باللون الداكن ثم تغير تصميم المآذن في العصر السلجوقي فيما بعد حيث تكوّنت من ثلاثة أقسام كلّ قسم أصغر من القسم الموجود أدناه⁽⁵⁾.

(1) - الجميلي، المرجع السابق، ص 318.

(2) - ينسب إلى حسان بن سعيد بن حسان المنيعي ت 463هـ / 1070م اهتم ببناء المساجد وكان السلطان ألب أرسلان يتبرك به، انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 270.

(3) - فاروق محمد علي، طرز تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط المساجد العراقية، مجلة كلية الآداب، ع 103، جامعة بغداد، ص 294.

(4) - حلمي، المرجع السابق، ص 231.

(5) - المرجع نفسه، ص 235.

وكانت دروس الوعظ تقدم في المساجد قبل إنشاء المدارس النظامية عام 457هـ - 1064م وكان يحضرها الناس جميعاً دون شرط وهذا ما يميزها عن مجالس الثقافة، كما كانت الدروس في المساجد تعالج المسائل المتعلقة بالدين والدنيا والقيم الإسلامية⁽¹⁾.

4- الربط:

من المنشآت الاجتماعية التي لها دور كبير وإيجابي على المجتمع والدولة السلجوقية كذلك الربط والتي تعتبر أماكن لرجال الصوفية ودور للعبادة ثم أصبحت فيما بعد أماكن للقراءة والتأليف والتعليم والتصنيف⁽²⁾، ولتنوع أهميتها اهتم السلاجقة والسلاطين أمثال ألب أرسلان وملكشاه وسنجر بإنشائها وبنائها فانتشرت في كل المدن خاصة في العراق حيث أنشئ في عهد السلطان سنجر رباط الخدم من قبل أبو الحسن الخادم الملقب ببهرورز⁽³⁾ مجاهد الدين والذي بناه في الجانب الشرقي للمدينة، كما تم تشييد ربط في سوق المدرسة النظامية يسمى "رباط الدرجة" على ضفاف نهر دجلة، ووجدت الربط في إقليم خراسان كذلك ففي مرو شيد الفقيه العالم عبيد الله أحمد بن محمد بن عبد الله أبو المعالي المروزي رباط مرو كما أنه قام بوقف الكثير من الكتب في المكتبة الخاصة بهذا الرباط، ووجدت الربط في مدن أخرى مثل سرخس ونيسابور وبلخ وهراة وغيرهم⁽⁴⁾.

ومن أهم الربط بالعراق رباط سلجوق خاتون الذي أنشأه زوجها الخليفة العباسي الناصر لدين الله وانتهى من بنائه عام 589هـ - 1193م كما ذكر ابن الأثير⁽⁵⁾ ولقد تم وضع العديد من الكتب في المكتبة الخاصة بهذا الرباط.

كما حظيت الربط باهتمام الوزراء كذلك فبنى الوزير نظام الملك الطوسي الرباطات في أماكن مختلفة⁽⁶⁾.

(1) - حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص612

(2) - حلمي، المرجع السابق، ص374-377.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص189.

(4) - الترشيحي، المصدر السابق، ص30.

(5) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص229.

(6) - ابن كثير عماد الدين، طبقات الشافعية، تح: عبد الحفيظ منصور، بنغازي، ج1، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004م، ص ص 455-456.

شهدت الحركة التعليمية في العصر السلجوقي ازدهاراً ملحوظاً، إذ حرص السلاجقة على إنشاء مؤسسات تعليمية متعدّدة إلى جانب المساجد، مثل المدارس والرُّبُط ودور العلم (المكتبات)، التي اضطلعت بمجموعة بنشر الثقافة العربية الإسلامية. وقد أسهم هذا التكامل المؤسسي في رفع المستوى الثقافي للمجتمع، واتساع انتشار العلماء، ونشاط حركة التأليف والتصنيف، مما أدى إلى توسيع آفاق المعرفة وتداولها بين الناس. وبفضل هذه الجهود المتضافرة، غدا العصر السلجوقي مرحلة بارزة في تاريخ التعليم والنهضة العلمية في العالم الإسلامي.

5- البيمارستانات:

من المنشآت التي شيّدها السلاجقة وكان لها إسهام كبير على الدولة وعلى الأهالي البيمارستانات⁽¹⁾ حيث تعتبر مؤسسة اجتماعية خيرية، ولقد قام ببنائها السلاطين والأمراء وغيرهم من الأغنياء أصحاب الخير والصدقة فشيّدوها وقفاً وحسباً في سبيل الله لخدمة الناس والإنسانية⁽²⁾.

وكان لهذه المستشفيات والبيمارستانات إسهام كبير في التقدم العلمي في ميدان الطب والصيدلة من خلال علاج المرضى وتقديم المساعدات الطبية لهم، وبالإضافة إلى مداواة المرضى اعتبرت مدارس لتعليم الطب ومعاهد يتكون فيها الطلبة فيخرج منها الأطباء والكحالون والمختصون في الجراحة⁽³⁾.

كما كان يلجأ إليها المحتاجون لأخذ جميع أنواع الملابس الخاصة بفصلي الصيف والشتاء⁽⁴⁾.

(1) - البيمارستان: لغة: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين "بيمار" بمعنى مريض أو عليل أو المصاب، و"ستان" بمعنى المكان أو الدرا فهي إذا تعني دار المرضى، ثم اختصرت، في الاستعمال فصارت مارستان، ويستعمل المغاربة لفظ بيمارستان بمعنى بيمارستان للأمراض العصبية فقط، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 6، ص 217؛ مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ج 1، ص 166؛ ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 47، فراج عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 168.

(2) - أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، (د.ط)، 1981م، ص 403.

(3) - محمد عبد العظيم أبو النصر، الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م.ن)، 2002م، ص 31.

(4) - المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، محمد العلمي، ج 1، ط 1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1984م، ص 287.

استلهم السلاطين والأمراء السلاجقة فكرة بناء البيمارستانات من التأثير العميق للثقافة الفارسية في هذا المجال، فشهدت المدن الكبيرة تحت حكمهم انتشاراً واسعاً لهذه المنشآت الطبية⁽¹⁾. وقد بدأ هذا الاهتمام بعد دخول السلاجقة بغداد عام 447 هـ / 1055 م، حيث تنافسوا على بناء بيمارستانات جديدة وإعادة ترميم المتضرر منها، ممّا جدّد الأمل في إحياء بيمارستان العضدي⁽²⁾ الذي كان رمزاً مهماً للرعاية الصحية، ولقد كان السلطان السلجوقي طغرل بك من أوائل السلاطين الذين أولوا البيمارستانات رعاية خاصة، إذ أصدر أوامره بصيانة بيمارستان العضدي والعمل على ترميمه⁽³⁾، وأسند إلى كبار الموظفين مهمة الإشراف على هذه المؤسسات الطبية، لضمان تقديم رعاية صحية مناسبة للمرضى، ومن أهم الرجال الذين تولوا مهمة إدارته عبد الملك بن يوسف، المعروف بلقب الشيخ⁽⁴⁾، وبحلول عام 460 هـ - 1068 م بدأ الخليفة القائم بأمر الله بتوجيهات من السلطان طغرل بك بإصدار أوامر للحفاظ على البيمارستان وأوقافه، شملت هذه الجهود إعادة هيكلة البيمارستان بشكل شامل وتوفير الظروف المناسبة للرعاية الصحية والراحة للمرضى بترميمه وتحسينه، وبذلك استعاده من أيدي الأشخاص الذين كانوا يسيطرون عليه بشكل غير مشروع وضمان استمراريته، وطهره من الفساد ووفر الأدوية والشراب والمستلزمات الطبية اللازمة للمرضى⁽⁵⁾، وقد قام أيضاً بتأمين البيمارستان بالأثاث الملائم للمرضى، بالإضافة إلى تعيين الكوادر الطبية والخدمية الضرورية لتشغيله، وقد كان البيمارستان كان يحتوي على مرافق إضافية مثل بوابين وحراس وبستان وحمام، مما يظهر اهتماماً شاملاً براحة المرضى واحتياجاتهم.

بقي البيمارستان العضدي في الخدمة والأداء حتى سقوط بغداد في عام 656 هـ / 1258 م، وبفضل شدة اهتمام السلاجقة بهذه المؤسسة الطبية، فقد وُصف بأنه يشبه القصور الفخمة؛ إذ ذكر الرحالة ابن جبير الذي زار بغداد في عام 580 هـ / 1184 م أن البيمارستان العضدي كان محكم التصميم يضم أجنحة متعددة وغرفاً

(1) - حنيفة الخطيب، الطب عند العرب، بيروت، (د.د.ن)، (د.ط)، 1988م، ص216.

(2) - البنداري، المصدر السابق، ص8؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص231.

(3) - الرحيم عبد الحسين مهدي، الخدمات العامة في بغداد، ط1، مطبعة بغداد، بغداد، 1987م، ص158.

(4) - هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف، ت460هـ - 1067م، انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص250.

(5) - أبو النصر، المرجع السابق، ص35.

كثيرة، والأفرشة فيه مصنوعة من أجود أنواع الفرش، كان الأطباء فيه يتفقدون ويطالعون أحوال المرضى باستمرار، وكانوا كذلك يتناوبون على طهي وتجهيز الأدوية والأطعمة للمرضى⁽¹⁾، ومن بين الأطباء البارزين الذين عملوا في البيمارستان العضدي كان أبو بكر عبد الله بن أبي الفرج علي بن نصر بن حمزة، المعروف بابن المارستانية، الذي وافته المنية عام 599 هـ / 1202 م⁽²⁾، وأبو الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى عام 435 هـ - 1043 م⁽³⁾.

وقام السّلاجقة بإنشاء بيمارستان التنشي في بغداد، وهو الذي بناه مملوك للملك تنش بن ألب أرسلان، الابن الأكبر للسلطان ملكشاه، وكان يُعرف هذا البيمارستان باسم "التنشي" نسبة إلى خادم تنش ابن ألب أرسلان ووصفه ياقوت الحموي بأنه "جاء على أحسن نظام عليه الوكلاء يجبون أمواله ويصرفونها في وجوهها"⁽⁴⁾.

كانت الطبقة الحاكمة بما فيهم الوزراء كذلك مهتمون بالطب والأطباء، ومن بينهم الوزير أحمد الملقب بعزيز الدين الأصفهاني، أحد أبناء صاحب كتاب "خريدة القصر"، حيث شيد بيمارستاناً في المعسكر السلطاني وجهزه بمختلف التجهيزات المادية والبشرية.

كما أنشأ الأمير باتكين بن أرسلان السلجوقي في عام 549 هـ - 1154 م بيمارستان باتكين في البصرة وقد أوقف عليه الأوقاف لفائدة الفقراء من أجل التكلف بعلاجهم وكان ينفق عليه من أمواله الخاصة، ومن الملاحظ أيضاً انتشار البيمارستانات المتنقلة في العصر السلجوقي، حيث كان السلطان يستصحب معه في معسكره بيمارستانات على أربعين جملاً⁽⁵⁾، ولقد كان الأطباء في إقليم خراسان يمارسون معالجتهم بمهارة مما جعل آثارهم الطبية واضحة ودليل على وجود بيمارستانات يتم فيها معالجة المرضى⁽⁶⁾، ومن بينها بيمارستان نظام الملك في بنيسابور الذي كان له الأثر الكبير في تقديم الرعاية الصحية للمرضى والاهتمام بهم⁽⁷⁾.

(1) - ابن جبير، المصدر السابق، ص 185؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 399.

(2) - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 215.

(3) - أحمد عيسى، المرجع السابق، ص 124.

(4) - الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 146.

(5) - حنيفة الخطيب، المرجع السابق، ص 202.

(6) - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج 2، ص 267.

(7) - السبكي، المصدر السابق، ج 4، ص 314.

من الواضح أن السلاجقة كانوا يولون اهتمامًا كبيرًا للبيمارستانات والرعاية الصحية عمومًا في فترتهم، فكانت هذه الرعاية تشمل مجموعة متنوعة من الجوانب، بدءًا من علاج الأمراض المعدية مثل الجذام إلى الرعاية العسكرية للجنود.

مصحات خاصة بالأمراض المعدية:

خاصة الجذام أو البرص وهذه الأمراض يمكن نقلها إلى الآخرين لذا فإن فصل المرضى عن المجتمع العام وتوفير الرعاية الطبية والخاصة والراحة لهم يعتبر إجراءً ضروريًا لمنع انتقال العدوى إلى الأشخاص السليمين⁽¹⁾، ولقد اهتم السلاطين السلاجقة بمؤلاء المرضى فبنوا بيمارستانات مخصصة لعلاجهم وكان من بينها بيمارستان السلطان ملكشاه في أصفهان سنة 484هـ - 1094م⁽²⁾، كانت هذه المرافق توفر الرعاية والعلاج للمجذومين.

مصحات خاصة بالمجانين:

كانت هناك مصحات مخصصة للمجانين أيضًا في العصر السلجوقي، فكانت أكثر الغرف عليها شبائبك من حديد، وكانت تقدم الرعاية والعلاج للمرضى النفسيين .

مصحات مخصصة لأصحاب الأمراض العقلية:

وكان الأطباء فيها يُعاملون المرضى بإنسانية ورقية⁽³⁾، ولقد فردت لهم البيمارستانات الكبرى بيوتًا خاصة بهم ويُذكر أن البيمارستان العضدي كان يحتوي على قسم كبير للمجانين، وكان المرضى يُعاملون بطريقة لطيفة، كما حرص الأطباء والمسؤولون فيه أن تتم معاملة المرضى بطريقة تتميز بالرحمة، وكان للمرضى مرافقين يتعاملون معهم برفق ولين، وكانوا يُصاحبونهم في الحداثق وبين الخضرة لتسليتهم نفوسهم⁽⁴⁾، يُعتبر هذا النهج مهمًا جدًا في علاج

(1) - عبد الوهاب مصطفى ضاهر، عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات في الإسلام)، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة في الإسلام، مج10، ص39.

(2) - الحموي، المصدر السابق، ج1، ص308.

(3) - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص301.

(4) - عبد الوهاب مصطفى ضاهر، عمارة المجمعات والمباني الطبية، المرجع السابق، ص39.

الأمراض العقلية، حيث يساهم في تحسين حالة المرضى ورفاهيتهم النفسية. هذا التصرف يُظهر الرعاية الشاملة والاهتمام بالجوانب الإنسانية لعلاج المرضى، مما يساعدهم على التعافي بشكل أفضل.

البيمارستانات المتنقلة:

خصصت الدولة السلجوقية مستشفيات متنقلة لتلبية احتياجات الجيش، نظراً لأهمية دور الجندي في الحروب والتحركات العسكرية، كانت هذه البيمارستانات مجهزة بكافة متطلبات الرعاية الصحية، بما في ذلك الإسعافات الأولية، والنقلات لنقل المرضى والجرحى، فضلاً عن المؤن والأدوية والخيول والبغال اللازمة لنقل الخيام والمستلزمات الطبية⁽¹⁾، كما كان يرافقها الأطباء والبيطريون والصيادلة لتحضير الأدوية وتقديم الرعاية الطبية⁽²⁾. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، إنشاء السلطان محمد بن ملكشاه بيمارستاناً عسكرياً متنقلاً محمولاً على أربعين حماراً، لخدمة الجنود في ميادين المعارك.

بيمارستانات السجون:

في العصر السلجوقي، شهدت بغداد إنشاء بيمارستانات خاصة داخل السجون⁽³⁾، وهو ما يعكس اهتمام السلاجقة بتوفير الرعاية الصحية حتى لأسرى السجون، هذا الاهتمام الفريد يعكس وعياً متقدماً بأهمية الصحة العامة، حيث لم تقتصر جهودهم الطبية على العامة والجنود فحسب، بل امتدت أيضاً إلى الفئات المهمشة ليؤكدوا بذلك التزامهم بتأمين الخدمات الصحية في مختلف مؤسسات الدولة.

بيمارستانات المدارس والكتاتيب:

كانت تمثل جزءاً مهماً من البنية التحتية للتعليم والرعاية الصحية في العصور الإسلامية، وكانت تقدم خدمات طبية متعددة للطلاب والمدرسين في المدارس والكتاتيب التي كانت تتواجد فيها بيمارستانات، ولقد كانت هناك رعاية صحية متكاملة في الإيوان التابع للمدرسة النظامية ببغداد⁽⁴⁾ مخصص للطب يشمل فحص المرضى من قبل

(1) - أحمد عيسى، المرجع السابق، ص 184.

(2) - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 304-305.

(3) - حنيفة الخطيب، المرجع السابق، ص 235.

(4) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 269.

طبيب خاص وصرف الأدوية للمريض من الصيدلية المتواجدة بالمدرسة وتقديم العلاج⁽¹⁾، هذا يوضح التزام المدارس بتقديم الرعاية الصحية لطلابها وللعمامة، بالإضافة إلى ذلك كان يقدم الإيوان خدماته للفقراء والمحتاجين في المنطقة المحيطة بالمدرسة من الطعام والإنارة ووسائل النظافة المخصصة لكل فرد مما يعكس دورها الاجتماعي والإنساني، ولقد بلغ عدد الطلاب الذين يتعالجون في هذا الإيوان حوالي خمسمائة طالب⁽²⁾.

أما بالنسبة لتصميم البيمارستانات في العصر السلجوقي كان يتميز بالتخطيط المدروس والمنظم لضمان توفير بيئة ملائمة للرعاية الصحية وراحة المرضى، حيث كانت تتكون من صحن مكشوف واسع محاط بأربعة إيوانات متقابلة أو متعامدة، ولقد جهزت بمقاعد يمكن للمرضى الجلوس عليها، كما كانت توجد غرف للنوم خاصة بالمرضى حيث كانت تقدم الخصوصية والراحة لهم، وتحتوي هذه الغرف على مدافئ لتدفئة الجو، خاصة في الأوقات التي تكون فيها درجات الحرارة منخفضة⁽³⁾، مما يشير إلى الاهتمام براحة وصحة المرضى في كل تفاصيل تصميم البيمارستانات.

هذا التخطيط المعماري للبيمارستانات يعكس الاهتمام الكبير بتوفير بيئة ملائمة ومريحة للمرضى، وكانت هذه البيئة تساهم في تعزيز عملية الشفاء وتحسين الراحة النفسية للمرضى خلال فترة إقامتهم في المستشفى.

(1) - المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص406 .

(2) - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص269.

(3) - أحمد عيسى، المرجع السابق، ص27.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي تسلط الضوء على الإسهامات الاقتصادية والاجتماعية للسلاجقة.

- شهدت الدولة السلجوقية توسعاً غير مسبوق، وفرضت نفوذها على كامل إقليم خراسان، منهيّة حكم الغزنويين، ومؤسسة لسلطة قوية امتدت إلى العراق، وتميّز عصرهم بالقوة والازدهار وأسهموا في استعادة وحدة العالم الإسلامي وتعزيز استقراره السياسي، ممّا جعلهم قوّة حاسمة في تحديد بنيانه وترسيخ نفوذه.

- استطاع السلاجقة بفضل قوّتهم العسكرية وإدارتهم الحكيمة إنقاذ الخلافة العباسية من التّفكك ومن قبضة البويهيين، ممّا أعاد للخليفة العباسي مكانته الدينية بينما تولوا هم زمام السّلطة الفعلية، وبتقدير الخليفة لهم واعترافه بشرعيتهم اكتسبوا نفوذاً واسعاً، مكّنهم من توسيع رقعة دولتهم وتعزيز سلطتهم في مختلف الأقاليم.

- وبفضل حكمة السلاجقة في الإدارة والتّحكم انعكس ذلك إيجابياً على الحياة الاقتصادية، لا سيما في مجال الزراعة، حيث دعموا أساليب التطوير من خلال شق الأنهار والترع وحفر الآبار، كما ابتكروا وسائل جديدة لتحسين الزراعة والعناية بالتربة، ممّا ساعد في زيادة إنتاج المحاصيل معتمدين على أدوات وتقنيات متطورة لتعزيز الإنتاج الزراعي.

- كان للسلاجقة إسهام بارز في الصّناعة، حيث شجّعوا الحرفيين وطوّروا مراكز الإنتاج، ممّا أدّى إلى ازدهار الصناعات المعدنية والنّسجية والخزفية، وأسهم دعمهم للتقنيات المتقدمة في تحسين جودة المنتجات، وقد انعكس هذا التطور بوضوح في التحف المعدنية، التي جمعت بين القوة والفخامة والدّقة الفنية، حيث برع الحرفيون في تشكيل أوانٍ برونزية متقنة وتحف ذهبية وفضية مزخرفة بأساليب التطعيم والتفريغ، ممّا منحها طابعاً فنياً مميزاً، وعكس مدى التقدم الحرفي والذوق الجمالي في عصرهم.

- كان لتنوع المحاصيل الزراعية وجودة المنتجات الصّناعية والحرفية كالمنسوجات والمعادن والخزف عند السلاجقة أثر كبير في تنشيط التجارة وازدهارها عن طريق زيادة الإنتاج والتّبادل التجاري، ممّا أدّى إلى ازدهار حركة الصّادات والواردات، حيث صدر السلاجقة المنتجات الزراعيّة والصّناعيّة إلى مختلف الأقاليم، واستوردوا المواد الخام والبضائع الفاخرة، ممّا عزز مكانتهم الاقتصادية في العالم الإسلامي.

- كان للسلاجقة إسهامات كبيرة في تأمين الطرق التجارية، حيث أنشئوا الخانات على طول المسارات التجارية لحماية القوافل وتوفير الاستراحة للتجار، كما فرضوا الأمن وقضوا على قطاع الطرق، مما أسهم في ازدهار التجارة، ومن أبرز الطرق التي نشطت في عهدهم طريق الحرير، الذي ربط شرق آسيا بالعالم الإسلامي، وطريق خراسان الذي مكّن التجار المسلمين من توسيع نفوذهم التجاري إلى أواسط آسيا، إضافة إلى طريق الحج، الذي عزز التبادل التجاري بين الحجاز والعراق.

- ازدهرت في عهد السلاجقة مراكز تجارية كبرى مثل نيسابور وبغداد، التي أصبحت محاور رئيسية للتجارة الإقليمية والدولية، وحرص السلاجقة على تنظيم الأسواق وتأمينها، مما جعلها مراكز حيوية لتبادل السلع واستقطاب التجار من مختلف الأقاليم، وأسهم هذا الاهتمام في تنشيط حركة الصادرات والواردات، وتعزيز ازدهار التجارة في دولتهم.

- أدت الأسواق والمراكز التجارية دورًا محوريًا في تعزيز الموارد المالية للدولة السلجوقية، حيث شكّلت الضرائب والمكوس المفروضة على الأنشطة التجارية، ورسوم الخانات والأسواق مصدرًا رئيسيًا للإيرادات، إضافة إلى الخراج والجزية وموارد الأوقاف التي أسهمت في تمويل المؤسسات الدينية والعلمية.

- أسهم ازدهار التجارة وتوسع شبكات التبادل التجاري في زيادة دخل الدولة، مما مكّنها من تغطية النفقات العامة، كإدارة شؤون الحكم، والإنفاق على الدواوين وعلى المنشآت العامة مثل المدارس النظامية والبيمارستانات والخانات، مما أسهم في تحسين الخدمات العامة ودعم الاستقرار الاجتماعي.

- لقد كان للسلاجقة دور فعال في ترسيخ نظام الإقطاع، حيث أرسوا دعائمه كأداة فعالة لإدارة الأراضي وضمان استقرار الحكم، لم يكن هذا النظام مجرد وسيلة لتوزيع الأراضي، بل كان استراتيجية سياسية وعسكرية عززت من قوة الدولة ومكّنتها من التحكم في الموارد والبنية الاجتماعية، أسهم الإقطاع السلجوقي في دعم الجيوش وتوفير الاستقرار الاقتصادي، مما انعكس إيجابًا على تطور المجتمعات التي حكمها السلاجقة، وبذلك لم يكن إقطاعهم مجرد تقليد إداري، بل كان ركيزة أساسية في بناء دولتهم القوية وتعزيز نفوذهم في العالم الإسلامي.

- أدرك السلاطين السلاجقة أهمية التقود فاهتموا بجودتها ومعاييرها وأصلحوا النظام التقدي ووحّدوا العملة، حيث قاموا بسكّ دنانير ذهبية بلغ وزن الدينار 4.50 غرام، متجاوزا الوزن الأصلي للدينار الإسلامي البالغ 4.25 غرام، مما عزز ثقة التجار والمجتمع بقوة عملتهم واستقرارها.

- كانت الدنانير الذهبية الأساس في المعاملات النقدية خلال العصر السلجوقي، حيث تفوّقت في استخدامها على الدراهم الفضية، وقد شاع تداول الدينار الركني والعوالي والمرسل، ممّا عزّز استقرار النظام المالي وسهّل التّبادل التجاري داخل الدولة وخارجها.
- أسهمت النقود السلجوقية في تنشيط الاقتصاد من خلال تسهيل التّبادل التجاري الداخلي والخارجي، بفضل قبولها الواسع في الأسواق، كما ساعدت في تنظيم دفع رواتب الموظفين المدنيين والعسكريين.
- حرص السلاجقة على ترسيخ نفوذهم السياسي وتعزيز شرعيتهم من خلال نقش أسماء سلاطينهم على النقود، ممّا جعلها رمزاً لسلطتهم وأداة لتعزيز سيادتهم، كما أنشأ السلاجقة دور الضّرب في مراكزهم الكبرى مثل بغداد، نيسابور و مرو لضمان سكّ عملة مستقرة تدعم التجارة الداخلية والخارجية، ولضمان جودة النّقد وكفاءة النظام المالي، أولوا عناية خاصّة لاختيار مسؤولي دور الضّرب، ممّا أسهم في استقرار الاقتصاد وزيادة ثقة التّجار والمجتمع بعملتهم.
- تميّز المجتمع السلجوقي بتنوع اجتماعي واسع، حيث تشكّل من عدّة طبقات ضمّت الحكام، النّخبة العسكرية العلماء والتّجار إلى جانب عامّة الشعب كما شمل فئات وأجناساً مختلفة نتيجة الامتداد الجغرافي للدولة.
- تميز المجتمع السلجوقي بالتعدد العرقي والديني إذ هيمن المذهب السّني على المجالين السياسي والديني، مع الحفاظ على قدر من التعايش مع المذاهب الأخرى، كالْمذهب الشيعي، كما استمرت الطوائف غير الإسلامية - من مسيحيين ويهود ومجوس - في ممارسة شعائرها بحرية، مما ساهم في تشكيل نسيج اجتماعي متنوّع، اتسم بالتوازن والانسجام رغم اختلاف الانتماءات الدينية والثقافية.
- انعكست السياسات السلجوقية على الحياة اليومية، حيث امتزجت التقاليد التركية بالعادات الإسلامية والفارسية، فظهر تأثير ذلك في أنماط العيش، وتنظيم القبائل ومظاهر الاحتفال.
- انعكست السياسات الاقتصادية والمالية للسلاجقة بوضوح على المستوى المعيشي للسكان، إذ تمتّعت الطبقة الخاصّة برغد العيش في مساكن فاخرة وملابس فخمة وأطعمة متنوعة، أمّا العامة من الفلاحين وصغار التّجار والعمّال فكانت معيشتهم أكثر تواضعاً سواء في دور السكن أو الملابس أو الأطعمة.
- ساهمت الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والفيضانات والزلازل في تفاقم الأوضاع، إذ أدّت إلى تراجع الإنتاج الزراعي وارتفاع الأسعار، ممّا أثقل كاهل الفقراء.

- كان للسلاجقة كغيرهم من المجتمعات عادات وتقاليد مميزة انعكست في احتفالاتهم الدينية والاجتماعية، حيث أحيا السلاجقة المناسبات الكبرى مثل الأعياد وشهر رمضان وحفلات الزواج بطقوس خاصة تعكس هويتهم الثقافية، وشملت هذه المظاهر الولائم والاحتفالات الرسمية وتبادل الهدايا مما عزز التماسك الاجتماعي وأضفى طابعاً مميزاً على حياتهم اليومية.

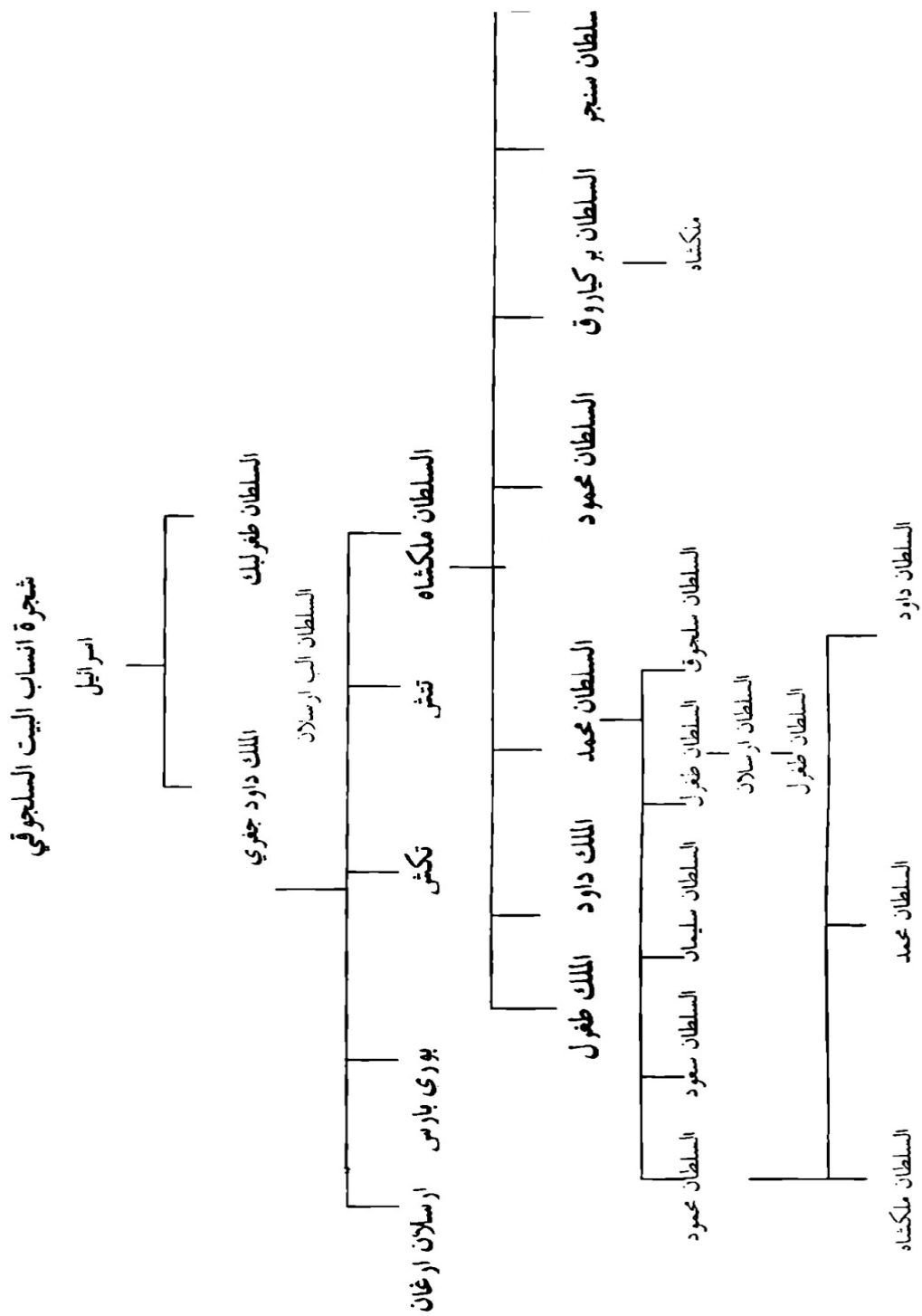
- اهتم السلاجقة بال عمران والمنشآت الاجتماعية، فأنشؤوا المدارس والمساجد والمكتبات والبيمارستانات، إدراكاً لأهميتها في نشر العلم، وتعزيز الحياة الدينية، وتوفير الرعاية الصحية، وأسهمت هذه المنشآت في ازدهار المجتمع، حيث أصبحت مراكز للمعرفة والتعليم، إضافةً إلى دورها في تحسين المستوى المعيشي للسكان.

وعلى الرغم من كل هذه الإنجازات، فإن التّفوذ السلجوقي لم يقتصر على الإصلاح والدعم، بل أسّس أيضاً لنمط جديد من الهيمنة السياسية، حيث بقيت السلطة الفعلية في يد السلاجقة، بينما اقتصر دور الخليفة العباسي على الجانب الرمزي والديني. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن التدخل السلجوقي كان في آنٍ واحد عنصر إنقاذ للخلافة العباسية من التراجع، وتمهيداً لقيام نمط جديد من السيطرة السياسية، مما يجعل هذه المرحلة مفصلية في تاريخ الدولة العباسية، جمعت بين الاستقرار وإعادة تشكيل بنية السلطة.

الملاحق

ملحق (1)

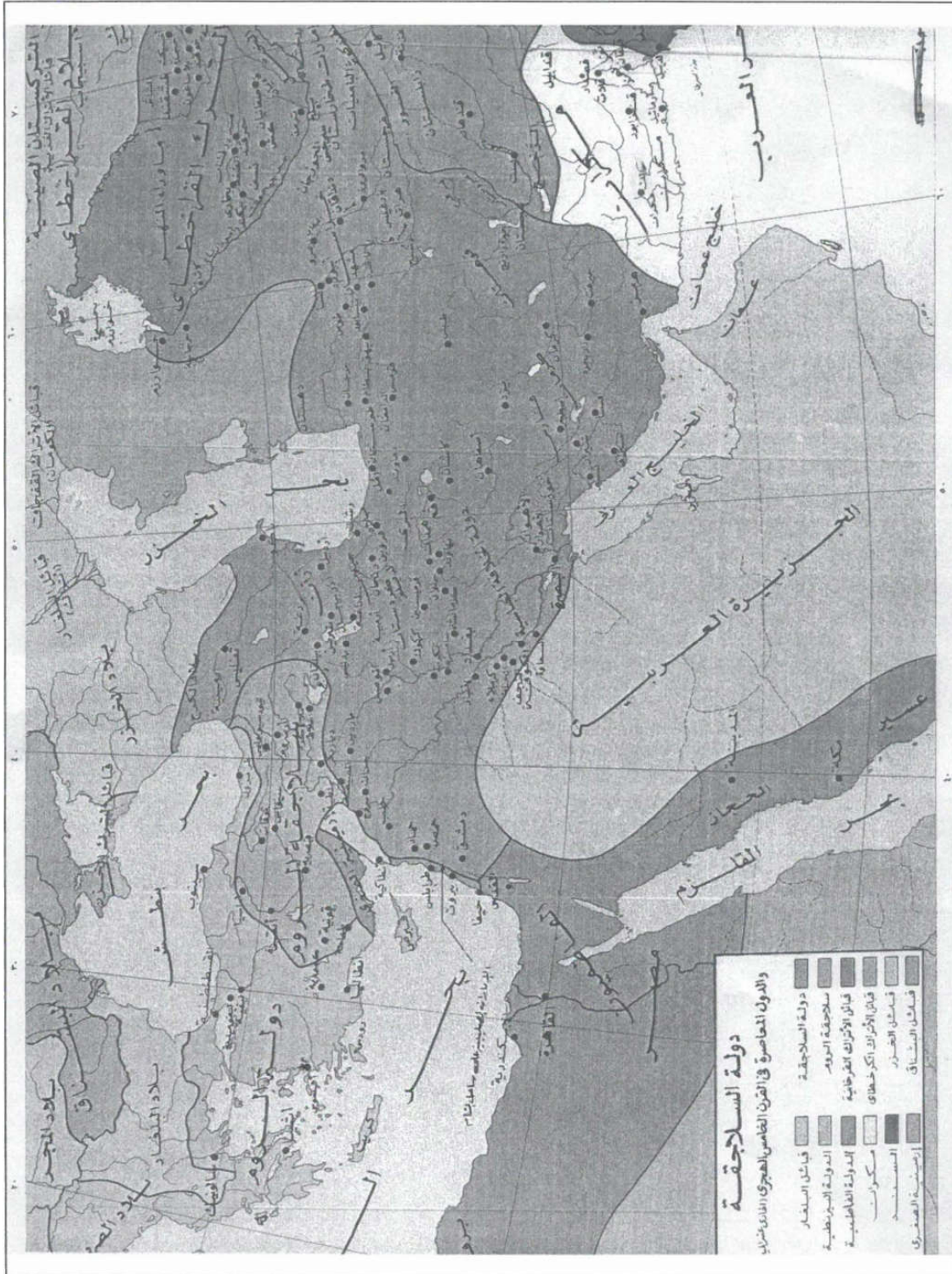
شجرة نسب البيت السلجوقي.



ناجي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 223.

ملحق (2)

خريطة دولة السلاجقة والدول المعاصرة في القرن الخامس الهجري.



عن: أطلس تاريخ الإسلام (د. حسين مؤنس).

حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987م، ص222.

ملحق (3)

أسماء الخلفاء العباسيين المعاصرين للسلاجقة

- 1- أبو جعفر عبد الله القائم بالله: 422هـ - 467هـ / 1031م - 1075م.
- 2- أبو العباس أحمد المقتدي بأمر الله: 467هـ - 487هـ / 1075م - 1094م.
- 3- أبو العباس أحمد المستظهر بالله: 487هـ - 512هـ / 1094م - 1118م.
- 4- أبو منصور فضل المسترشد بالله: 512هـ - 529هـ / 1118م - 1135م.
- 5- أبو جعفر منصور الراشد بالله: 529هـ - 530هـ / 1135م - 1136م.
- 6- أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله: 530هـ - 555هـ / 1136م - 1160م.

الوزنة يحيى بن حمزة، المرجع السابق، ص 235.

ملحق (4)

بعض النقود في العصر السلجوقي







أبو حشيش أحمد محمد دسوقي، المرجع السابق، ص 28-35.

ملحق (5)

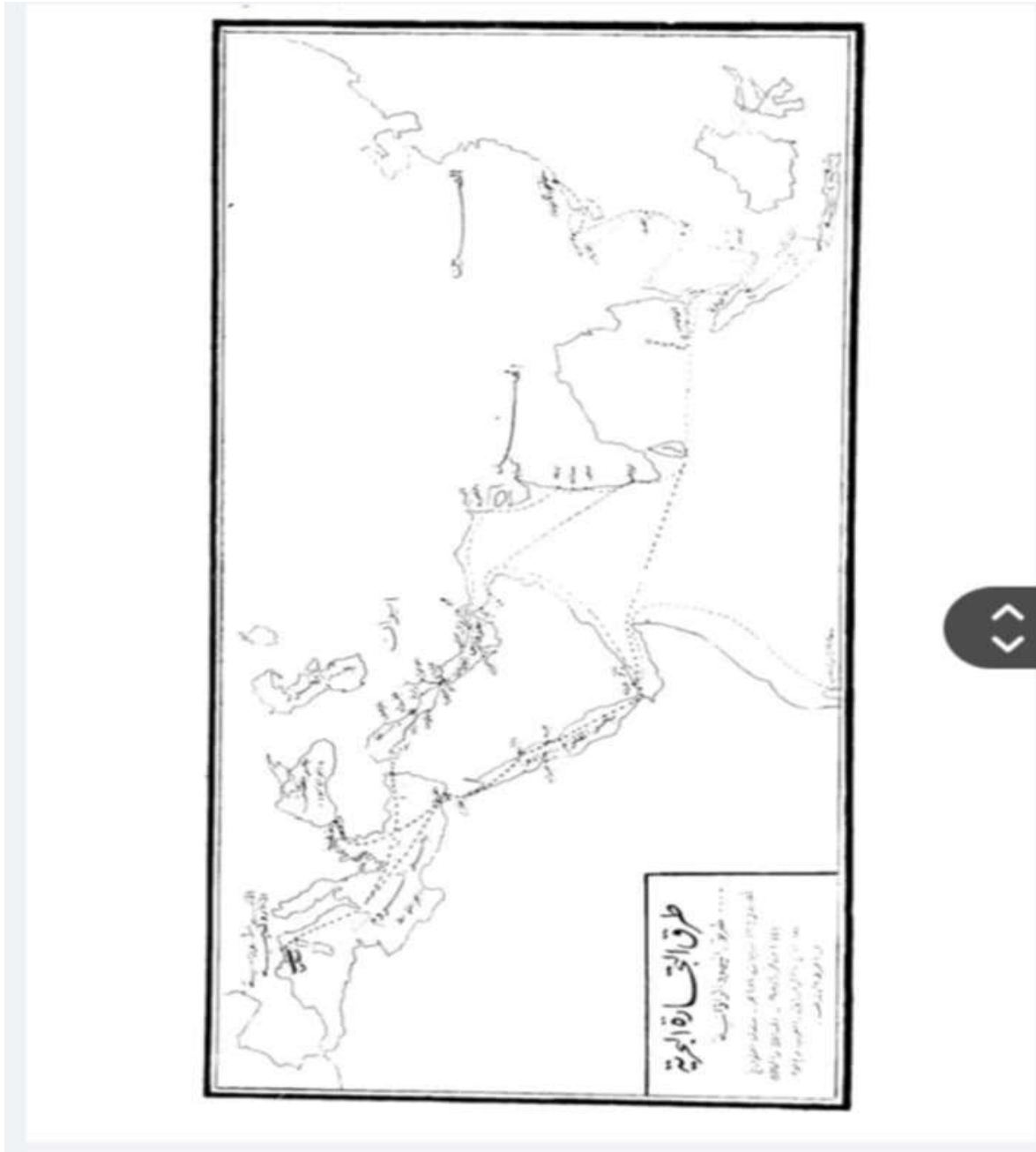
خريطة طرق التجارة البرية في العصر السلجوقي من أواسط آسيا حتى الصين والهند.



المسري حسين علي، المرجع السابق، ص 224.

ملحق (6)

خريطة الطريق البحري إلى الهند والصين الذي كان يسلكه التجار في العصر السلجوقي.



المسري حسين علي، المرجع نفسه، ص 217.

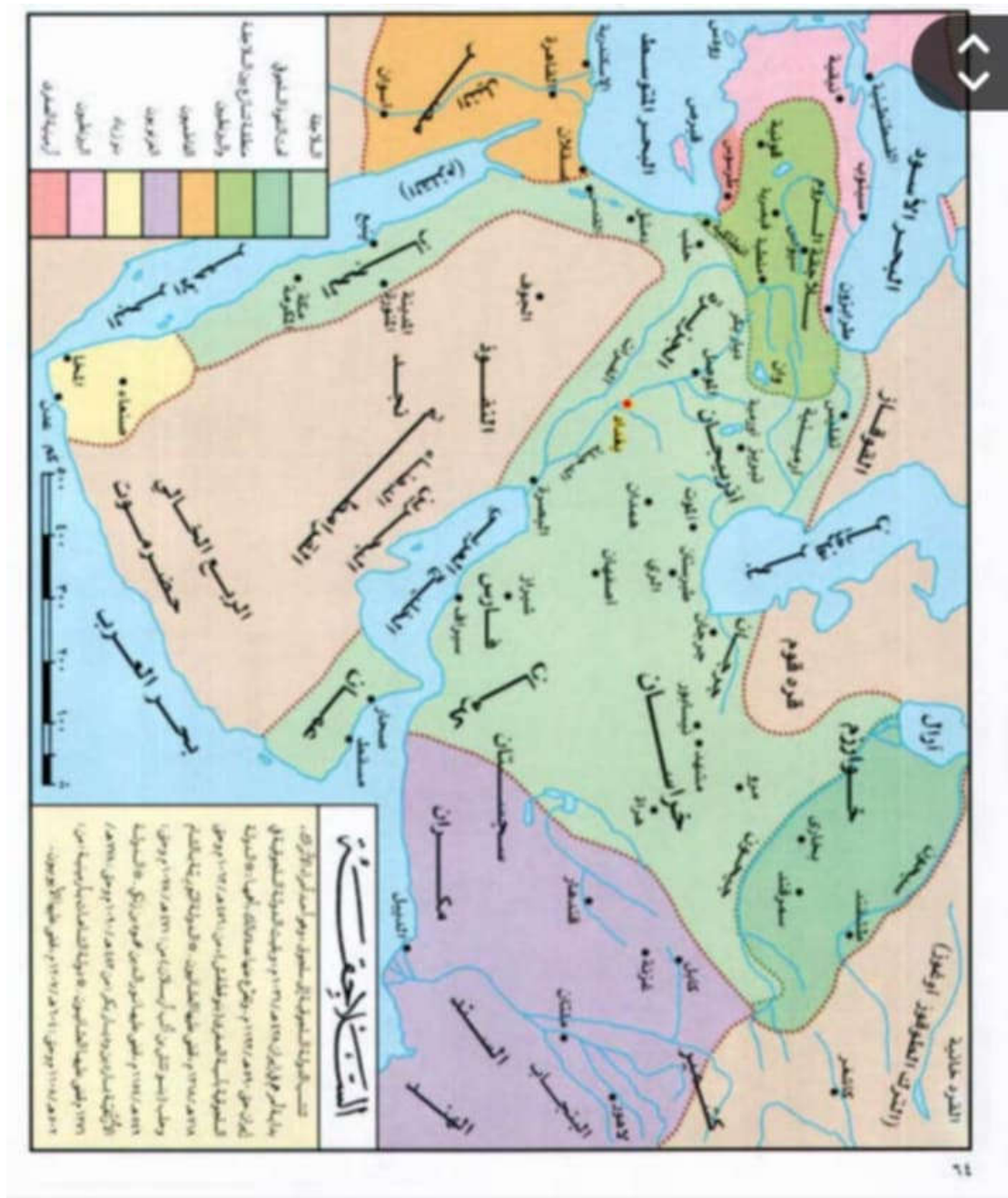
ملحق (7)

جدول توصیفی لصا د رات العراق و و ا ر ا د ا س ن

[illegible]

المسري حسين علي، المرجع نفسه، ص 194.

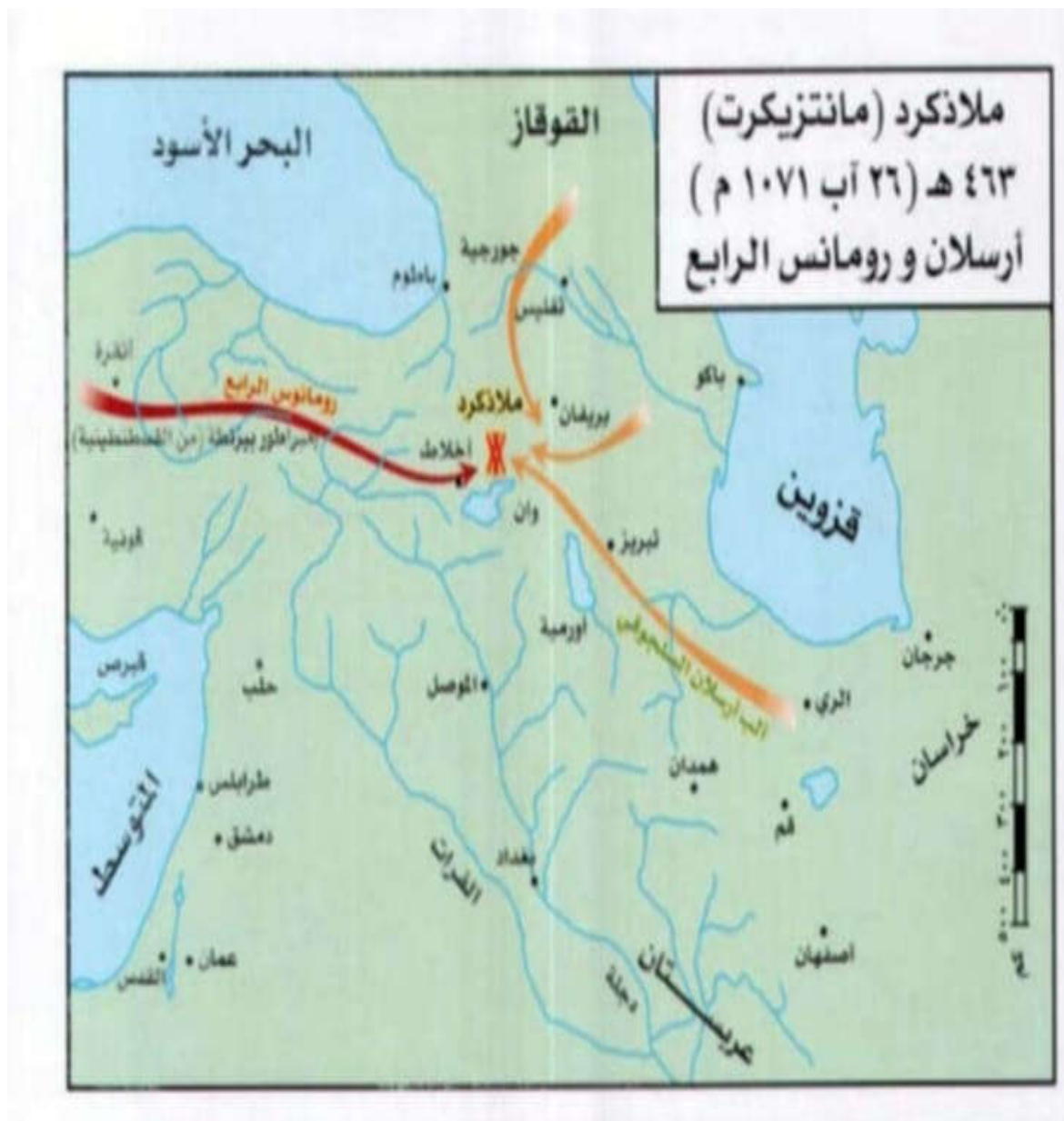
خريطة دولة السلاجقة



أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م، ص64.

ملحق (09)

خريطة توضح موقع معركة ملاذكرد وطرق سير الفريقين السلطان ألب أرسلان ورومانوس الرابع



أبو خليل شوقي، المرجع نفسه، ص 101

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

القرآن الكريم.

- 1) ابن الأثير علي بن أحمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1987م.
- 2) اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، مصر، (د.د.ن)، (د.ط)، 1257هـ.
- 3) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، اعتناء: خير الدين الزركلي، ج1، القاهرة، 1928م.
- 4) ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1976م.
- 5) الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 2002م.
- 6) الأزدي أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن الحسين، أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام مصطفى هزائمية محمد محافظة، ط1، دار الكندي، الأردن، 1999م.
- 7) الأزدي أبو المطهر محمد بن أحمد، حكاية أبي القاسم البغدادي، نشره آدم متر، مطبعة كرل ونتر، هيدلبرج، (د.ط)، 1902م.
- 8) الأصبهاني عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بمجت الأثري، ج4، مديرية الثقافة العامة، سلسلة كتب التراث، العراق، (د.ط)، 1973م.
- 9) الاضطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، ج1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 2004م.
- 10) الأصفهاني أبو الفرج، كتاب الأغاني، ج23، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1935م.
- 11) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).

- (12) الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله، غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1327هـ.
- (13) الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.
- (14) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر المسمى بصحيح البخاري، كتاب الجزية، الباب الأول، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، م2، البشرى للنشر، باكستان، (د.ط)، 2016م.
- (15) ابن بسام محمد بن أحمد بن بسام المختسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1968م.
- (16) ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه: خوسي ماريه ببيكروساد ومحمد عزيمت، معهد مولاي الحسن، تطوان، (د.ط)، 1955م.
- (17) ابن بطوطة أبو عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1381هـ / 1383هـ.
- (18) البغدادي صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، ج2، ط1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
- (19) البغدادي محمد بن الحسن بن محمد الكاتب، الطبخ ومعجم المأكول الدمشقية، تقديم: فخري البارودي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2018م.
- (20) أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مج7، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- (21) البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، الدرهم الأموي، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، 1403هـ.
- (22) البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.

- (23) البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1987م.
- (24) بنيامين بن يونه التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تقديم: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، ج1، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.
- (25) البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن).
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: برونزاد كائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2001م.
- (26) ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي العشاب، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج3، بغداد، (د.م.ن)، 1248م.
- (27) ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.
- (28) التنوخي أبو علي الحسن بن محمد، الفرج بعد الشدة، تح: محمد السيد، ج1، ج8، مطبعة القاهرة، (د.ط)، 1950م.
- (29) التنوخي القاضي أبو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، ج2، ط1، دار صادر، بيروت، 1971م.
- (30) الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: يحيى مراد، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
- لطائف المعارف، لندن، (د.د.ن)، (د.ط)، 1867م
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: أحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د.ط)، 2003م.

- (31) الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، التبصرة بالتجارة، تعليق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، القاهرة، (د.ط)، 1935م.
- المختار في الرد على النصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- البخلاء، تح: طه الحاجري، ج2، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1990م.
- البيان والتبيين، ج3، ط7، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- التاج، تح: أحمد زكي، طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1914م.
- (32) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (33) الجواهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، ج5، مطابع دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1956م.
- (34) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج15، دار الرشيد، بغداد، (د.ط)، 1992م.
- ذم الهوى، تح: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، (د.ط)، (د.ت.ن).
- صيد الخاطر، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- مناقب بغداد، تعليق: محمد بمجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، (د.ط)، 1342هـ.
- (35) الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.
- (36) الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح: بشار عواد معروف، ج5، ج11، ج12، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م.
- (37) الحافظ الذهبي، العبر في أخبار من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج2، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.
- (38) الحبشي أبو عبد الله محمد، البركة في فضل السعي والحركة، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، (د.ط)، 1308هـ.

- (39) ابن حجاج الاشبيلي أحمد بن محمد، المقنع في الفلاحة، تح: صلاح جرار وجاسر أبو صافية، تدقيق وإشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1982م.
- (40) الحسيني صدر الدين علي بن ناصر بن علي، أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، 1984م.
- (41) الحسيني، زبدة التواريخ "أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" تحقيق محمد نور الدين، الكويت، (د.ط)، 1985م.
- (42) الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- (43) ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1992م.
- (44) ابن خرداذبة أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، طبعة ليدن، (د.ط)، (د.م.ن)، 1309هـ.
- (45) ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن جابر المقرئ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5، دار الكتاب اللبناني، (د.م.ن)، (د.ط)، 1983م.
- ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004م.
- (46) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج3، ج5، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977م.
- (47) الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ط)، 1342هـ.
- (48) الدباغ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الأنصاري، معالم الإيمان معرفة أهل القيروان، تعليق: قاسم بن عيسى بن ناجي، ج4، تونس، 1322هـ.

- (49) الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي، الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، (د.م.ن)، (د.ط)، 1318هـ.
- (50) الدينوري أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، تعليق: مفيد محمد قميحة، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1986م.
- (51) الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، المختار في تاريخ ابن الجزري، المسمى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: خضير عباس، محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، 1988م.
- (52) سير أعلام النبلاء، ج13، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، ج14، ج30، ج29، ج32، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1988م.
- (53) الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء، منافع الأغذية ودفع مضارها، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1305هـ.
- (54) الراوندي محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تر: إبراهيم أمين الشواربي، عبد النعيم محمد حسنين، فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: إبراهيم أمين الشواربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2005م.
- (55) ابن رجب الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد، الاستخراج لأحكام الخراج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.
- (56) ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة، ج1، مطبعة بریا، ليدن، (د.ط)، 1892م.
- (57) الزبيدي محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، 1965م.
- (58) الزركشي محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، القاهرة، (د.د.ن)، 1996م.

- (59) الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (60) ابن السّاعي تاج الدّين أبو طالب علي بن أنجب، الجامع المختصر في عنوان التّواريخ وعيون السير، تح: مصطفى جواد، ج9، المطبعة السّريانية الكاثوليكية، بغداد، (د.ط)، 1934م.
- نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تح: مصطفى جواد، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (61) سبط ابن التعاويذي أبو الفتح محمد بين عبيد الله بن عبد الله، ديوان، تصحيح: د.س مرجليوث، مطبعة المقتطف، مصر، (د.ط)، 1903م.
- (62) سبط ابن الجوزي شمس الدّين أبي المظفر يوسف بن غز أوغلي بن عبد الله، مرآة الزّمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات وآخرون، ج18، ط1، دار الرّسالة العلمية، بيروت، 2013م.
- (63) السّبكي تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدّين، طبقات الشّافعية الكبرى، ج3، ج4، ط1، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت.ن).
- (64) السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تصحيح: عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، ج2، ط1، طبع وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمر الثقافية، 1963م.
- (65) ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، ج5، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (66) ابن سينا أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م.
- (67) السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ط2، مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، قطر، 2013م.
- لب اللباب في تحرير الأنساب، تح: محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.

- (68) الشابشتي أبو الحسن علي بن محمد، (ت388هـ)، الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ط)، 1951م.
- (69) الشافعي محمد بن إدريس، الأم، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- (70) ابن شداد عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: سامي الدهان، ج1، ط1، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1962م.
- (71) الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، ج2، ط2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1421م.
- (72) شيخ الربوة شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، اعتناء وتصحيح: أغسطس بن يحيى مهن، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية، بطربورج، (د.ط)، 1866م.
- (73) الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين عادي الدعاة ترجمة حياته بقلمه، تح: محمد كامل حسين، ط1، دار الكاتب المصري، القاهرة، 1949م.
- (74) الشيزري عبد الرحمان بن عبد الله بن نصر، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، (د.د.ن)، الأردن، (د.ط)، 1987م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1946م.
- (75) الصابئ أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار أحياء الكتب العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1958م.
- (76) الصابئ أبو الحسين هلال بن الحسن، رسوم دار الخلافة، تحقيق ونشر: ميخائيل عواد، بغداد، (د.ط)، 1964م.
- (77) الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، اعتناء: محمد الحجيري، ج13، ط2، دار النشر فرانزشتايز شتوتغارت، 1991م.
- (78) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، (تاريخ الطبري)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج9، ط2، دار المعارف، مصر، 1975م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، ج1، ج29، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م.
- (79) الطرطوشي أبو بكر، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، ج2، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م.
- (80) ابن الطقطقا محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ج1، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (81) ابن عبد ربه أبي عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج8، القاهرة، (د.ط)، 1940م.
- (82) ابن العبري أبي الفرج غريغوريوس بن أهارون الملطبي، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- تاريخ الزمان، تر: إسحاق أرملة، تقديم: جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، (د.ط)، 1986م.
- مخطوطة تاريخ الأزمنة، تح: شادية توفيق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م.
- (83) ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، ج4، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1996م.
- (84) العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران اللغوي، كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، ج1، مطبوعات الجمع العلمي، دمشق، (د.ط)، 1969م.
- (85) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، مطبعة دار الكتب العربية، مصر، (د.ط)، 1900م.
- (86) ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج2، ج3، ج4، ج5، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط1، 1988م.
- (87) ابن العمراني محمد بن علي بن محمد، الأنباء في تاريخ الخلفاء، اهتمام: تقي بينش، المكتبة الجامعية بريستون، (د.م.ن)، (د.ط)، 1984م.

- 88) العمري ابن فضل الله أحمد بن يحيى، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: سمير الدروبي، ط1، منشورات جامعة مؤتة، (د.م.ن)، 1992م.
- 89) العمري أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن فضل الله بن يحيى بن أحمد، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- 90) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1939م، ص16.
- 91) الغزولي علاء الدين علي بن عبد الله البهائي، من مطالع البدور في منازل السرور، ط1، مطبعة إدارة الوطن، 1300هـ.
- 92) الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975م.
- 93) الفارقي أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، تاريخه، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1974م.
- 94) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج1، ج2، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت).
- 95) أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1991م.
- 96) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 97) أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، تر: يحيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، 1982م.
- 98) ابن فضالان أحمد بن فضالان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضالان، تحقيق: سامي الدهان، ط2، نشر مكتبة الثقافة العالمية، بيروت، 1987م.

- 99) ابن الفقيه الهمداني أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، ج5، مطبعة بريل، ليدن، 1302م.
- 100) ابن الفوطي كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، ج4، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، 1416هـ.
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، (د.ط)، 1932م.
- 101) الفيروز أبادي مجد الدين يعقوب، القاموس المحيط، ج4، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 102) القاضي أبو بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم، تح: الشيخ محب الدين الخطيب، ط6، مكتبة السنة، القاهرة، 1412هـ.
- 103) ابن قدامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تح: طه محمد الزيني، ج8، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، (د.ط)، 1969م.
- 104) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1981م.
- 105) القرشي أبو الوفاء محي الدين أبي محمد، الجواهر المضئية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ج4، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1993م.
- 106) القرشي يحيى بن آدم، الخراج، ط1، دار الشروق، بيروت، 1987م.
- 107) القرطبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج1، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1985م.
- 108) القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 109) ابن القلانسي أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، تاريخ أبي يعلي المعروف بتاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2007م.

- 110) القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، مطبعة الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1915م.
- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت).
- 111) ابن القيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تح: صبحي الصالح، ج1، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983م.
- 112) الكازروني ظهير الدين، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تح: كوركيس عواد وميخائيل عواد، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، 1962م.
- 113) الكاشغري محمود بن الحسين بن محمد، ديوان لغات الترك، ج1، دار الخلافة العليا، مطبعة عامرة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1333هـ.
- 114) ابن كثير عماد الدين، طبقات الشافعية، تح: عبد الحفيظ منصور، بنغازي، ج1، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004م.
- 115) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- أدب الوزير، تحقيق: محمد سليمان داود، فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1976م.
- 116) مجهول، مفتاح الراحة من أهل الفلاحة، تحقيق: محمد صالحية، وإحسان العمدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1984م.
- 117) المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، محمد العلمي، ج1، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1984م.
- 118) المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ج2، ج4، ط2، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1990م.
- 119) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

- (120) المقرئزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج1، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- (121) ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج8، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (122) ابن مودود عبد الله بن محمود الموصللي، الاختيار لتعليل المختار، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج4، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م.
- (123) مؤلف مجهول، كتاب الحوادث وهو الكتاب المنسوب لابن الفوطي باسم الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تح: بشار عواد معروف، وعماد عبد السلام رؤوف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
- (124) ناصر خسرو، سفر نامه، تح: يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م.
- (125) ابن التّجار محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن، ذيل تاريخ بغداد، صححه: قيصر فرح، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (126) النرشخي أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، تر: أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1965م.
- (127) نظام الملك الحسن بن إسحاق بن العباس أبو علي الطوسي، سياسة نامه، ترجمة: محمود العزاوي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1975م.
- (128) النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ت: عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949م.
- (129) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ج1، ج26، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- (130) ابن الهبارية محمد بن محمد بن صالح العباسي، ديوان الصادح والباغم، تر: عزت العطار، مصر، (د.د.ن)، (د.ط)، القاهرة، 1936م.

- 131 ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، ج1، دمشق، (د.ط)، 1995م.
- 132 الوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، الموشى أو الظرف والظرفاء، تح: فهمي سعد، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1953م.
- 133 اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 134 ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدياء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ج1، ج3، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
- معجم البلدان، مج2، نشر دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1986م.
- 135 اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب، البلدان، ج1، مدينة ليدن الخروسة، مطبعة بريل، 1890م.
- 136 أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000م.
- 137 أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979م.
- المراجع:
- 138 إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، مكتبة المدرسة، ط1، دار الكتاب العلمي، بيروت، لبنان، 1989م.
- 139 إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1310هـ.
- 140 إبراهيم دسوقي الشهاوي، الحسبة في الإسلام، مجلة الأزهر، القاهرة، (د.ط)، 1962م.

- 141 إبراهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، تقديم: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عبد الهادي التازي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002م.
- 142 إبراهيم علي القلا، نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، (د.م.ن)، (د.ط)، 2007م
- 143 إبراهيم علي طرحان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1968م.
- 144 إبراهيم فؤاد أحمد، الموارد المالية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، (د.ط)، 1969م.
- 145 أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الاتحاد للنشر، (د.م.ن)، 1981م، ص166.
- 146 أحمد الشنتناوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مج9، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 147 أحمد راتب عرموش وآخرون، موسوعة الأديان (الميسرة)، دار النفائس، بيروت، (د.ط)، 2011م.
- 148 أحمد عبد القادر الشاذلي، مظاهر الاحتفال بعيد النيروز عند الفرس والعرب، المنوفية، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 149 أحمد عبد المنعم العدوي، الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.
- 150 أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، (د.ط)، 1981م.
- 151 أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.
- 152 أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 153 إدريس محمد محمود، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، ط1، القاهرة، (د.د.ن)، 1983م.

- 154) إدريس محمد، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ط)، 1985م.
- 155) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج2، بيروت، (د.ط)، (د.د.ن)، 1967م.
- 156) أدى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988م.
- 157) آرثر ستانلي ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1967م.
- 158) أرشاك بولاديان، الأكراد في حقبة الخلافة العباسية في القرنين 10-11م، تر: الكسندر كشيشيان، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2009م.
- 159) أرنست كونل، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة: أحمد موسى، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، 2020م.
- 160) إصلاح عبد الحميد ربحان، هراة من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث للهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2007م.
- 161) الأعظمي عواد مجيد وآخرون، حضارة العراق، ج5، بغداد، (د.م.ن)، 1975م.
- 162) الألوسي عادل محي الدين ، تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط)، 1984م.
- 163) أولكر أرغين صوى، تطور فن المعادن الإسلامي منذ البداية حتى نهاية العصر السلجوقي، ترجمة وتقديم: الصفصافي أحمد القطوري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.
- 164) إيرين فرانك، ديفيد براونستون، طريق الحرير، تر: أحمد محمود، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1977م.
- 165) بارتولد فاسيلي فلاديمير وفتش، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1981م.

- 166) بارتولد، تاريخ آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، إبراهيم صبري، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1958م.
- 167) بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950م.
- 168) بدري محمد فهد، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، حزيران، 1967.
- 169) البستاني بطرس، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1987م.
- 170) بشرى جعفر أحمد، قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1971م.
- 171) البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 172) بلسم محمد تركي علي، تطور السياسة المالية والنقدية في خراسان وبلاد ما وراء النهر: دراسة في التأريخ الإسلامي، ط1، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، 2022م.
- 173) بهجت منى محمد بدر، أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية في مكتبة زهراء الشرق، ج2، ط1، القاهرة، مصر، 2002م.
- 174) بيرري أندرسون، دولة الشرق الاستبدادية، تر: بديع عمر نظمي، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (د.ت.ن).
- 175) تامارا تالبوت رايس، السلاجقة تاريخهم وحضاراتهم، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداوقوي، مراجعة عبد الحميد العلوجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط)، 1968م.
- 176) توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، (د.ط)، 1972م.

- (177) جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، جامعة الدول العربية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1961م.
- (178) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (179) جرجي زيدان، تاريخ المدن الإسلامية، ج2، ج5، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2013م.
- (180) جعفر خصبك، العراق في عهد المغول الإيلخانية (636هـ-656هـ)، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1968م.
- (181) جعلوط عامر محمد نزار، فقه الموارد العامة لبيت المال، تقديم: سامر مظهر قنطقجي، مجموعة دار أبي الفداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا، (د.ط)، 2012م.
- (182) جلو خضر إلياس، اليهود في المشرق الإسلامي دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية، للحقبة (11هـ - 923هـ / 632م - 1517م)، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، (د.ط)، 2017م.
- (183) جميل بيضون، أحمد عودات، شحادة الناطور، تاريخ المشرق الإسلامي - من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري-، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، عمان، الأردن، 1989م.
- (184) الجميلي رشيد عبد الله، إمارة الموصل في العصر السلجوقي 489هـ - 521هـ، ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية، بغداد، 1980م.
- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، بغداد، دار الكتب العربية، (د.ط)، 1989م.
- (185) جورج مقدسي، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، تر: صالح أحمد العلي، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1984م.
- (186) الحارثي عبد الله بن ناصر بن سليمان، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، تح: سعيد سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، دار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2007م.

- 187) حافظ إبراهيم محمود، الثروة الحيوانية في العراق وسبل تطويرها، الموصل، (د.د.ن)، (د.ط)، 1979م.
- 188) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط14، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.
- 189) حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ج1، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م، ص112.
- 190) حسن باشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1989م.
- 191) حسن خليفة، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، ط1، المطبعة الحديثة، القاهرة، (د.ت.ن).
- 192) حسن علي حسن و عبد الرحمان سالم، العصر العباسي في العراق والمشرق 132هـ- 656هـ، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1996م.
- 193) حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي من قيام الدولة الصفارية إلى قيام الدولة الصفوية، مج2، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2008م.
- 194) الحسو أحمد بن عبد الله، الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري، بحث ضمن كتاب العراق في موكب الحضارة، ج2، دار الحرية، بغداد، (د.ط)، 1988م.
- 195) حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية في بغداد، مطبعة الإرشاد، (د.م.ن)، (د.ط)، 1965م.
- 196) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترک، دراسة تاريخية أدبية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2000م.
- 197) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.
- 198) الحسيني محمد باقر، تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1969م.

- 199) الحمداني ياسر هاشم، جوانب من الخدمات في مدن العراق القديم، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، 2014م.
- 200) حنيفة الخطيب، الطب عند العرب، الطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1988م.
- 201) حوراني جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، تر: السيد يعقوب بكر، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 202) خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، (د.ط)، 2009م.
- 203) الخالدي فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، ط1، دار الأديب، بغداد، 1969م.
- 204) الخضري بك محمد، كتاب الدولة العباسية، راجعه واعتنى به: نجوى عباس، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 2003م.
- 205) الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية العثمانية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- 206) الخطيب ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة دار البصري، بغداد، (د.ط)، 1968م.
- 207) ابن دحلان السيد أحمد بن زيني، تاريخ الدولة الإسلامية بالجدول المرضية، القاهرة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1888م.
- 208) الدرويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط2، دار المعارف، مصر، 1979م.
- 209) الدليمي محمد حسن سهيل، الإقطاع في الدولة العباسية 447هـ - 656هـ، ط1، مكتبة المهتدين، العراق، 2011م.
- 210) الدُميري كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، تهذيب وتصنيف: أسعد الفارس، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ط)، 1992م.

- (211) الدوري عبد العزيز، النظم الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2008م.
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001م.
- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، المطبعة الكاثوليكية، 1961م.
- (212) دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م.
- (213) ديمانند، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، تصدير: أحمد فكري، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن)،
- (214) ديورانت ول وايرل، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، ج13، بيروت، (د.د.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (215) الرحيم عبد الحسين مهدي، الخدمات العامة في بغداد، ط1، مطبعة بغداد، بغداد، 1987م.
- (216) ريسلر جاك. س، الحضارة العربية، تر: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1993م.
- (217) زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، نشر دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (218) زكريا أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1979م.
- (219) زكرياء كتابجي، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م.
- (220) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2017م.

- (221) الزهراني محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ - 590هـ، العهدان البويهى والسلجوقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1980م
- (222) الزهري أبي بكر، كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (223) أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)، 2012م.
- (224) السرجاني راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج2، ط4، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2010م.
- (225) سرور محمد، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ط1، دار الفكر، بيروت، 1966م.
- (226) السرياني ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تر: مارغريغوريس صليباً شمعون، ج3، ط1، دار ماردين، حلب، 1996م.
- (227) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1986م.
- (228) سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ناشر منشأة دار المعارف، الاسكندرية، (د.ط)، 1986م.
- (229) سعيد الديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، دار ابن الأثير، الموصل، العراق، 2013م.
- (230) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971م.
- المدينة الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوربية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م.
- (231) سعيد عبد الفتاح عاشور، وسعد زغلول عبد الرحيم، والعبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د.ط)، 1996م.
- (232) ابن سلام الإمام أبي عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1989م.
- (233) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية: رياض رأفت، مطبعة لجن التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1938م.

- (234) سيد محمد عاشور، صناعة الأقمشة وتجارتها، ج3، القاهرة، (د.د.ن)، 1991م.
- (235) ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: د. مراد كامل، ج6، ط1، مصر، (د.د.ن)، 1972م.
- (236) السيرافي أبو زيد الحسن سليمان التاجر، سلسلة التواريخ، المطبعة السلطانية، باريس، (د.ط)، 1811م.
- (237) شلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية 3، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م.
- (238) شمس الدين عبد الأمير، المذهب التبروي عند ابن جماعة، دار اقرأ، بيروت، (د.ط)، 1986م.
- (239) الصافي عبد العليم، الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خراسان في العصر السلجوقي، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، علي أحمد السيد، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 2003م.
- (240) صالح أحمد العلي، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دار الكتب والوثائق، بغداد، (د.ط)، 1990م.
- (241) صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، ط1، مؤسسة المعاهد الفنية، بغداد، 1980م.
- (242) صفى الدين عبد الله بن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- مختصر لمعجم البلدان لياقوت-، تح: علي محمد البجاوي، مج2، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- (243) الصولي أبو بكر محمد بن يحيى، تاريخ الدولة العباسية من كتاب الأوراق، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
- (244) طاهر راغب حسين، النقود الإسلامية الأولى، المطبعة التجارية الحديثة، بيروت، (د.ط)، 1984م.
- (245) طيبة صالح الشدر، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء، القاهرة، (د.ط)، 1998م.

- (246) عباس إقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، تر: أحمد كمال الدين حلمي، مطبوعات الجامعة، الكويت، (د.ط)، 1984م.
- (247) عباس الغزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، شركة التجارة والطباعة، الصالحية، بغداد، (د.ط)، 1957م.
- (248) عبد الرحمان زكي، الحلي في التاريخ والفن، دار القلم، القاهرة، (د.ط)، 1965م.
- (249) عبد الله عطية عبد الحافظ، الآثار والفنون الإسلامية، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 2005م.
- (250) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996م.
- (251) عبد المولى محمد أحمد، العيارون والشطار البغدادية في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1986م.
- (252) عبد النعيم حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
- (253) عبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ط)، 1975م.
- (254) عبد الهادي محمد رضا محبوب، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي 408-485هـ كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.
- (255) عبد الوهاب مصطفى ضاهر، عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات في الإسلام)، مج10، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة في الإسلام، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (256) العبيدي صلاح حسن، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط)، 1980م.
- (257) عثمان محمد عبد الستار، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1988م.
- (258) عزيز سباهي، أصول الصابئة المندائية، ط4، دار المدى للثقافة والنشر، (د.م.ن)، 2008م.

- (259) العسكري سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، كلية دار العلوم، (د.م.ن)، (د.ط)، 1971م.
- (260) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، القاهرة، (د.ط)، (د.د.ن)، 1975م.
- تاريخ الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1999م.
- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ط2، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة، 1986م.
- الحواضر الإسلامية الكبرى، ط1، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، 1976م.
- (261) علي إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العام، القاهرة، (د.د.ن)، (د.ط)، 1953م.
- (262) علي سعيد إسماعيل، النبات والفلاحة والري عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، 1983م.
- (263) عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1980م.
- (264) العمادي محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، (د.ط)، 1997م.
- (265) عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993م.
- (266) عمر الخيام، نوروز نامه، تر: رمضان رمضان متولي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م.
- (267) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام بن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1972م.
- (268) أبي عمر موسى بن عبيد الله الإسرائيلي، شرح أسماء العقار، تح: ماكس فايرووف، مكتبة المثني، بغداد، (د.ط)، 1940م.

- (269) عناية غازي، المالية العامة والنظام المالي الإسلامي، دراسة مقارنة، ط1، دار الجيل، لبنان، 1990م.
- (270) غنيمية يوسف رزق الله، تجارة العراق قديماً وحديثاً، ط1، مطبعة العراق، بغداد، 1922م.
- (271) فتحي عبد الفتاح أبو سيف، المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (272) فراج عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (273) فهمي سعد، العامة في بغداد، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.
- (274) فؤاد عبد الله العمر، مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره، ط1، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2003م.
- (275) فيصل سيد، الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نيسابور، إشراف عصام الدين الفقي، السباعي محمد السباعي، القاهرة، (د.ط)، 2000م.
- (276) فيليب حتي، تاريخ العرب، ج2، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1950م.
- (277) الفيومي، قاموس المصباح المنير، ج1، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (278) قازان وليم، المسكوكات الإسلامية: مجموعة خاصة، بنك بيروت، بيروت، (د.ط)، 1983م.
- (279) قالترهنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، (د.م.ن)، (د.ط).
- (280) قحطان عبد الستار الحديثي، أرباع خراسان الشهيرة، دار الحكمة للطباعة والنشر، البصرة، (د.ط)، 1990م.

- 281 القدحات محمد عبد الله أحمد، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، دار البشير، عمان الأردن، (د.ط)، 2005م.
- 282 القزاز محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، 512-656هـ، مطبعة القضاء، النجف، (د.ط)، 1971م.
- 283 قيسي ناهض عبد الرزاق، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديماً وحديثاً، بيت الحكمة، بغداد، (د.ط)، 2011م.
- 284 كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقلها للعربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
- 285 كارلا آل كلاوسنر، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، الوزارة أنموذجاً (447هـ-590هـ/1055م-1194م، تر: عبد الجبار وناجي، ط1، مركز دراسات الشرق الأوسط، بغداد، 2001م.
- 286 الكرمللي أنستاس ماري، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، (د.ط)، 1939م.
- 287 الكروي إبراهيم سلمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م.
- 288 ابن الكريم البغدادي محمد بن الحسن بن محمد، كتاب الطبيخ، مطبعة أم الربيعين، الموصل، (د.ط)، 1934م.
- 289 الكعبي عبد الحليم، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2009م.
- 290 كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين قاسم، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1972م.
- 291 كوردن هستد، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، تعريب: جاسم محمد الخلف، المطبعة الحيدرية، بغداد، (د.ط)، 1948م.

- (292) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- خزائن الكتب القديمة في العراق، ط2، دار الرائد، بيروت، 1986م.
- (293) لسترنج كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
- (294) لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2012م.
- (295) الليدي دراوور، الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، (د.ط)، 1969م.
- (296) ماري بن سليمان، أخبار بطارقة كرسي المشرق من كتاب المجلد، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1899م.
- (297) مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مج2، ط3، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، (د.م.ن)، (د.ت.ن).
- (298) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.
- (299) محسن عقيل، موسوعة الأحجار الكريمة المصورة التختم - النقوش - الخواص، ط1، مكتبة الفقيه، دار المحجة البيضاء، (د.م.ن)، 2007م.
- (300) محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999م.
- (301) محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية -، مطبعة الاستقامة، (د.م.ن)، ط4، 1934م.
- (302) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- (303) محمد حلمي محمد أحمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، القاهرة، (د.ط)، 1959م.

- 304) محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق 429هـ - 590هـ / 1038م - 1194م، دار النفائس، (د.م.ن)، ط2، 2016م.
- 305) محمد مبروك نافع، آثار تاريخ العرب، ط2، دار العالم العربي، القاهرة، 1949م.
- 306) محمود حسن، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1972م.
- 307) محمود شاكر، أفغانستان، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- التاريخ الإسلامي -6- الدولة العباسية، ج2، ط6، المكتب الإسلامي، (د.م.ن)، 2000م.
- 308) مريزن سعيد عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د.ط)، 1987م.
- 309) المسري حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، كلية الآداب، (د.م.ن)، (د.ط)، 1982م.
- 310) مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، ج1، مطبعة دار النشر، دار الدعوة، (د.م.ن)، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 311) مصطفى جواد وأحمد سوسه، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م.
- 312) المعاضيدي عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية، ط1، الدار العربية للموسوعات، (د.م.ن)، 2006م.
- 313) ابن المناوي عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
- 314) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، تر: سامي الصقار، نشر دار المريخ، الرياض، السعودية، (د.ط)، 1981م.

- 315) المهداوي علي هادي عباس، آراء الرحالة الأجانب في مدينة الحلة خلال العهد العثماني، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، (د.ط)، 2009م.
- 316) الموسوي مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ج2، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط)، 1982م.
- 317) ناجي عبد الجبار، الإمارة المزدية دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (387هـ - 558هـ)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، (د.ط)، 1970م.
- 318) ناجي عبد الجبار، الدولة العربية في العصر العباسي، البصرة، دار الكتب والوثائق، (د.ط)، 1989م.
- 319) ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1960م.
- 320) النجار محمد رجب، الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م.
- 321) نخلة جميل المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ط2، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1905م.
- 322) أبو النصر محمد عبد العظيم يوسف، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ترعة المريوطية، شارع الهرم، 2001م.
- 323) أبو النصر محمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.م.ن)، 2002م.
- 324) أبو النصر محمد عبد العظيم، الدولة العباسية نظمها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، مطبعة الزقازيق، مصر، (د.ط)، 1997م.
- 325) أبو النصر محمد عبد العظيم، تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.
- 326) نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط4، دار المعارف، (د.م.ن)، 2003م.

- 327) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1973م.
- 328) الهاشمي رضا جواد، وآخرون، حضارة العراق، ج2، بغداد، (د.د.ن)، (د.ط)، 1985م.
- 329) الهاشمي طه، جغرافية العراق، ط2، مطبعة المعارف، بغداد، 1936م.
- 330) ابن الوردي زيد الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ج2، ط2، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م.
- 331) الوزنة يحيى بن حمزة، مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م.
- 332) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة عصر الإيمان، تر: محمد بدران، ج13، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت.ن).
- 333) الياهو شتراوس آشور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، (د.م.ن)، (د.ط)، 1985م.
- 334) يحيى أحمد الكعكي، معالم النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1992م.
- 335) اليزدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتح: عبد النعيم محمد حسنين، حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، (د.ط)، 1979م.
- 336) يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924م.
- الرسائل الجامعية:
- 337) أديل سليمان محمود وهبي، مدينة الري في العصر السلجوقي 434هـ - 590هـ / 1042م - 1193م، رسالة مستكملة لنيل رجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004م.

- (338) الشبراوي عمر عثمان، عامة بغداد من ظهور السلاجقة حتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراه آداب، عين شمس، 1991م.
- (339) قرّي ذهبية عاشور أبو بكر، إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي في الفترة 429هـ - 558هـ / 1037م - 1162م، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، 2008م.
- (340) قريجة نايف بن حمود محمد، النظم الحربية عند السلاجقة، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1419هـ.
- (341) مدخلي محمد ربيع، المشرق الإسلامي في عهد السلاطين السلاجقة الأوائل، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ، ص 474.
- (342) مواهب عبد الفتاح صبري، التطور الاقتصادي والاجتماعي في العراق خلال القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه آداب، القاهرة، 1989م.
- المقالات والدوريات:**
- (343) أحمد توني رستم توني، 2014م "نقود مدينة السلام ودورها في الصراع السلجوقي العباسي بعد وفاة ملكشاه" كلية الآثار، جامعة الفيوم، مصر.
- (344) بشار عبد الجبار شبيب، 2008م "النقود في الفترة 447هـ - 656هـ / 1055م - 1258م" مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج 6، ع 3، إنساني.
- (345) الجبوري إسماعيل محمد علي الجاموس، 2020م "حركة العيارين والشطار في العصر السلجوقي (447هـ - 590هـ / 1055م - 1193م)" مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 15، ع 2.
- (346) حاتم فهد هنو الطائي، 2020م "المكوس والمصادر في العصر السلجوقي 447هـ - 590هـ / 1055م - 1192م" مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ج 4، ع 41.
- (347) حتاملة عبد الكريم، 1998م "دجلة والفرات في العصرين البويهّي والسلجوقي" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 14، عدد 2.

- (348) أبو حشيش أحمد محمد دسوقي، 2019م "نقود طغان شاه حاكم السلاجقة في وسط خراسان (564هـ - 475هـ / 1072م - 1082م)" مجلة مركز المسكوكات الإسلامية، مصر، ع2.
- (349) د. طه ندا، 1963م "الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي" مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج17.
- (350) الدوري عبد العزيز، 1959م "نشوء الأصناف والحرف في الإسلام" مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع1.
- 1970م "نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية" مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج20.
- (351) رويدا رأفت محمد محمد النبراوي، 2022م "دينار سلجوقي فريد ضرب ديراور سنة 447هـ / 1055م باسم السلطان طغرل بك" مجلة مركز الدراسات البردية، كلية الآثار، جامعة عين شمس، مصر، مج39.
- (352) السرجان علي كامل حمزة كاظم، 2011م "خانات الحلة في العهد العثماني - دراسة تاريخية -" مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، بابل.
- (353) صفى علي محمد عبد الله "النشاط التجاري في إقليم خراسان خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين" مجلة كلية الآداب، كلية البنات، جامعة عين شمس.
- (354) عبد الجبار حامد أحمد وزينب سالم صالح، 2012م "صناعة العطور في العصر العباسي" مجلة التربية والعلوم، جامعة الموصل، مج19، ع3.
- (355) عبد السلام الترمائني، 1979م "الرق ماضيه وحاضره" سلسلة عالم المعرفة، ع23.
- (356) عبد الله عطية عبد الحافظ، 1999م "الزخارف الخزفية بمدرسة صرحالي في قونية" مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ج1، ع24.
- (357) عبد الهادي محبوب، 1382م "الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية" مجلة الأستاذ، مج11.

- 358) العقيلي محمد أرشد، 1994م "العيارين والشطار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون" مجلة دراسات تاريخية، بغداد، ع49.
- 359) علاوي عمار مرضي "فئة التجار في العصر العباسي المتأخر 447هـ - 656هـ" كلية الآداب، قسم التاريخ، مجلة الجامعة العراقية، ج1، ع88.
- 360) فاروق محمد علي "طرز تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط المساجد العراقية" مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع103.
- 361) كربي خالد، 1194م "الحركة العلمية في بغداد خلال العهد السلجوقي وعوامل ازدهارها 447هـ - 590هـ / 1055م" مجلة المداد، الجزائر.
- 362) مازن صباح عبد الأمير الأعرجي، 2013م "الإقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق في العصر السلجوقي (447هـ - 590هـ / 1055م - 1169م) العراق وأوضاعه الاقتصادية، الإقطاع السلجوقي" آداب المستنصرية، جامعة المستنصرية، كلية التربية، العراق.
- 363) ماهر سعاد، 1975م "أثر الماوردي في الفن السلجوقي" مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع10.
- 364) محمد حسين، 2007م "الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط" الندوة الدولية الثالثة المنظمة بالمكتبة الوطنية، تونس، (د.ط).
- 365) محمد عبد العزيز مرزوق، 1969م "الطنافس اليدوية في العصر العباسي" مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، مج18.
- 366) محمد فارس الجميل، 1994م "اللباس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم" حوليات آداب الكويت، الحولية 14.
- 367) مصطفى جواد، 1953م "المدرسة النظامية ببغداد" مقال منشور بمجلة سومر ببغداد، ج2، مج9.
- 368) مليحة رحمة الله "الملابس في العراق خلال العصور العباسية" مج13، المجلة التاريخية المصرية، 1967م.

- 369) وليد قنباز "النواعير تراث يروي قصة الإنسان والأرض" مجلة فداء، صناعة النواعير تراث وحاضر، ع 14067، 2010م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات		
الصفحة	المحتوى	
	شكر وتقدير	
	إهداء	
	الملخص	
	قائمة المختصرات	
2	مقدمة	
الفصل الأول: أصل السلاجقة وقيام دولتهم		
10	المبحث الأول: أصل السلاجقة.	
17	المبحث الثاني: قيام الدولة السلجوقية.	
27	المبحث الثالث: دخول السلاجقة للعراق واعتراف الخليفة العباسي بهم.	
الفصل الثاني: السياسة الاقتصادية للسلاجقة		
37	المبحث الأول: الزراعة في العصر السلجوقي.	
37	1- نظم الري.	
42	2- الأدوات الزراعية.	
43	3- نظام السقي.	
45	3. 1. مياه الأنهار.	
49	3. 2. مياه الأمطار.	
50	3. 3. مياه الآبار.	
50	3. 4. الينابيع والعيون.	
51	3. 5. السدود.	
52	4- المحاصيل الزراعية.	
52	4. 1. التمر.	
53	4. 2. الخضروات.	
55	4. 2. الفواكه.	
59	4. 4. القطن.	
61	4. 5. القمح.	

63		4. 6. الأرز.
64		5- الثروة الحيوانية.
65		5. 1. الإبل.
66		5. 2. الخيل.
67		5. 3. البغال.
68		5. 4. الغنم.
69		5. 5. البقر.
70		5. 6. الجاموس.
70		5. 7. الماعز.
70		5. 8. الطيور.
71		5. 9. دودة القز.
71		5. 10. السمك.
72		5. 11. النحل.
73		المبحث الثاني: الصناعة في العصر السلجوقي.
73		1- الأسلحة.
75		2- الخشب.
77		3- الصباغة.
80		4- العطور.
83		5- النسيج.
89		6- الحرير.
90		7- الفرش والستائر.
94		8- الورق.
96		9- الجلود .
100		10- الزجاج.
104		11- التحف المعدنية.
110		12- الجواهر والمعادن الثمينة.
114		المبحث الثالث: التجارة في العصر السلجوقي.

114		1- أهم الطرق التجارية في الدولة السلجوقية .
115		1.1. الطرق البرية.
122		1.2. الطرق النهرية والبحرية.
128		1.3. إسهامات السلاجقة في تأمين الطرق التجارية.
130		2- المراكز التجارية في الدولة السلجوقية.
130		2.1. مراكز التجارة في العراق.
133		2.2. مراكز التجارة في خراسان.
134		3- الخانات في العصر السلجوقي.
134		3.1. تعريف الخان.
135		3.2. تشييد الخانات.
139		3.3. من أشهر الخانات في العصر السلجوقي.
140		4- الأسواق في العصر السلجوقي.
142		4.1. الأسواق في العراق.
149		4.2. الأسواق في خراسان.
153		4.3. الأمن في الأسواق.
153		4.4. نظام الحسبة في العصر السلجوقي.
156		5- الصادرات والواردات في العصر السلجوقي.
156		5.1. الصادرات.
166		5.2. الواردات.
الفصل الثالث: السياسة المالية للدولة السلجوقية		
178		المبحث الأول: الموارد في الدولة السلجوقية.
179		1- الخراج.
180		1.1. تعريف الخراج.
181		1.2. جباية الخراج.
182		1.3. موعد جباية الخراج.
182		1.4. ضمان الخراج.
183		2- الجزية.

183		2. 1. تعريف الجزية.
185		2. 2. تحديدها.
186		2. 3. موعدها.
186		3- العشور وضريبة عروض التجارة.
187		4- الغنائم.
189		5- المكوس.
189		5. 1. تعريف المكوس.
190		5. 2. الهدف من المكوس.
191		5. 3. جبايتها.
192		5. 4. قيمتها.
194		5. 5. المكاس.
195		6- المصادرات.
197		المبحث الثاني: النفقات في الدولة السلجوقية.
198		1- رواتب الموظفين.
198		2- الهدايا.
199		3- الإنفاق على المرافق العامة.
200		4- نفقات الأوقاف.
200		5- الإنفاق على العلم والمدارس.
201		6- الإنفاق على الجيش والجنود: (الإقطاع العسكري).
201		6. 1. تعريف الإقطاع.
202		6. 2. اعتماد السلاجقة على النظام الإقطاعي.
204		6. 3. أهداف الإقطاع العسكري.
207		6. 4. قواعد حياة الإقطاع السلجوقي.
208		6. 5. خصائص الإقطاع السلجوقي.
209		6. 6. التوزيع الإقطاعي في العراق.
211		6. 7. التوزيع الإقطاعي في خراسان.
211		6. 8. نتائج الإقطاع في الدولة السلجوقية.

213		7- نفقات خاصة.
213		8- الدواوين.
213		8. 1. ديوان بيت المال.
214		8. 2. الديوان السلطاني.
214		8. 3. ديوان النفقات.
214		8. 4. ديوان الأوقاف.
214		8. 5. ديوان المصادرات.
216		المبحث الثالث: النقود في العصر السلجوقي.
216		1- اعتماد السلاجقة على النقدين.
217		2- سك السلاجقة للنقود.
219		3- أسماء النقود في العصر السلجوقي.
220		4- ألقاب السلاطين السلاجقة على النقود.
227		5- مراحل تطور الدينار السلجوقي ودور الضرب.
227		5. 1. مرحلة الازدهار النقدي.
228		5. 2. دور الضرب.
231		5. 3. مرحلة التدهور النقدي.
232		6- قيمة الدينار السلجوقي والدرهم.
233		7- الصكوك في العصر السلجوقي.
234		8- السفاتج في العصر السلجوقي.
الفصل الرابع: أثر السلاجقة في الحياة الاجتماعية.		
237		المبحث الأول: تركيبة المجتمع السلجوقي.
237		1- الأجناس.
237		1. 1. الأتراك.
239		1. 2. الفرس.
240		1. 3. العرب.
241		1. 4. الديلم.
242		1. 5. الأكراد.

242		1. 6. الأتابكة.
242		2- الطبقات.
243		2. 1. طبقة الخاصة.
243		2. 1. 1. السلاطين.
244		2. 1. 2. الأمراء.
245		2. 1. 3. الوزراء.
251		2. 2. طبقة العامة.
254		2. 2. 1. طبقة التجار.
255		2. 2. 2. طبقة الحرفيين والصناع.
257		2. 2. 3. طبقة العيارين والشطار.
260		2. 2. 4. طبقة طبقة الرقيق.
263		3- الطوائف الدينية.
264		3. 1. اليهود.
268		3. 2. النصارى.
271		3. 3. الصابئة.
273		3. 4. المجوس.
275		3. 5. المسلمون.
278		المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية للسلاجقة.
278		1- المستوى المعيشي.
288		2- الملابس.
289		2. 1. ملابس السلاطين.
290		2. 2. ملابس نساء السلاطين.
291		2. 3. ملابس القضاة والفقهاء .
291		2. 4. ملابس العامة.
294		2. 5. ملابس أهل الذمة.
296		3- القصور.
296		3. 1. قصور الطبقة الخاصة.

298		3. 2. منازل العامة.
302		4- الطعام.
302		4. 1. طعام الطبقة الخاصة.
304		4. 2. طعام الأغنياء.
305		4. 3. طعام العامة.
307		5- المناسبات المختلفة .
307		5. 1. الخطبة.
310		5. 2. الصداق.
311		5. 3. الجهاز.
313		5. 4. حفلة الزواج.
315		5. 5. حق الرضاع.
315		5. 6. المولود.
316		5. 7. الختان.
317		6- المآتم والوفاة.
319		7- الأعياد الدينية.
319		7. 1. يوم الجمعة.
320		7. 2. شهر رمضان.
321		7. 3. العيد (عيد الفطر).
322		7. 4. الحج.
324		7. 5. عيد الأضحى.
325		7. 6. المولد النبوي الشريف.
325		7. 7. عاشوراء.
326		7. 8. أعياد أهل الذمة.
329		8- مظاهر التسلية.
330		8. 1. الصيد.
333		8. 2. الطيور.
334		8. 3. النزهة والاستحمام.

335		8. 4. الحمامات.
335		المبحث الثالث: المنشآت الإجتماعية في العصر السلجوقي.
335		1- المدارس.
341		2- المكتبات.
344		3- المسجد.
347		4- الربط.
348		5- البيمارستانات.
356		خاتمة.
361		الملاحق.
375		قائمة المصادر والمراجع.
411		فهرس المحتويات.